



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس  
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية  
قسم التاريخ

## المقاومة الشعبية للتوسع الإستعماري الفرنسي في الجنوب الشرقي للجزائر من 1850 إلى 1914

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر

إشراف

من إعداد الطالب

أ.د مجاود محمد

✍️ خنفار حبيب

أعضاء لجنة المناقشة

رئيسا	جامعة سيدي بلعباس	أستاذ التعليم العالي	أ.د. لونيبي ابراهيم
مشرفا ومقررا	جامعة سيدي بلعباس	أستاذ التعليم العالي	أ.د. مجاود محمد
عضوا مناقشا	جامعة معسكر	أستاذ التعليم العالي	أ.د. ودان بوغفالة
عضوا مناقشا	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د. حجازي مصطفى
عضوا مناقشا	جامعة وهران 1	أستاذ محاضر- أ-	د. بلحاج محمد
عضوا مناقشا	جامعة سيدي بلعباس	أستاذ محاضر- أ-	د. بوشيشي علي

السنة الجامعية: 1440-1441 هـ / 2019-2020م

## بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

«وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ  
الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ»

صدق الله العظيم فاطر - 28.

### قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

«مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ  
لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَصْنَعُ وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي  
السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حَتَّى الْحَيَاتَانِ فِي الْمَاءِ وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ  
كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ  
يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا وَإِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ»

رواه أبو داود و الترمذي

# إهداء

إلى روح والدي الكريمين تغمدهما الله بواسع رحمته وجميل مغفرته وعفوه.

ثم إلى عائلتي الكريمة وكل من ساعدني من قريب أو بعيد في انجاز هذا العمل المتواضع

# شكر و عرفان

نتقدم بشكرنا الجزيل إلى الأستاذ الدكتور مجاود محمد الذي قبل الإشراف على الرسالة موضوع البحث، وعلى ما قدمه لنا من توجيهات منهجية وعلمية.

تشكراتنا الخاصة أيضا إلى كل من ساعد من قريب أو من بعيد في إنجاز هذا العمل من الزملاء والأصدقاء.



دليل المختصرات باللغة العربية:

جزء	ج
تحقيق	تح
ترجمة	تر
تعليق	تع
تعريب	تعرب
تقديم	تق
بدون تاريخ	د. ت.
بدون طبعة	د. ط
من الصفحة... إلى الصفحة	ص ص
مجلد	مج
مراجعة	مر

دليل المختصرات باللغة الفرنسية

Signe	Signification
ANOM	Archive National d'outre-mer Aix-en-provence
R.O.M.M	Revue du monde musulman et de la méditerranée
A.S	Au.sujet
GGA	gouvernement général
R.A	Revue africaine
B.S.G.A.A.N	Bull.Soc.Geo.d'Alger et de l'afrique du nord
C.A.F.et.C.M.	Comité de l'Afrique Francaise et Comité du Maroc
R.D.M.	Revue des deux mondes
C.E.A.	Cahiers d'etudes africaine
C.N.R.S.	Centre nationale de la recherche scientifique
C.R.E.S.M.	Centre de recherche et d'etudes sur la société mediterraneenne
A.M.G	Minister de la guerre
B.C.A	Bulletin de correspondance Africaine
S.A.A	Service des Affaires Arabe
A.G	Annale de Geographie
R.R.C et D.C.A.F	revue de renseignement coloniaux et comite de l'afrique francaise
O.R.S.O.M	Office de la recherche scientifique d'outre-mer
C.N.R.P.A.H	centre nationale de la recherche préhistorique Anthropologique et historique
R.A.C	Revue Algerienne colonial
R.F.H.O.M	Revue francaises d'histoire d'outre-mer

# مقدمة

يندرج اهتمام الفرنسيين بالصحراء ضمن اهتمامهم العام بالجنوب الجزائري، الذي بدأ منذ احتلالهم لمدينة الجزائر سنة 1830م، ومحاولاتهم التوسعية في المناطق الشمالية التي واجهها الشعب الجزائري بمقاومة شرسة أعاققت تقدمه، وأخرت توغله في الجنوب ما يقارب النصف قرن، وبعد نهاية مقاومة الامير عبد القادر وأحمد باي، بدأت سلطة الاحتلال العسكرية تتطلع الى التوغل في الصحراء، التي كانت تمثل القاعدة الخلفية الآمنة لكل المقاومات التي استمرت طيلة الفترة الاستعمارية، واختلفت من حيث حدتها من فترة إلى أخرى.

### 1. التعريف بالموضوع وأهميته:

تعد الفترة الممتدة بين النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، مرحلة حاسمة في تاريخ الجزائر المعاصر فقد تمكن الاستعمار من تثبيت وجوده في العديد من المناطق الداخلية، ففي الصحراء الشرقية كان احتلاله لباتنة وبسكرة سنة 1844م ووقوع واحة الزعاطشة بعد حملة سبتمبر سنة 1849م بداية التواجد العسكري الفعلي في الصحراء.

لقد كانت الصحراء مجهولة تماما بالنسبة للفرنسيين حتى الأربعينيات من القرن 19، وكل ما كان يعلمه هؤلاء عن الصحراء هي الكتابات العربية الاسلامية، التي تعود إلى القرون الوسطى مثل ابن خلدون وغيره، لذلك كان من الأهمية بمكان عدم المجازفة بالدخول إلى منطقة غير معروفة، والتعرف عليها أولا عن طريق ما عرف فيما بعد بالحملة العلمية الاستكشافية التجسسية المشروعة، حتى تتحصل سلطة الاحتلال على الإجابة عن الأسئلة التي طرحها المقدم "دوما"، خاصة بعد اصرار المارشال بيجو على احتلال كل الاراضي الواقعة في الجنوب حتى لا تكون ملجأ للشوار وقاعدة خلفية لهم، اضافة إلى أن الصحراء هي حلقة وصل بين المستعمرات الفرنسية الشمالية على سواحل البحر المتوسط ومستعمراتها في افريقيا الوسطى والغربية، لذلك لا مناص من عبورها واحتلالها فكانت الخطوة الأولى هي الحملات العسكرية بعنوان الاستعلام والاستكشاف، وانكبوا على دراسة المنطقة من كل النواحي السياسية والعسكرية والاقتصادية والجغرافية والبشرية، وظهرت بذلك دراسات كثيرة في هذه الميادين العلمية المتخصصة، ورحلات عامة حملت معلومات هامة استغلت في عملية التوسع الاستعماري في هذه المنطقة.

فترافق التوغل العلمي الاستكشافي التجسسي، بالتوسع الاستعماري العسكري، وكانت بداية الاهتمام الأوروبي بالصحراء سابقة للاحتلال، إذ كان الرحالة الاوربيون قد جمعوا معلومات قيمة عن الجنوب الجزائري عامة والصحراء الشرقية بصفة خاصة، وكانت بدايتهم في دراسة كل ما تركه المؤرخون الإغريق والرومان، ثم دراسة التراث التاريخي المخطوط للمؤرخين المسلمين، وأكمل المهمة مجموعة من المغامرين والضباط الفرنسيين الذين نظموا عدة رحلات الى هذه المناطق من أمثال Major Laing, 1822 - Barth 1850\*1855 -, Duveyrier 1861 واسماعيل بوضربة سنة 1858 م، -Flatters 1881- وغيرها من الرحلات التجسسسية في هذه المنطقة، وصدرت على إثر ذلك العديد من الدراسات العلمية عالجت الجوانب الجغرافية والأنثروبولوجية والإثنولوجية إضافة إلى الجيولوجية والأثرية الأركيولوجية والبيولوجية للمناطق الصحراوية الجزائرية خاصة والصحراء الافريقية بصفة عامة.

تمكن قادة الجيش الفرنسي من خلال هذه الدراسات من التعرف على أحوال الصحراء وبدأت حملاتهم العسكرية الموجهة إلى الجنوب بخطة واستراتيجية محكمة، ومعرفة مسبقة بطبيعة المنطقة الجغرافية وتركيبها البشرية والاجتماعية والسياسية، خاصة بعد أن تمكن بعض الضباط المتخصصين في الطبوغرافية من وضع خرائط لمختلف المناطق توضح بدقة السبل والطرق في الصحراء إلى مختلف الواحات ومناطق توفر المياه ذات الأهمية البالغة في الصحراء بحيث كانت نقاط المياه والآبار تتحكم في مختلف الطرق فبدونها لا يمكن السفر في الصحراء.

و لعل أبرز الإنجازات الاستكشافية والعلمية بالنسبة للمستعمر، هي الدراسة الجغرافية التي أعدها "Avezac" سنة 1836م ضمنها خريطة وضح فيها المعالم الرئيسية والطرق والسبل القديمة، وقدم تصورا عن كيفية استغلالها من طرف الجيش الفرنسي، ثم جاءت الدراسة التي أعدها "Carrette" ونشرها في كتاب هام بالنسبة للأطماع الاستعمارية في إفريقيا عامة وجاءت تحت عنوان "Recherche sur la géographie et le commerce de l'Afrique méridional"، وأنجز الضابط "Daumas" بحثا بتشجيع من الجنرال بيجو 1845م تناول فيه الصحراء الجزائرية حمل عنوانه "Sahara Algérien" وهو عبارة عن دراسة جغرافية واحصائية وتاريخية عن الجنوب القسنطيني، فكانت هذه الجهود كلها تحاول التعرف على هذه المناطق المجهولة، وكشف خباياها ثم التخطيط لاحتلالها وإخضاعها والتفكير في كيفية استغلال كنوزها وثرواتها.

لم تدخّر فرنسا الاستعمارية أسلوباً أو وسيلة إلا واستخدمته في تحقيق أهدافها، فقد تفتن الجنرال "Deveaux" بوحى ودعم من قائد توقرت « علي بن فرحات » إلى ندرة المياه في المنطقة وأهميتها بالنسبة لأهل الصحراء، فهي بمثابة الحياة إن لم تكن هي الحياة ذاتها، فوظف الاستعمار الماء وندرته لكسب الجزائريين وكلف الجنرال "ديفو" المهندس "Jus" في ماي 1856م بحفر الآبار، وتم استخراج الماء من على عمق 60 متر، الأمر الذي ولد فرحة شملت كل سكان المنطقة، حتى قيل فيه الشعر، واعتبر الفرنسيون أن حفر الآبار وتوفير الماء للأهالي هو البداية لإقامة إدارة فرنسية بالصحراء ويكون مقرها ورقلة.

كانت مهمة المقاومة المسلحة في الصحراء صعبة أمام هذه الهجمة الاستعمارية التي استخدمت فيها كل الوسائل وعلى جميع المستويات العلمية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والعسكرية بما يحمله هذا الجانب الأخير من تفوق وتطور كبير في الأسلحة والاستراتيجية القتالية في المعارك، ولكن قوة العزيمة والروح القتالية العالية والرغبة في الشهادة في سبيل الله واستمرارية هذه الروح القتالية، جعلت المواجهة تكون قوية، حيث استغلت معرفتها الجيدة بالصحراء، وصلابة المجاهدين في تحمل قساوة الطبيعة، وسرعة حركة جنودها في الصحراء، واعتماد حرب العصابات وتكثيف الهجمات واستهداف مصالحه الاقتصادية لاستنزاف قدراته المادية والمعنوية، والتأقلم مع الظروف الصعبة والاستراتيجيات التي يخلقها الاستعمار لخنق هذه الثورات، فحققت بذلك العديد من الانتصارات العسكرية التي كلفت العدو خسائر فادحة، وجعلت الكثير من العسكريين يعترفون بقوة إرادة المجاهدين وصلابتهم في القتال واستمر هذا الكفاح حتى الاستقلال.

## 2- الدراسات القبلية للموضوع :-

موضوع الدراسة لا يدعي السبق، فهناك العديد من الدراسات تناولت هذا الموضوع مثل أطروحة الباحث رضوان شافو التي حملت عنوان المقاومة الشعبية بصحراء قسنطينة، تقرت وضواحيها أنموذجا 1844/1875م، فكانت هذه الدراسة خاصة بمنطقة توقرت فقط ومحددة من حيث الاطار الزمني حيث انتهت سنة 1875م، بينما اهتم الباحث الاستاذ ابراهيم مياسي -رحمه الله- بتوسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي بين سنة 1881-1912م، وركز فيها على مقاومة بوعمامة من أولاد سيد الشيخ و منطقة الساورة وتوات، ولكن خصوصيات المنطقة الشرقية في المقاومة اختلفت عن المنطقة الغربية التي تناولها الاستاذ مياسي ابراهيم، و عالجت بعض

الدراسات منطقة توات من الجانب الفقهي والقضائي في الفترة بين القرن الثامن عشر والتاسع عشر مثل الباحث عبد السلام الأسمر بلعالم التي كان موضوعها الحياة الفقهية في توات خلال القرنين 19/18 التي احتوت على بعض الاشارات للتنظيم التقليدي المحلي في المنطقة والعلاقات التي ربطتها بالقوى الاقليمية المعاصرة لها، أما الباحث مختار هواري في أطروحته نماذج من القمع الاستعماري اتجاه بعض القبائل في الجنوب القسنطيني بين 1871/1916م فقد أشار إلى الأساليب التي استخدمها الاستعمار في الجنوب القسنطيني، فكان تقاطع مع موضوع محل الدراسة في جانب اساليب السياسة الاستعمارية في الصحراء الواقعة جنوب قسنطينة، إضافة إلى بعض المقالات التي تناولت الموضوع بشكل مقتضب ومحدود ولكنها كانت هذه الدراسات الأكاديمية تتقاطع مع موضوعي في جانب من جوانب البحث.

### 3- دوافع اختيار الموضوع:

كانت أغلب اهتماماتي المتواضعة بتاريخ الجزائر في الفترة المعاصرة عامة، والصحراء الجزائرية بصفة خاصة، والعامل الذي زاد من هذا الاهتمام، اطلاعي على كم هائل من الوثائق الأرشيفية في أرشيف ما وراء البحار حول هذه المناطق في الفترة بين النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، التي أعتقد أنها في حدود اطلاعي المتواضع، لم تنل حقها من الدراسة والاهتمام، فكان هذا الجانب دافعا لي في اختيار هذا الموضوع.

ومن خلال الزيارات العلمية في دور الأرشيف والجامعات خاصة الفرنسية لاحظت أن التوجه الجديد في أغلب الدراسات التاريخية يتجه نحو التاريخ المحلي تماشيا مع العلوم الاخرى التي تشهد التخصص فكان هذا كذلك حافزا آخر في دراسة هذا الموضوع.

### 4- الاشكالية:

يقع هذا الجزء من البحث ضمن الاطار العام للمقاومة الشعبية المسلحة ضد التوسع الاستعماري في الجزائر ما بين 1850-1914م، ولكن لكل منطقة خصوصيتها في الوسائل التي

استخدمها الاحتلال الفرنسي في التحضير ثم تنفيذ عملية التوغل العسكري والسيطرة، ومن ناحية أخرى تختلف المقاومة بالضرورة في الطريقة التي واجه بها الشعب الجزائري التوسع الفرنسي بجميع أشكاله ووسائله، هذا المحتوى يقودنا إلى طرح التساؤل العام هو:

ماهي مكانة الصحراء في المشروع الاستعماري الفرنسي؟ و ماهي فصول وأحداث المقاومة الشعبية ضد التوغل الاستعماري في الجنوب الشرقي في الفترة الممتدة بين النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين؟

و تفرع هذا التساؤل العام إلى مجموعة من الأسئلة أهمها:

- ماهي خصوصيات المنطقة الجغرافية والبشرية من الناحية الإيثنية والأنثروبولوجية ؟
- التعريف بطبيعة الوسائل العلمية التي استخدمها الاستعمار لتحضير لعملية الغزو العسكري؟ وكيف تمكن من استغلال هذه الدراسات العلمية في مشروعه التوسعي؟ وكيف تم توظيفها في السيطرة على المنطقة؟
- ما هو الدور الذي لعبته الأنظمة السياسية التقليدية السائدة في المنطقة أثناء فترة التوسع الاستعماري؟
- ماهي الاستراتيجية التي اعتمدت عليها المقاومة منذ ظهور البوادر الأولى للتوغل الاستعماري الفرنسي عن طريق حملاته الاستكشافية التجسسية وبعثاته العلمية ثم استراتيجية المواجهة العسكرية على المنطقة؟

## 2. المنهج المتبع:

لمعالجة هذه التساؤلات اعتمدنا على المنهج التاريخي بمحاولة سرد الأحداث وفق تطورها الكرونولوجي مع استخدام أدوات ومقاربات المنهج من الوصف إلى التحليل ثم المقارنة والاستنتاج، فقد أعتمد على آلية الوصف في الجانب الجغرافي والتركيبية البشرية من خلال اهتمامات الباحثين الفرنسيين والأهداف التي ترمي إليها، ثم حين ينتقل البحث إلى كيفية استغلال المعارف العلمية والتاريخية حول هذه المناطق يصبح من الضروري الاعتماد على التحليل والاستنتاج، أما عند التطرق إلى ردود فعل القوى المحلية المتباينة من كل ما يحدث فتكون وسيلة المقارنة بين دوافع وأهداف كل موقف ورد فعل، يحتاج إلى المقارنة بين المعطيات، والاستنتاج الأهداف الكامنة



والحقيقية بعيدا عن ما يتم التصريح به من ذرائع وحجج من هذه الاطراف، أما عن آلية استقرار المعطيات الاحصائية، فتكون ضرورية في كشف أهداف الاستعمار من وراء المبالغة في خسائر المقاومة في جميع الحالات، والتقليل من عدد جنود الوحدات الفرنسية، والمبالغة في عدد المجاهدين من ناحية المقاومة، في رفع المعنويات والتهرب من الرقابة الحكومية والمتابعة الدقيقة للبرلمان لتكاليف عملية التوغل في الصحراء.

### 3. محاور الموضوع:

للإجابة على إشكالية الموضوع قسمت عملي إلى ثلاث فصول.

تمحور الفصل الأول حول المقاومة الشعبية للتوسع الاستعماري الفرنسي في وادي ريغ ووادي سوف وورقلة، فرأيت في البداية أنه من الأهمية بمكان التعريف بالوضع السياسي والتطور العسكري على الأرض في المنطقة الجنوبية الشرقية التي ركزت فيها على انعكاسات مقاومة الزعاطشة على المنطقة خاصة والجزائر عامة، ثم التعريف بالمنطقة محل الدراسة في هذا الفصل جغرافيا وبشريا من خلال الدراسات الفرنسية المعاصرة للتوغل الاستعماري، ثم مراحل المقاومة في المناطق وادي ريغ ووادي سوف وورقلة بين 1850 – 1914 م .

أما الفصل الثاني الذي حمل عنوان المقاومة المسلحة للتوسع الاستعماري الفرنسي في منطقة توات الكبير ( توات – قورارة – تيديكلت ) في نفس الاطار الزمني، واتبعت نفس الطريقة في التعامل مع الموضوع، بالتعريف بالمجال الجغرافي والبشري الذي اكتسب أهمية كبيرة في منطقة توات والمنطقة الواقعة في جنوبه بالنسبة للفرنسيين، فقد سمحت هذه الدراسات والحملات الاستكشافية التجسسية لـ (M.Palat- C.Douls– P.Soleillet –G.Rolf) باكتشاف العديد من التناقضات والصراعات الداخلية التي تمكنت من استغلالها لصالح عملية التوغل في المنطقة، ثم تأتي مرحلة التوسع الاستعماري التي استخدمت فيه كل الوسائل لإنجاح العملية، والمقاومة المسلحة التي واجهت هذا الاحتلال بانتصاراتها وانهزاماتها وأهم المعارك التي خاضتها المقاومة ضد الاحتلال، والتركيز على تحليل أسباب الفشل والهزيمة في هذه الفترة.

ثم الفصل الثالث فقد كان حول المقاومة المسلحة للإستعمار الفرنسي في الأهقار والتاسيلي، وحافظت على نفس الطريقة في التعامل مع الموضوع بمقدمة حول المجال الجغرافي من

حيث التضاريس والمناخ ومصادر المياه التي لها أهميتها في الصحراء، والجانب البشري الذي لقي عناية واهتماما كبيرا من طرف الباحثين الفرنسيين من الأكاديميين والعسكريين وفاء للقاعدة التي مفادها « تعرف على عدوك تريح المعركة »، لذلك كان من الأهمية بمكان التركيز على التعريف الدقيق بالسلطة السياسية والتنظيم الاجتماعي التقليدي لتوارق الأهقار والطاسيلي، لما لها من أهمية في هذه المرحلة حيث لا يمكن فهم واستيعاب بعض المواقف إلا بالمعرفة الجيدة لأسرار النظام التقليدي المعقد للمجتمع التارقي، وهي نفس القناعة التي توصل إليها قادة الجيش الفرنسي مثل الجنرال لابرين «Laperrine»، وقد صرح بعضهم أن عدم فهمهم لنظام التوارق أضر عملية التوغل في الصحراء، وأن استغلال التناقضات داخل هذا النظام بالوسائل الدبلوماسية أكثر فعالية من الوسائل العسكرية التي يكون دورها في دعم وترسيخ هذه المكتسبات، ثم تناولت المقاومة الشعبية المسلحة من خلال مرحلتين، الأولى تمثلت في مرحلة مقاومة التوغل السلمي الذي اقتصر على محاولة التعرف على خصوصيات المنطقة عن طريق الرحلات الاستكشافية التجسسية، فقد أُبديت البعثة التي كان يقودها النقيب "فلاتيرز" عن آخرها في بئر الغرامة وكانت مهمتها إعداد دراسة جيولوجية لمد خط سكة حديد في الصحراء الشرقية، ثم مرحلة المقاومة المسلحة للتوغل الاستعماري العسكري التي اعتمدت هي كذلك على القوة العسكرية والوسائل الدبلوماسية، التطرق إلى الأبعاد الدولية للتوسع الفرنسي في الصحراء في إطار تكالب القوى العظمى على المستعمرات في إفريقيا والعالم الثالث عامة بعد الثورة الصناعية وتدايعياتها في العالم.

وفي الأخير توجت موضوع الأطروحة بمجموعة من الاستنتاجات التي خلص إليها البحث.

## 5- المصادر والمراجع المعتمدة :

أ. الأرشيف الوطني ما وراء البحار "ANOM Aix-en-Provence"

من خلال ترددي على دور الأرشيف الفرنسية خاصة أرشيف ماوراء البحار في أكس-ان-بروفانس من جمع وثائق أرشيفية ساعدتني بشكل كبير في إنجاز جوانب لا بأس بها من هذا البحث، ولكن التعامل مع هذا النوع من الوثائق يحتاج إلى نوع من الحذر في التعامل مع المادة التاريخية التي تحتويها، فقد مارست السلطة العسكرية الرقابة على كل التقارير ويتم حذف كل ما لا يتوافق مع أهدافها، وهذا باعتراف أصحابها، فقد اعترف الكثير منهم في مذكراتهم، ببعض القضايا التي مورست الرقابة عليها وحذفت مثل النقيب ميتوا Metois، و في مقال له في سنة 1950:

(L'investiture de Moussa Ag Amestane amenokhal des touareg de l'ahaggar, Vert et Rouge,29: 10-15, 1950).

حول بعض الحقائق في اتفاقية عين صالح 1904م مع التوارق الأهقار، أنه أعد دراسة سنة 1906م وتعرضت للرقابة وحذف منها الكثير من الحقائق من طرف قاداته، مما يؤكد أن الاستعمار استعمل التزوير والتحريف وطمس الحقائق حتى مع عناصره ولكنها تبقى هامة جدا في البحث في تاريخ الجزائر المعاصر، في ظل ندرة المصادر المحلية في هذه الفترة.

■ سلسلة H 22 تحتوى على 104 علب، جملها حول التوغل الفرنسي في الصحراء واحتوت على تقارير لضباط الجيش الفرنسي الذين شاركوا في هذه العمليات من أهمهم:

- Récit de si abdennebi sur l'une des dernières luttes entre les hoggars et les azguezers.
- Résultats obtenus jusqu'à ce jour par les explorations Entreprises sur les auspices du gouvernement de l'Algérie pour pénétrer dans le soudan, Avril 1862, Bureau politique des affaires arabe.
- Rapport de M<sup>ere</sup> le capitaine Touchard sur les Travaux et reconnaissances de pénétration saharienne exécuté dans le sud constantinois.
- A.S, des efforts à tenter pour implanter l'influence française au Gourara et au Touat , 23 Juin 1891.
- A.S. du bordjs à construire à temassinine et à Hassi bel-heirane 01/12/1892.
- A.S. du bordjs à construire à temassinine et à Hassi bel-heirane 01 Décembre 1892, le général O'neil au gouverneur général.
- A.S. du détachement de Fort Mac-Mahon, Instruction donnée pour les travaux de constructions de Fort Mac- Mahon par l'état-major du 19<sup>eme</sup> C.A. 10 Décembre 1893.
- Conduite a tenir a l'égard de tougourt dans le cas du retour offensive de Selman et de chérif ben Abdellah.

- الأرشيف العسكري الفرنسي في فانسان – باريس- السلسلة H. Service Historique de La defense - Vincennes-
- Journal de marche et des opérations militaires de la colonne du sud dans la province de Constantine pendant l'automne 1855, Constantine le 12 janvier 1856, Archive Ministère de Guerre.

#### ب. الأرشيف التونسي:

- أرشيف الحكومة التونسية، صندوق 212، ملف 239، وثيقة رقم 05.
- أرشيف الحكومة التونسية، صندوق 219، ملف 237، وثيقة رقم 04. وهي عبارة عن رسائل تبادلها القنصل الفرنسي مع السلطة السياسية في تونس حول الشريف محمد بن عبد الله الذي كان يحضر لمقاومته من الجنوب التونسي في مرحلتها الثانية.

#### ت. المصادر المحلية:

ما ميز المناطق الصحراوية قلة التأليف في هذه الفترة ماعدا بعض القصائد التي خلدت بعض المعارك من الشعر الشعبي أو بعض التأليف ولكنها تبقى نادرة مقارنة بالكتابات الفرنسية التي من خلالها تعرفنا على بعض المصادر مثل كتاب لسي الحاج عبد القادر بن أبو بكر التواتي من مواليد قرية من قرى أولف في توات، وكان هذا التأليف بطلب من الرائد بواسوني، وقام بترجمته القس بيرجيس سنة 1853م، يحتوي على معلومات هامة حول مناطق الصحراء الشرقية.

- ابراهيم بن محمد الساسي العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، تعل: جيلالي العوامر الجزائري، الدرا التونسية للنشر والشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1977.
- الشيخ المولاي التهامي غيثاوي، لفت الأنظار إلى ما وقع من النهب والتخريب والدمار لولاية أدرار أبان احتلال الاستعمار، دار الكتب العلمية بيروت، 2013.

ثم الكتاب الذي كلف بإعداده النقيب Bissuel من خلال شهادة الأسرى الذين وقعوا في الأسر في صيف 1887م و كانوا من بعض قبائل الطوارق، أربعة من أشرف قبيلة تايوك وعضوين من قبيلة الأمغاد "كال آحنات" والدليل كان من الشعانبة المواضي، وتم تحويلهم من طرف السلطات الفرنسية من غرداية إلى الجزائر العاصمة في سجن باب عزون، حينها كلف النقيب Bissuel باستجوابهم وجمع معلومات حول بلادهم وعاداتهم وكل ما يمكن

جمعه من معلومات حول بلاد التوارق، وصدر الكتاب سنة 1888م يحمل عنوان : les Touareg de l'ouest في الجزائر عن درا Adolph Jourdan ، فكان محتوى هذا المؤلف مكملا للمعلومات التي جاء بها أشهر المستكشفين الفرنسيين للصحراء , Henri Duveyrier , les Touareg du nord ، أشهر المؤلفات التي أنجزت حول التوارق والصحراء عامة وأصبح لفترة طويلة مصدر معارفهم حول التوارق.

ثم تتالت الدراسات حول هذا الموضوع من طرف الأكاديميين الفرنسيين خاصة من بينها على سبيل المثال لا الحصر:

- Boudierba Ismail., Voyage a Ghât du 1er décembre 1858 (Bu). Sco. Géo, Paris, 1860.
- Herbillon (le général), Insurrection survenue dans le sud de la province de Constantine en 1849, Relation du siège de zâatcha, , Paris, Librairie militaire, 1863.
- SEROKA (Commandant), Le sud constantinois de 1830-1855, R.A, Vol. 56, Année 1912, A. Jourdan, Alger, 1912.
- Daumas L.C. , Le Sahara Algérien Etude géographique statistique et historique Ed. Langlois et Leclercq, Paris, 1845.
- Augustin Bernard, N. Lacroix, La pénétration saharienne (1830-1906), Ed Gandini, avril 1900.
- Benhazera (Maurice), six mois chez les touareg du ahaggar, Bull. Soc. Géo. D'alger. Afr. 11eme année, 1906, T XI, Imprimerie, S.Léon, Alger
- Herbillon (Émile Emmanuel), Quelques pages d'un vieux cahiers, souvenirs du général Herbillon (1794-1866, Ed Berger levrault, 1928.
- DU BARAIL (Général), Mes Souvenirs, T.1, 1820-1851, Librairies Plon, Paris, 1897

تكمن أهمية ذكريات «mes souvenir» لدوباراي «Dubarail» الذي ارتقى فيما بعد إلى رتبة جنرال وكان في هذه الفترة لا يزال كاتباً لدى الكولونيل Martimprey ، وكان له نظرة شاملة للوضع

العسكري في المنطقة الشرقية، بحكم منصبه حيث كانت تقارير ورسائل القيادات العسكرية في المنطقة الشرقية تصله يوميا حتى يتم تقييم الوضع العسكري، ثم التنسيق بين مختلف الفرق العسكرية في الميدان، وبالتالي لدى هذا المصدر نظرة شاملة عن الوضع العسكري في الجزائر في الجهة الشرقية التي تهتمنا في هذا البحث، طبعاً من وجهة نظر الجيش الفرنسي.

ثم كتب الرحلات الاستكشافية التجسسية في المناطق الصحراوية لتعرف أكثر على أهالي وسكان الصحراء تحضيراً لعملية الغزو العسكري مثل:

- Duveyrier, Les touaerg du nord. Paris ,1864
- Le Capitaine, H. Bissuel, les touareg de L'ouest, Adolphe Jourdain, Alger, 1888.
- Trumetlet, Les Français dans le Desert, 2° Ed, Chalamel et Aine, Paris 1885.
- Vuillot Paul, l'exploration du Sahara, Etude historique et géographiques, Augustin Challamel Editeur, Paris, 1895.
- FA. Bernard, N. Lacroix, la pénétration saharienne 1830-1906, El Gandini, 1993 France.

#### 4. الصعوبات:

تنوعت الصعوبات التي اعترضتني في هذا البحث بين الشخصية والموضوعية، فقد تكون الالتزامات الاسرية وبعض الحوادث عدوة الباحث، والموضوعية، ندرة المصادر المحلية حول المناطق الصحراوية خاصة منطقة توات والهقار والتاسيلي، لتمكن من مقابلتها بالمصادر الأرشيفية والطروحات الاستعمارية الذاتية، حيث أغلب الدراسات هي من انجاز عسكريين سابقين، ثم صعوبة قراءة هذه الوثائق المكتوبة باليد بخط قديم يصعب فهمه، وأحيانا تكون الصورة غير واضحة في الجزء المهم فتزداد العملية صعوبة.

وكان تشعب الموضوع خاصة في الهقار و التاسيلي إلى الجوانب الاجتماعية التنظيمات  
السياسية الداخلية التقليدية حتى تستطيع فهم الاحداث والمواقف وردود الأفعال في بعض المراحل  
من البحث.

# الفصل الأول

المقاومة الشعبية للتوسع

الاستعماري الفرنسي في وادي

ريغ ووادي سوف و ورقلة



## I. الوضع السياسي والعسكري في المنطقة الجنوبية الشرقية في منتصف القرن 19 م

إعتمدت السياسة العثمانية في المنطقة الجنوبية الشرقية على تغذية الصراعات بين الأسر المتنفذة (بن قانة - بوعكاز)، عن طريق تقريب أسرة على حساب الأسرة الثانية، حتى تضمن استمرار ممارسة سلطتها على المنطقة، وهي نفسها السياسة التي انتهجها أحمد باي، فكان له دور محوري في إثارة الصراعات والنزاعات بين هذه الأسر، خاصة عندما أسند منصب "شيخ العرب" بإقليم الصحراء إلى "بوعزيز بن قانة" سنة 1830م، بعد أن كان هذا المنصب في عائلة بوعكاز لمدة طويلة من الزمن، الأمر الذي أدى إلى صراعات دموية بين العائلتين، ورفضت عائلة بوعكاز كل قرارات الباي وأصرت على أحقيتها في المشيخة، فكان أحمد باي ضحية هذه السياسة وبدل أن تتحد القبائل تحت رايته لمقاومة التوسع الاستعماري، واصلت في لعبة التحالفات والتوازنات بين القوى المحلية و الوافد الجديد إلى المنطقة، الذي عرف كيف يستغل هذه الأوضاع لصالحه، وجاءت محاولات أحمد باي متأخرة في سعيه لتوحيد المقاومة من خلال الرسائل التي بعثها إلى بعض قبائل المنطقة لتنسيق التعاون بغية تعميم العمل المسلح.<sup>(1)</sup>

حاول الحاج أحمد باي سنة 1831م تأديب فرحات بن سعيد، فاحتجى هذا الأخير بواحة الزعاطشة التي كانت تحت سلطة الشيخ بوزيان - بطل معركة الزعاطشة 1849م- فرفض أتباع فرحات بن سعيد تسليمه، فضرب بن قانة الحصار على الواحة، ولكنه فشل فشلا ذريعا وانسحب بعد أن فقد الكثير من جنوده في هذه المواجهة.

استمرت هذه الصراعات و الانقسامات بين هذه العائلات والأسر المتنفذة إلى ما بعد 1837م، حينما عقدت فرنسا معاهدة التافنة مع الأمير، بهدف التفرغ للقضاء على المقاومة في المنطقة الشرقية واستغل الجنرال "فالي" هذه التناقضات والصراعات لمصلحة التوسع الفرنسي في الصحراء، وفشل أحمد باي في توحيد قبائل المنطقة ضد الاحتلال الفرنسي، رغم المحاولات العديدة والرسائل التي بعث بها إلى قبائل المنطقة، لكنها بقيت دون جدوى، في حين استغل ضباط الجيش الفرنسي الوضع الداخلي لصالح التوسع الاستعماري حيث يقول "أوغستان برنار" Augustin Bernard « إن العمل الاساسي الذي قام به فالي، هو تنظيم إقليم قسنطينة، فطبق فيها أساليب سياسية خاصة بمعاملة الاهالي، تلك السياسة التي أصبحت فيما بعد تطبق على مستوى القطر

<sup>1</sup> - عبد الحميد زوزو، ثورة الأوراس سنة 1879م، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م، ص 19

الجزائري بأكمله وقوام هذه السياسة، هو إسناد إدارة البلاد إلى الأعيان من الأهالي تحت إشراف القائد الأعلى للاقليم، وذلك أن فرنسا لم تكن تريد أن تحكم البلاد حكما مباشرا، فقسمت السلطة ووزعتها على عدة رؤساء»<sup>(1)</sup>.

في ظل هذه الانشقاقات والانقسامات الداخلية تمكنت قوات الاحتلال من دخول بسكرة عاصمة منطقة الزيبان في 04 مارس 1844م دون أي مقاومة تحت قيادة Duc.D'aumale وأعلنت الولاء مقابل الحماية، أصبحت دائرة عسكرية أمنية وتابعة إلى تقسيمية باتنة، وكان قائد الدائرة الكومندون Saint-Germain كان له تأثير على الأهالي<sup>(2)</sup> وأظهر "الدوق دومال" إعجابه بجمال المنطقة الطبيعي وأهميتها الاقتصادية<sup>(3)</sup>.

خلال شهر جوان من سنة 1849م، وصلت إلى الكومندون "سان جرمان" قائد الدائرة العسكرية لبسكرة، تقارير سرية حول نشاط الشيخ بوزيان الذي يدعو ويحرض على الجهاد ضد فرنسا في الواحات الجنوبية، لذلك قام القائد سان جرمان بإرسال النقيب Seroka لجس النبض في المنطقة تحت غطاء مهمة جباية ضريبة "اللزامة" على النخيل، وبالتالي يمكنه أن يتعرف على حالة المنطقة وعند وصوله إلى واحة زعاطشة وجد مقاومة ورفضها تماما لدفع الضريبة وحتى لوجود القوات الفرنسية.

وعند إعلام القائد "سان جرمان" بذلك، جمع قواته المكونة من الثوم الفرسان وكتيبته من المشاة الأهالي، وقام بالهجوم على الزعاطشة ولكن المقاومة تمكنت من تحقيق انتصار كبير في هذه المعركة، وقتل فيها القائد الفرنسي سان جرمان، وكان هذا الانتصار بمثابة الشرارة التي شجعت ونشرت روح المقاومة في منطقة الزيبان مثل واحة فارفار و ليشانة وغيرها التي انضمت إلى المقاومة وبدأت في دعمها.

في هذه الفترة بذات كانت القوات الفرنسية في مواجهة مباشرة مع المقاومة الشعبية في إقليم قسنطينة على عدة جهات، أولها الجنرال "هريون" Herbillon كان القائد الأعلى لمنطقة قسنطينة

<sup>1</sup> - مصطفى الأشرف، الجزائر الامة والمجتمع، تر. حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص60

<sup>2</sup> - DU BARAIL Général, Mes Souvenirs, T.1, 1820-1851, Librairies Plon, Paris, 1897, p.358.

<sup>3</sup> - محمد الصالح العنترى، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على اوطانها (تاريخ قسنطينة)، مراجعة وتقديم يحي بوعزيز، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص164

وفي هذه الفترة كان مع أغلب القوات في محاولة لإخضاع منطقة القبائل الثائرة أهمها "بني توفوت"، أما الجنرال "دو صال" De Salles كان في حملة عسكرية ضد بني براهيم بين سطيف وبجاية.

أما الكولونيل Carbuccia قائد منطقة باتنة التي اندلعت فيها المقاومة كان في حملة عسكرية مكونة من ثلاث فيالق وثلاث سريا من خيالة ضد أولاد سحنون الذين ثاروا على القاييد المعين من طرف فرنسا، وحاصروه في قلعته، حيث في يوم 27 جوان 1849م هاجموا "زمالة سي مقران" الذي هرب إلى البرج للتحصن فيه تحت حماية كتيبة من اللفييف الأجنبي، لذلك خرج الكولونيل Carbuccia من باتنة على رأس سرية من اللفييف الأجنبي وسرية من الصبايحية وسرية من المشاة وتم اللقاء في "بريكة" مع فيلق الأفارقة الآتي من سطيف يوم 08 جويلية، وتمكن من مفاجئة أولاد سحنون ليلا تحت الخيام، وكانت عملية القمع بشعة حيث بلغ عدد القتلى 140 شخص دون تمييز بين النساء والأطفال والشيوخ والمقاتلين إضافة إلى حوالي 250 شخص من الذين حاولوا الهرب وماتوا غرقا في الشط إضافة إلى تجريد القبيلة من كل ما تملكه من ثروة حيوانية (2000 جمل، 12 ألف ماشية)،<sup>(1)</sup> وبالتالي كل المنطقة الشرقية كانت في حالة ثورة ضد الاستعمار و أدى تعدد جهات المقاومة إلى تشتت القوات الفرنسية.

ثم اتجه الكولونيل Carbuccia نحو منطقة الزيبان لثأر للقائد سان جرمان، ولكنه أنهزم أمام قوات المقاومة في الزعاطشة وكان الانتصار الثاني للمقاومة مما زاد من تأثيرها وذيوع صيتها وانضمام عدد كبير من المقاومين لها حيث جهزت قبائل المنطقة أشجع فرسانها ودعمت بهم المقاومة، وانتفضت منطقة الأوراس حتى أصبح من الصعوبة بمكان أن تصل الامدادات الفرنسية من باتنة إلى بسكرة وأصبح القائد Carbuccia عاجزا ينتظر الدعم وخاصة المدفعية.

وتكمن قوة واحة الزعاطشة في كونها محاطة بغابة من النخيل تتخللها الكثير من الأشجار المثمرة ثم قطع أرضية مخصصة لزراعة مختلفة المنتجات الزراعية من خضر حبوب وغيرها، إضافة إلى شبكة واسعة من الأسوار والقنوات المائية تجعل من هذه الواحة متاهة بالنسبة للغرباء عنها. وعليه فإن هذا التنظيم المعماري الداخلي للواحة جعل عملية اقتحامها صعب ويكلف الكثير من الخسائر البشرية في وسط جيوش العدو.

<sup>1</sup> - SEROKA Commandant, Le sud constantinois de 1830-1855, R.A, Vol. 56, Année 1912, A. Jourdan, Alger, 1912, p.505.

بعد هذا الحصن الطبيعي الأخضر تنتشر داخل الواحة منازل من الطين وأسوار حول هذه الحدائق مما جعلها كالمناهة وانتشار المقاومين داخلها مع معرفتهم الجيدة بمخارجها ومدخلها زاد من صعوبة احتلالها.<sup>(1)</sup>

يرجع الجنرال Herbillon أن سبب هذه الثورات والانتفاضات التي اندلعت في هذه الفترة في كامل المناطق التي ذكرناها هو تهجير عدد كبير من المعمرين من فرنسا إلى الجزائر واستقرارهم في أراضي صودرت أو أخذت عنوة من الجزائريين أي على حسابهم ، فحرض رؤساء الزوايا وأعيان وكبار القبائل على الثورة والجهاد ضد الاحتلال في وكانت المقاومة بقيادة "سيدي بن يامينة"<sup>(2)</sup> الذي هاجم العروش أين انهزم ثم انتقل وحفز قبائل جبل زواغة على الثورة.<sup>(3)</sup>

ولكن منذ 1844 تاريخ احتلال منطقة الزاب كانت الأوضاع مستقرة حتى سنة 1848 عندما اندلعت الثورة في فرنسا ضد الملك لويس فليب وإعلان قيام الجمهورية بلغت أخبار الثورة والاستقرار في فرنسا إلى منطقة الزيبان عن طريق فئة البسكرة المقيمين في مدينة الجزائر، إضافة إلى حالة الصراع القائم بين السلطة العسكرية والمدنية بعد إعلان قيام الجمهورية.<sup>(4)</sup>

والسبب الآخر الذي يعتبره الجنرال (هاربيون) حجة أو ذريعة استغلها الشيخ بوزيان لإشعال فتيل الثورة قضية الضريبة على النخيل التي ارتفعت إلى 45 سنت على كل نخلة ثم توسيع فرض الضريبة على الفئات التي كانت غير ملزمة بدفعها مثل الكراغلة والأتراك ورجال الزوايا والقبائل العربية المالكة للنخيل في المنطقة مثل أهل بن علي التي تمتعت بهذا الامتياز منذ الفترة العثمانية.<sup>(5)</sup>

ويعترف الفرنسيون في منطقة الزيبان أن عملية إحصاء النخيل في المنطقة، إستغرقت سنتين تم خلالها إحصاء حوالي مليون نخلة، ولم تكن عملية الإحصاء هذه خالية من الأخطاء لذلك تلقت السلطات الإدارية الفرنسية عدد كبير من الاحتجاجات والشكاوى لإعادة النظر فيها<sup>(6)</sup>، هذه

<sup>1</sup> - Du Barail( Général), op.cit. p.361.

<sup>2</sup> - Mercier Ernest, histoire de constantine,J.Marle et F. Biron imprimeurs-editeur, constantine, 1903, p529.

<sup>3</sup> - Herbillon (Emile Emmanuel), Quelques pages d'un vieux cahiers, souvenirs du général Herbillon (1794-1866, Ed Berger levrault, 1928, p.121.

<sup>4</sup> - Herbillon. (Le général), Insurrection survenue à Constantine en 1859, Relation du siège de zâatcha, Librairie Militaire, Paris, 1863, pp.08-09.

<sup>5</sup> - Charles Bocher, Le siège de zâatcha, Souvenirs de l'expédition dans les ziban en 1849, Revue des deux monde, T2, Paris, 1952, p.78.

<sup>6</sup> - Ibid, p.78.

العوامل ساهمت في توسع دائرة الاستياء والاستنكار لكل سكان الواحات والقبائل العربية في البادية المالكة لغابات النخيل في الواحات.

ويرى أحد الضباط الذي شاركوا في معركة الزعاطشة وكان يقود الفيلق 05 للمشاة (Charles Bocher) أن السبب في ثورة سكان واحة الزعاطشة يعود إلى اتهامهم من طرف القبائل العربية الرحل بموالاتهم للاستعمار وتقاؤسهم على جهاد الكفار مع نظرة الاحتقار والاستخفاف بسكان واحات الزيبان الذين حاولوا عن طريق هذه المقاومة تكذيب هذه الإدعاءات<sup>(1)</sup>، وهذا نموذج لكتابات العسكريين الفرنسيين الذاتية والبعيدة عن الموضوعية والتي كانت تحاول إيجاد تبريرات لأعمال البطش والظلم والتشريد التي كانت سببا في مثل هذه الثورات وأولها هو رفض الاحتلال.

ولعل من أخطر الاستراتيجيات التي اعتمدها السلطات الاستعمارية هي إثارة النزعات داخل القبائل والعائلات الكبرى في المنطقة، وإضعافها والتقليل من نفوذها تمهيدا لتفكيك هذه القبائل وتشتيتها، وكانت وسيلتها في ذلك التنظيمات الإدارية وتقسيم قيادات هذه المنطقة التي شرعت في تضيق مناطق نفوذها منذ فترة الجنرال بيجو.

ومن خلال التنظيم الجديد للمحقة بسكرة العسكرية ديسمبر 1845 الذي قسم المشيخة القانية (آل بن قانة) إلى قيادات متوسطة لتفكيك القبيلة الأم، وإبعاد القبائل التي تربطها رابطة الدم أو الجوار والتحالف، فمثلا قلص سلطة بن قانة بحيث أخرجت من قيادتها قبائل أولاد دراج- أولاد زيان- بني سويك وغيرها وقسمت قبائل البدو إلى قيادتين مع بقائها في نفس العائلة وهذا لإثارة التنافس داخل العائلة الواحدة.<sup>(2)</sup>

## 1) انعكاسات معركة الزعاطشة على روح المقاومة في المنطقة الجنوبية الشرقية:

### 1-1) نتائج معركة الزعاطشة المباشرة

كانت روح التضامن والتآزر والاتحاد في وجه العدو الفرنسي أقوى رسالة رسمها سكان منطقة الزيبان ضد الاستعمار حيث أكد ذلك إلى الضابط J.A. Seroka رئيس المكتب العربي

<sup>1</sup> - , Du Barail ,Op. cit, pp.76-77.

<sup>2</sup> مختار هواري، نماذج من القمع الإداري الاستعماري اتجاه بعض القبائل في الجنوب القسنطيني 1871-1916، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الحاج لخضر - باتنة، 2016-2017، ص 54

لبسكرة من 1848 حتى 1859<sup>(1)</sup>، الذي قدر عدد القوات الجزائرية داخل واحة الزعاطشة ب 600 مقاتل ويتوزعون على كل قبائل المنطقة.

جدول يوضح توزيع عدد المقاتلين على القبائل المشاركة في معركة الزعاطشة<sup>(2)</sup>

عدد المقاتلين	القبائل	عدد المقاتلين	القبائل	عدد المقاتلين	القبائل
50	شرفاء من الزاب القبلي	30	أولاد بن كيليل من عمور	100	زعاطشة وعمرة من الملاك
06	البرج	04	بوشقرون	200	ليشانة وأهل بن علي من الملاك
06	الوطاية	02	بوعزيد من العمري	40	فاتوسة من فارفار
40	أولاد حركات	10	النوافة من عمور	40	نارة من أولاد عبدي
50	أولاد جلال وسيدي خالد				

وكان مجموع المقاتلين 578 مقاتل<sup>(3)</sup>، وبعد التحقيق والتحري الذي قام به رئيس المكتب العربي Seroka عن القتلى الشهداء الجزائريين بعد نهاية معركة الزعاطشة فقد كان عددهم 476 تم التعرف عليهم وعدد من المجهولين فوصل العدد الاجمالي حوالي 500 مقاتل، وينتمون كذلك إلى مناطق مختلفة مثل الصحاري وبوسعادة إضافة إلى المناطق الأخرى التي ذكرت في الجدول، لذلك كانت مقاومة الزعاطشة بحق مقاومة عبرت عن طموح وإرادة الجزائريين في الاستقلال وتجاوزت فيها قبائل المنطقة كل أحقادها وصراعاتها السابقة، حيث أظهرت أن العامة من الشعب الجزائري البسيط لم يكن منخرطاً بشكل كامل في صراع العائلات الكبرى المتنفذة في المنطقة.

عند إلقاء القبض على الشيخ بوزيان قائد المقاومة بعد حصار دام 52 يوم وخسائر كبيرة من الطرفين أرسل قائد الوحدة De Lavarande إلى الجنرال Herbillon يعلمه بخبر وقوع قائد

<sup>1</sup> - J.A. Seroka, Op. cit, pp.376-377.

<sup>2</sup> - Ibid, p 506.

<sup>3</sup> - Ibid, p.506.

المقاومة في الأسر، فأمر مباشرة أمرا شفويا بإعدامه، وكانت آخر الكلمات التي قالها الشيخ بوزيان هي "كنتم الأقوى والله الواحد الكبير، ولتكن مشيئته نافذة دائما"، ونفذ فيه الإعدام ونفس المصير لقيه كل سكان واحة زعاطشة دون تمييز بين النساء والشيوخ والأطفال وكذلك إعدام عدد كبير ممن شاركوا في المقاومة من خارج الواحة<sup>(1)</sup>.

فكانت مجزرة قل ما يحدث مثلها بشهادة بعض العسكريين الذين شاركوا فيها، وبلغ عدد الجثث من المقاومين 800 شهيد<sup>(2)</sup> دون حساب المقاومين الذي كانوا تحت ركام المنازل التي فجرت بأكياس من البارود على أصحابها إضافة إلى عدد من الشهداء الذين سقطوا في ميدان الشرف من الواحات المجاورة الذين حاولوا نجدة إخوانهم في الزعاطشة باختراق الحصار، وكانوا في مواجهة مباشرة مع القوات الفرنسية بقيادة الكولونيل « Mirbeck » الذي فرض مراقبة وحراسة مستمرة لكل الواحات المجاورة.<sup>(3)</sup>

وقد أورد الملازم Seroka جدول تفصيلي<sup>(4)</sup> عن عدد الشهداء من كل القبائل والواحات التي شاركت في المقاومة وأكبرها مشاركة في عدد الشهداء هم أتباع سي موسى<sup>(5)</sup> ب 60 شهيد والصحاري 60 شهيد إضافة إلى 21 قبيلة وواحة، وكان العدد الاجمالي 476 شهيد من الجنود المقاتلين في اليوم الذي تم احتلال الواحة مما يعني أن نصف عدد القتلى كان من البسطاء والأطفال والشيوخ من سكان واحة الزعاطشة التي لم ينجو منها سوى مغربي من أتباع سي موسى.

<sup>1</sup> - Seroka, Op.cit., p98.

<sup>2</sup> - Charles Bocher au gouverneur général, Zâatcha 26/11/1849, anom, boîte 2h 25, une lettre du général Herbillon, Op. cit, p.98.

<sup>3</sup> - le général Herbillon, Insurrection survenue dans le sud de le province de Constantine Op.cit, p.185.

<sup>4</sup> - Seroka, op.cit, p.519.

<sup>5</sup> - سي موسى بن حسن المصري، الملقب بوحمار ولد وترعرع في مصر قام برحلات إلى سوريا، القسطنطينية والجزائر وطرابلس أين التقى بسي محمد بن حمزة مؤسس الطريقة الشاذلية الذي أفنعه باتباعها فانشقت عنها الطريقة الدرقاوية فأصبحت الأولى خاصة بتونس وليبيا والثانية بالجزائر، وفي سنة 1829 زار سي موسى مدينة الأغواط وكسب فيها العديد من المريدين، وأسس زاوية ببلدة مسعد، في سنة 1835 واجه الأمير عبد القادر، ودافع عن الصحراء ضد التواجد الفرنسي ويعتبر الزعيم الروحي الثاني لغزوة الزعاطشة واستشهد فيها وحز رأسه ووضع إلى جانب رأس بوزيان وإبنه : عن ابراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934، دار هومة، الجزائر، 2005، ص 138.

في حين ارتفع عدد القوات الفرنسية المشاركة في هذا الحصار بعد مجيء الدعم العسكري على عدة مراحل، فقد كان عدد القوات في البداية 4716 جندي<sup>(1)</sup> الذي تجاوزت قوات المقاومة المحاصرة بكثير، وفي يوم 15 نوفمبر التحق الكولونيل Lourmel من قسنطينة ودعم القوات الفرنسية بالمدفعية الثقيلة وعدة فرق عسكرية التي رفعت العدد الإجمالي إلى 8075 جندي كان من بينهم 926 جندي مصاب بمرض الكوليرا و7149 جندي جاهزين للقتال<sup>(2)</sup> فكان عدد القوات ضخمة ومجهزة بأحدث الأسلحة تتجاوز إلى حد بعيد القوات المقاومة والمحاصرة داخل الواحة وكذلك في الواحات المجاورة.

أما خسائر العدو فأغلب المؤرخين وشهود العيان الذين شاركوا في هذه المقاومة قدروا الخسائر الفرنسية بـ 1500 قتيل وجريح، وأبرزهم الملازم Seroka الذي كانت له معرفة جيدة بمنطقة الزيبان بحكم المنصب الذي تقلده في المكتب العربي ببسكرة، والدراسات والبحوث التي أعدها حول تاريخ منطقة الزيبان، ذكر لنا فيها قائمة تفصيلية لخسائر فرنسا بحيث في اليوم الأول من الهجوم كلفت فرنسا 43 قتيل و175 جريح، أما خسائر العدو في المقاومة عامة، فقد قتل 20 ضابطا و60 جرحى 300 جندي قتيل 620 جريح إضافة إلى الذين كانوا ضحية لمرض الكوليرا التي أودت بحياة 250 جندي فكان العدد الإجمالي 570 قتيل 680 جريح.<sup>(3)</sup>

ثم عمد جنود الاحتلال إلى تدمير واحة الزعاطشة التي سويت بالأرض وقطع حوالي 7000 نخلة في زعاطشة و3000 في واحة ليشانة<sup>(4)</sup> ومصادرة كل ممتلكاتهم من أراضي وجنان وغيرها.

## 2-1 توسع المقاومة إلى "نارا" NARAH :

تقع (نارا) أو (نارة) في الناحية الجنوبية من الأوراس، حيث لجأ إليها المقاومون الذين رفضوا الاستسلام رغم انتشار خبر سقوط الزعاطشة وفضاعة الجرائم التي ارتكبت بها، إلا أن هذه الأخبار لم تثني هؤلاء المقاومين عن مواصلة المقاومة، لذلك استغلوا هذه المدينة التي تتميز بموقعها الجغرافي المحصن طبيعيا حيث تقع على هضبة صغيرة المساحة على قمم جبال الأوراس الجنوبية ولها منفذ واحد ضيق وسط منطقة وعرة، ولا يمكن احتلالها إلا عن طريق الحصار الطويل لذلك

<sup>1</sup> -Seroka, op.cit, p.137.

<sup>2</sup> - Ibid, p.156.

<sup>3</sup> - Ibid, p.520.

<sup>4</sup> - Ibid, p.520.



كلف الجنرال Herbillon الكولونيل Canrobert الذي اعتمد على الحيلة والخديعة الاستراتيجية في القتال، حيث أمر جزء من قواته بمهاجمة مدينة نارا، ثم بعد مدة من المواجهة أمر قواته بالتراجع والتظاهر بالهروب بشكل غير منتظم، فوقع المقاومون في الفخ وقاموا بالهجوم وانطلقت عليهم حيلة استدراجهم خارج المنطقة المحصنة، فخرجوا من المدينة عبر المنحدر الضيق إلى أن وصلوا إلى منطقة سهلية مكشوفة، وهناك وجدوا أنفسهم في مواجهة القوات الكبرى التي كانت متموقعة فيه، وأثناء محاولة المقاومين الرجوع إلى المدينة رجعت معهم قوات "الزواف" وتم احتلال المدينة<sup>(1)</sup>، وكانت نارا آخر معاقل المقاومة في الزيبان التي تم إخمادها، فقد كانت قوات المقاومة غير منظمة أمام فرقة الزواف الفرنسية التي كسبت خبرة في فنون القتال مع الامكانيات العسكرية المتطورة جعلتها تخرج منتصرة في هذه المعركة.

### 3-1 حركة المقاومة في بوسعادة سنة 1849 الشريف محمد بن شبيرة:

يعود نسب محمد بن شبيرة إلى قبيلة أولاد سيدي سليمان الذي تنحدر أصولها إلى الأشراف الأدارسة من الساقية الحمراء، تربي وترعرع الشيخ في أسرة علمية فاشتهر بورعه وحفظه للقرآن، وكان محل تقدير واحترام سكان منطقة بوسعادة، وعند عودته من الحج، تواصل مع أنصار الأمير عبد القادر في المنطقة، ثم بدأ في دعوته إلى الجهاد بعد اتصاله بالشيخ بوزيان القائد الروحي العسكري لمقاومة الزعاطشة، فانضمت إليه عدة قبائل وأعراش كان أهمها قبيلة أولاد نايل،<sup>(2)</sup> إضافة إلى عرش أولاد مردف، أولاد عمر فرح، وأولاد فكرون، وأولاد سيدي إبراهيم، والشرفة، انضمت هذه الاعراش إلى المقاومة وكان من أهم أسباب مقاومة الشريف محمد بن شبيرة، وصول خبر الهزائم الفرنسية إلى بوسعادة، والانتصارات التي حققتها ثورة الزعاطشة في بدايتها على القوات الفرنسية، رغم عدم التوازن في العدة والعتاد، ثم القمع الوحشي والتخريب والقتل والتشريد الذي تعرض له الجزائريون خلال الحملات العسكرية التوسعية في الجهة الشرقية، والتي بقيت صورها البشعة عالقة في الذاكرة الجماعية وتنتظر الرد.

عينت السلطات الفرنسية وكيلا لها في بوسعادة يسمى عمر بن النوي للإشراف على الأحباس وأملاك البايلك وإحصائها، وهو الذي أبلغ السلطات الفرنسية بالنشاط الجهادي الذي

<sup>1</sup> - Du barail Général, Op.cit., pp.365-366.

<sup>2</sup> - Aucapitaine Le Baron Henri, notice sur Boussaâda, RA, Tome 6, année 1862, Ed bastide, Alger, 1863 pp.58-61.

يقوم به ابن شبيرة فقام ابن النوي بتهديده، معتمدا على نفوذه لدى المكتب العربي لبرج بوعريريج الذي كانت بوسعادة تابعة له.<sup>(1)</sup>

وخلال سنة 1849 تحولت العديد من الفيالق العسكرية الفرنسية إلى الزعاطشة، وقرر الجنرال Charon الحاكم العام للجزائر آنذاك، احتلال بوسعادة وخلق مركز عسكري فيها، لموقعها الهام بين بسكرة والأغواط، وعند مرور الكولونيل Du Barail ترك بها حامية عسكرية مؤلفة من 170 جندي تحت قيادة الملازم Lapierre وبمجرد مغادرة Du Barrail المدينة، انقسم موقف سكان المدينة من وجود الكفار في عقر دارهم إلى قسمين، فقد كان موقف الشيخ محمد بن عزون وحي المواحمين إلى جانب الفرنسيين<sup>(2)</sup>، أما بقيت الأعراش أعلنوا الجهاد، فأولاد نايل حاصروا أسوار المدينة والعشاش وأولاد سيدي حركات بدأوا في إطلاق النار، ومهاجمة الحامية الفرنسية التي تحصنت في مسجد حي المواحمين، فانتشر خبر هذه المقاومة، ووصل الخبر إلى المركز العسكري الفرنسي في برج بوعريريج أين يوجد النقيب Pein قائد الحصن، الذي جمع حوالي 50 جندي وتوجه نحو المسيلة، للوصول بسرعة إلى بوسعادة وتمكن بصعوبة كبيرة من الدخول إلى المدينة من جهة باب الجزائر مدعما بقوات محمد بن عزون لدعم الحامية وحلفاءه في حي المواحمين.<sup>(3)</sup>

وبعد أيام وصل الدعم العسكري الفرنسي ممثلا في وصول قوم المقراني على رأس 400 فارس، رفقة الضابط Beaupretel، وبدأت كفة المعركة تميل إلى الفرنسيين وأعاونهم، وبعد أيام إزداد عدد القوات التي سعت إلى إخماد ثورة بن شبيرة، فقد وصلت قوات الكولونيل Canrobert المكونة من 1500 جندي والكولونيل Daumas بقوات قوامها 1400 فارس، وتجمعت هذه القوات في بوسعادة يوم 13 نوفمبر 1849م، وتمكنت من احتلالها بعد معارك ضارية فاستسلمت المدينة يوم 1849/11/14 وفرض على سكانها ضريبة الحرب 8000 فرنك، وتم ملاحقة المقاومين بالجبال المجاورة إلى أن استسلموا يوم 1849/11/30، وتزامن ذلك مع انتشار خبر هزيمة المقاومة في الزعاطشة فأصبحت كل المنطقة تحت هيمنة الاحتلال.<sup>(4)</sup>

<sup>1</sup> -Rapport sur l'occupation de bousaâda1849-1850.boite 8H 7, Anom.

<sup>2</sup> - Aucapitaine, Op.cit, p60.

<sup>3</sup> - Aucapitaine, Op.cit, p.60.

<sup>4</sup> - Occupation de bousaada, boite 8 H7, Anom, op. cit,

## II. المقاومة المسلحة للتوسع الاستعماري في منطقة وادي ريغ

### (1) الإطار الجغرافي:

عاصمة وادي ريغ (توقرت) أطلق عليها العرب (بطن الصحراء) يقع هذا الاقليم إلى الغرب من وادي سوف وهي عبارة عن سلسلة من الواحات المتقاربة فيما بينها، عاصمتها توقرت تمتد على مسافة 120 كلم من الشمال إلى الجنوب و20 كلم من الغرب إلى الشرق<sup>(1)</sup>.

وادي ريغ من المناطق التي تمتد جنوب شط ملغيغ على مسافة تتعدى 100 كلم ثم ينخفض ب 40م على مستوى سطح البحر و يمتد إلى أن يصل لمدينة توقرت التي تقع على ارتفاع 40 متر فوق مستوى سطح البحر، ويحدها من الشرق والغرب منحدرات قليلة الارتفاع تمثل حواف نهر قديم كانت تمر عبره مياه نهر إيغارغر ووادي ميا « Mya » وصولاً إلى الشطوط.

### (2) التركيبة البشرية للمنطقة

بعد التعريف الجغرافي للمنطقة، من الأهمية بمكان التطرق إلى الواحات والتجمعات السكانية والقبائل التي لعبت دوراً كبيراً في الفترة المقصودة بالدراسة.

إذ انطلقنا من شمال مرتفع الكاف أو كودية الدور « Kodiat Dour »، تبدأ سلسلة الواحات التي تشكل مراكز أمامية متقدمة لمنطقة وادي ريغ على امتداد 120 كلم شمال واحة توقرت وهي واحة أوريج « ourir » والنصيرة « Ensira » الواقعة على سواحل شط ملغيغ، والتي تبقى غير أهلة بالسكان طيلة السنة، ما عدا فترة جني التمور يتجمع سكانها لجني محاصيلهم، ويعود السبب في هجرة سكانها، الجو الخانق وغير الصحي لوقوعها بالقرب من المياه الراكدة خلال فترة الجفاف في المستنقع وكذلك خطر غزوات العرب الرحل وقطاع الطرق على سكان الواحات المنعزلة<sup>(2)</sup>.

المغير « Mraïer » الواقعة على ساحل شط ملغيغ هي أول التجمعات السكانية في شمال وادي ريغ، حيث يقدر عدد سكانها 700 نسمة، وهي قرية صغيرة تحيط بها المياه الراكدة التي تنبعث منها الروائح الكريهة المنبعثة فيصبح جوها غير صحي، وتمتلك القبائل الرحل الغرابية النخيل الموجودة بها، ثم تليها واحات صغيرة تمتد من الشمال إلى الجنوب في وادي ريغ هي سيدي خليل- البرد

<sup>1</sup> - Achilles, Fillias, Géographie de l'Algérie, Ed Hache II, Paris, p.118.

<sup>2</sup> - L.Ch. Feraud, notes historique sur la province de Constantine, RA, T23, annee1879, A.jourdan, Librairie-Editeur, Alger, 1879, p.345.

– تندلة « Tinedla »، -زاوية رحاب -وسيدي يحي، المسافة الفاصلة فيما بينها قليلة وعدد سكانها قليل وتتميز بكثافة غابات النخيل .

ومن أهم التجمعات البشرية بعد المغير في اتجاه توقرت أي نحو الجنوب هي "ورلانة" « Ourlana » يقدر عدد سكانه 300 نسمة يحيط بها خندق متصل ببرك من الماء يستغل كحاجز دفاعي للمدينة وتتجمع حولها مجموعة من الواحات "مازر، عريانة، جامعة وتيقديدين Tiguedidin" وقرية عريانة مهجورة لأنها تقع على قمة أحد التلال، وقام الشيخ أحمد بن براهيم بن جلاب بتدميرها وتخريبها حتى لا يستغلها الغاضبون من مشيخة بني جلاب والمعارضون لهم من سكان المنطقة بالتحصن بها وعلان العصيان.<sup>(1)</sup>

في بداية القرن 19 تم غرس واحة من النخيل على مساحة 25 هكتار من طرف سكان واحة "تمرنة" « tamerna » بالقرب من بئر جيد المياه وبكميات كافية، وأصبحت تسمى تمرنة الجديدة التي تقع على قمة تلة من التلال القريبة.

يبدو أن تمرنة القديمة كان لها دور كبير، حيث يذكر العدواني في تاريخه، سلطان تمرنة ابراهيم بن عبد القادر حوالي القرن 15م كان تابعا للحاكم الحفصي في تونس<sup>(2)</sup>، إضافة إلى الآثار الموجودة بها والتي تدل على منشآت معمارية تدل على مكانتها وتطورها في تلك الفترة، أما في سبعينيات القرن 19م فكان عدد سكان الواحتين القديمة والجديدة لا يتجاوز 600 نسمة .

وتليها واحة سيدي خالد إلى الغرب من "تمرنة" إضافة إلى مجموعة من الواحات برام-سيدي سليمان- مقار- غمرا- حارحيرا، و قصور أخرى قليلة الأهمية، وتكمن ثروتها المتواضعة في نخليها، أما المقارين (الجديدة والقديمة) القريبة من توقرت، تعد من أجمل الواحات وتقع بعد شط المقارين الذي تغطيه طبقة من الملح تصل في بعض الأماكن إلى 50سم، وتتكون المقارين من واحتين المقارين الصغرى والكبرى تفصلهما بعض التلال المرتفعة<sup>(3)</sup>، وهي من أكبر وأغنى الواحات القريبة

<sup>1</sup> - Ibid, pp.347-348.

<sup>2</sup> – محمد بن عمر العدواني، تاريخ العدواني، نقد وتحق وتعل أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الاسلامي، ط1، 1996، ص ص 138-141.

<sup>3</sup>- Victor Largeau, Le Sahara Algérien les déserts de l'erg, 2<sup>eme</sup> Edition, Librairie Hachette, Paris 1881, pp.62-63.

من توقرت ولكن عدد سكانها قليل<sup>(1)</sup>، ربما يعود سبب ذلك إلى قربها من البحيرات أو الشطوط التي تنتشر فيها الحمى وبعض الأمراض الخطيرة خلال فصل الخريف وأواخر فصل الربيع، الأمر الذي جعل السكان يفضلون مناطق أخرى أكثر صحية.

عند الاتجاه جنوبا على بعد حوالي 12 كلم توجد واحة تماسين التي تعد العاصمة الروحية والدينية لاحتضانها للزاوية التيجانية في واحة تملاحت التابعة لتماسين، والذي انتشر أتباعها وتأثيرها حتى بلاد التوارق في الجنوب، وتضم كذلك عدة واحات صغيرة مثل سيدي عامر- كدية بو أحمر والداهور. يحيط بواحة تماسين خندق مائي يسمى البحر، كحاجز دفاعي وسور عالي لحماية المدينة من أي اعتداء، وتمتد كذلك مجموعة من الواحات نحو الجنوب مثل بليدة عمر- العاليا- والطيبة القبيلية، وصولا إلى "الهجيرة الواقعة في أقصى جنوب البلاد التابعة لإمارة بني جلاب بتوقرت، التي تمتد حتى منطقة وادي سوف.<sup>(2)</sup>

### 3) الوضع السياسي في منطقة وادي ريغ قبل الاحتلال الفرنسي

كانت سلطة بني جلاب في توقرة تعتمد على قبيلة أولاد مولات" التي تستطيع أن تجهز 600 فارس كقوة ضاربة لحركات العصيان وتقوم بجباية الضرائب، ويعود أصل هذه القبيلة إلى العرب الفاتحين واعتمدت على عدم المصاهرة مع القبائل المحلية للمحافظة على صفاء العرق، ويوجد في مسجد توقرت شجرة نسهم يعين عليها كل الفرسان الذي قُتلوا في ساحات المعارك وكانت تمنح لأهل القتيل "دية" ممثلة في 05 أكياس من التمر، كما كان يقام تجمع سنوي يتأسسه السلطان تخليدا لأرواح قتلى القبيلة في الحروب، وكانت هذه القبيلة تعود إلى حياة الترحال بداية من فصل الربيع.<sup>(3)</sup>

وكانت قبائل أخرى تقوم بنفس الدور مثل أولاد السايح، أولاد سعيد وأولاد عامر في منطقة واحة تماسين والهجيرة وواحات أخرى، وهي كلها قبائل رحل ولكنها تستقر لبعض الشهور في الواحات، تعتمد في معيشتها على الماشية وتمتلك بعض الواحات والنخيل وبعد فترة جني التمور

<sup>1</sup> - L. Charles. Feraud, Les ben djellab sultans de Touggourt, Op.cit., p.348.

<sup>2</sup> - L.Ch. Feraud, notes historique sur la province de Constantine, op.cit, p.348

<sup>3</sup> - L.Ch. Feraud, notes historique sur la province de constantine op.cit, p.349.

تتجمع بالغرب من تماسين حتى تتلقى التعليمات والوصايا من شيخ الطريقة التيجانية، أو تتفق على المرعى المخصص لكل منها خلال فصل الصيف (نحو السوف- ورقلة- الميزاب).<sup>(1)</sup>

تميز الوضع السياسي في عاصمة وادي ريغ (توقرت) أو سلطنة بني جلاب بعدم الاستقرار وكثرة الصراعات على السلطة والحروب والاعتقالات بشتى الوسائل والأشكال ودون الدخول في تفاصيل تلك الصراعات، فقد اعترف سلمان بن علي بن جلاب في رسالة بعث بها إلى الحاكم العام في مدينة الجزائر في ديسمبر 1854 بحالة عدم الاستقرار في توقرت وكثرة القتل داخل العائلة الحاكمة قائلا «.. فان كان يا سلطان عاتبونا من شأن القتل فالأمر مقدر من الله، وهذه سيرة قديمة من عهد أوائلنا- أجدادنا- ما يتولى سلطان في بلادنا إلا بالقتل وسنقص عليكم سيرة أوائلنا لما شاخ الشيخ محمد بن أحمد بن جلاب قتل أخويه الشيخ ابراهيم والشيخ عبد الرحمان،<sup>(2)</sup> وابن عمه الشيخ الخازن، ثم تولى بعده ابنه الشيخ عمر بن محمد قتل أخاه الشيخ أحمد وابن عمه الشيخ محمود، ثم تولى بعده الشيخ إبراهيم بن محمد قتله أخوه علي، ثم تولى بعد الشيخ علي ابن عمه بل ابن أخيه الشيخ عبد الرحمن بن عمر وهو صغير، قام خدامه ووالدته على خدام الشيخ علي فقتلوا منهم عثمان بن القصورى وأولاده .... وكذلك أسلافنا الأقدمون فعلوا مثل ما ذكرنا....»<sup>(3)</sup>

ويبدو أن هذه الصراعات على السلطة دفعت بأطراف الصراع إلى عقد تحالفات مع القبائل القوية التي ذكرناها، وكذلك العائلات المنتفذة في المنطقة مثل عائلة بن قانة وعائلة بوعكاز وعائلة بن زكري، إضافة إلى ممثل السلطة العثمانية في بايلك الشرق بايات قسنطينة، خاصة صالح باي 1771-1792، وأحمد باي 1826-1837 حفيد الباي أحمد القلي الذي تربطه علاقة المصاهرة مع عائلة بن قانة، وبالتالي أصبح محمد بلحاج بن قانة شيخ العرب على حساب عائلة بوعكاز التي تم تجريدها من هذا المنصب بمجرد أن تقلد أحمد باي قيادة بايلك الشرق في قسنطينة، الأمر الذي فتح باب الصراع بين العائلتين والذي استمر إلى الفترة الاستعمارية وكان له أثر كبير على الوضع السياسي في المنطقة.

<sup>1</sup> - Ibid, p.350.

<sup>2</sup> - Ibid, p.50.

<sup>3</sup> - Féraud, les ben djellab, Op.cit, p.50.

لم تتوقف هذه التحالفات على القوى المحلية، بل بمجرد دخول الفرنسيين إلى الجزائر، عرض سلطان بني جلاب علي الجلابي - الذي خلف أخاه ابراهيم الذي ذهب إلى الحج- التحالف مع الفرنسيين سنة 1831 لاحتلال مدينة قسنطينة<sup>(1)</sup>، ثم كان الاتصال الثاني بعد أن انهزم السلطان علي بن جلاب وفرحات بن سعيد، أمام قوات أحمد باي الذي فاجئهم في منطقة "بادس" سنة 1832 وتكبدوا فيها خسائر كبيرة فتوجهوا إلى محاولة التحالف مع الوافد الجديد فرنسا، لذلك أرسل سلطان بني جلاب أبنه برسالة إلى الجنرال "الدوق دوروفيقو" في الجزائر في جانفي 1833، وكان رد السلطات الفرنسية غير واضح، ولكن مع الابقاء على باب التفاوض مفتوحا ثم تلتها رسائل أخرى في نفس السنة من بينها رسالة علي بن جلاب المنشورة في المجلة الافريقية إلى السلطات الفرنسية.<sup>(2)</sup>

كانت هذه الأوضاع غير المستقرة وحالة التشرذم والانشقاق التي يعيشها المجتمع الجزائري تعمل لصالح الاستعمار الذي بفضل المعلومات الكثيرة التي جمعها عن الصراعات المحتدمة بين هذه القوى المحلية الداخلية، حدد السياسة التي يجب أن يتبعها ليصل إلى السيطرة، واحتلال منطقة الجنوب القسنطيني عامة ووادي ريغ خاصة، بأقل الخسائر الممكنة، مادية وبشرية.

ويعبر عن هذا التوجه الضابط Seroka الذي كان في المكتب العربي لبسكرة وكان شاهد عيان ولعب دورا في الأحداث التي شهدتها هذه المنطقة بين 1847-1855 حيث يقول "بعد 14 سنة من احتلالنا لمدينة الجزائر، ها هوذا عَلمُنَا يرفرف في الزاب ... وعند معرفتنا بماضي وتاريخ العائلات القوية المتنفذة في هذه البلاد، ومعرفة أحقادها، وتحالفاتها وانقساماتها، نكون جاهزين لحكمهم ... المعرفة الدقيقة لتاريخ هذه البلاد يجنبنا ارتكاب الأخطاء والوقوع في المآزق والمزالق، إن معرفة المخاطر هو علم الماضي".<sup>(3)</sup>

ووضح louis. Rinn الخدمات التي قدمتها تلك العائلات التي عينها القرار الصادر في سبتمبر 1838 بقوله "لم نكن بحاجة لا إلى رجال الإدارة ولا إلى موظفين، بل كنا في حاجة إلى حلفاء من ذوي الجاه والسلطان، أي إلى قوم يمكن بما لهم من شخصية ومن حسب ونسب، أن يكونوا خير رسل لنا لدى الأهالي الذين استطاع الأمير أن يؤثر فيهم باسم الاسلام، وقد يكون من السخف

<sup>1</sup> - Féraud, notes historique, op.cit, p.297.

<sup>2</sup> - Ibid, pp.299-300.

<sup>3</sup> - Seroka, Le sud constantinois de 1830-1855-, RA 56. Année 1912, p.378.

بمكان أن تتوقع من هؤلاء الحلفاء الذين لم نكن نحلم بهم، إذ عرضوا علينا فتح مناطق لم نكن نعرفها، ولم تطأها أقدامنا من قبل ...."<sup>(1)</sup>

وما يؤكد ما جاء به "لويس رين" هو استمرار السلطان عبد الرحمان بن عامر الذي اعتلى سُدَّة الإمارة في توقرت بعد وفاة عمه علي في أواخر سنة 1833 استمر في الاتصال بالسلطة الفرنسية وبعث برسالة واستقبل الجنرال « Voïrol » المرسل وكانت فحوى هذه الرسالة هو حث فرنسا على احتلال قسنطينة ويتحمل السلطان توقرت مصاريف الحملة على أن يعين بايا عليها.<sup>(2)</sup>

وكان موقف فرنسا من عرض السلطان عبد الرحمان جاد حيث أعطيت تعليمات إلى الجنرال « Voïrol » بأخذ الاتفاق بجدية وحدد شروط كان على سلطان توقرت الالتزام بها منها الاعتراف بالسلطة الفرنسية، التعامل التجاري لا يكون إلا عبر ميناء الجزائر- بجاية أو بونة، ويتعهد بضممان تبعية واستسلام كل القبائل الواقعة تحت منطقة نفوذه، وأن يلتزم بالحرب إلى جانب فرنسا مهما كان العدو، مقابل ذلك تتعهد فرنسا بقيامها بتنظيم الحملة على قسنطينة في القريب العاجل.<sup>(3)</sup>

وعندما استشير (الدوق دوماسي Duc De Dalmatie) حول هذا الاتفاق طلب بمعرفة امكانيات السلطان عبد الرحمان العسكرية واللوجستية (عدد الجنود- الفرسان- الحلفاء- وكل ما تحتاجه هذه القوات ... إلخ) ثم تساءل عن المسافة التي تفصل توقرت عن مدينة الجزائر وقسنطينة، وهذا ما يؤكد أن الفرنسيين كانوا يجهلون تماما هذه المناطق، وعرضت عليهم لاحتلالها من طرف القوى المحلية وهذا ما يؤكد المقولة السابقة. بحيث فعلا أن هذه القوى المحلية التي تعاونت مع الاستعمار كان لها دور كبير في التوسع الاستعماري في منطقة وادي ريغ خاصة<sup>(4)</sup>.

#### 4) الحملات الاستكشافية التجسسية في وادي ريغ:

كانت هذه المناطق مجهولة تماما بالنسبة للفرنسيين لذلك حاولوا بشتى الطرق والوسائل معرفة طبيعة المنطقة وخاصة سكانها، واستغلوا كل الفرنسيين الذين تمكنوا من الاتصال بسكان

1 - مختاري هواري، المرجع السابق، ص 52.

2 - Féraud, Op.cit. RA, T24, p.302.

3 - Féraud, RA T24, Op.cit, p303.

4 - Ibid, p304.



هذه المنطقة، ففي سنة 1837 انتشر داء الكوليرا في توقرت، وكاد أن يأتي على كل سكانها، فطلب شيخ وادي ريغ سي أحمد المساعدة من أحد الأطباء الفرنسيين من قسنطينة، وهو الحكيم Montgazou الذي استغل فرصة تواجده في المنطقة لتقديم المساعدة الطبية الصحية، وتمكن هذا الطبيب من معرفة عادات وتقاليد المنطقة، و تسجيل ملاحظاته حول طبيعة سكان المنطقة، وقام بعد عودته إلى قسنطينة من نشر ملاحظاته في « La Revue de l'orient »<sup>1</sup>.

ثم جاءت محاولة أخرى في عهد الشيخ بن عبد الرحمان الذي خلف سي أحمد شيخ وادي ريغ بعد وفاته سنة 1838، والذي عرف عنه نوع من الانفتاح والتساهل مع الزوار من الأجانب، لذلك كان بعض الحرفيين الأجانب يقومون ببيع منتجاتهم وسلعهم في منطقة وادي ريغ، مثل الحداد Michel، ولكنه كان أميا ولم تتمكن سلطات الاحتلال من الاستفادة من ملاحظاته السطحية، في حين المعلومات التي جاء بها التاجر M.Garcin والتي نشرها في جريدة قسنطينة كانت هامة واستغلت في التعرف على طبيعة المنطقة من عدة جوانب جغرافية وبشرية لتحديد طريقة التوغل واحتلالها.

لذلك قامت الحكومة الفرنسية بتكليف السيد "براكس Prax" بزيارة الجزء الشرقي من هذه المقاطعة فاستكشف وادي ريغ ووادي سوف، ونشر ملاحظاته في مجلة الشرق<sup>(2)</sup> La revue de l'orient، في نفس الوقت كانت فرقتين عسكريتين الأولى بقيادة الجنرال Renault والثانية بقيادة الجنرال Cavaignac تقومان باستكشاف الجزء الغربي من مقاطعة الشرق، وتوغلت حتى حدود الواحات.<sup>(3)</sup>

<sup>1</sup> - Achilles Fillias ،Nouveau guide Général du voyageur en Algérie, Ed Garnier Frères, Paris, 1865, p7.

<sup>2</sup> - Prax, Algérie méridionale ou Sahara algérien, Touggourt, pp 129- 138.

- قام بنشر تقريرين حول المنطقة تناول التقرير الاول منطقة وادي سوف والمنطقة الثانية منطقة توقرت وركز في التقريرين على الجوانب الاقتصادية وموارد المنطقتين ثم الامكانيات العسكرية اي عدد الجنود الذين يمكن تسليحهم.

- Prax, Algérie méridionale ou Sahara algérien. LE SOUF, revue de l'orient de l'Algérie et des colonies, T4,Ed Just Rouvier libraire, Paris, 1848, pp 193-204.

<sup>3</sup> - Achilles Fillias .Nouveau guide Général du voyageur en Algérie, Op.Cit, pp.8-9.

وتلتها محاولات استكشافية أخرى أكثر تخصصا مثل تلك التي كلف بها النقيب Mircher- Saget- Minots من طرف الحاكم العام لوضع خريطة طبوغرافية للصحراء ناحية متليلي- ورقلة- وكل منطقة وادي مزاب.<sup>(1)</sup>

تلك هي الاستراتيجية التي اعتمدت عليها فرنسا دائما في توسعها في الجزائر، حيث لا تغامر في أي منطقة دون دراستها والتعرف على سكانها وطبيعتها الجغرافية ومحاولة كسب بعض القيادات المحلية ومن ثم يأتي التوسع العسكري.

### 5) مراحل المقاومة المسلحة في منطقة وادي ريغ

بعد احتلال بسكرة 1844 كان السلطان عبد الرحمان بن جلاب يدفع ضريبة سنوية اعترافا بخضوعه للسلطة الفرنسية، وفي سنة 1850 فشلت محاولات اغتياله فكانت الشكوك تتجه نحو المعارضين له من بني جلاب، والمؤيدين للسلطان «سلمان بن علي» عم السلطان عبد الرحمان الذي فرض عليه الإقامة الجبرية داخل المدينة وحراسة مشددة عليه، ولكن سلمان تمكن من الهروب واللجوء إلى تماسين خوفا على نفسه.<sup>(2)</sup>

ضاقت السلطات الفرنسية الاستعمارية ذرعا من بني جلاب، فرغم الأوامر المتكررة التي وجهت له من طرفها إلا أنه أصر في فتح أسواق توقرت للقبائل المقاومة للاستعمار، بل في شهر ماي 1850 وصل خبر وجود قافلة لكل من قبيلة الأرباع والحرزلية في توقرت، فكلف الضابط السامي في بسكرة، الشيخ مبارك من أولاد مولات بالتدخل في توقرت والاستلاء على هذه القافلة، وانطلق هذا الأخير من المزارين وكاد أن يحقق ما كان يصبو إليه، لولا أن فتح السلطان عبد الرحمن أبواب مدينة توقرت لهذه القافلة وحمايتها، وقاوم هذه القوات، ثم حاول الانتقام من أولاد مولات وشيخهم، ولكن السلطان ولأسباب نجهلها تراجع عن ذلك وقرر تعويض أولاد مولات، ودفع مبلغ للسلطة الفرنسية في بسكرة، واعتذر على ذلك.

وكانت السلطة الفرنسية مجبرة على قبول هذه التسوية لأن القوات الفرنسية كانت مشتتة فقد كان «سانت أرنو» بأغلب القوات في حملة جيجل، وكانت حى الطاعون خطيرة منتشرة في واد

<sup>1</sup> - Ibid, p.9.

<sup>2</sup> - Seroka, Op.cit, pp.528-529.

ريغ، لذلك لا يمكنهم المجازفة بقواتهم للمعاقبة بني جلاب في توقرت، وقبلوا بالأمر الواقع إلى أن تحين الفرصة للتخلص نهائياً من هذه العائلة التي أظهرت توجهها ودعمها للشوار والمقاومة.<sup>(1)</sup>

### 1-5 البوادر الأولى للمقاومة في وادي ريغ:

ظهرت دعوة الشريف محمد بن عبد الله إلى جهاد في جويلية 1851، وبعد دخوله إلى ورقلة واجتياحه لنقوسة، وفرار الشيخ بوحوص بن بابية الذي نصبته السلطة الفرنسية إلى تيارت، ثم توجه الشريف محمد بن عبد الله إلى منطقة وادي ريغ، فانضم إليه سلمان بن جلاب الذي كان في تماسين لاجئاً وهارباً من ابن عمه عبد الرحمان بن جلاب، وبدأ الشريف محمد بن عبد الله في محاولة استمالت قبائل المنطقة وحثهم على الجهاد عن طريق إرسال مبعوثين برسائل تحثهم على المقاومة واستغل كذلك الانتصارات التي حققها في ورقلة ونقوسة وغيرها، وأعلن أنه سوف يبدأ بمهاجمة توقرت وبالتالي كل واد ريغ وبعدها بسكرة.<sup>(2)</sup>

لذلك قامت السلطة الفرنسية بإرسال قوات عسكرية إلى توقرت يوم 11 سبتمبر 1851 قوامها 120 فارس بقيادة الدوكالي سي الشيخ و180 فارس آخرين متمركزين في "سعادة Saâda"، وقياد أولاد صاولة والزاب الشرقي ب 200 فارس على أهبة الاستعداد للتدخل، والقوم من أولاد زكري متمركزين في واد "إيتل" بالقرب من توقرت، ثم قام القائد العسكري الفرنسي بتعجيل العرب الرحل "السلمية" و"الرحامنة" على العودة إلى وادي ريغ للدفاع عن ممتلكاتهم فيها، أما الشريف بن عبد الله فقد استغل كل شهر سبتمبر لتجنيد والحث على الجهاد وأعلن نيته في بداية المقاومة في شهر أكتوبر وكانت قواته مكونة من 100 فارس و900 من المشاة وبدأت حركته جنوب تماسين حيث عسكر في "بليدة عمر" جنوب تماسين، ثم في "المغاسل" شرق تماسين، أين جاءه وفد من تماسين يؤيدونه، رغم نصيحة سي محمد العيد بن الحاج علي شيخ زاوية تملاحت وشيخ الطريقة التيجانية بالتزام الحياد.<sup>(3)</sup>

بادر الشيخ «عبد الرحمان بن جلاب» يوم 05 أكتوبر بالهجوم على قوات المقاومة مستغلاً تفوقه في العدة والعتاد بحوالي 600 فارس و150 من المشاة، وكان الهجوم في الناحية الشمالية

<sup>1</sup> - Féraud, Vol 24, 1880, pp.316-317.

<sup>2</sup> - Seroka, Op.cit, p.532.

<sup>3</sup> - Ibid, p.533.

الشرقية لتماسين وتمكن من تفريق قوات الشريف التي لجأت إلى غابات النخيل في تماسين وأصبحت في موقف الدفاع، انضم سكان تماسين إلى المقاومة وانتهت هذه المعركة بفشل الشيخ الجلابي وعودته إلى توقرت دون أن يحقق أهدافه رغم تفوقه العسكري، وكذلك الشريف بن عبد الله الذي علم بحجم الدعم العسكري الكبير الوافد من بسكرة مع قلة إمكانياته جعله هو كذلك ينسحب انسحابا استراتيجيا إلى وقلة.<sup>(1)</sup>

في جانفي 1852 وقع الشيخ عبد الرحمان بن جلاب مريضا وعندما أحس بدنو أجله وكان أكبر أولاده عبد القادر لا يتجاوز 08 سنوات من العمر- أرسل طلبا إلى الجنرال « De Salles » في قسنطينة يذكره بولائه لفرنسا والخدمات التي قدمها لها وختم رسالته بطلب تنصيب ابنه في مكانه مع دعم فرنسا له، فأرسل الجنرال "دوصال" وثيقة رسمية تنصب ابنه عبد القادر رغم صغر سنه تحت وصاية أمه "العيشوش"، على أن يتأهب سي أحمد بلحاج قايد العرب الغرابة الدخول القصبية ليضمن حماية الشيخ الصغير.

ولكن أحمد بلحاج لم يتصرف بسرعة عندما علم يوم 25 جانفي بموت الشيخ عبد الرحمان وبذلك سمح للدائرة (مجلس المدينة) بالسيطرة على الوضع، وبعثوا برسالة جاء فيها «إن الفرنسيين وافقوا على أن يكونوا وصايا على الشيخ عبد الرحمان، وعلى أن يخلفه ابنه عبد القادر وأمه العيشوش والجماعة هم الذين يشرفون على الوضع، وتوقرت لازالت وفيه للحكومة في مدينة الجزائر»<sup>(2)</sup>، وفضلت سلطة الاحتلال مراقبة تطورات الوضع من بعيد والانتظار إلى ما ستؤول إليه الأحداث دون التورط في النزاعات الداخلية واغتنام الفرص للسيطرة والتوسع بأقل التكاليف.

## 2-5) المرحلة الأولى مرحلة التحضير والاستعداد 1853:

بدأت هذه الرحلة عند رجوع الشيخ سلمان الجلابي في مارس إلى تماسين مغادرا الشريف بن عبد الله، واستقبل بحفاوة فيها، ثم بدأ في جمع المؤيدين له من السوافة من الكوينين وتازولت وزقوم وفرع من أولاد مولات، وكل أعداء الحكم القائم في توقرت، وبدأ في الزحف نحو توقرت 25 مارس وتمكن من السيطرة عليها بسهولة نظر لوجود مؤيديه داخل المدينة الذين فتحوا له أبوابها، وتمكن آخرون من التسلسل داخلها ليلا، وأصبحت توقرت تحت حكم سلمان بن جلاب، الذي قام

<sup>1</sup> - Féraud, Op.cit. p.128.

<sup>2</sup> - Seroka, Op.cit, P.536.

بطمأنة سكان المدينة وحمل أبناء الشيخ عبد الرحمان ووعد بأن يكون أبا لهم، ولم يشرع في أي محاولة للانتقام ونجح في ذلك بحيث في اليوم الموالي فتحت أسواق المدينة ورجع نشاطها المعتاد.

ثم بعث الشيخ سلمان بن جلاب برسالة - أوردتها الضابط « Seroka » في كتابه - إلى السلطات الفرنسية يبرر فيها وقوفه إلى جانب الشريف بن عبد الله، وصرح بأنه رفض القوات التي وضعها الشريف تحت تصرفه، وأنه كان مضطرا في الانضمام إليه لأنه كان مههددا في حياته من طرف ابن عمه"، في حين صرح Feraud أن القيادة الفرنسية في بسكرة أرسلت في طلبه وحاولت استمالة إلى جانبها ومساعدته على استرجاع حقه في مشيخة توقرت ولكنه رفض تماما الذهاب إلى بسكرة والعرض الفرنسي.

ولم تتوقف المحاولة الفرنسية عند هذا الحد، بل ذهبت إلى تهديد أعيان وكبار تماسين بالمصائب التي تنجم عن مناصرتهم لشيخ سلمان بن جلاب وسيكررون نفس الخطأ الذي وقع في سنة 1848 لتماسين، ولكن كل هذه المحاولات فشلت، خاصة بعد الانتصارات التي حققها الشريف بن عبد الله والإهانات التي تعرضت لها هذه المناطق في الفترة السابقة. وأصبحت كل المنطقة كقاعدة خلفية تدعم المقاومة ضد الاحتلال بحيث بدأت قوافل المؤونة والسلاح والبارود تدخل إلى وادي ريغ من الجنوب التونسي عبر وادي سوف.<sup>(1)</sup>

وأصبح بن عبد الله يستطيع شراء ما يحتاجه من سوق توقرت وتمكن سلمان بن جلاب من خرق وتحطيم الحصار الاقتصادي الذي فرضته فرنسا على القبائل الثائرة بغلق كل الأسواق أمامها، واستمر سلمان في ربح الوقت وإظهار علامات الطاعة والتبعية لسلطة الفرنسية لربح الوقت والاستعداد جيدا للمقاومة، ولكن سلطة الاحتلال تفتنت لذلك بفضل الجواسيس وتقاريرهم حول الصفقات التجارية لرجال الشريف، والمواد التي اشتراها وقيمتها، فمثلا قام رجاله ببيع 300 حمل في توقرت وبعد مدة حُمِلَ 500 حمل بمختلف البضائع والسلع واستقبل سلمان كذلك مبعوث الشريف وشيخ الزاوية السنوسية إلى توقرت استقبالا حافلا.

<sup>1</sup> - Féraud, op.cit, RA, Vol 25, pp.134-135.

فعهدت السلطة الفرنسية إلى فرض الحصار على كل منطقة وادي ريغ على اعتبار أنها أصبحت قاعدة لكل الثائرين عليها ومنطلق كل الثورات والمقاومات وبدأت تفكر فعلا في التوسع جنوبا بصفة مباشرة.

### 3-5) المرحلة الثانية (الانطلاق) والمواجهة 1854:

كانت المقاومة بقيادة الشريف بن عبد الله نشيطة حيث قام بعدة عمليات ضد القبائل الموالية للاستعمار حتى يكذب الادعاء الفرنسي القاضي بأنها تستطيع أن توفر الأمن والحماية لكل من ينضوي تحت لواءها من جهة، ويرفع من معنويات المجاهدين والمقاومين لتشجيعهم على مواصلة الجهاد والكفاح ضد المحتلين من ناحية أخرى، فقد قام يوم 18 جانفي 1853 سي أحمد بلحاج على رأس 300 فارس من قبيلة (السالمية والرحامنة) المخيمة في وادي إيتل « Oued Itel » بالإغارة على أولاد الساسي وهي من القبائل التي رفضت الاستسلام، ولكن عندما وجد هذه القبيلة مخيمة في وسط عدد كبير من دواوير أولاد عيسى تراجع عن الهجوم، وعندما علم الشريف بن عبد الله بهذه التحركات تحرك هو الآخر على رأس 200 فارس أتجه عبر وادي ريغ شمالا إلى أن وصل إلى وادي إيتل وفاجئ قبيلتي (السالمية والرحامنة) واستولى على حوالي 1000 جمل، فأحدثت هذه العملية نوعا من الفوضى في وسط القبائل الرحل الموالية للاحتلال، الأمر الذي أجبر فرنسا على التدخل فقامت بإرسال شيخ العرب «البعج» بقوات متكونة من 8 إلى 9 آلاف فارس 1500 من المشاة لطمأنة القبائل الموالية لها وتوفير الحماية لها<sup>(1)</sup>.

وفي بداية شهر مارس 1853 انطلقت فرقة عسكرية مكونة من 500 فارس من الصبايحية و500 من المشاة مجهزة بالمدفعية تحت قيادة Colonel Desvaux من بسكرة، وكانت مهمتها القيام بدورية شاملة لجنوب بسكرة<sup>(2)</sup>، والهدف الذي حدد لهذه الحملة العسكرية هو استعراض وتأكيدهم الحضور العسكري الفرنسي في الجزائر، بعد أن انتشر خبر تحويل عدد كبير من القوات والأسلحة المتواجدة في الجزائر إلى شبه جزيرة القرم في حربها مع بريطانيا ضد روسيا فيما يسمى بحرب القرم أكتوبر 1853، مما قلص عدد القوات المتواجدة في الجنوب الشرقي فاستغله زعماء المقاومة في الجزائر عامة والمنطقة الجنوبية الشرقية بصفة خاصة، وكثفت من عملياتها العسكرية ضد

<sup>1</sup> - يحي بوعزيز، وثيقتان جديدتان عن كفاح الشريف محمد بن عبد الله، مجلة الثقافة، السنة السادسة، العدد 33، جمادى الثانية - رجب 1396 هـ / يونيو- يوليو 1976 م، ص 19.

<sup>2</sup> - Féraud, Vol 25, Op.cit, p.136.

الاحتلال مثل النشاط العسكري الذي قام به الشريف محمد بن عبد الله، فكانت هذه الحملة العسكرية لتأكيد تواجد القوات الفرنسية وطمأنة القبائل والزعامات الموالية لها أنها لازالت قادرة على الدفاع عليها وتوفير الحماية لها<sup>1</sup>.

ثم سعت هذه الحملة إلى الاتصال ببعض القبائل ومحاولة استمالتها مثل منح الأمان إلى قبيلة أولاد الساسي التي تصدرت العملية العسكرية ضد أولاد حركات وأولاد سيدي زيان الموالية للاستعمار يوم 18 جانفي 1852 وبالإشتراك مع الشريف محمد بن عبد الله بعد أن استغلت انسحاب النقيب Pein إلى بوسعادة.<sup>(2)</sup>

إضافة إلى النشاط الدبلوماسي السياسي الدعائي الذي اشتهر به ديفو « Desvaux » قائد هذه الحملة الذي مفاده أن العمل العسكري الفرنسي في وادي ريغ ليس موجها ضد قبائل وسكان القصور والواحات وإنما هو ضد الأسرة الجلابية الحاكمة في توقرت ومن يساعدها أي الشريف بن عبد الله، بهدف إحداث نوع من الانقسام بين سكان المنطقة اعتمادا على سياسة فرق تسد من جهة وكسب ذوي النفوس الضعيفة وبعض الزعامات المحلية التي كانت ترى في فرنسا وسيلة لتحقيق أغراضها ويظهر ذلك من خلال ما صرح به Seroka الذي كان شاهد على كل أحداث المرحلة- حيث أرسل سلمان الجلابي سنة 1852 الضرائب المستحقة على توقرت وهدايا تمثلت في حصان و"مهري قعدة" إلى بسكرة، فكان رد الضابط الفرنسي هو الاحتفاظ بالضرائب وأعاد الحصان والمهري قائلا أن الضرائب هي من عند سكان وادي ريغ أما الهدايا فلن نقبلها لأنها من عند سلمان الجلابي<sup>(3)</sup>، الذي أظهر الولاء ولكن في الواقع كان يحضر للمقاومة ويدعم الشريف بن عبد الله وفتح أسواق توقرت أمامه وأفضل بذلك سياسة الحصار الاقتصادي الذي فرضته فرنسا على القبائل المقاومة في الجنوب الشرقي، ومن هنا بدأ ضباط المكاتب العربية يحاولون إحداث الفُرقة والصراع داخل قبائل وزعامات المنطقة.

وعند علم الشيخ سلمان الجلابي بخروج هذه الحملة العسكرية من بسكرة، وضع في حسابانه أنها قادمة نحوه، فقام أولا بتأمين وتوحيد الجبهة الداخلية تفاديا لأي محاولة للانقلاب

<sup>1</sup> -Seroka, Op.cit, p.544

<sup>2</sup> - Seroka, Op.cit, p.544.

<sup>3</sup> - Ibid , p.544.

عليه من أعداء الداخل، بتصفية حساباته الداخلية وبدأ بالشيخ مبارك من أولاد مولات الذي حبسه ثم قتله، ثم قام بقتل أبناء الشيخ عبد الرحمان وزوجته "ببدوع الشوامي"<sup>(1)</sup> ثم قام بتصفية كل من كان مؤيدا لشيخ عبد الرحمان أو له ميول للفرنسيين من أعيان البلاد مثل بن براهيم المقدم التبسي وحمودة بن النور الزاوي وبوشمال النزلي.<sup>(2)</sup>

ويؤكد ذلك ما جاء في تقرير سيروكا الذي صرح أنهم كانوا يعلمون أن القرى المتاخمة لتقرت تضم عدد كبير من المؤيدين للشيخ عبد الرحمان، وكان البطش والقوة التي عامل بها الشيخ سلمان سكان هذه القرى خلقت الكثير من المعارضين والمتربصين به، وما أكد للشيخ سلمان هذه القناعة، هو التردد الذي أظهره سكان هذه القرى عندما طلب منهم سلمان الدخول إلى داخل تقرت والاحتماء بها.

ومن جهة أخرى كان سلمان يخشى أن تستغل السلطة الاستعمارية هذا الانقسام الداخلي وتحاول الانقلاب عليه من الداخل، وهذا ما يبرر ويفسر الوحشية التي أظهرها الشيخ سلمان اتجاه كل من يشك في ولاءه له، من قبيلة أولاد مولات الذي قتل أحد أعيانها الشيخ مبارك فتراجعوا إلى الزيبان أما قبيلتي النزلة وتبسبت فانضمت إليه خوفا من الانتقام.

ويبدو أن تقارير العسكريين الفرنسيين سكنت عن ما جاء به صاحب "أخبار وأيام وادي ريغ"، الشيخ "محمد الطاهر بن دومة"، أن أعيان المنطقة، "علي بن براهيم المقدم التبسي"، و"حمودة بن المنور الوازي"، و"بوشمال النزلي" هربوا إلى "أوماش" نحو بسكرة ولجأوا إلى "بوعزيز بن قانة"، ودخلوا تحت طاعة الحاكم العسكري الفرنسي، وطلبوا منه أن تتدخل فرنسا في توقرت لحمايتهم فطلب القائد الفرنسي منهم بكل رجل ألف(نقدا)، فلبوا ذلك<sup>(3)</sup>، أي أن الحملة العسكرية

<sup>1</sup> - بدوع السوامي: البطحاء التي تقع جنوب أروقة تقرت وشرق سيدي بن هارون وكان بها نخيل، كان هذا الحادث يوم 25 جانفي 1852.

ينظر: الشيخ محمد الطاهر بن دومة، أخبار وأيام وادي ريغ، 1918-1982م/ 1336-1403هـ، تح: محمد الحاكم بن عون، مذكرة ماجستير جامعة منتوري، قسنطينة- الجزائر، 2010-2011، ص 212..

<sup>2</sup> - الشيخ محمد الطاهر بن دومة، المرجع السابق، ص 211-212.

<sup>3</sup> - الشيخ محمد الطاهر بن دومة، المرجع نفسه، ص 52.



التي انهزم فيها الشيخ سلمان والشريف بن عبد الله في المقاترين كانت بطلب من أعيان النزلة والتيسبست والزاوي والكوينين (بلدية تابعة لولاية الواد) وتحت نفقتهم.

ومن ناحية أخرى هناك رسالة بعث بها الشيخ سلمان إلى سكان وادي سوف وقمار والهيمة والديبيلة يحثهم فيها على الالتحاق به، والإكثار من البارود والسلاح من الواد وذكرهم فيها بمصير أولاد الشيخ عبد الرحمان الموالي للفرنسيين،<sup>(1)</sup> ويبدو أن الرسالة كانت لها نتائج إيجابية حيث بلغت القوات التي التحقت به 400 فارس 2000 من المشاة.<sup>(2)</sup>

ومما سبق تبين لنا الخريطة السياسية لمنطقة وادي ريغ قبل المعركة الفاصلة في المقاترين أنها كانت مقسمة إلى ثلاث كتل، الأولى تمثلت في القبائل المستسلمة لفرنسا والمتعاونة معها والتي كانت لها دور حاسم في هذا الصراع حيث أغلب القوات الفرنسية كانت مكونة من الأهالي الجزائريين واقتصرت الوجود الفرنسي على التأطير العسكري وقيادة الفرق العسكرية، أما الكتلة الثانية فكانت مكونة من المؤيدين للشيخ عبد الرحمان وابنه عبد القادر الذي كان تحت وصاية أمه العيشوش وقبيلة أولاد مولات بقيادة الشيخ مبارك ويبدو أنهم لم يجدوا مفرًا من اللجوء إلى الفرنسيين بعدما لحقهم من الشيخ سلمان بن جلاب من قمع.

أما الكتلة الثالثة فهم حزب المقاومة الوطنية المسلحة التي مثلها الشيخ سلمان الجلابي الذي اعتمد على استراتيجية خاصة لكسب الوقت والاستعداد الجيد للمواجهة حيث كان يعلم عدم التوازن في العتاد والعدة بين المقاومة والقوة العسكرية الفرنسية فكان يبدي المهادنة والرغبة والقابلية في التعامل مع الاستعمار من خلال الرسالة<sup>(3)</sup>، التي نسبها له Feraud المنشورة في المجلة الإفريقية والتي بعث بها الشيخ سلمان الجلابي إلى الحاكم العام راندون في الجزائر، المؤرخة بنهاية نوفمبر 1854 والتي يتعهد فيها بدفع ضريبة سنوية والدخول تحت طاعة السلطة الفرنسية والاعتراف بسلطته على وادي ريغ، وحاول فيها الشيخ سلمان تبرير الاغتيالات داخل الأسرة الجلابية ولكن الرسالة وصلت في ديسمبر 1854 أي بعد احتلال توقرت.

<sup>1</sup> - رضوان شافو، المقاومة الشعبية بصحراء قسنطينة 1844-1875، المرجع السابق، ص 118.

<sup>2</sup> - Seroka, Op.cit, p.557.

<sup>3</sup> - Féraud, RA. Vol.23, Op.cit, pp.49-51.

وبالنظر إلى النشاط الفعلي لشيخ سلمان كان مع حزب المقاومة، متحالفا مع الشريف محمد بن عبد الله والناصر بن شهرة والقبائل السوفية والمتطوعين من القبائل الأخرى الذين لبُّوا نداء الجهاد والتحقوا بالمقاومة بعد الرسالة التي بعثها الشيخ سلمان لقبائل وادي ريغ وسبق الحديث عنها ومنذ بداية سنة 1853م أي أن الشيخ سلمان حسم موقفه من الاستعمار منذ التحاقه بالشريف وقبل دخول إلى توقرت.

#### 4-5 معركة المكارين واحتلال توقرت:

قبل التعرض إلى مجريات المعركة يجب تحديد الوضع العام الذي سبق المعركة الفاصلة، فقد كان الشريف بن عبد الله في الواد لحث القبائل منطقة السوف على الجهاد والدفاع عن توقرت، أما الشيخ سلمان فكان يستكمل استعداداته للدخول في المواجهة بتجنيد كل واحات وقرى توقرت.

والحادثة التي زادت من عزيمة المقاومة هي عندما قام العربي المملوك في 02 نوفمبر 1854 بقوات قوامها 250 فارس من القوم و أغار على « ألبويت » بين سوف وتقرت واستولى على 5000 من المشية و100 جمل التي كانت ملكا للقبائل الثائرة، ولكن اعترضته قوات المقاومة، فبادرهم بالهجوم ولكن عندما علمت قوات العربي المملوك من القوم أن الشريف بن عبد الله حاضر في المعركة، حصل نوع من الارتباك والفوضى في وسطها، وهربوا في جميع الاتجاهات والعديد منهم ترك فرسه لتسهيل عملية هروبه في وسط الكثبان الرملية، فكانت نتيجة المعركة عدد كبير من القتلى ورجع الثوار إلى توقرت بغنائم كبيرة وعدد من الأسرى من بينهم شيخ قبيلة الصحاري وشيخ أولاد مولات، و الأمر الذي زاد في رفع معنويات الثوار انضمام قبيلة "أم الخاوة" التي دعمت المقاومة بشكل كبير.<sup>(1)</sup>

لذلك رأى قادة القوات الفرنسية أن المقاومة التي تزعمها الشريف بن عبد الله والناصر بن شهرة والشيخ سلمان في منطقة وادي ريغ، ازدادت قوة وضراوة وأصبحت تشكل خطرا كبيرا على الإنجازات التي حققها الاستعمار في المنطقة، لذلك من الضروري القيام بحملة عسكرية تجند لها

<sup>1</sup> - Féraud, Vol.25, Op.cit., p.214-215.

قوات كبيرة مجهزة بأحدث آلة الحرب الفرنسية، فوضع الحاكم العام مخطط عسكري عام تم فيه تجنيد الفرق العسكرية المتواجدة في البيض Geryville والأغواط وباتنة وبوسعادة.

أما من بسكرة فتم اعداد قوات للتدخل في وادي ريغ والمكونة من 650 جنود المشاة و 600 فارس من الأفارقة و الصبايحية و1400 جندي من المشاة و1000 فارس من العرب وسريتين من المدفعية تمركزت هذه القوات في المغيّر بقيادة ديفو Desvaux.<sup>(1)</sup>

ثم تقرر أن تقوم فرقة خفيفة مكونة من 800 فارس و1300 من المشاة من قبائل غمرة وعمور وأولاد جلال وسيدي خالد أولاد زكري مدعمة بسريتين من الصبايحية وكتيبة من القناصة الأهالي (الجزائريين) تتقدم بحذر و بخطى ثابتة وتحاول كسب الواحات والقبائل المترددة في مواقعها وتتمركز في المشارين على بعد 10 كلم من تقرت وكانت قيادة الكومندو « Marmier » وبمؤونة تكفي مدة شهر يحملها حوالي 1000 جمل.

وتحركت هذه القوة يوم 22 نوفمبر ووصلت إلى المغير في يوم 24 نوفمبر كانت في نواحي أورلانة ثم يوم 25 في سيدي راشد، وأبدت الواحات التي مرت بها هذه القوات رغبتها في السلام مع الفرنسيين ولم تتلقى أي مقاومة من طرفها، ولكن دورها لم يقتصر على الجانب العسكري العملياتي فقط، بل تعداه للعمل الاعلامي بحيث أن خطابها مع سكان الواحات التي مرت بها مفاده أن هذه القوات لم تأتي إلى المنطقة لمحاربة سكانها، وإنما هدفها هو الشيخ سلمان الذي نعتته بالسفاح وقاتل الأطفال بهدف استمالت بعض سكان الواحات والقبائل إلى جانبها، أو على الأقل يكون اختيارها التزام الحياد كحرب نفسية ضد المقاومة وتجريدها من دعم بعض الأهالي.<sup>(2)</sup>

عند وصول الكومندو Marmier وقواته إلى واحة صغيرة تسمى غمرة Ghomra التي تقع شمال تقرت بحوالي 16 كلم، حيث كانت فارغة إلا من النساء والشيخ والأطفال، أي غادرها كل من يستطيع حمل السلاح والتحق بالمقاومة، رغم وجود القوات الفرنسية بالقرب من هذه الواحة في سيدي راشد، وهذا ما كذب ادعاءات قادة الجيش الفرنسي والقائد سيروكا، بأن سكان هذه الواحات كانت تدين بالولاء لفرنسا سرا وتنتظر تواجد القوات الفرنسية لتخرج إلى العلن<sup>(3)</sup>، لذلك

<sup>1</sup> - Du Barail Général, op.cit, p.146.

<sup>2</sup> - Seroka, op.cit., p 555

<sup>3</sup> - Ibid, p556.

قرر "مارمي" معاقبة هذه الواحة حيث أخرج ما بقي فيها من السكان ثم سلبوا ونهبوا كل ما وجدوه فيها، حتى تكون مثلاً لحلفائهم في "النزلة"، و"تيسبست" و"الزاوية"، وفي نفس اليوم وصلت قوات Marmier إلى المقارين والتي لم تقاوم واستسلم أهلها.

وفي المقارين علم مارمي أن الشريف بن عبد الله كان في وادي سوف لتجنيد أهلها وحثهم على الجهاد، لذلك رأى أن يستغل الفرصة ويذهب ليمركز في "الطيبة القبلية" التي تقع بين وادي سوف وتقرت، وبذلك يقطع الطريق أمام الشريف للعودة إلى تقرت، ويجعل الشيخ سلمان في خطر بحيث طريق "وادي سوف" هام في كونه المنفذ الوحيد للانسحاب والتراجع مع العلم أن القوات الكبرى تزحف نحو تقرت بقيادة القائد Desvaux. لذلك قام مارمي بتوجيه أمر للقائد سي محمد بلحاج بالتمركز في تيلا «Tela» بالقرب من "غمرة" على رأس 400 فارس و400 من المشاة<sup>(1)</sup> حتى يضمن حماية طريق المواصلات مع "المغيّر" وعزل تقرت عن باقي وادي ريغ ليسهل احتلالها.

ثم توجه إلى طيبة القبلية يوم 27 نوفمبر مع ما تبقى من قواته ثم أرسل للاستطلاع سي الغربي صهر سي محمد العيد شيخ تماسين والزعيم الروحي لأولاد السايح (أولاد سيدي أحمد) وهم من مآلك واحة "الطيبات" وفي نفس الليلة أرسل سي الغربي خبر دخول الشريف بن عبد الله إلى واحة طيبات بعدد كبير من قواته ومن أنضم إليه من منطقة سوف، لذلك قرر مارمي الانسحاب إلى مقارين لعدم قدرته على مواجهة هذه القوات. وفي نفس اليوم رجع الشريف بن عبد الله إلى تقرت بحوالي 2000 من المشاة و400 فارس<sup>(2)</sup>.

ويبدو أن الرائد "مارمييه" كلف من طرف قيادة الاحتلال لتفاوض مع أهل وادي سوف، حتى لا يقفوا إلى جانب جناح المقاومة، ولكن الشريف سبقهم إلى ذلك وتمكن من تجنيد عدد كبير منهم، تمركز الجيش الذي كان يقوده الرائد "مارمييه" في تلة التي تشرف على واحة "المقارين" من الناحية الشرقية على بعد حوالي 02 كلم، وتقابل الطريق المؤدية نحو واحة "الطيبات" من الناحية الجنوبية الشرقية، وتضاربت الأخبار حول قوات المقاومة حيث قدرها أبو القاسم سعد الله رحمه الله بـ 800 فارس من الفنتازية 2000 من المشاة وهو نفس ما صرح به الفرنسيون.<sup>(3)</sup>

<sup>1</sup> - Seroka, Op. Cit, p.556.

<sup>2</sup> - Ibid, p557

<sup>3</sup> - سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900، ج1، دار الغرب الاسلامي، ط1، بيروت- لبنان، 1992، ص 361.

وقدرها الجنرال Du barail ب 500 فارس و2000 من المشاة<sup>(1)</sup>، بينما حددها أحد الرحالة المستكشفين للجنوب والصحراء بحوالي 3000 مقاتل<sup>(2)</sup> من المقاومين دون أن يحدد نوعية الفرق، وأيا كان العدد فقد تجاوزت قوات الاحتلال الفرنسي، قوات المقاومة بالعدد والعدة والعتاد، إضافة إلى التنظيم والتخطيط المسبق لكل الاحتمالات الواردة أثناء المعركة، والتوزيع الجيد للفرق العسكرية في ساحة المعركة، ووحدة القيادة وتطبيق الأوامر لتحقيق الانسجام والتنسيق بين مختلف الوحدات العسكرية.

عند بداية المواجهة كانت واحة تقرت توفر نوع من الحماية بحيث لم يستطع الفرنسيون رؤية تحركات قوات المقاومة، وقرر كل من الشريف عبد الله والشيخ سلمان الهجوم على واحة "المقارين" أين تتواجد القوات الفرنسية بقيادة الرائد "مارميه"، وكانت خطة الشريف هي انتشار المجاهدين في السهول لجلب انتباه الفرنسيين نحو الشرق حتى تتمكن قوات المشاة التسلل عبر الأودية إلى "كراع" وهو شريط من النخيل يمتد حتى واحة المقارين ويسمح بتغطية تحركات المجاهدين لكثافة النخيل فيه وتتمكن بذلك قوات المقاومة من الدخول إلى قرى الواحة ومحاصرة القوات الفرنسية ومهاجمتها بعنف، ولكن الرائد "مارميه" تفتن للخطة وأمر المشاة بحصار وحراسة الواحة، ثم جمع القوم وأمر بتقدم سرية من الصبايحية وكتيبة من القناصة الاحتياطيين<sup>(3)</sup>، وبمجرد ظهور قوات المقاومة، وقعت المواجهة بينهم وبين القوم بقيادة سي "أحمد بلحاج بن قانة" الذي فشل وانسحب وتراجع في أول مواجهة مع المقاومة، مما شجع قوات الشريف والشيخ سلمان على الاندفاع والهجوم على العدو والوصول إلى القرية، ولكن يبدو أن قوات المقاومة رغم هذا الانتصار الأولي، إلا أن اندفاعها كان عشوائياً وغير منظم، بحيث يذكر<sup>(4)</sup> إبراهيم العوامر "في كتابه إلى أن أحد المقاومين من رجال سوف يسمى "كرباع" صال وجال في وسط جيش المقاومة بخطبة حماسية وحثهم على القتال، فقام جند المقاومة بهجوم غير منظم وعشوائي بقوات مشتتة لا تعتمد على أي خطة أو استراتيجية في القتال، ورغم أنها تمكنت من أرباك قوات

<sup>1</sup> - Du Barail (Général), Op.cit, p.146.

<sup>2</sup> - J. Zaccane De Batna à Touggourt et souf, Libraire Militaire, Paris, 1865 ; p.208.

<sup>3</sup> - Capitaine Marmier, Rapport sur le combat de Meggarin, Livre le 29 Novembre 1854, Aux contingents réunis du cheikh de Touggourt et du Cherif Mohamed ben Abedallah, RA. 1895, vol.39, pp.155-159.

<sup>4</sup> - إبراهيم بن محمد الساسي العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، تعل: جيلالي العوامر الجزائر، الدار التونسية للنشر والشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1977، ص 313.

العدو الذي تمكن من الخروج من هذه الوضعية بفضل توجه القائد الفرنسي على رأس كتيبة القناصة إلى مقام الولي سيدي علي بن كانون الذي يشرف على القرية وقام بمواجهة المقاومين وسد الطريق أمامهم ومنعهم من دخول القرية بوابل من رصاص القناصة، مع رد كذلك على سكان القرية الذين كانوا يقومون برمي القناصة من أسوار القرية.

ثم تم توجيه الملازم الأول عمر بن عبد الله<sup>(\*)</sup> قائد فرقة الصبايحية الثالثة لإيقاف المشاة من المقاومين على اليسار وتمكن من الصمود رغم خطورة موقعه في المعركة، ثم تقدم فرقة النقيب Courtivron على اليمين، وعلى اليسار تقدم القوم لكل من سي المختار وسي بوضيف، وعند توغل فرقة النقيب "كورتيفرون" في وسط قوات المقاومة، قام كل من النقيب Vindriois من فرقة القناصة الأهالي بدعم الفرقة الأولى بينما تقدم الملازم Jouhanneau وتسلق بسريته القرية بجسارة، فارتبكت قوات المقاومة من "غمرة" وبعض المقاومين من أولاد جلال وتراجعوا داخل القرية و التحق بهم المشاة من القوات الخارجية فكانت الهزيمة وتحولت المعركة إلى ملاحقة المقاومين ومطاردتهم وتحولت إلى مجزرة.<sup>(1)</sup>

وأبلغ النقيب "سيروكا" بوجود جمع كبير لجيش من المقاومة من المشاة براياتهم في كراع المقارين وهو الشريط من النخيل في الواحة، وكانوا من "النزلة" بقيادة المقدم "بن دادي الحاج" مع حوالي 60 من المشاة فقام سي المختار وسي بوضيف بمحاصرة المنطقة ثم واجههم النقيب Cavel بفرقة القناصين ثم اخترقت فرقة الصبايحية والقناصين بسرعة الأسوار وتمكنت من القضاء على أغلب قوات "النزلة" واستشهد المقدم بن دادي وأغلب مجاهديه وكانت هذه الواقعة آخر فصول هذه المعركة.

\* - عمر بن عبد الله من أب ألماني وأم مجرية ولد 1819 على الحدود الهنقارية Styrie لغته الأم الألمانية ويتحدث الإيطالية والفرنسية والبولونية والهنقارية والعربية في سن 20 أصبح جنديا في المشاة النمساوية بعد أن تخرج من مدرسة المشاة كصف ضابط، وأصبح في الجيش الايطالي، في 1844 خلال الثورة في فرنسا حاولت الامارات الايطالية والمجر التخلص من السيطرة النمساوية لذلك وجه نداء إلى كل الجنود المجريين في الجيش النمساوي للالتحاق بالثورة قلبي النداء ولكن المحاولة فشلت فهرب إلى فرنسا التحق باللغيف الأجنبي في نهاية 1849 وأرسل إلى باتنة ومنها إلى المكتب العربي ببسكرة، ثم 1854 شارك في حرب القرم وبعدها انتهت خدمته العسكرية، فرجع إلى بسكرة يعمل محاسبا لدى أحد التجار، وعاصر هذا الحملة على تقرت 1854 وشهد احتلالها بعد معركة المقارين عرض عليه منصب محاسب الحامية العسكرية بها منذ 1854/12/27 ولكنه فضل الانضمام إلى الجيش 1855/09/26 في فرقة المشاة الأهالي وبعد سنة أصبح قائد الحامية بعد تحويل قائدها.

<sup>1</sup> - J.Zaccone, Op.cit ; pp.205-208.

وبلغت الخسائر في المقاومة بحوالي 500 شهيد حسب الضباط مارميه وغنم حوالي 1000 بندقية 100 سيف و05 رايات من بينها اثنتان للشريف و03 لشيخ سلمان. أما خسائر الفرنسيين التي كانت قواتهم كلها من الأهالي الجزائريين واقتصرت حضور الفرنسيين في القيادة كضباط والتأطير في المعركة 10 قتلى و38 جرحى<sup>(1)</sup>، أما سيروكا فقد قدر عدد القتلى 30 والجرحى 46<sup>(2)</sup>، ويعود الاختلاف في تقدير خسائر الفرنسيين إلى ميل الضباط في تقاريرهم دائما إلى المبالغة في خسائر المقاومة وغيض النظر عن خسائرهم أمام المقاومة الشعبية الجزائرية.

يوم 30 نوفمبر قام مارميه بدورية على رأس 200 فارس على الجهة الشرقية لواحة تقرت بجس النبض بعد معركة المقارين، فلم تتعرض لأي مقاومة وأزداد نشاط المنفيين من المنطقة والذين كانوا يصاحبون الحملة الفرنسية في اتصالاتهم بتقرت والنزلة وتبسست والزاوية، لذلك بدأت الوفود بالعشرات من النزلة تأتي لتعلن استسلامها.

#### ﴿ مصير قادة المقاومة الشيخ سلمان والشريف بن عبد الله ﴾

حاول الشيخ سلمان يوم 01 ديسمبر إعادة بناء قواته وبث الحماس فيهم ولكنه استقبل ببرودة وحتى المقاتلين من القرى الضواحي بدل الالتحاق بمقر الواحة تقرت، انتشروا داخل نخيل الواحة رافضين مواصلة المقاومة بسبب الإدارة العشوائية والسيئة للمعركة.

أما الشريف بن عبد الله فقد تخلى عنه المقاتلون من "طيبات" وجزء كبير من المقاتلين من واد السوف لذلك اقترح الشيخ سلمان على الشريف أن يحتفظ بأحسن العناصر وينظم إليه داخل مدينة تقرت والاستمرار في المقاومة، ولكن رد الشريف كان أن العهد الذي قطعه على نفسه منذ معركة الأغواط بأنه لن يقاتل الفرنسيين من داخل الأسوار أو المدن، ومن هنا بدأت فكرة الانسحاب تتبادر إلى قاندي المقاومة، خاصة بعد وصول أخبار تحرك عدة فرق عسكرية نحو تقرت، القوات الثومية بقيادة Pein من بوسعادة التي وصلت يوم 12/05 والجنرال دو باراي Du Barail من الأغواط يقود القوات التي وصلت إلى هجيرة، وأصبحت يوم 12/07 في توقرت، إضافة إلى القوات المتمركزة في "المغير" بقيادة الكولونيل Desvaux التي وصلت يوم 12/05، هذه المؤشرات أكدت تصميم القيادة العسكرية الفرنسية على احتلال وادي ريغ والسوف وجهزت لهذه الحملة

<sup>1</sup> - capitaine Marmier, Op.cit , p.189.

<sup>2</sup> - Seroka, Op.cit, p.559.

إمكانيات ضخمة تفوق بكثير قوات المقاومة الشعبية لذلك في يوم 02 ديسمبر قرر الشيخ سلمان والشريف بن عبد الله الانسحاب قبل أن يحاصروا، فترك الشيخ سلمان عائلته في زاوية تماسين<sup>(1)</sup>، وبقي فيها أياما ثم انتقل إلى السوف فنزل بالوادي ومكث فيه مدة ومنه انتقل إلى تونس<sup>(2)</sup>، إلى الجريد في توزر « Touzer » فألقى باي تونس عليه القبض ووضع تحت الإقامة الجبرية ولكنه أفرط في شرب الخمر والمخدرات حتى كان يدعى بأنه مرشح لحكم تونس ومنها طرد إلى المغرب ويصرح "فيرو Feraus" بأنه إلتقى به 1877 في طنجة في حالة من البؤس والفقر بسبب الإفراط في تناول مخدرات الكيف والخمر الذي يصنعه اليهود.<sup>(3)</sup>

وفي صبيحة نفس اليوم 04 ديسمبر دخل الملازم « Rose » و D'Yanville على رأس مفرزة من الصبايحية إلى تقرت، وبادر بمجموعة من الإجراءات الصارمة حتى يتفادى الفوضى والاستقرار وكذلك لكسب ثقة السكان بتوفير الأمن، فرجع السكان الذين كانوا قد لجأوا في تماسين إلى تقرت، ويوم 05 ديسمبر 1854 دخل الكولونيل Desvaux بقواته إلى مدينة تقرت عاصمة بني جلاب التي أصبحت تحت سيطرة الفرنسيين من هذا التاريخ، وعرضت رايات جيش سلمان والطبول وأشياء أخرى في قاعة في قصر في قسنطينة كان مقرا للتقسيمية مع قائمة لقادة وضباط الجيش الذي احتل توقرت<sup>(4)</sup>، وأرسلت هذه الغنائم الرمزية في بعثة بقيادة الملازم دي يانفيل « D'Yanville » مع أربعة شخصيات من الأهالي إلى قسنطينة.

ثم تلقى الكولونيل "ديفو" زيارة المرابط سي محمد بلعيد شيخ زاوية التيجانية في تماسين والذي كان له تأثير كبير ونفوذ واسع في المنطقة، وصرح كذلك الضابط "ديفو" أن رسائله وصلته من السوف يريد أصحابها تبرير وتوضيح موافقتهم السابقة مع وجود نية في الاستسلام.

ولكسب كل قوى وقصور وقبائل المنطقة، أمر هذا الضابط قبائل دائرة باتنة بالتوجه بالحبوب ومحاصيلهم إلى الجنوب لمقاومتها بالتمور، في محاولة لكسب قبائل وادي ريغ وبداية عهد

<sup>1</sup> - Seroka, Op.cit, p.561.

<sup>2</sup> - ابراهيم بن محمد الساسي العوامر، إلى في تاريخ الصحراء وسوف، المرجع السابق، ص 313.

<sup>3</sup> - Féraud, Vol 26, RA 1882, Op.Cit, pp.116-117.

<sup>4</sup> - Féraud, Vol.25, RA 1881, Op.cit., p.222.



الرخاء والأمن<sup>(1)</sup>، بناء على الخلفية الايديولوجية لضباط الجيش الفرنسي الذين كانوا مصممين على أن سبب هذه المقاومات والثورات هو العامل الاجتماعي والاقتصادي فقط.

وفي تقرير يحمل علامة "سرى" بتاريخ 15 ديسمبر 1854<sup>(2)</sup> جاء فيه أن الكولونيل Desvaux قام بإعدام المحرض والمدير للجرائم التي ارتكبت في عهد السلطان الجلابي سلمان في حق أبناء السلطان عبد الرحمان وعائلته، والذي اعترف بها عند تنفيذ حكم الإعدام في حقه، وهو قائد «مجاهرية» Medjaria<sup>(3)</sup> وهم من اليهود الذين اعتنقوا الاسلام - حسب اعتقاد فيرو- وكان عددهم كبير، اعتمد عليهم السلطان سلمان لتوطيد حكمه في توقرت، ويبدو من التقرير أن كل سكان توقرت أيدوا هذا الحكم، ثم يشير نفس التقرير أن الضابط ديفوا أعلن أمام كل أعيان وأكابر المدينة ببراءة ابن الشيخ سلمان مما أتهم به والده وكفله شيخ الطريقة التيجانية، وأراد الضابط الفرنسي من خلال هذا الإجراء كسب ثقة سكان المدينة وتهدئة الوضع الداخلي.

وتدعى التقارير الرسمية إلى أن عملية احتلال توقرت كانت بفضل مناورات عسكرية معقدة استدرجت من خلالها قوات الشيخ سلمان والشريف بن عبد الله إلى خارج أسوار المدينة حتى يتم محاربتهم في الميدان الذي اختاره القائد الفرنسي وإلحاق الهزيمة بهم ثم التقدم لاحتلال المدينة ولكن هذه الادعاءات يكذبها الكومندو دوباراي « Du Barail » الذي ذكر في مذكراته أنه كان على بعد مسيرة يومين من توقرت فراسل الكولونيل Desvaux إن كان في حاجة إلى قواته فكان رد ديفو أنه في زيارة إلى وادي ريغ وعند وصوله إلى واحة المقارين كان مجبرا على تحويل جزء كبير من قواته لتلتحق بالقوات الفرنسية في الشرق في حرب القرم ضد روسيا القيصرية هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن قوات الشريف والشيخ سلمان متحصنة داخل المدينة وليس له أي وسيلة لدخولها

<sup>1</sup> - Prise de Touggourt 1854, Boite 2H 22, Anom.

<sup>2</sup> - rapport confidentielle, Constantine le 15 décembre 1854,boite 2H 25, Anom.

<sup>3</sup> - المجاهرية: هي تصنيف لكلمة المهاجيرية وهم الذين نزحوا من تونس ونفطة وطرابلس والزيان إلى توقرت لتعميرها بنشاطهم الحربي التجاري وأغلبهم يحملون أسماء عربية مثل الطرابلسي والوزاني والنفطي وغيرها. ينظر: الطيب بوسعد، الصحراء الجنوبية الشرقية الجزائرية من خلال المصادر الجغرافية الاسلامية وكتب الرحلات المغربية خلال العهد العثماني (وادي ريغ نموذجاً)، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 15 جامعة غراداية، ص ص 441-442

واحتلالها وبالتالي أبلغه بأنه سوف يتجه شمال ونصحته بالقيام بمثل ذلك لأن لا حاجة لوجوده في المنطقة.<sup>(1)</sup>

لذلك قرر الكومندو دوباراي الانسحاب والتوجه شمالا في صباح اليوم الموالي ولكن خلال الليل أبلغه شيخ قبيلة (الأرباع) بأن هناك أخبار عن سقوط واحة تقرت في يد الكومندو "ديفو" فوجه "دي باراي" رسال مستعجلة إلى ديفو ليتأكد من الخبر ثم الالتحاق به إن كان في حاجة إليه، فأكد "ديفو" الخبر وطلب منه الالتحاق به فورا، فكانت عملية احتلال تقرت ضربة حظ<sup>(2)</sup>، كما صرح بذلك الكومندو "دي باراي"، وكذَّب التقارير الرسمية التي تحاول دائما الافتخار بقدرات القيادة العسكريين وحنكتهم في القتال والواقع أن غياب استراتيجية عسكرية لدى المقاومة التي تعتمد على التخطيط العسكري وجمع المعلومات عن العدو واستغلالها بشكل فعال في المعركة، إضافة إلى عملية الهجوم التي تمت بشكل عشوائي على القوات الفرنسية دون تخطيط والتفوق في فعالية الأسلحة، كل هذه العوامل ساعدت القوات الفرنسية على احتلال توقرت بأقل التكاليف والخسائر.<sup>(3)</sup>

وما يؤكد هذه الفرضيات الرسائل والتقارير التي حررها ضباط الجيش الفرنسي الذين شاركوا في هذه الحملة، والأوامر التي كانوا يتلقونها من القيادة العسكرية، فمثلا الرسالة المؤرخة 15 نوفمبر 1854 فيما يخص العمليات في الجنوب والتي يتضح فيها أهداف الحملة من خلال الأوامر الموجهة إلى الضابط "ديفو" والتي مفادها أن الحكومة لا تريد التورط في حصار توقرت في هذه السنة، لذلك لا حاجة للتقدم إلى ما وراء المغيير لقوات كبيرة لا تملك وسائل الحصار، (المدفعية) وبالتالي من الممكن أن تعود هذه الحملة دون تحقيق أهدافها وكلف الضابط "ديفو" بتسيير الحملة حسب ما تستدعيه ظروف الميدان.<sup>(4)</sup>

ساهم ضعف التخطيط من طرف المقاومة، والعشوائية في دخول المعارك وعدم توحيد القيادة في كل الهزائم التي تعرضت لها المقاومة في العديد من المعارك التي دخلتها ضد قوات الاحتلال.

<sup>1</sup> - Général Du Barail, Op.cit, p.143.

<sup>2</sup> - Ibid, p.144.

<sup>3</sup> - Ibid, p.150.

<sup>4</sup> -Colonne du sud, Prise de Touggourt 1854, Boite 2H 22, Anom.

## 5-5) احتلال وادي سوف:

غادرت الفرقة العسكرية بقيادة الكولونيل "ديفو" توقرت مدعمة بالقوات العسكرية الآتية من بوسعادة والأغواط يوم 11 ديسمبر 1854 وكانت أولى محطاتها "الطيبات القبليّة" في منتصف الطريق بين توقرت والوادي، ثم في 12 ديسمبر وصلت هذه القوات إلى "أميه الدبة" التي تفصلها مسافة 06 أميال ونصف عن تاغزوت - وهي مدينة واقعة شمال مدينة وادي سوف على بعد 13 كلم - أين تمركزت القوات بالقرب من الواحات على سهل عرضه 03 كلم، أين تمتد فيه من الشمال إلى الجنوب القرى المكونة لوادي سوف التي أفصححت عن نيتها في السلم، وكان الهدف من تمركز القوات في هذا المكان بالتحديد، تفادي أي عمل عدائي أو مفاجئة من سكان المنطقة، وتسيير المفاوضات مع سكان القرى<sup>(1)</sup>، من نفس المكان ومن خلال الملاحظات التي سجلها الضابط « Desvaux » عند وصوله إلى وادي سوف، لاحظ جمال هذه القرى وحسن عمارتها ونظافتها الواضحة، وبياض جدرانها الناصع مع وفرة مياه الآبار وعذوبتها وارتفاع عدد سكانها الذي يفوق عدد سكان وادي ريغ.<sup>(2)</sup>

وتشير أغلب التقارير أن عملية التوسع في "وادي سوف" كانت سلمية ودون أي صعوبات بالنسبة للقوات الفرنسية، فقد استقبل سكان قرية تاوغزوت القوات الفرنسية بقيادة Desvaux بالترحاب ثم اجتمع كبار ووجهاء أعيان قرى وادي سوف وذهبوا إلى القائد الفرنسي، وأظهروا نيتهم في السلام. واكتفى القائد الفرنسي بفرض غرامة 60 ألف فرنك ولم يطالب بالضرائب المتأخرة تنفيذا للأوامر القيادية إلى أن تتم عملية السيطرة الكاملة على المنطقة، وكان على باي بن فرحات بن سعيد دور كبير في تذليل الصعوبات في منطقة وادي سوف للاحتلال الفرنسي، فقد استغل نفوذ وشهرة أبيه فرحات بن سعيد في منطقة سوف، إضافة إلى قدراته وحكمته في المناورة والاقناع وكذلك انتماءه إلى عائلة بوعكاز لتذليل الصعاب وحل العديد من المشاكل، وعرض الحرازية و«أولاد أم الأخوة» السلام على القائد Du Barail الذي قبل به حتى يتم تحقيق هدف تفكيك القوات التي كان يعتمد عليها الشريف محمد بن عبد الله.<sup>(3)</sup> انطلاقاً من مبدأ "فرق تسد"

<sup>1</sup> - Colonne du sud, Prise de Touggourt 1854, Boite 2H 22, Anom

<sup>2</sup> - Ibid.

<sup>3</sup> - Ibid.

وهي السياسة التي اعتمدها السلطات الفرنسية في إشعال نار الفرقة بين القبائل مثل ما حصل بين عائلي بوعكاز وبن قانة.

تقدمت القوات الفرنسية بقيادة Desvaux يوم 15 ديسمبر إلى بلدة "الكوينين" التي تضم حوالي 3000 نسمة حيث ساهم حوالي 75 مجاهد منها في معركة المقارين لذلك فرضت عليهم غرامة حرب، ثم انتقلت يوم 16 ديسمبر إلى مدينة الواد وعسكرت هذه القوات بالقرب منها، ثم رجعت إلى الكوينين يوم 18 ديسمبر وفي اليوم الموالي عادت إلى توقرت.

ويذكر صاحب "الصروف في تاريخ الصحراء وسوف" إلى أن عملية احتلال واد سوف كانت بعد قتال بين الطرفين أيما عديدة في النخيل والسيوف ولكن في النهاية تغلبت المحلة (الفرنسية) على السوف<sup>(1)</sup>، واكتفى إبراهيم بن عامر (1881-1934) بهذه العبارة دون ذكر أي معلومة عن هذه المعارك والحروب، مع أنه كان قريبا زمنيا وجغرافيا من هذه الأحداث، ولم تذكر تقارير الضباط الفرنسيين ومراسلاتهم مع قيادتهم أي حادثة تدل على وقوع صدمات عسكرية أو مقاومة أثناء تقدمهم إلى واد سوف، وربما تعود أسباب الجنوح إلى السلام والمهادنة من طرف سكان واد سوف إلى غياب القيادات بحيث لجأ سلمان والشريف بن عبد الله إلى تونس ثم افتراقا، واستسلمت قبائل وقرى توقرت وما جاورها هي من العوامل والأسباب الأساسية التي جعلت سكان وادي سوف يختارون السلام والمهادنة إلى أن تحين فرصة المقاومة من جديد، إضافة إلى أن المعركة الفاصلة التي شارك فيها أهل واد سوف هي معركة المقارين التي انهزمت فيها المقاومة الشعبية.

ولكن لا يمكن تفسير هذا الموقف إلا بالعودة إلى نظام العلاقات السياسية، الذي كان قائما بين القوى السياسية المحلية المتمثلة في أسرة بن قانة وأسرة بوعكاز المتنافسة والمتصارعة على المكاسب المالية والسياسية الداخلية، ومما زاد من خطورة هذا الصراع ميول القبائل ومواقفها المختلفة من هذه القوى المحلية وتعود جذور الصراع بين الأسرتين إلى الفترة العثمانية حيث ترك الغياب الكلي للسلطة التركية على الصحراء المجال واسعا للصراع الدموي الطويل بين بن قانة وأولاد بوعكاز.

<sup>1</sup> - إبراهيم بن محمد الساسي العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، المرجع السابق، ص 313.

وكان هذا الصراع يتأجج ويزداد حدة عندما يتم تقريب أسرة وإبعاد الأخرى من طرف بايات قسنطينة.<sup>(1)</sup>

وانقسمت قبائل منطقة الزاب ووادي ريغ ووادي سوف إلى قسمين فكان أنصار أسرة بن قانة هم قبائل الصحاري، سالمية، رحمون، ابن يزيد، أولاد مديدجة وقبيلة لخضر وجزء من أولاد صاولة، ولم يكن يؤيدهم في وادي سوف سوى أولاد سعود.

أما المؤيدين لأسرة بوعكاز فهم عرب الشراقة وأولاد عبد النور وسحنون، وكان في صفهم كذلك أحمد باي بن شنوف الذي كان يريد الثأر لأبيه من أسرة بن قانة التي قتلته.

ازدادت حدة هذا الشقاق والصراع بدخول الاستعمار الفرنسي إلى الجزائر، حيث تمكن الاستعمار من استغلال هذا الانقسام في تحقيق أهدافه في المنطقة، وكانت هذه الوسيلة فعّالة جدا في إخضاع بعض القبائل وإضعاف القبائل الحرة الثائرة.

كانت للسلطات الاستعمارية وجهة نظر أخرى في استغلالها للانقسامات الداخلية، ففي نهاية 1848 بدأت تتحدد العلاقات بين الاستعمار ووادي ريغ ووادي سوف حسب الوضعية السياسية في المنطقة المقسمة إلى قسمين:

1. تحالف توقرت: ووادي ريغ ويضم قبيلة أولاد مولات وقرى السوف (كوينين، تغزوت وقزوم) ويندرجون ضمن قبيلة أولاد سحنون.
2. تحالف تماسين: والذي يضم بلدة عمر وبن سعيد وأولاد عمور أولاد ساحيه<sup>(2)</sup>

كان هذا الصراع قائما بين تماسين العاصمة الروحية للمنطقة ومركز الطريقة التيجانية التي كان يمتد نفوذها الروحي إلى أبعد من هذه المنطقة، وتوقرت العاصمة السياسية ومركز سلطة بني جلاب أقدم سلطة سياسية في المنطقة، وكان يظهر هذا الانقسام جليا خلال الأزمات التي كانت تمر بها أسرة بني جلاب، فعندما اعتلى السلطان عبد الرحمان عرش السلطة في توقرت، كان سلمان

<sup>1</sup> - صالح فركوس، إدارة المكاتب العربية والاحتلال الفرنسي للجزائر، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، ط1، 2013، ص ص 266-267.

- المرجع نفسه، ص 268.<sup>2</sup>

من أشد المعارضين له وحفاظا على حياته لجأ إلى تماسين العاصمة الروحية رغم قرب المسافة بينها.<sup>(1)</sup>

ورغم الوحدة التي شهدتها أغلب هذه الأطراف المتنازعة أثناء فترة مقاومة الشريف بن عبد الله، إلا أن الأحقاد والصراعات عادت بمجرد فشل هذه المقاومة وكانت هذه الوضعية تصب كلها في مصلحة الاستعمار.

## 6) النظام الإداري الجديد<sup>(2)</sup> لوادي ريغ ووادي سوف:

كان اختيار السلطات الاستعمارية للشخصية التي تقود قيادة وادي ريغ والسوف بعناية شديدة حتى تحافظ على الهدوء والاستقرار، واعتمدت في ذلك على عدة اعتبارات من بينها أن سكان وادي ريغ أقل عددا وأكثر ميولا إلى التمدن، وبالتالي من السهل قيادتهم في حين الخطر كان دائما منبعه وادي سوف والمناطق الصحراوية الداخلية، وبما أن هذه المناطق كانت تؤيد أسرة بوعكاز وكانت كل الآراء تميل إلى تعيين الشاب علي باي بن فرحات بن سعيد، الذي كان له دور كبير في تذليل الكثير من الصعوبات أثناء الحملة الأولى للضابط Desvaux في ديسمبر 1854 على وادي سوف فاستقر رأي القيادة الفرنسية على تنصيب علي باي بن فرحات بن سعيد.

كانت تخمينات الاحتلال المؤسسة على دراسة ومعرفة مسبقة بتاريخ المنطقة، في محلها، فمجرد تتويج علي باي بن فرحات في توقرت يوم 26 ديسمبر 1854 على قيادة وادي ريغ ووادي سوف، بتأييد من تماسين مركز القيادة الروحية وسكان توقرت، حتى أعلن أولاد سعود (المؤيدين لابن قانة) أنهم مع السلطة القوية في توقرت ومع من يوفر الاستقرار والأمن في وادي ريغ والسوف، حفاظا على مصالحهم الاقتصادية<sup>(3)</sup>.

ومما زاد من توطيد السلطة الجديدة، تأييد سي أحمد باي بن شنوف وتنازله على كل مطالبه في وادي سوف، بمجرد معرفته بتتويج علي باي بن فرحات، وحتى يضمن الاحتلال استمرار استقرار المنطقة وضع عدد من الشخصيات المؤثرة من أعيان قبائل هذا الإقليم كرهائن تحت

<sup>1</sup> - Rapports sur l'organisation de l'oued righ et souf,boite 2H 25, Anom.

<sup>2</sup> - Organisation de oued Righ et de souf 26/10/1854, boite 2H 25, Anom.

<sup>3</sup> - Cérémonie pour la nomination et l'installation du nouveau Chikh de Touggourt 5 janvier 1855, boite 2H 25, Anom.

سيطرته، وكانت المجموعة الأولى المكونة من 20 شخصية كلهم من المؤيدين لشيخ سلمان ومن الأسر المؤثرة من المجاهرية في توقرت ووضِعُوا في جانفي 1855 في دار الضيافة في باتنة ريثما يتم تحويلهم إلى « Dou Khman » بصفة دائمة ولا يقتصر انتماءهم إلى قبيلة المجاهرية فقط بل هناك من ينتمي إلى "النزلة" مثل الحاج أحمد بن بوليفة وعلي بن عديّة وكذلك من تبسبت الطاهر بن راشد الذي نفذ أوامر الشيخ سلمان في تصفية الصفوف الداخلية من المشكوك في ولائهم قبل معركة المقارين وبلقاسم بن شمال من "المغير" وعون بن خضير أو خدير" من الكوينين وغيرهم ويوضح الجدول<sup>(1)</sup> قائمة أسمية بالرهائن الذين تم جلبهم من توقرت ثم تم توجيههم إلى « Doukhaman »:-

- لحسن بن حانمون
- سي دندوقي
- الحاج عبد القادر علي بن ديزي
- طالب البشير بن احمد
- الحاج محمد بن براهيم
- سي صالح بن جازية
- سي علي الطرابلس
- أحمد عباس
- الحاج أحمد بوليفة.<sup>(2)</sup> (ينظر الملحق رقم 124)

أما المجموعة الثانية المكونة من 10 رهائن أقل أهمية فيتم الاحتفاظ بهم في بسكرة إلى أن يقرر سي علي باي بن فرحات عودتهم إلى وادي ريغ.<sup>(3)</sup>

ونص التنظيم الجديد على وضعية استثنائية لمدينة تماسين التي أصبحت قيادة جديدة مستقلة (بلدة عمار وأولاد عمور) تقديرا للمجهودات والخدمات التي قدمها مقدم الزاوية التيجانية

<sup>1</sup> -Rapport: Otage ramenée de touggourt, 13 janvier 1855, boîte 2H 25. Anom

<sup>2</sup> -Ibid.

<sup>3</sup> - Ibid.

المرابط سي محمد بلعيد، وعين أحد أفراد عائلته قايد إسميا فقط وحافظ على قيادة قبيلة أولاد "السهائل" التابعة لشيخ الطريقة التجانية في تماسين.

أخذت سلطة الاحتلال في الاعتبار العادات المحلية في التسيير، فحافظت على المجالس المحلية التي يطلق عليها اسم "الجماعة" المكونة من أعيان وكبار هذه القبائل والقرى.

ودعمت النظام الجديد<sup>(1)</sup> ووفرت كل الظروف لإ نجاحه بحيث بدأ بأشغال تحصين توقرت مركز القيادة حتى يسهل الدفاع عليها وجهزت بحامية عسكرية مكونة من القبائل الموالية من المنطقة (النزلة- تبسبست، الزاوية)، ثم تم نزع سلاح كل من تبقى من سكان توقرت، وقدرت القوات التي وضعت تحت تصرف علي باي ب 100 من المشاة لحماية القصبنة (توقرت) و30 فارسا يتكفل علي باي بأجورهم ويتم اختيارهم من الدواودة الذين انظموا إليه.<sup>(2)</sup>

أما وادي سوف حتى سنة 1854 لم يدفع أي ضريب ولكن عليه أن يجهز على نفقة سكانه 60 فارسا يكونون تحت تصرف القايد، ويمكنه عند الحاجة طلب قوات إضافية من أولاد مولات، وكان فرسان الواد وتماسين وسعيد أولاد عمور أي ما مجموعة 425 فارسا، والتي تكون كافية مؤقتا لمتطلبات الحملة في الصحراء.<sup>(3)</sup>

وفي الحالات الاضطرارية والمستعجلة، يمكنه تجنيد قبيلة "السلمية والرحامنة" بعد طلب الموافقة من الضابط الفرنسي في بسكرة وعموما يمكن لعلي باي التدخل العسكري في أي منطقة بقوة تقارب 600 فارس، مما يمكنه من مواجهة أي خطر محتمل، ويبدو أن السلطة الفرنسية في التنظيم الجديد فصلت بين قبيلة "الأرباع" و"الحرزلية" وأولاد "أم الخاوة" التي كان يعتمد عليها الشريف بن عبد الله في مقاومته وعملياته العسكرية.<sup>(4)</sup>

وحافظ النظام الجديد على الامتيازات التي كانت تتمتع بها بعض القبائل في وادي ريغ والسوف المتمثلة في الإعفاءات الضريبية، حتى يتم تقوية الوجود الفرنسي، وحتى لا يكون لأي طرف مصلحة في تراجع الوجود الفرنسي في المنطقة، ومن الذين استفادوا من الإعفاء الضريبي المرابطين

<sup>1</sup> - Organisation d'oued Righ et de du souf, 26 octobre 1854, boîte 2H 25, Anom

<sup>2</sup> - Ibid, 2H 25.

<sup>3</sup> - Rapport sur l'organisation d'oued Righ et de souf, boîte 2H 25, Anom.

<sup>4</sup> - Ibid, 2H25.



و"السلمية" و"الرحامنة" و"أولاد مولات". إضافة إلى وادي السوف الذي كلف بتجهيز قوات من الفرسان، أما تأجير حدائق البايلك فقد تم إحصاء 14434 حسب المعلومات المتوفرة أن سعر تأجير النخلة لا يتجاوز 3,50 فرنك، أما مكوس أسواق توقرت فلا تتوفر معلومات دقيقة لتحديد المبلغ المطلوب.<sup>(1)</sup>

فكان اهتمام الضابط الفرنسي والقيادة العليا عند احتلالهم لمنطقة وادي ريغ والسوف بجانبين الأول: الجانب العسكري وتجهيز كل ما يمكن تجهيزه من قوات عسكرية للمحافظة على ما تم تحقيقه من توسع ميداني وبأقل التكاليف بحيث أغلب هذه القوات هي من القبائل المحلية الموالية أو المستسلمة للاستعمار.

والجانب الثاني: هو الضرائب أو مكوس الأسواق وكل ما يمكن الاستفادة منه من مصادر مالية لدعم الخزينة العمومية الفرنسية، ولكن لكي تتحقق هذه الأهداف كاملة يجب أن تتوفر لدى هذه السلطات إحصائيات تفصيلية على كل ثروات المنطقة وعدد السكان وغيرها من المعلومات التي سوف تستفيد منها في استغلال ثروات هذا الإقليم بعد دعم وتثبيت الوجود العسكري الفرنسي وإحكام السيطرة وبالتالي إلغاء كل الامتيازات والاعفاءات، وكانت الحصيلة الأولية في الضرائب التي حصلتها فرنسا سنة 1855 ب 133952,50 فرنك والجدول الملحق يوضح الواحات والقرى وقيمة الضريبة المفروضة على كل منها، ( ينظر الملحق رقم 13)<sup>(2)</sup>

وتمكنت بذلك من تغطية كل مصاريف الحملة العسكرية على وادي ريغ ووادي سوف علما أن القوات العسكرية التي قامت بالتوسع على حساب الإقليمين، أغلبها قوات جزائرية من الصبايحية والفرسان والمشاة واقتصر الوجود الفرنسي على قادة وضباط هذه الفرق العسكرية ولكن يبدو أن الإحصائيات التي تم جمعها خلال الحملة العسكرية الأولى في بداية سنة 1855 لم تكن دقيقة وشاملة، لذلك رأت السلطة الفرنسية أن أهمية المنطقة تستدعي القيام بحملة عسكرية أخرى تحت قيادة الجنرال "ديفو" لتحقيق عدة أهداف، أولها القيام بعملية إحصاء دقيقة لكل الثروات الاقتصادية الموجودة في وادي ريغ والسوف ولترسيخ السيطرة العسكرية على المنطقة بعد أن ظهرت محاولات كل من الشريف بن عبد الله والشيخ سلمان في محاولتهما البحث عن

<sup>1</sup> - Etat de l'impôt de l'oued Righ et du souf pour l'année 1855, boîte 2H 25, Anom.

<sup>2</sup> - Ibid.

أنصار جدد عند نفازة جنوب تونس، ويبدو أن هناك اتفاق بين الشريف بن عبد الله وحاكم قابس على استقرار بالمنطقة شريطة الامتناع عن أي محاولة تحريضية أو عمل عدائي وفي رسالة 23 فيفري 1855 إلى السلطات العسكرية في قسنطينة ترد من خلالها على الرسالة المؤرخة في 16 فيفري 1855 لقائد الشعبة العسكرية بباتنة وتحمل عنوان "الاجراءات الواجب اعتمادها في حالة عودة الشريف والشيخ سلمان إلى الهجوم".<sup>(1)</sup>

وهي التعليمات التي وجهتها القيادة العسكرية من قسنطينة إلى القائد العسكري في بسكرة وتلخصت هذه التعليمات في دعم علي باي بن فرحات في توقرت ب 300 من المشاة و180 فارسا التي تمثل الفرقة العسكرية المتحركة في بسكرة، وتدعم بالقوات غير نظامية المحلية من الثوم. على تقدم هذه القوات في المواجهة وتبقى القوات الفرنسية في الخلف ولا تتجاوز في تقدمها منطقة المغاير والبعجة (El-Baâdja)<sup>(2)</sup>

ثم استغلت القيادة العسكرية أحد أعوانها الذي كان صديق الطفولة للناصر بن شهرة، لنشر بعض الاشاعات في الجريد في تونس مفادها أن الناصر بن شهرة انضم واستسلم لفرنسا، لتحقيق هدف هام وهو إحداث القطيعة بين الشريف محمد بن عبد الله والناصر بن شهرة الذي يشيد هذا التقرير به وبأنه القوة الضاربة لهذه الحركة بفضل ذكائه الخارق في القتال والتخطيط وبشجاعته التي برهن عليها فيما سبق وبالتالي تجريد مقاومة الشريف من نقطة قوته<sup>(3)</sup>.

وعرض على الناصر بن شهرة، إن كان يريد الإعلان عن استسلامه في الأغواط، فسوف يمنح له الأمان في طريق الذهاب والعودة، وحاولوا إقناعه بما سيكسبه من أموال في حال تقربه من فرنسا، إضافة إلى العفو العام والشامل له ولأتباعه.<sup>(4)</sup>

ولكن موقف الناصر بن شهرة كان صارما دون تراجع، ووفاء للوعد الذي قطعه على نفسه منذ 1851 عندما فرّ من الإقامة الجبرية في معسكر ومن مدينة بوغار، بمحاربة الفرنسيين واستحالة الاتفاق أو المهادنة معهم.<sup>(1)</sup>

<sup>1</sup> - Conduite a tenir a l'égard de Touggourt dans le cas du retour offensive de Selman et de chérif, boîte 2H 25, Anom.

<sup>2</sup> - Ibid.

<sup>3</sup> - Affaire d'oued Righ et de Touggourt, boîte 2H 25, Anom.

<sup>4</sup> - Ibid.

ولم تتوانى السلطات الفرنسية في استخدام كافة الوسائل للقضاء على هذه الثورات، خاصة في زرع الجواسيس داخل الثوار لجمع المعلومات والاستعداد لأي حركات ثورية، ويتضح ذلك من خلال التعليمات التي تركها القائد Deveaux إلى فرحات بن سعيد قايد توقرت ووادي سوف.<sup>(2)</sup>

وانقسمت هذه التعليمات إلى الجانب التنظيمي الإداري والجانب السياسي الذي احتوى على عدة توصيات أولها أن يكون علي باي حذرا في التعامل مع تماسين (عاصمة الطريقة التيجانية ومقر إقامة شيخها) وإن كان هناك نزاع بينهما فقد يكون سببه السوق، فيمكن للشيخ تماسين أن يفرض مكس أقل قيمة من الذي فرضته فرنسا في توقرت لجلب القوافل إليه، ثم تقديم الهدايا إلى كبار وأعيان مدينة الواد بين (10-12 من شيوخها) يستطيع بذلك ضمان موالة الواد وكل السوف واستقراره.

أن يكون لديه دائما مجموعة من العيون والجواسيس من الواد الذين يسهل عليهم جمع معلومات حول الشريف بن عبد الله والشيخ سلمان في "الجريد" ويمكن الاستعانة بعرب المنطقة حتى لا يتم اكتشافهم لمراقبة "نفطة"، ومواصلة الاتصال بالجزائرية والأرباع وأم الأخوة لأقناعهم بالاستسلام.

تقديم كل الوعود للقبائل الثائرة ما عدا تغيير القادة الفرنسيين أو الأهالي، أما عن "أولاد الساسي" وخدام والمرافقين لشيخ سلمان لا يمكن منحهم الأمان أبدا.<sup>(3)</sup> لقد كان اهتمام فرنسا بهذه المنطقة كبير جدا لذلك وضعت كل الوسائل بهدف تحقيق الاستقرار والقضاء على محاولات الثورة فيها لأهميتها من حيث الموقع الجغرافي والاقتصادي التجاري.

في خريف 1855 قام الضابط "ديفو" الذي أصبح جنرالا بإعداد قوات ضخمة من جنوب قسنطينة وبسكرة لتأكيد السيطرة الفرنسية على واد ريغ والسوف، وكان عدد هذه القوات من 450 جنديا من النخبة، وتشكلت من 05 سرايا من الخيالة، وثلاثة من قناصة افريقيا، وسريتان

<sup>1</sup> - أحمد بن أبي زيد قصيبة، ابن الناصر بن شهرة أحد أبطال ثورة 1871، مجلة الأصالة السنة 01، العدد 06، جانفي 1972، ص ص 54-64.

<sup>2</sup> - Instructions laissées Ali Bey Ben Farhat Caïd d'oued righ et souf, boite 2H 25, Anom.

<sup>3</sup> - Ibid.

للبصايحية وفصيلتان لسلاح المدفعية، ومفرزة للهندسة العسكرية، وفرقة خاصة بالتموين بالماء والمؤن تكفي لمدة 20 يوما<sup>(1)</sup>.

تجمعت كل هذه القوات في بسكرة يومي 25-26 نوفمبر 1855 وتحركت يوم 27 من نفس الشهر، اتجهت إلى سيدي عقبة وبقيت فيها الليلة الأولى، ثم اتجهت في اليوم الموالي إلى السوف ولتسهيل عملية الغزو وتحرك هذه القوات في الصحراء، كلفت السلطة الفرنسية بعض الأشخاص من قمار وتاغزوت متخصصين في حفر الآبار بجهر وتطهير 35 بئرا عبر طريق القوافل التي سلكها الجنرال ديفو بقواته، وصلت هذه القوات إلى وادي سوف يوم 05 ديسمبر ونصبت مخيمها في الناحية الشمالية الشرقية من الواد في قرية "الديبيلة" التي أصبحت مركز العمليات العسكرية للجنرال "ديفو" لموقعه في مفترق الطرق ويمكن مراقبة المنطقة بسهولة، ثم شرعت الحملة العسكرية في تنفيذ مخططاتها في مراقبة ومعاينة المنطقة، وجمع كل المعلومات الخاصة بالمنطقة بهدف أحكام سيطرتها واستغلالها لتغطية نفقات هذه الحملات العسكرية.<sup>(2)</sup>

ومن موقعه في الديبيلة تحصل على عدة معلومات حول الشريف محمد بن عبد الله الذي خيم في جبل "مطاطحة" ووفاة ابنه "بوسماحة" وصهره "محمد بن داود" اللذان يعتبران من أشجع فرسانه، بسبب الوباء المنتشر في المنطقة، إضافة إلى أخبار عن اتصال بين شيخ الطريقة السنوسية التي تزعمت الجهاد في الصحراء والشريف بن عبد الله بهدف دعمه لمواصلة الجهاد ضد الفرنسيين، وكذلك معلومات حول "الحرازية" و"أولاد أم العقونة" الذين يبيتون النية في الانفصال عن الشريف بن عبد الله والناصر بن شهرة، والملاحظ أن أغلب الأخبار في هذا التقرير هي في صالح الفرنسيين وتحاول النيل من سمعة زعماء المقاومة والقبائل التي واجهت الاستعمار وبكل ما لديها عن قوة.<sup>(3)</sup>

ثم توجهت القوات الفرنسية يوم 08 ديسمبر إلى "الهيمة" لتتزود بالماء وأثناء ذلك قام الجنرال ديفو بزيارة إلى قرية "الزقم" القريبة من "الهيمة" من الناحية الشرقية للوقوف على أحوالها

1 - Journal de marche et des opération militaires de la colonne du sud dans la province de Constantine pendant l'automne 1855, Constantine le 12 janvier 1856, ,boite H 227, Service.Historique.de la Defense,vincenne.

2 - Ibid..

3 - Ibid

وزيادة المسجد العتيق "مسجد العدواني"، ثم توجهت هذه الحملة إلى "قمار" ليخيم فيه يوم 09 ديسمبر وهناك وصلته أخبار عن قوات الضابط "بان Pein" من بوسعادة التي تمثلت مهمتها في تأمين الحملة الرئيسية للجنرال "ديفو"، لذلك تفرع لتنظيم الإدارة المحلية حسب ما تقتضيه المصلحة الاستعمارية، فحافظ على علي باي لما شهده من احترام ومحبة أهل قمار له، ولكنهم أظهروا نقيمتهم على خليفة واد سوف سي الصغير بن ابراهيم فعزله، وقام بعزل ومعاقبة كبير "الديلة" وكبير "قمار".

ثم غادر قمار يوم 10 ديسمبر توجهت الحملة نحو بلدة "الكوينين"، ومنها إلى الواد يوم 11 ديسمبر وعلم أثناء ذلك أن القوات الفرنسية المنطلقة من البيض والأغواط قد حققت أهدافها التوسعية واستكملت السيطرة على المنطقة بما أنجزه في وادي سوف.<sup>(1)</sup>

لذلك غادرت هذه القوات الواد يوم 13 ديسمبر متجه نحو توقرت، أين يلتقى بقوات الضابط "بان Pein" يوم 22 ديسمبر، وانتهت الحملة بعد أن حققت أهدافها في الاستقرار الذي لن يدوم طويلا حيث لم تتوقف هذه المنطقة عن المقاومة.

### III. المقاومة المسلحة للتوسع الاستعماري في منطقة ورقلة:-

#### للأصول التاريخية لسكان المنطقة:

تعد ورقلة من أقدم الواحات في الصحراء حيث ذكرها هيرودوت على أنها تقع في أقصى غرب المنطقة التي سيطرت عليها قبائل من مستوطنة قرنية<sup>(2)</sup> الإغريقية «Cyrénaïque» [تقع في شمال شرق ليبيا حاليا تقطنها شعوب رحل من أصول ليبية استعمرت من طرف اليونان في القرن 07 ق.م وأبرز واحاتها جغبوب- أوجيلا- كوفرة، ويطلق على هذه الشعوب «Nasamons» وتشير المصادر القديمة أن أول سكان من شبه أثيروبيين أو الغرامنتين الذين انتشروا في كامل وسط افريقيا وشيدوا حضارة متقدمة ومزدهرة،<sup>(3)</sup> ولكن الظروف السياسية التي مرت بها منطقة المغرب العربي من الحروب والثورات التي قامت ضد الرومان وحروب الدينية والغزو الهمجى الوندلي، أدت

<sup>1</sup> - Journal de marche, boîte H 227, SHD, Op.cit..

<sup>2</sup> - محمد الصغير غانم، المظاهر الحضيرة والتراثية لتاريخ الجزائر القديم، ج3، ص 195، ق 5 ق م.

<sup>3</sup> - Notes pour servir à l'histoire de Ouaragla 1885, Notes rédigées par le service des affaires arabe, RA, Vol 64, année 1923, O.P.U, Alger, p.381.

إلى هجرة العديد من السكان الأصليين من الشمال إلى الواحات الصحراوية الجنوبية البعيدة عن كل هذه القلاقل والحروب من البربر وبالتالي دخل العنصر البربري إلى ورقلة إلى جانب السكان الأصليين من الغرامنتين، وعامة مهما اختلفت الآراء والمقاربات في أصول سكان هذه المنطقة، إلا أن كل المصادر الأولية القديمة تشير إلى انتماء سكانها إلى بني ورجلان من القبيلة الزناتية البربرية التي تأثرت واختلطت بالأصول الزنجية.

فقد خصص لها العلامة عبد الرحمان بن خلدون (732-808هـ / 1332-1406م) في كتابه الشهير "كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" والمعروف بتاريخ ابن خلدون، فصلا عَنُونَهُ ب «الخبر عن بني واركلا من بطون زناتة والمصر المنسوب إليهم بصحراء إفريقية وتصاريح أحوالهم» حيث يقول "بنو واركلا هؤلاء إحدى بطون زناتة من ولد فريني بن جانا، وقد مرّ ذكرهم ... منهم بنو واركلا وكانت فنتهم قليلة، وكانت مواطنهم قبلة الزاب، واختطوا المصر المعروف بهم لهذا العهد على ثماني مراحل من بسكرة في القبلة عنها ميامنة إلى المغرب. بنو قصورا متقاربة الخطة، ثم استبحر عمرانها فانتلفت وصارت مصرا واحدا ... ولما استبد الأمير أبو زكريا بن أبي حفص بملك إفريقية وجال في نواحيها في اتباع ابن غانية، مرّ بهذا المصر فأعجبه وكلف بالزيادة في تمصيره، فاخطط مسجده العتيق ومأذنته المرتفعة، وكتب عليها اسمه وتاريخ وضعه نقشا في الحجارة<sup>(1)</sup>.

وهذا البلد لهذا العهد باب لولوج السفر من الزاب إلى المفازة الصحراوية المُفْضِيَّة إلى بلاد السودان يسلكها التجار الداخلون إليها بالبضائع، وسكانها لهذا العهد من أعقاب بني واركلا وأعقاب إخوانهم من بني يفرن ومغراوة ويعرف رئيسه باسم السلطان ... ولقد قدمت على بسكرة سنة أربع وخمسين أيام السلطان أبي عنان حكم 1348-1358 في بعض الأغراض السلطانية ولقيت صاحب "تكدة"- بلد تكدة على عشرين مرحلة من هذا المصر (ورقلة) في القبلة منحرفا إلى الغرب بيسير- عند يوسف بن مزني أمير بسكرة، وأخبرني عن استبحار هذا المصر في العمارة ومرور السابلة، وقال لي:

<sup>1</sup> - عبد الرحمان بن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر - اعتنى بإخراجها أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الرياض، السعودية، د.س، ص 1830.

إجتاز بنا هذا العام سفر من تجار المشرق إلى مالي كانت ركبهم اثني عشر ألف راحلة، وذكر لي غيره إن ذلك هو الشأن في كل سنة".<sup>(1)</sup>

وذكر الإدريسي في مؤلفه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق مدينة ورقلة محددًا موقعها "... من جبل نفوسة إلى ورقلان 12 مرحلة، ومن مدينة مسيلة إلى ورقلان 12 مرحلة كبار"<sup>(2)</sup>، ثم يذكر تجارها الأباضيين فيقول "... وهي مدينة فيها قبائل مياسير وتجار أغنياء يتجولون في بلاد السودان إلى بلاد ونقارة فيخرجون منها التبر ويضربونه في بلادهم ... ومن ورقلان إلى غانة 30 مرحلة، ومن ورقلان إلى كوغة نحو شهر".<sup>(3)</sup>

وذكرت في العديد من المصادر مثل أبو عبد الله البكري (ت 487هـ/1094م) في "كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب"، ولكن المصادر التي تناولت المنطقة والمدينة في الفترة الحديثة، ما جاء عنها في "الرحلة العياشية" لأبي سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي (ت 1090هـ) التي وصف فيها المدينة، وقدم لنا معلومات هامة عنها من الناحية السياسية حول الفتنة التي وقعت في المدينة قبل شهرين من وصول العياشي إليها، حيث تفتن أمير المدينة لمكيدة حيكمت ضده، فقام بمحاصرتهم وقتلهم وكانت مقتلة عظيمة، كما وصفها العياشي، ثم عرج إلى علاقاته بسلطنة توقرت. ووصف الوضع الثقافي عندما انتقد إمام مسجد المالكية في خطبة الجمعة التي أكثر فيها اللحن، إضافة إلى زيارة قام بها لمسجد الإباضية ووصف صلاتهم، وقام كذلك بزيارة بعض خزائن الكتب في المدينة، ثم تعرض في الجانب الاجتماعي إلى وصف بعض العادات والتقاليد الخاصة بالمنطقة، أما في الجانب الاقتصادي فقد ذكر أهميتها التجارية ونوعية المواد التي تباع بها وأسعارها المناسبة إضافة إلى كرم سكانها، مع وصف للنقود التي يتعاملون بها، وغزارة مياهها ووفرة وتنوع إنتاجها الزراعي.<sup>(4)</sup>

1 - المصدر نفسه، ص 1830.

2 - أبي عبد الله محمد الحمودي الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002، ص 279.

3 - المصدر نفسه، ص 24.

4 - أبو سالم عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية 1661-1663، ج1، حققها وقدم لها سعيد الناضلي. سليمان القرش، ط1، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي 2006، ص ص 114-119.

فرزق العياشي الدقة في الملاحظة، والميل إلى الاستطلاع وروح المقارنة، وساعدته منزلته الاجتماعية على كسب المعلومات والأخبار، والعثور على ملفات غيره من الكتب والوثائق، فسجل في رحلته معلومات دقيقة مفيدة ودَوَّنَ فيها ما لا يوجد في الرحلات الأخرى من أخبار البلاد والعباد.<sup>(1)</sup>

فكان النص الذي عرّف فيه العياشي مدينة ورقلة من أطول النصوص بعد ما جاء به الحسن الوزان (ليون الإفريقي) في كتابه وصف افريقيا.<sup>(2)</sup>

وتتفق كل هذه المصادر على أهميتها الاقتصادية ودور الوسيط التجاري بين السودان والمناطق الصحراوية الجنوبية والشمال التالي، الذي لعبته المدينة ولفترة زمنية طويلة، وأصبحت تابعة للسلطة المركزية العثمانية في مدينة الجزائر منذ الحملة العسكرية التي قام بها صالح رايس بايلار باي الجزائر في أكتوبر 1552م وكان قوام جيشه 3000 من المشاة و1000 فارس ومدفعين لفك الحصار، وبعد أن أخضع توقرت بعد حصار دام ثلاث أيام، أرغم حاكمها على دفع غرامة وضريبة سنوية للسلطة المركزية الجديدة، ثم توجه نحو ورقلة ولكن حاكمها انسحب إلى نواحي القوليعة (المنيعه حاليا) مع 04 آلاف فارس وكثير من الأهالي، فبعث صالح رايس رسالة إلى حاكم ورقلة ووعدته بالمصالحة شريطة أن يدفع ضريبة سنوية مقدرة ب 30 عبدا. الأمر الذي التزم به حاكم ورقلة منذ هذه الفترة.<sup>(3)</sup>

ولكن جاءت حملة عسكرية بقيادة يوسف باشا ضد ورقلة وكذلك توقرت سنة 1649م ونتج عنها أن التزم حكام مدينة ورقلة بالضريبة التي فرضت عليهم حيث جاء في دفتر التشريفات ضريبة مسجلة بتاريخ 1205هـ/ 1790م تتضمن 45 عبدا من رقيق السودان في السنة، تدفع ورقلة 25 عبدا وتوقرت 16 عبدا، وتماسين 04 عبدا<sup>(4)</sup>، وتعززت وجود السلطة العثمانية في المنطقة بعد

<sup>1</sup> - مولاي بلخسيس، مدينة ورقلة في رحلة العياشي، مجلة الأصالة، العدد 41، السنة السادسة، 1977 تصدر عن وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، ص ص 67-68.

<sup>2</sup> - الحسن الوزان الفاسي (ليون الإفريقي)، وصف افريقيا: تر: محمد حجي، محمد الأخضر، ج2، ط2، دار المغرب الاسلامي، بيروت، 1983، ص ص 136-137..

<sup>3</sup> - Diego de Haëdo, histoire des rois d'Alger, Traduit Henri Delmas de Grammont, ED. Grand-Alger-livres, Alger, 2004, pp.93-94.

<sup>4</sup> - Tachriffet, recueil de notices historique sur l'administration de l'ancienne Régence d'Alger, Devoulx, Alger 1852, p.67..



أن أصبحت قبيلة "السعيد عتبة" من المخزن مقابل إعفاءها من الضرائب، وكانت تشرف على جباية الضرائب تحت قيادة الحامية التركية المتمركزة في بسكرة (النوبة).

أما المظهر الآخر للنفوذ العثماني بورقلة وإقليمها، يتمثل في العلاقة التي ربطت أهالي المنطقة بحكام الإيالة في مدينة الجزائر عن الطريق هجرة سكان هذه المنطقة المؤقتة للمناطق التلية، وتتلخص الدوافع أو العوامل المتحكمة في هذه الهجرة، بطبيعة المناخ، ونوعية الانتاج بالمنطقة الجنوبية، والحاجة الملحة للحصول على المواد الضرورية للعيش<sup>(1)</sup>، فالقبائل المقيمة بنواحي ورقلة كانت تتردد على الأسواق الواقعة بالتل لتصريف منتجاتها المحلية من صوف، وجلود، وتمور، والحصول على ما تحتاجه من حبوب ومواد غير م في الصحراء، إضافة إلى المراعي الخصبة لمواشيها في أواخر الربيع وطيلة فصل الصيف<sup>(2)</sup>، وكانت هي الفرصة الوحيدة التي استغلها الأتراك لفرض الضرائب على هذه القبائل.

### 1) الوضع السياسي للمنطقة ورقلة بين 1830-1854:

ما نقصده جغرافيا وسياسيا من "منطقة ورقلة" :- هي ورقلة وقصورها ونقوسة وقصورها كذلك، وتنقسم هذه الفترة إلى المرحلة بين 1830-1851 وهي فترة الصراع الداخلي الذي حال دون الاتحاد والاستعداد لمواجهة الاحتلال الفرنسي أما المرحلة الثانية بين 1851-1854 وهي فترة المقاومة بقيادة المجاهد الشريف محمد بن عبد الله<sup>(3)</sup>

كانت هذه المدينة تفتقد إلى سلطة سياسية موحدة وقوية تخضع لها كافة القبائل وفروعها المنتشرة في إقليم "منطقة ورقلة"، حيث تم إعادة بناء وتشديد المدينة. بعد أن خربها جيش الدولة الحمادية في عهد الناصر بن علناس بن حماد (454-461هـ / 1062-1088م) بقيادة الأمير المنصور، بعد أن أعلن الزناتيون العصيان، فقام بقتل وتشريد سكانها وقطع نخيلها وردم أبارها وتخريب كل

<sup>1</sup> - Carrette. E, du commerce de l'Algérie avec l'Afrique centrale et les états barbaresques, Paris, Guyot, 1844, pp.13-14.

<sup>2</sup> ناصر الدين سعيدوني، ورقلة ومنطقتها في العهد العثماني، مجلة الأصالة، العدد 41، السنة السادسة، 1977، تصدر عن وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، ص ص 80-81

<sup>3</sup> عبد الحميد زوزو، الوضع في منطقة ورقلة قبل الاحتلال الفرنسي، مجلة الصالة، العدد 41، السنة السادسة، 1977، تصدر عن وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، ص 97.

قرى المنطقة<sup>(1)</sup>، بقيت على هذه الحالة فترة طويلة، حيث قام بعض من لجأوا إلى هذه المنطقة من الأمازيغ والسود والإباضيين إلى بناء النواة الأولى لمدينة ورقلة في الشمال الشرقي من مكان وجود المدينة القديمة وازدادت الهجرة إليها لما تمتلكه من امكانيات طبيعية هائلة، فتوسع عمرانها وازداد سكانها وازدهرت اقتصاديا.

ومنذ هذا العهد أصبحت المدينة مقسمة إلى ثلاثة أحياء، يقطن في الحي الشمالي "بنو سيسين" والشرقي "بنو ابراهيم" وأما الحي الغربي فيقطنه "بنو واجين" وكان للمدينة ستة أبواب، على أساس أن لكل حي من الأحياء الثلاثة بايين، فالحي بني ابراهيم باب "عمار" وباب "عزي"، ولحي بني واجين باب "ربيعة" وباب "الريح"، وأما حي بني سيسين فله باب "السلطان" أو "عين بوسحاق" وباب "أحمد"، تحيط بالمدينة خنادق مغمورة بالمياه كوسيلة دفاعية عن القصر.<sup>(2)</sup>

أما واحة نقوسة الواقعة إلى الشمال من ورقلة بحوالي 18 كلم، قدر Daumas "دوما" عدد ساكنها بين 150 إلى 200 مسكن أو (كانون)، في حين قدر "تروملي" Trumelet عدد سكانها بي 138 مسكن<sup>(3)</sup>، وهو أقرب إلى الصواب على اعتبار أن "تروملي" نزل في المدينة وأقام بها وعرض وصفا دقيقا للقصر، بينما تقديرات "دوما" بحوالي 150 إلى 200 منزلا، اعتمد فيه على شهادة أحد شيوخ جماعة مجلس ورقلة الشيخ الحاج معيزة من حي بني واجين<sup>(4)</sup>.

ومدينة نقوسة محصنة بسور مجهز بحوالي 25 إلى 30 برج مربع، ولها خمسة أبواب باب "الزريبة"، باب "العلوش"، باب "تلمونس"، باب "القصبه" وباب "عين الزرقة" نسبة إلى المنبع المائي الذي يغذي المدينة، وبها مسجدين ومدارس وقاضي المكلف بالقضاء<sup>(5)</sup>،

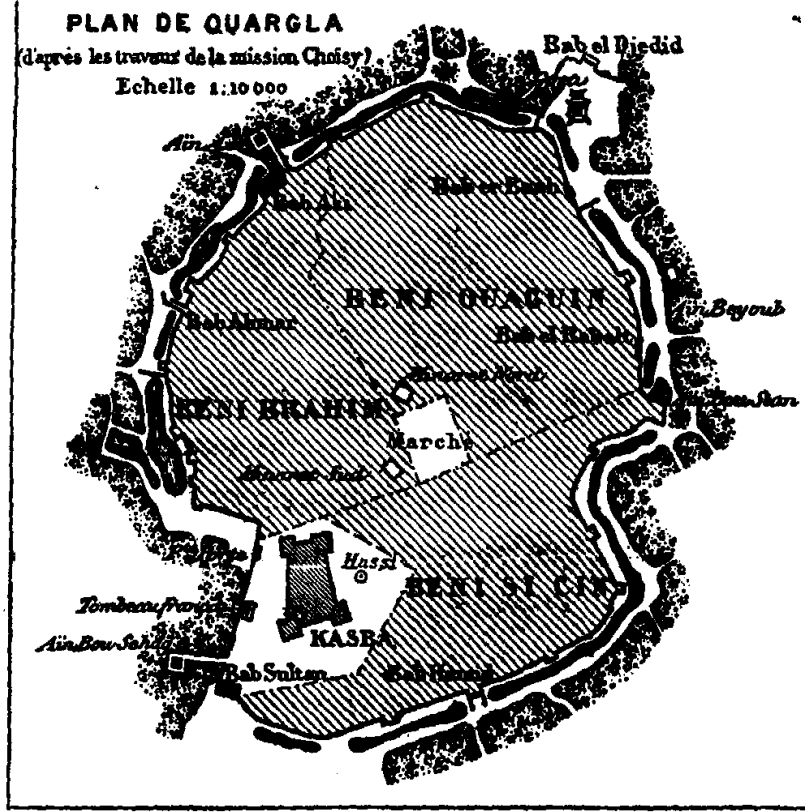
<sup>1</sup> - ابن خلدون، المصدر السابق، ص 1641.

<sup>2</sup> - Daumas L.C, Le Sahara algérien Etude géographique statistique et historique Ed. Langlois et Leclercq, Paris, 1845, pp.73.

<sup>3</sup> - Trumetlet, Les Français dans le Désert, 2° Ed, Challamel et Aine, 1885, p.448.

<sup>4</sup> - Daumas, Op.cit, p 86.

<sup>5</sup> - Ibid, p.88.



خريطة رقم (01): مخطط مدينة ورقلة: (1)

## 2) مقاومة الشريف للتوسع الفرنسي في منطقة ورقلة:

### 1-2) الوصف الجغرافي لمنطقة ورقلة:

تقع هذه المنطقة إلى الجنوب من منطقة وادي ريغ في الضفة الغربية للعرق الشرقي الكبير، وتمتد واحة ورقلة على الجهة الجنوبية لسفج جبل "شعبة المحال" (2) في منخفض "واد مية" الذي يستقبل مياه الأمطار من مئات الروافد المنحدرة من "جبل ساتن" وتنتهي في منطقة المروج أو منخفض السبخة في ورقلة ويبقى مجرى الواد جاف على أغلب فصول السنة ما عدا فترة تساقط الأمطار (3)، وحيث ورقلة هو جزء من المنخفض الصحراوي الكبير يبلغ طوله 30 كم وعرضه يتراوح بين 12-18 كلم ويرتفع عن مستوى سطح البح بحوالي 103 إلى 150 وتحدّه هضبة من الغرب ارتفاعها 230 متر وهضبة أخرى من الشرق ترتفع حوالي 160 متر وهي جزء من العرق الشرقي الكبير،

<sup>1</sup> - Vuillot Paul, l'exploration du Sahara, Etude historique et géographiques, Augustin Challamel Editeur, Paris, 1895, p.177.

<sup>2</sup> - بشير محمد التجاني، تهمة التراب الوطني في أبعادها القطرية، دار الغرب، 2004، ص 185

<sup>3</sup> - O. NEIL, Géographie de l'Algérie, Ed, R.Gauvy libraire, Bône, 1876, p.108.

وعند الاتجاه غربا وجنوبا وشرقا، تبدأ الصحراء المنخفضة في الارتفاع ببطء، إذ يلاحظ ذلك عند حدودها مع هضاب ميزاب، تادمايت حمادة تنغرت والظهرة<sup>(1)</sup>.

أما واحة ورقلة تقع في منخفض مقفل غربا بانحدارات شديدة للهضبة الصخرية بحوافها المحطمة ومجري السيول المتقطعة التي تمتد إلى متليلي وغرداية حيث تتوزع سلسلة من الكور المتباعدة، ويشتهر مركز المنطقة بواحاتها وكثرة نخيلها<sup>(2)</sup>، تأخذ هذه الواحة شكل إهليلجي يمتد على مسافة 05 كلم من الشمال إلى الجنوب وحوالي 04 كلم من الشرق إلى الغرب وعلى بعد 12 كلم يقف جبل "كريمة"<sup>(3)</sup>.

المناخ: يسود المناخ القاري الحار والجاف صيفا وجاف بارد شتاء، قليل المطار المقدر متوسطها ب 26 ملم بين شهر أكتوبر وشهر جانفي وأحيانا تتعرض المنطقة إلى أمطار طوفانية تكون بين مارس وسبتمبر، أما درجة الحرارة فتكون مرتفعة أغلب شهور السنة بحيث تصل في فصل الصيف إلى 45° وتتجاوز 50° في بعض الأحيان وتنخفض شتاء ما دون 10 درجات ولكن لفترة قصيرة<sup>(4)</sup>.

## 2-2 الموارد المائية:

السطحية: بالنظر إلى طبيعة المناخ، فإن المجاري المائية السطحية تكون منعدمة وإن وجدت بعد سقوط الامطار فإنها تغور في الكثبان الرملية أو يكون مصبه في بعض الشطوط في شكل بحيرات، ويكون اتجاه المجاري السطحية من الغرب الأكثر ارتفاعا إلى المناطق الشرقية الأقل انخفاضا وأهم هذه الأودية واد ميزاب شمالا ووادي ريغ ووادي مية الذي تغذيه أمطار هضبة تادمايت.

الباطنية: المياه الباطنية تتوزع على أربع طبقات مائية باطنية تأتي الطبقة الأولى على عمق لا يتجاوز 20 متر وتعتمد على المياه السطحية، وتأتي طبقة المياه الرملية والتي يقدر سمكها حوالي 100 متر وتقع على عمق يتراوح بين 50 و100متر وتستخدم للري أما طبقة المياه

<sup>1</sup> - محمد رشدي جراية، الصحراء الجزائرية، دراسة في الجغرافيا، مجلة البحوث والدراسات، العدد، السنة 14، 2017، ص 343.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 344.

<sup>3</sup> - O. NEIL, Op.cit, p.108.

<sup>4</sup> - الدليل الاحصائي، مديرية التخطيط والتنمية العمرانية، 2008.

الكلسية ويتجاوز عمقها 150 متر ويقل سمكها كلما اتجهنا غربا وأخيرا المياه القارية المرتفعة وأكثر عمقا ومياهاها ساخنة يفوق عمقها 800 متر.<sup>(1)</sup>

### 3-2) التركيبة البشرية والتنظيم الاجتماعي:

كان للتركيبة البشرية لمنطقة ورقلة من حيث السكان الحضر والبدو الرحل دور كبير ومحوري في تشكل الأوضاع السياسية التي عرفتها ورقلة ونقوسة والقصور التابعة لكل منهما قبيل المقاومة الشعبية ضد الاحتلال الفرنسي، أي قبل 1851 واستمر هذا التأثير خلال مرحلة المقاومة حتى سنة 1854.

اعتمدنا في التعريف بالمنطقة من الناحية الجغرافية والبشرية، في سياقها التاريخي أي خلال القرن التاسع عشر لارتباطها بالأحداث السياسية التي شهدتها أثناء وبعد اندلاع المقاومة واستمراريتها ضد الاحتلال.

تعتمد هذه المنطقة في نشاطها الاقتصادي على إنتاج التمور حيث تضم واحة ورقلة غابة من النخيل تمتد على مسافة 05 كلم من الشمال إلى الجنوب في شكل إهليلجي، وعرضها حوالي 04 كلم ويقدر عدد سكانها بحوالي 2500 نسمة<sup>(2)</sup>، وتحيط بالمدينة مجموعة من القصور والقرى الصغيرة مشكلة الواحة التي تمتلك 400 ألف نخلة وهذه القصور هي:

للـ الرويسات: يبعد بميل ونصف غرب عاصة الواحة يضم حوالي 40 منزلا في وسط غابة من النخيل ويتميز بترته الخصبة ووفره مياهاه القريبة من السطح، لذلك تشتهر بكثرة بسايتها وتنوع انتاجها.<sup>(3)</sup>

للـ الحجاج وعين عامر: تقع القريتين على بعد ميلين جنوبا وتضم الأولى 60 منزلا والثانية ما يقارب 100 منزلا في وسط غابة من النخيل، مع توفر منابع مائية عذبة وتحتوي كذلك على سبخة مالحة يوفر حوالي 500 حمولة جمل من الملح في بعض الفصول.<sup>(4)</sup>

للـ سيدي خويلد: يقع جنوب شرق ورقلة بحوالي 05 إلى 06 أميال، تضم عائلة من الأشراف المرابطين لذلك لا تدفع الضريبة، ورغم موقعها الذي يتوسط الكثبان الرملية إلا أنها محاطة بغابة كثيفة من المخيل ومياهاها متوفرة وعلى عمق بعض الأقدام فقط.<sup>(1)</sup>

<sup>1</sup> - Henri Schirmer, Le Sahara, Ed. libraire Hachette, Paris, 1893, p181.

<sup>2</sup> - O. NEIL, Op.cit, p.225.

<sup>3</sup> - Daumas, Op.cit, p.80.

<sup>4</sup> - Ibid, p.80.

لما نقوسة: وهي أهم قصور وقرى المنطقة من الناحية الاقتصادية وخاصة من الناحية السياسية فقد كانت المنافس الوحيد لورقلة وتزعمت المنطقة بكاملها في عهد أسرة بني بابية الحاكمة.

تقع هذه الواحة في الشمال الشرقي لورقلة بحوالي 18 كلم وقدر Daumas عدد سكانها بين 150 إلى 200 منزلا في أربعينيات القرن 19 معتمدا على شهادة أحد أعضاء مجلس شيوخ ورقلة من بني واجين الشيخ الحاج المعيزة<sup>(2)</sup>، أما الضابط trumelet الذي قام بزيارتها حوالي سنة 1860 قدر عدد السكان ب138 منزلا<sup>(3)</sup>، وهي محاطة بسور مجهز بحوالي 25 إلى 30 برج مربع ولها خمسة أبواب باب الزريبة، باب العلوش، باب تلمونست، باب القصبية وباب عين الزرقة نسبة إلى المنبع المائي الذي يغذي المدينة<sup>(4)</sup>.

تتميز منطقة ورقلة بالتنوع الكبير في الأصول العرقية المختلفة من الناحية المورفولوجية ولون البشرة فقد وفد على هذه المنطقة عدة أجناس من جميع الجهات وفي فترات تاريخية سابقة، فكانت النتيجة تكون نسيج بشري متنوع وخاص بالمنطقة.

### 1-3-2 السكان الحضر:

هم سكان مدينة ورقلة الذين يمثلون الحضر أو سكان المدن والقرى أو الواحات التي ترتبط بعاصمة المنطقة وهي مدينة ورقلة ارتباطا وثيقا، فكانت الأوضاع التي تعيشها هذه المدينة تنعكس على كل الواحات والقرى المحيطة بها سلبا أو إيجابا،

ينتمي سكان هذه المدينة إلى قبيلة زناتة البربرية التي ينتمي إليها السكان الأوائل لمنطقة ورقلة ومنحوا اسمهم لهذه المنطقة فقد قال ابن خلدون في العبر « بنو واركلا هؤلاء احدى بطون زناتة، ... وكانت موطنهم، قبيلة الزاب واختلفوا المصير المعروف بهم لهذا العهد على ثماني مراحل من بسكرة في القبلية عنها ميامنة إلى المغرب. بنوها قصورا متقاربة الخطة. ثم استبحر عمرانها فائتلفت وصارت مصرا واحدا ... وسكانها لهذا العهد من أعقاب بني واركلا وأعقاب إخوانهم بني يفرن ومغراوة

<sup>1</sup> - Ibid, p.81.

<sup>2</sup> - Ibid, P.80.

<sup>3</sup> - Trumetlet, Op.cit, p.448.

<sup>4</sup> - Daumas, Op.cit, p.88.

«(1)، مكون من بني واركلا وبني يفرن ومغراوة والفروع الثلاثة هذه تنحدر أو تنتهي إلى قبيلة زناتة ولكن اختفت هذه التسميات وحل محلها أسماء العروش التي تفرعت من بني ورقلة الذين قاموا ببناء المدينة وهم ثلاثة عروش "بنو واجين" ويسكنون في المنطقة الغربية- و"بنو سيسين" يحتلون المنطقة الشمالية – عن المدينة و"بنو ابراهيم" يتمركزون في الجهة الشرقية.(2)

## 2-3-2) البدو الرحل:

يمكن حصر القبائل الرحل الكبرى والمؤثرة في الأوضاع السياسية في المنطقة في ثلاث قبائل

هي:

المخادمة: وتضم بني حسان، أولاد نصر، بني خليف، بني ثور، العميرات، أولاد أحمد، وتملك 60 فارسا وحوالي 500 بندقية، وتتمركز قيادة القبيلة في الأجواد من أولاد أحمد وكان الشيخ عبد الله بن خالد شيخ هذه القبيلة في هذه الفترة(3)، ومجال تنقلهم في جنوب شرق ورقلة في اتجاه قاسي طويل وغدامس، ويقصدون شتاء شمال غرب غرداية، وهناك قسم من بني ثور يقيم باستمرار في قصري الرويسات وعين احمار.(4) وترتبط هذه القبيلة بحي بني سيسين داخل ورقلة.(5)

الشعانية بوروية: ونضم أولاد اسماعيل- أولاد بوبكر، أولاد فراج، أولاد بوسعيد، أولاد زيت، تملك حوالي 30 فارسا وما بين 200 إلى 300 بندقية(6)، ومجال ترحالهم جنوبا حتى غدامس، وشمالا إلى تماسين بالقرب من توقرت، وعين صالح في الجنوب، وغربا حتى وادي الغربي عند سفوح جبال القصور، وتعد ورقلة مركز مجال ترحالها حيث تعود إليها في فصل الخريف لجني التمور.(7)

قبيلة سعيد عتبة: وأهم فروعها فتناسة أو الرحابة بني منصور، صيرات، التعمارات وأولاد فوضيل وهم من الأجواد يتزعمون القبيلة، وكان الشيخ سعد زعيم هذه القبيلة، وتخزن

<sup>1</sup> - ابن خلدون، المصدر السابق، ص 1830-1831.

<sup>2</sup> - الدليل الاحصائي، مديرية التخطيط والتهيئة العمرانية، 2008.

<sup>3</sup> - Daumas, Op.cit, p.82.

<sup>4</sup> - عبد الحميد زوزو، الوضع في ورقلة قبل الاحتلال، المرجع السابق، ص 102.

<sup>5</sup> - Service de Affaire Arabes, Notes pour servir à l'histoire de Ouargla 1885, R.A, Vol 64, Année 1923,p p.386-387.

<sup>6</sup> - Daumas, Op.cit, p.83.

<sup>7</sup> - Charles Amat, le Mzab et les Mozabites, Ed. Challamel, Paris, 1888, pp.35-36.

هذه القبيلة احتياطاتها من الحبوب في غرداية ونقوسة وورقلة، ويمتلكون ثروة حيوانية ضخمة من المواشي والإبل التي يؤجرونها لنقل السلع بين ورقلة وبني ميزاب، وتمتلك حوالي 100 فارس و500 بندقية، أما مجال ترحالهم على طول منخفض "وادي النسا" وبين الأغواط وتاجرونة متجهين نحو تيارت<sup>(1)</sup>،

الملاحظ أن مجال ترحالهم بعيد عن مناطق القبائل الأخرى، ويعود ذلك لعدة أسباب أهمها العداء القائم بين الحلف الذي يضم سعيد عتبة وبني واجين داخل ورقلة، ضد الحلف الذي يضم المخادمة وبني ثور وحليفهم من الحضرة بني سيديسين، وحاول صاحب كتاب الميزاب والميزايون أن يقسمهم إلى حلفين الأول شرقي والثاني غربي، ويعود سبب هذه العداوة المستشرية بين هذين الحلفين في موقف قبيلة سعيد عتبة عند دخول الأتراك، حيث أعلنت تبعيتها لهم، وأصبحت قبيلة مخزنية مهمتها توفير الحماية لجباة الضرائب من الأتراك مقابل إعفاءهم من دفع الضريبة، واستمرت في هذا الموقف من القوى الأجنبية الغازية، حيث كانت أول القبائل البدوية التي أعلنت استسلامها للفرنسيين.<sup>(2)</sup>

### 3) الأوضاع السياسية في المنطقة قبل الاحتلال:

بدأ استقرار البدو الرحل في المنطقة بالشكل الذي عرفه هذا الاستقرار في الفترات اللاحقة، منذ بداية 17م، فقد تميزت الفترة التي سبقتة بالفوضى السياسية وكثرة الحروب والنزاعات الداخلية بين الأعراس الحضرية الثلاثة (بنو واجين- بنو سيديسين- بنو ابراهيم) في مدينة ورقلة وتدخل قبائل البدو الرحل في هذه النزاعات إضافة إلى العداء التاريخي بين سلطنة نقوسة وورقلة.

وتعود أسباب للاستقرار في المنطقة إلى السياسة التي طبقها الأتراك العثمانيون في المنطقة والمتمثلة في:-

للم تقرب من شيوخ القبائل المرابطين الذين لهم نفوذ وصيت بين القبائل، عن طريق إسقاط كل الالتزامات المخزنية مثل الضرائب وتقديم الهدايا وإصدار فرمانات التولية مقابل تعهد هذه القوى المحلية بالمحافظة على الاستقرار والتبعية للدولة العثمانية وجباية

<sup>1</sup> - Ibid, p.46.

<sup>2</sup> - Ibid, pp.39-40.



الضرائب وتأمين الطرق التجارية. فلعبوا دور الوسيط بين السلطة العثمانية والقبائل المحلية.

لثانيا خلق نوع من الصراع بين القوى الداخلية حول الامتيازات الداخلية وتغذية هذه الصراعات وإدارتها بحيث تقضي على القوى القبلية الناشئة مثل العداء القائم بين أحلاف "الشعابنة" و"المخادمة" و"بني ثور" و"سعيد عتبة" بصحراء ورقلة، وأهم الأمثلة في الجنوب الشرقي الصراع الكبير الذي كان بين "بوعكاز" و"بن قانة" و"بن جلاب".

لثالثا: القيام بحملات انتقامية تأديبية مفاجئة عندما تستدعي الظروف ذلك مثل الامتناع عن الالتزام بالواجبات المخزنية، وإخضاع هذه القبائل وإجبارها على الطاعة، وولاءها الديني والسياسي للدولة العثمانية، فقد ذكر العياشي في رحلته "ماء الموائد" عندما مرّ بورقلة قائلا: "... ودعا الإمام في خطبته، ثم للسلطان الأعظم الحاقان محمد بن براهيم بن مراد، ثم سلطان بلده مولاي علاهم".<sup>(1)</sup>

كانت نتائج هذه السياسة كثرة النزاعات والقتلات بين التكتلات والأطراف المتحالفة الأمر الذي أثر على الحياة الاقتصادية، ومما زاد الوضع سوءا الزلزال الذي نزل بالمنطقة والفيضانات التي أعقبته وصححها انتشار الأمراض، مما أدى إلى عدد كبير من الخسائر في الأرواح وتدهور في الوضع الاقتصادي والاجتماعي<sup>(2)</sup>، وظن الكثير أنه غضب من الله، فتقرر بالإجماع من أعيان العروش، اختار حكم الأشراف من المغرب، وأُرسِل وفد إلى "فاس" قصد تعيين أحد أفراد العائلة المالكة في حكم مشيخة ورقلة، وكان مولاي علاهم أصغر الأبناء الأربعة في العائلة المالكة في فاس، واشترطوا على الوفد الورقلي أن يدفع وزن الحاكم الشاب ذهباً، وتمت الصفقة، وانتقل لحكم ورقلة بشروط أهمها أن يملك ولا يتدخل في شؤون العروش.<sup>(3)</sup>

<sup>1</sup> - رحلة العياشي، ص 114.

<sup>2</sup> - دينيس بيلي، دراسة حول تسلسل الأحداث التاريخية بورقلة، تر: علي إيدار، مطبعة الولاية، ورقلة، 1995، ص ص 07-08.

<sup>3</sup> - L. Charles. Féraud, vol.26,1882,Op.cit., p.374.

و عبد الرحمان حاجي، ورقلة تاريخ وحضارة، ج1، الجزائر، 2010، دار هومة، ص 40.

### 1-3 فترة حكم آل علاهم في ورقلة

وكانت بداية فترة حكم مشيخة آل علاهم في ورقلة سنة 1602. وقد نشر "René Basset" في مجلة "Correspondence Africaine" نص الوثيقة المخطوطة التي أرّخت لمشيخة آل علاهم في ورقلة.<sup>(1)</sup>

كانت هذه المرحلة بداية فترة سياسية وعهد جديد وأصبحت ورقلة إمارة مستقلة وكانت بداية ظهور القبائل العربية البدوية، حيث اتخذ مولاي "علاهم" من إحدى القبائل البدوية التي جاءت في نواحي ورقلة للبحث عن المرعى لمواشيها. اتخذ منها مزارقية أو كقوة مخزنية داعمة له، وهي قبيلة الشعانبة "أهل الزريبة" وبعدها قبل مولاي "علاهم" باستسلام أو الدخول في طاعته لقبيلة "بني ثور" من البدو الرحل التي اضطرتها ظروف الجفاف والقحط على مغادرة ديارها في الجريد التونسي إلى ورقلة.<sup>(2)</sup>

حاول "علاهم" خلق نوع من التوازن بين القبيلتين والاستعانة بقبيلة "بني ثور" لاستعادة سلطته التي بدأ يفقدها أمام قبيلة الشعانبة، لذلك اندلعت عدة معارك بين القبيلتين، ذهب ضحيتها عدد كبير من القتلى من الطرفين، وانتهت بتدخل الولي الصالح سيدي "الحاج بوحفص ابن سيدي الشيخ" الذي كان في طريقه إلى الحجاز، وانعقد الصلح بينهما، وكان من نتائجها هجرة فرعين من شعانبة متليلي إلى ورقلة هما "بوروبة" التي أصبحت قبيلة الشعانبة بوروبة و"بوسعيد" الذي منح اسمه لقبيلة بوسعيد.

وتعززت المنطقة بقبيلتين آخرين هي المخادمة والذين استقروا في ورقلة ورويسات ورحب بهم من طرف بني ثور كحليف ضد هجمات قبيلة حميان وقبيلة سعيد عتبة الذين استقروا في نقوسة.<sup>(3)</sup>

<sup>1</sup> - René Basset, Les manuscrits arabes des Bibliothèques des Zaouïas de Ain Madhi et Temacin de Ouargla et de Adjadja, B.C.A, 4<sup>ème</sup> année 1885. T. III, Ed Fontana, Algérie 1885. p.226..

<sup>2</sup> - Ch. Ferdaud, vol.26, 1882, Op.cit., p.375.

<sup>3</sup> - Ibid, p.375-376.

### 2-3) التوازنات بين القوى المحلية في المنطقة :

كان لهذه التركيبة الاجتماعية المفككة والعلاقات الداخلية التي تسيطر عليها صراعات والانشقاقات - التي غالبا ما كانت نهايتها حروب وتخريب -، دور كبير في الفترة اللاحقة، في مواجهة الاستعمار الفرنسي في المنطقة، لذلك كان من الأهمية بمكان التطرق باختصار إلى توزيع القوى المحلية وأهم المراحل والأحداث التي رسمت الخريطة السياسية لهذه المنطقة.

كانت بداية تبلور الوضع السياسي في منطقة منذ بداية حكم أسرة علاهم المغربية سنة 1602 التي جاءت بعد حالة من للاستقرار والفوضى في المنطقة وكانت بطلب من سكان المنطقة، وعندما استقرت بها الأوضاع، تحالفت مع قبيلة الشعابنة أهل الزريبة التي بدأت تحاول الانفراد بالسلطة دون الرجوع إلى الأسرة الحاكمة، لذلك قبلت الأسرة الحاكمة "آل علاهم" بلجوء قبيلة "بني ثور" التي اضطرتها ظروف القحط والجفاف في الجريد التونسي إلى الاقتراب من مراعي إقليم ورقلة، وكان الهدف من قبول الوافد الجديد، خلق توازن بين القبيلتين، وكان لهذه الوفادة الجديدة على المنطقة دور في إثارة النزاع بين "الشعابنة" وقبيلة "بني ثور"، ولم تنتهي هذه الحرب إلا بوساطة الصلح الذي أتمه الولي الصالح "الحاج بوحفص بن سيدي الشيخ" الذي كان ذاهبا إلى الحج وجاء السلم على يديه<sup>(1)</sup>، فنتج عن فترة الاستقرار السلام هذه، هجرة فصيلتين من شعابنة متليبي وهما المجموعة الأولى وكانت تحت قيادة بوروبة فأخذت هذه القبيلة اسم الشعابنة بوروبة، والمجموعة الثانية بقيادة بوسعيد وأخذت كذلك هذه المجموعة اسم قائدها الشعابنة بوسعيد<sup>(2)</sup>، وتعززت المنطقة بقبيلتين أخريين هما قبيلة سعيد وتدعى فيما بعد المخادمة التي استقرت في ريف ورقلة، وقبيلة سعيد عتبة التي استقرت في نقوسة.<sup>(3)</sup>

وتشكلت هذه التركيبة القبلية للمنطقة بين سنة 1604-1650 وقد قسمها المؤرخ والمستكشف والرحالة الفرنسي "فيرو" إلى حلفين أو كتلتين وأعتمد في هذا التقسيم على أساس ولاء القبائل لفرنسا واستخدم اسم الصف بمعنى الكتلة، وأعد جدولا إحصائيا معتمدا على إحصاء سنة 1882م.

<sup>1</sup> - Feraud, R.A, Vol.30,1886,Op.cit., p375 .et Service des affaires arabe, Op.cit, pp.386-387

<sup>2</sup> - Ibid, p.387.

<sup>3</sup> - Ibid, p376

- وكان تقسيمه الصف الشرقي<sup>(1)</sup> وكان مواليا ومؤيدا للوجود الفرنسي في المنطقة.

القبيلة	المشاة	الفرسان	المهاري	عدد المقاتلين
سعيد عتبة	331	118	//	
نقوسة	138	//	//	
بني وجين	147	//	//	
المجموع	616	118	//	734

أما عن الصف الغربي<sup>(2)</sup> الذي يشكل حلف المقاومة ضد الاستعمار حسب إحصاء 1882

دائما:

القبيلة	المشاة	الفرسان	المهاري	عدد المقاتلين
المخادمة	225	18	152	//
بني ثور	30	22	58	//
بني سيسين	128	//	//	//
الشعانية	375	//	319	//
رويسات	48	//	03	//
المجموع	806	40	532	1378

أما الكتل الثالثة المحايدة وكانت أقل أهمية وقوة فكانت تتكون من:

بني ابراهيم	الشط	عجاجة	سيدي خويلد	المجموع
147	111	180	39	477

<sup>1</sup> - Service des affaires arabe, Op.cit, p.388

<sup>2</sup> - Ibid, p390.

بعد نهاية فترة حكم السلطان علاهم في ورقلة بدأت سلسلة من الحروب وحالة من الفوضى والاستقرار في المنطقة، وكانت البداية سببه الخلاف الذي دبَّ بين أبناء السلطان "علاًهم" وصراعهم على السلطة، حيث ترك أربعة أبناء مولاي "سليمان" ومولاي "موسى" ومولاي "علي" ومولاي "حسن" كانت ولاية العهد للابن الأكبر مولاي سليمان الذي خلف أباه، ولكنه أغتيل، فنصب مكانه مولاي موسى الابن الثاني، فانتقل الصراع بين ابن مولاي سليمان المسى مولاي علاهم الثاني، و مولاي موسى الذي تمكن من إثارة المخادمة وبني ثور وحضر بني سيسين ضد ابن مولاي سليمان مولاي علاهم الثاني الذي لجأ إلى حي بني "وجين" وتحصن به وطلب الدعم والمساعدة من قبيلة "سعيد عتبة" التي التحقت به من نقوسة، وبعد صدام دام أربعة أيام، بقي ميزان القوة لصالح مولاي موسى واستمرت سيطرته على ورقلة، ونتج عن هذه الحادثة انقسام المنطقة سياسيا إلى فريقين الأول هو قبيلة مخادمة وبني ثور البدو مع قبيلة بني سيسين الحضرية، والثاني سعيد عتبة من نقوسة متحالفة مع قبيلة بني وجين الحضرية، أما بني ابراهيم وهي القبيلة الحضرية الثالثة في ورقلة فقد كانت موفقةا من الصراع تحدده المصلحة الظرفية.<sup>(1)</sup>

استمرت حالة الفوضى والحروب منذ هذه الفترة وأصبح الصراع بين نقوسة وحليفها في ورقلة من بني وجين ضد الحلف الثاني ممثلا في بني سيسين وحلفاءها من المخادمة وبني ثور الذي ظل مسيطرا على الوضع السياسي لمدة طويلة، ولكن لم يدم هذا الوضع بحيث تحالف نقوسة أو سعيد عتبة مع قوى جديدة وافدة على المنطقة تمثلت في "الحرزلية" و"الأرباع" وتمكنت بفضل الحلفاء الجدد من السيطرة على الوضع في المنطقة وتمخض عن هزيمة "المخادمة" و"بني ثور" و"بني سيسين"، وضع سياسي جديد أصبحت فيه نقوسة التي تحكمها مشيخة بني بابية، هي مركز السلطة وسعيد عتبة المتحكمة في مصير المنطقة، وخضعت ورقلة لها بالقوة<sup>(2)</sup>.

### 3-3 فترة حكم أسرة بني بابية:

وكانت السلطة في نقوسة في يد أسرة أو مشيخة بني بابية، وراثية وتتميز بالانسجام العرقي، عكس ورقلة فقد كانت ملكية مقيدة أي الملك يملك ولا يحكم والسلطة في يد مجلس الشيوخ المكون من 12 عضوا موزعين بالتساوي بين أحياء ورقلة الثلاثة. بني وجين وبن سيسين وبني ابراهيم

<sup>1</sup> - Feraud, R.A, Vol 30, 1886,Op.cit, p.388.

<sup>2</sup> - Feraud, R.A, Vol 30, 1886,Op.cit, p.388.

كما سبق، لذلك لم يكن منسجما ودائم الاضطراب والقلائل والانقلابات، وكان لهذا الاختلاف في طبيعة السلطة السياسية الحاكمة في كلتا المدينتين دور في استمرار هذه الصراعات والحروب بين هذه الأطراف.<sup>(1)</sup>

#### 4 انعكاسات الظروف الداخلية السياسية:

ساعدت الأوضاع السياسية والاقتصادية التي عرفتها منطقة ورقلة في النصف الأول من القرن 19، فرنسا على بسط نفوذها على المنطقة وبأقل التكاليف، فحسب الدراسات التاريخية والحملات الاستكشافية و التجسسية على المنطقة عامة ( من وادي ريغ –ورقلة ووادي ميزاب) والتي انتهت إلى أن الصراع داخل المنطقة وعدم الاستقرار السياسي بلغ ذروته في المنطقة، فقد تعاقب على السلطة في ورقلة بين 1841-1849 ستة سلاطين هم: مولاي الطيب الذهبي - عبد القادر- علي المغتال ومولاي مسعود الذي حكم ثلاثة أيام ومولاي أحمد آخر سلاطين أسرة علاهم الحاكمة في ورقلة، ولم يدم حكم هذا الأخير إلا شهرين، إضافة إلى الصراع الذي كان قائما بين أسرة بني جلاب في توقرت وأسرة بني بابية في تماسين وأطماعها في ورقلة.

وكانت الدسائس والمؤامرات الداخلية بين أفراد الأسرة مدعمين بالقبائل الحضرية الثلاث في ورقلة وحلفاء كل منهم من القبائل البدوية المحيطة بورقلة، دور في ضعف الجميع وانهيار السلطة وانتشار الفوضى، واستعادة ورقلة سيادتها السياسية، بعد أن رضخت لنفوذ وسيطرة أسرة بني بابية في نقوسة لمدة طويلة. وبداية من سنة 1841 عندما حدث الانقسام والخلاف داخل قبيلة "سعيد عتبة" التي كانت مكونة من الفروع التالية:

/	فتناسة
/	رحبات
بني منصور- صبرات- الأمرات	أولاد يوسف

<sup>1</sup> - لمزيد من التفاصيل ينظر:

Basset.R, Les manuscrits arabes des bibliothèques de Zaouïas de Ain-Madhi et Temacin de Ouregla et de Adjadja, B.C.A, 4<sup>ème</sup> année 1885. T.III, Ed. Fontana, Alger, 1885, pp.225-241.

وكان السبب في هذا النزاع أدى إلى حرب قاتلة هو نزاع بين رجل من فتناسة وآخر من صبرات أحد فروع أولاد يوسف الذين انتصروا في هذه الصراع ففرت فتناسة إلى الرويسات بالقرب من ورقلة ثم تحالفوا مع المخادمة، بني ثور، الشعابنة، ثم أشعلوا ثورة في ورقلة وقاموا بتنحية مولاي مسعود حاكم في ورقلة الموالي لبني بابية في نقوسة، ونصب مكانه مولاي الطيب، ثم قام هذا التحالف المكون من (فتناسة-رحبات-المخادمة-بني ثور-الشعابنة) بالزحف على نقوسة، وقاموا بتنصيب الحاج أحمد بن محمد بن بابية الذي تم الانقلاب عليه من طرف ابنه محمد بن بابية الذي فر مع أولاد يوسف المنهزمين ولكن سنة 1842م تم الصلح، ورجع أولاد يوسف ومعهم الشيخ محمد بن بابية الذي انقلب على أبيه فأمر بإعدامه ونفذ فيه هذا الحكم أخوه عبد القادر<sup>(1)</sup>.

واستمر هذا النوع من الانقسامات والصراعات خلال سنتي 1842-1843م بين المخادمة وبني ثور بعد تحالف ووحدة دامت قرون، وانضمت إلى هذه الحروب المحلية الفروع الأخرى لقبيلة سعيد عتبة. فتميزت هذه المرحلة بفوضى عارمة وصراعات داخلية وعدم استقرار سياسي، ساهم بشكل كبير في تحضير الأرضية والظروف للاحتلال الفرنسي.<sup>(2)</sup>

أما العوامل الاقتصادية تتمثل في أهمية موقع مدينة ورقلة كسوق يعد ملتقى المناطق الجنوبية الصحراوية بالمناطق التلية الشمالية، حيث يتم تبادل السلع الآتية من جميع المناطق، ولكن بعد الاكتشافات الجغرافية واكتشاف طرق تجارية جديدة، وازدهار تجارة أوربا عبر طرقها البحرية مع المناطق الإفريقية التي عوضت الطرق البرية الداخلية، فكسدت أسواق المدن الداخلية التي كانت تلعب دور الوسيط عبر الطرق البرية داخل الصحراء خاصة ومن بينها ورقلة إضافة إلى انعدام الأمن وانتشار اللصوصية والسرقة والغزو على القوافل التجارية التي أصبحت تتجنب الطريق المؤدي إلى ورقلة. فبدأ نجمها في الأفول وضعف مركز ورقلة الاقتصادي.

<sup>1</sup> - Service des affaires arabe, Op.cit, p388

<sup>2</sup> - Ibid, p389.

## 5) بوادر الأولى للاحتلال غير المباشر لمنطقة ورقلة:

بدأ الزحف العسكري الفرنسي على الجنوب بعد النجاح في احتلالها لبوغار وتيارت 1843 وبسكرة 04 مارس 1844 ثم الحملة على الأغواط، وتنصيب أحمد بن سالم خليفة على المنطقة والاقتراب من المناطق الجنوبية، وكانت ورقلة على لائحة المناطق التي يجب احتلالها.<sup>(1)</sup>

والحادثة التي أثارت اهتمام الفرنسيين بورقلة، هي المحاولة التي قام بها الشيخ عبد الرحمان بن جلاب سنة 1848 لاحتلال ورقلة بتأييد من الاحتلال ودعم من قبيلة السلمية وأولاد مولات وأولاد السايحة، لإعادة تنصيب مولاي الذهبي، مكان مولاي الطيب، بالتواطؤ مع بني وجين داخل ورقلة ولكن المحاولة فشلت، فعمد الجلابي إلى سلب ومصادرة ماشية بني وجين، ففقد بهذا العمل العدائي حلفاءه في المنطقة مما جعل حكومة الاحتلال تقرر استبعاده من لائحة الأطراف الذين يمكن الاعتماد عليهم في حكم المنطقة واحتلالها ثم إدارتها.<sup>(2)</sup>

في حين طموح شيخ نقوسة من آل بابية، استغلته فرنسا في فرض الاستسلام على بعض القبائل ووفرت الذريعة للتدخل في المنطقة، إضافة إلا أنها لا يكلفها شيئا، فقد صرح «تروملي» في كتابه "الفرنسيون في الصحراء"، «لا يمكننا رفض عرض بن بابية، لأنها كانت تساعدنا على التوسع في الصحراء، وفي حالة الفشل لا نخسر الكثير بما أننا ندعمه بالأهالي فقط<sup>(3)</sup>»، ففي سنة 1849 قام الشيخ الحاج أحمد بن الحاج محمد بن بابية، بإرسال ابنه بوحفص إلى القائد العسكري في تيارت ومنها توجه إلى مدينة الجزائر، التي وصلها - الشيخ بوحفص - يوم 06 جويلية وبرفقتة "الحاج عدّة بن ساعد" شيخ قبيلة "سعيد عتبة"، حاملا رسالة من شيخ نقوسة يعترف فيها بالسلطة الفرنسية ويلتزم بدفع الضريبة السنوية، ودعّم هذا الاقتراح الحاكم العسكري لتيارت<sup>(4)</sup>، فتمت الموافقة على ذلك، وعين الحاج "أحمد بن الحاج محمد بن بابية" خليفة على نقوسة وكونفدرالية ورقلة والقبائل الثلاث التي تحطّ رحالها بالقرب من صور مدينة تماسين، وتم تعيينه رسميا 1849/11/20 م ووضعت قوة من جبال عمور مكونة من 200 فارسا لدعمه.<sup>(5)</sup>

<sup>1</sup> - Ibid, p.293.

<sup>2</sup> - Feraud, R.A, Vol 30,1886, Op.cit, p.376

<sup>3</sup> - Trumelet, Op.cit p.35.

<sup>4</sup> - S.A.A. Op.cit, p.424.

<sup>5</sup> - Trumelet, Op.cit p.37.



قام الخليفة بن بابية بمحاولة للسيطرة على ورقلة في ديسمبر 1849 ولكنه فشل في ذلك وتلتها محاولات أخرى كانت كلها فاشلة، رغم الدعم العسكري الذي قدمته فرنسا له مثل قوات من الفرسان من جبال عمور تحت قيادة الدين بن يحيى أخ خليفة الأغاليك لجبل عمور في أكتوبر 1850، وبقيت ورقلة صامدة أمام محاولات الخليفة الجديد الموالي للإدارة الاستعمارية إلى أن توفي يوم 1851/01/19 عند عودته من زيارة قام بها الشيخ بن بابية خليفة إلى تيارت، ومنها إلى وهران، لتقديم فروض الطاعة والاستسلام للسلطة الفرنسية<sup>(1)</sup>، وتعد هذه صورة من صور سياسة الاحتلال في استغلال الوضع السياسي الداخلي المليء بالصراعات الداخلية والحروب لصالحها، والتدخل في الشؤون الداخلية وفرض الحلول التي تناسبها عن طريق عملاءها في المنطقة.

## 6) مقاومة الشريف محمد بن عبد الله:

### 1-6) شخصيته:

تختلف الروايات حول شخصية محمد بن عبد الله فقد صورتها التقارير العسكرية الفرنسية، على أنه خَصُمٌ للأمير عبد القادر انظم سنة 1841 إلى الفرنسيين، ولكن العلاقات ساءت بينه وبين إدارة الاحتلال، فخرج إلى الحج، وهناك اطلع على ظروف العالم الإسلامي، وحقيقة المخاطر التي تحدق به، وكان للقاءه بالسنوسي دور في العودة إلى الجزائر وحمل لواء الجهاد ضد الاستعمار.

وتذكر هذه التقارير أنه كان عبارة عن مرابط بسيط في أولاد سيدي احمد بن يوسف في قبيلة روسل شمال تلمسان ومعلم قرآن في زاوية سيدي يعقوب لأولاد سيد الشيخ.<sup>(2)</sup>

وتتفق أغلب الآراء على أن اسمه الحقيقي هو ابراهيم بن أبي فارس (عبد العزيز) وكان يضيف<sup>(3)</sup> (المدني)\* (نص الرسالة في الملحق رقم 2) في توقيعه للرسائل وهي ليست إشارة إلى المدينة المنورة، وإنما إلى أحد أجداده، ويؤكد ذلك رسالته التي جاء فيها الاسم الكامل « محمد بن عبد الله بن المدني» وكانت هذه الرسالة موجهة من أعمامه من أولاد سيد الشيخ، الأمر الذي يؤكد نسبه إلى

<sup>1</sup> - Ibid, pp.39-41.

<sup>2</sup> - Trumelet, Op.cit, p.44.

<sup>3</sup> - سعد الله، الحركة الوطنية، ج1، ص 355.

\* - جاء فيها الاسم الكامل محمد بن عبد الله بن المدني وكانت هذه الرسالة موجهة إلى أولاد سيدي الشيخ الأمر الذي يؤكد نسبة إلى أولاد سيد الشيخ. ينظر: Appendice la R.A, Vol 39, Année 1895, pp.148-154.

أولاد سيد الشيخ ، ورغم تضارب الآراء حول نسبه إلا أنها تتفق حول أول ظهور له على الساحة الجزائرية، عندما تزعم آغا "روسل" "مولاي الشيخ علي" المعارضة والخروج ضد الأمير عبد القادر، بسبب عدم تقبله سلطة "البوحميدي" خليفة الأمير على تلمسان، فاستمال إليه محور بن عبد الله من زاوية سيدي يعقوب، كزعيم روحي وخاصة وأنه من أولاد سيد الشيخ، حيث تمكن من استمالة فرقة من قبيلة بني عامر وفرقة من أهل جبال ترارة.<sup>(1)</sup>

وعندما علم بذلك الكولونيل "تومبور" Tempoure القائد الأعلى لوهران عن طريق مصطفى بن اسماعيل زعيم بني عامر والعدو اللدود للأمير عبد القادر، قرر الكولونيل مساندة هذه الحركة لأنها ربما تحقق أهداف الاحتلال بأقل التكاليف، وحصل اللقاء بين الكولونيل "تومبور" ومصطفى بن اسماعيل و الآغا الشيخ مولاي علي والشريف محمد بن عبد الله ومعه حوالي 200 فارس عند بني عامر نواحي تموشنت في 13 ديسمبر 1841<sup>(2)</sup>، وقام الجنرال بيجو بحملته على تلمسان في 14 جانفي 1842<sup>(3)</sup>، ويؤكد الشريف محمد بن عبد الله في الرسالة التي بعثها إلى الملك الفرنسي لويس فليب هذا التحالف مع فرنسا بحضور مصطفى بن اسماعيل، وتمكنه من استمالة عدد كبير من القبائل وتفكيك الوحدة التي كانت بينها وبين الأمير، ولكن لم تدم هذه الحالة طويلا، فسرعان ما تخلت عنه هذه القبائل وكان فحوى هذه الرسالة هي المطالبة بإعادة الاعتبار لنفسه في المنطقة التي فقدتها بسبب هذا التحالف<sup>(4)</sup>، ويبدو أن دخول الجنرال بيجو إلى تلمسان بدون مقاومة، كان بفضل العمل الذي قام به الشريف لدي قبائل المنطقة الأمر الذي لم يعترف به تروملي وغيره من قادة الجيش الفرنسي.

وتم تعيين الشريف محمد بن عبد الله خليفة على تلمسان في فيفري 1842، بناء على هذا التحالف، ولكن موقف الشريف من الاحتلال ظهر خلال استدعاءه لِلْقَسَمِ أمام السلطات العسكرية الفرنسية وأعيان المنطقة بحضور مولاي الشيخ علي، حيث رفض الشريف القيام بالقسم على القرآن وبعد إلحاح من "مولاي الشيخ علي" على الشريف، قام بالقسم ولكن بنوع من

<sup>1</sup> - E. Péliissier de Reynaud, Annales Algériennes, Torne 3, Librairie militaire, Paris, 1854, Librairie Bastide, Alger, octobre 1854, pp. 5-6.

<sup>2</sup> - Trumelet, Op.cit, p.46.

<sup>3</sup> - Ibid, p.47.

<sup>4</sup> - G. Esquer, un rival d'Abdelkader, R.A, Vol 68, année 1927, Ajourdon, librairie-Edition, Alger, 1927, pp.430-438.

اللامبالاة ودون أن يضع يده على القرآن ويظهر أن تروملي اقتنع بأن الشريف لا يمكن الاعتماد عليه، وسوف يثور ضد الاحتلال لا محالة<sup>(1)</sup>. ومن الأحداث التي أكدت هذا الطرح هو القوة التي وضعتها فرنسا تحت تصرفه من الكراغلة عندما باشر مهامه كخليفة على منطقة تلمسان، لم تكن تدين له بالولاء، بل كانت تنقل كل تحركاته إلى سلطات الاحتلال.<sup>(2)</sup>

## 2-6 نفيه إلى خارج الجزائر:

كان محمد بن عبد الله يداوم على الاعتكاف بحي العباد وضريح سيد أبي مدين شعيب للتعبد ظاهرا، وللاتصال بأنصاره وأتباعه لوضع خطة للخروج عن طاعة السلطات الفرنسية في الحقيقة والواقع. غير أنه عمل على التمويه حتى لا يثير شكوك الفرنسيين<sup>(3)</sup>، وي طرح تروملي أنه رفض الدخول في المعركة والمشاركة فيها عندما توجهت القوات الفرنسية سنة 1842 بقيادة "Bedeau" في ممر تازة ضد قوات الأمير عبد القادر، ومن هذه المرحلة بدأت سلطة الاحتلال تحاول التخلص منه ولكن بطريقة لبقية، خاصة بعد أن استيقظ الفرنسيون في أحد أيام سنة 1844 على عبارة كتبت على جدران المدينة تلمسان عبارة "محمد بن عبد الله ناصر الدين أبقاه الله وسلطه على رقاب الكافرين".<sup>(4)</sup>

خلال سنة 1847 أظهرت إدارة الاحتلال عزمها على دفعه إلى الرحيل عن الجزائر إلى الحج بهدف نفيه خارج الجزائر حتى لا يتحول إلى خصم جديد، فتوجه إلى البقاع المقدسة وركب هو وعائلته وكتبه سي محمد بن علي، الباخرة من ميناء المرسى الكبير إلى الاسكندرية ومن هناك إلى البقاع المقدسة في الحجاز، أين التقى بالجزائريين وغيرهم من المنفيين من طرف الاستعمار الفرنسي والذين نعتهم بالاستعمار بالمشوشين وهم من الوطنيين الجزائريين.<sup>(5)</sup>

كان محمد بن علي السنوسي الذي طرد ونفي هو الآخر من الجزائر سنة 1849 إلى مكة، الشخصية التي كان لها بالغ الأثر في مسيرة الشريف بن عبد الله عندما التقى به في مكة، وأسسوا

<sup>1</sup> - Trumelet, Op.cit, p.49.

<sup>2</sup> - Ibid, p.49.

<sup>3</sup> - يحي بوعزيز، وثيقتان جديدتان عن كفاح الشريف محمد بن عبد الله، مجلة الثقافة، السنة السادسة، العدد 33، جمادى الثاني، رجب 1396هـ/ يونيو - يوليو 1976 وزارة الاعلام والثقافة - الجزائر - 1976 - ص 13.

<sup>4</sup> - Trumelet, Op.cit, p.50.

<sup>5</sup> - Ibid, p.52.

زاوية في مكة كانت ملتقى المهاجرين من المنفيين الجزائريين، يتباحثون فيها ظروف الجزائر السياسية، وما يمكن القيام به.

ويصرح الشريف في إحدى رسائله الموجهة إلى أبناء عمومته من أولاد سيد الشيخ أنه ذهب إلى الحج من أجل الدراسة وطلب العلم وبقي هناك أربع سنوات، وفي نهاية السنة الأخيرة تلقى الأمر من الشيخ الشريف سي محمد بن السنوسي لذهاب إلى الجزائر والدعوة إلى الجهاد.<sup>(1)</sup>

### 3-6 التحضير السري للمقاومة المسلحة:

توجه الشريف محمد بن عبد الله إلى طرابلس برفقة "عزت باشا" حاكم طرابلس في نهاية سنة 1849 وبداية 1850، ثم توجه عبر غدامس إلى واد سوف أين بقي حتى فيفري 1851، لدراسة الوضع وتحديد أهدافه ونشر دعوته للجهاد<sup>(2)</sup>، واستقر بزاوية الرويسات طيلة سنة 1850 يراقب الأمور عن كثب، ويدرس الأوضاع عن قرب، وفي فيفري 1851 انتقل إلى مرحلة تجسيد مخططه بدعم طبعا من السنوسي الذي استقر في طرابلس وبدأ بمراسلته، وكذلك بعث بعدة رسائل إلى عدة أطراف لخلق جبهة تؤيد الشريف بن عبد الله وكان من بينهم زعيم قبيلة المخادمة "عبد الله بن خالد" يطلب منه تأييد الشريف بن عبد الله في ثورته ضد الاحتلال<sup>(3)</sup>، وبفضل هذا النشاط الدبلوماسي الذي صحب دخول الشريف بن عبد الله ورقلة والدعم التركي من ليبيا ورسائل السنوسي إلى مختلف الجهات والزعامات المحلية، تمكن بن عبد الله من كسب تأييد أغلب القبائل والزعامات المؤثرة في منطقة ورقلة، خاصة السيدة الحاجة الزهرة، الولية الصالحة التي كانت تتمتع بنفوذ كبير في ورقلة ومحيطها، وبذلت جهدا كبيرا في استمالة قبائل وقيادات وشيوخ المنطقة لصالح الشريف، وفي أوت 1851 تقدم ممثلون عن أحياء ورقلة الثلاثة وممثلين عن قصور المنطقة باستثناء - "سعيد عتبة" الذين كانوا مع بني بابية -، إلى الشريف طالبين منه أن يكون سلطانا على ورقلة<sup>(4)</sup>، وأكد الشريف بن عبد الله ذلك في رسائله الموجهة إلى كل من بني يزناسن وسيد الشيخ بن الطيب أبناء عمومته، أنه دخل ورقلة وجدها تحت السلطة الفرنسية فبقي فيها متخفيا مدة شهرين قام خلالها بتوحيد الصفوف ونبذ كل الصراعات والفرقة التي كانت بين أحياءها وكذلك بين

<sup>1</sup> - Marmier, notes sur l'histoire de l'Aghouat, R.A, vol.39, 1895, p 149.

<sup>2</sup> - Trumelet, Op.cit, p.54.

<sup>3</sup> - Ibid, p.56.

<sup>4</sup> - Ibid, Op.cit, pp.60-61.

العرب الرحل ثم دعا إلى الجهاد ضد الكفار<sup>(1)</sup>، ولعل الدور الذي لعبته المرابطة الصالحة الحاجة الزهرة في نشر دعوته واستمالت الناس إليه، ولم تتردد في إبلاغهم بأنه مبعوث من الله ليكون سلطانا على ورقلة ويعمل على تحريرها من سيطرة الكفار المسيحيين.<sup>(2)</sup>

#### 4-6 بداية المقاومة أو المرحلة الأولى لمقاومة الشريف:

بعد أن تولى سلطنة ورقلة قام بإلقاء القبض على خليفة فرنسا بها وكل حاشيته ووضعهم في السجن، ثم قام بالهجوم على قبيلة "أولاد مولات" الموالية للاحتلال على رأس جيش تعداده 100 فراس و300 مشاة في يوم 1851/09/21 وكانت المعركة في منطقة سطيل شمال توقرت ب 120 كلم فتم تأديب القبيلة وقتل حوالي 11 فارسا، وغنم 800 رأس من الأبل، ثم رجع إلى ورقلة عبر منطقة العالية الواقعة 80 كلم شمال ورقلة و التحق به أولاد سيدي سليمان وأغلب أولاد السايح<sup>(3)</sup>، فكان لهذا الانتصار عدة نتائج أهمها هو انضمام سكان متليلي والواقعة 168 كلم شمال ورقلة إلى الشريف وأرسلوا حصان القعدة كرمز للتبعية .

أما النتيجة الثانية هو هروب شيخ نقوسة أبو حفص إلى التل ولجأ إلى تيارت 12 سبتمبر 1851 والنتيجة الثالثة هي انضمام عدد كبير من قبائل المنطقة إليه وتبني دعوته إلى جهاد الكفار مثل شعانبة متليلي، ثم إعادة الإغارة على أولاد مولاة في الزيبان، ثم انضمام واستسلام نقوسة.<sup>(4)</sup>

ثم قرر التوجه نحو توقرت الى سلطنة بني جلاب في أكتوبر 1851 وقد انضم إليه في هذه الحملة كل من مخادمة والشعانبة- سكان ورقلة- جيش تماسين ووادي ريغ والأرباع وبلغ تعداد الجيش 100 فارس و9000 مشاة، وكان جيش عبد الرحمان الجلابي سلطان توقرت مكونا من 600 فارس و150 من المشاة و التقى الجيشان عند واحة تماسين 10 كلم جنوب توقرت، وتمكن الجلابي عبد الرحمان من تحقيق انتصار في الجولة الأولى وألحق خسائر بجيش الشريف قدرت ب 30 قتيل وعدد من الجرحى، ولكن الجولة الثانية كانت للشريف بن عبد الله الذي كبد قوات توقرت 80 قتيل وخسائر مادية معتبرة، ووقف التماسيون إلى جانب المقاومة، وضد الاحتلال رغم دعوة شيخ

<sup>1</sup> - Marmier, Op.cit, pp.149-154.

<sup>2</sup> - Trumelet, Op.cit, p.60.

<sup>3</sup> - عبد الحميد نجاح، منطقة ورقلة وتوقرت وضواحيها من مقاومة الاحتلال حتى الاستقلال، منشورات جمعية الوفاء للشهيد توقرت، ورقلة الآمال للطباعة، 2003، ص 26.

<sup>4</sup> - Trumelet, Op.cit, pp.63-64.

الطريقة التيجانية محمد العيد بالوقوف في الحيادة<sup>(1)</sup>، وبعد هذا النصر، تراجع السلطان الجلابي في قلعتة في توقرت داخل أسوارها، وفشل الشريف في إخضاع سلطنة بني جلاب في توقرت.

واقنع الشريف بن عبد الله ان نقطة ضعفه هي قلة عدد الفرسان في قواته، حيث أغلبها من المشاة ودون هذه القوة لن يستطيع تحقيق اهدافه الثورية ضد الاحتلال، لذلك بدأ في كسب تأييد قبيلة الأرباع الفتية التي كان يقودها الشيخ الناصر بن شهرة<sup>(2)</sup>، والتي اشتهرت بقوة فرسانها ولكن الزعامات المتحالفة مع سلطة الاحتلال كانت تعمل على الوقوف ضد ثورة الشريف بن عبد الله، وبرزهم الشريف بلحرش باشاغا الجلفة وأحمد بن سالم خليفة على الأغواط وأغا جبال عمور<sup>(3)</sup>، هذه الزعامات المحلية، لعبت دور كبيرا في خلق صعوبات كبيرة للشريف بن عبد الله وانتهت في الأخير بالهزيمة.

في ديسمبر 1851 قام الشريف بن عبد الله بدعم من قبيلة سعيد عتبة وشعانة بوروبة وشعانة المواضي من المنبوعة بغزوة ضد قبيلة أولاد سعد بن سالم في الواد الأحمر المواليين لفرنسا واستولى على 500 جمل وثروات اخرى ثم توجه إلى بريان أين التحق به الناصر بن شهرة وجزء فقط من قبيلة الأرباع.

فوجهت سلطة الاحتلال قواتها المكونة من القبائل والزعامات الموالية لها، الباشاغا الشريف بلحرش والخليفة بن سالم وأغا جبل عمور ضد الشريف بن عبد الله، ولكن قبيلة الأرباع التي كانت منقسمة إلى فرقتين الأولى كانت إلى جانب الناصر بن شهرة إلى جانب المقاومة، والفرقة الثانية كان يقودها الخليفة بن سالم المتعاون مع الاحتلال<sup>(4)</sup>، وعند نشوب المعركة ضد الشريف بن عبد الله رفضت الفرقة الثانية من قبيلة الأرباع مقاتلة إخوانهم، وانسحبت من صفوف قوات العدو وانضمت إلى قوات المقاومة، وكان لهذا الانسحاب دور كبير ومحوري في حسم نتيجة المعركة لصالح المقاومة، ولا ندري إن كانت هذه الاستراتيجية متعمدة ومخطط لها أم كانت صحوة ضمير في آخر لحظة وهي دلالة كذلك على قوة الشعور بوحدة الانتماء القبلي<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - عبد الحميد نجاح، المرجع السابق، ص 29.

<sup>2</sup> - S.A.A, R.A. 1923, Vol 64, Op.cit, pp.396-397.

<sup>3</sup> - Ibid, p. 397.

<sup>4</sup> - Feraud, Vol 30, 1886, Op.cit, pp.425-426.

<sup>5</sup> - Feraud, op.cit., p426.

وكان لهذه المعركة عدة تداعيات، حيث كانت الحوادث الذي شجع العديد من القبائل للانضمام إلى المقاومة، وقامت سلطة الاحتلال بتكليف الجنرال Ladmiraudt قائد وحدة المدينة بحملة في شهر مارس وأفريل 1852 وفشلت في تحقيق أهدافها ورجعت من حيث أنت منهزمة باعتراف سلطة الاحتلال.

أما الشريف بن عبد الله فتوجه نحو نقوسة جمع كل خصوم أولاد بابية من قبائل المنطقة واستولى عليها وقام بجني تمورها، ثم رجع إلى رويسات وشرع في تشييد قلعة بها خلال شهر سبتمبر، ثم بدأ في حملة السياسة لتجنيد القبائل وأرسل الوفود والرسائل في كل الاتجاهات لدعوتهم للجهاد ضد الاحتلال، مثل الوفد المكون من المخادمة الذي أرسله إلى سي حمزة بن سيد الشيخ ورسائل بعثها إلى سي محمد بن المكي من بني إزناسن وقبيلة الانجاد من إقليم تلمسان ورسالة أخرى إلى أعمامه سيدي الحاج أحمد، سيدي الحاج الشيخ بن المداني وكل أبناء عمومته.<sup>(1)</sup>

وكان لهذه الحملة السياسية أثر نقطة الزيت في انتشار المقاومة في إقليم المدينة ووهران، حيث انضم عدد كبير من القبائل الرحل في هذه المنطقة إلى المقاومة مما جعل سلطة الاحتلال من توقيف هذا النزيف- تعبير أحد الضباط الفرنسيين- عن طريق وضع فرقة عسكرية في نواحي الأغواط وقصر الحيران (شرق الأغواط) وتاجرونة جنوب غرب الأغواط لعزل مقاومة الشريف بن عبد الله عن قبائل إقليم المدينة وكذلك قبائل إقليم وهران، واعتمدت سلطة الاحتلال كذلك على تجويع القبائل الموالية للمقاومة عن طريق التحكم في أسواق الحبوب في الشمال ومراقبتها ومنعهم من التزود بالحبوب من المناطق التالية أي فرض الحصار القاري عليها، ولكن هذه الاستراتيجية فشلت حيث رغم المراقبة أصبحت الأغواط وتوقرت أسواق مفتوحة لكل القبائل المقاومة للاستعمار.<sup>(2)</sup>

بعد وفاة الشيخ عبد الرحمان بن جلاب الموالي للاحتلال متأثرا بجروحه 25 جانفي 1852<sup>(3)</sup>، وورثه ابنه الشيخ عبد القادر التي لم يكن يتجاوز 08 سنوات، تمكن الشيخ سلمان من الانقلاب

<sup>1</sup> - Marmier, Op.cit, p.148-154.

<sup>2</sup> - Gustave Cler. Jean- joseph., souvenirs d'un officier du 2<sup>eme</sup> de zouaves michel Lévy frères, Editeurs, 1869, Paris, pp.15-17.

<sup>3</sup> - S.A.A, Op.cit, R.A. 1923, Vol 64, p. 398.

عليه وتولي المشيخة، وقدم خدمات للمقاومة في عملية التمويل وكسر الحصار الذي حاولت سلطة الاحتلال أن تفرضه على المقاومة، ففتح أسواق توقرت أمام القبائل المناهضة للاحتلال.

عندما تمكن الشريف من ضمان تخزين المخزون الاستراتيجي من المؤونة، توجه نحو منطقة الزيبان إلى مليلي (جنوب بسكرة) ودخل في مناوشات ولأول مرة ضد قوات الاحتلال التي كان يقودها C<sup>md</sup> Collineau قائد دائرة بسكرة يوم 22 ماي 1852<sup>(1)</sup>، وتوجه الشريف إلى قواعد الخلفية في واد إيتل، ومن هناك في 18 جوان توجه يقود قبيلة أولاد الساسي 400 من المشاة لمعاينة القبائل الموالية وهي أولاد حركات وأولاد سيدي زيان، ثم توجه جنوبا إلى وادي اتل ومنه إلى Dzioua ثم إلى بني ميزاب ولكن تعرضت قبيلة اولاد الساسي إلى هجوم من قوات الاحتلال بقيادة النقيب Pein<sup>(2)</sup>.

#### 5-6 معركة الأغواط

وفي 15 سبتمبر 1852 تعاون آغا الأغواط يحيى بن معمّر بن سالم، مع الشريف بن عبد الله في محاولة السيطرة على الأغواط، مركز أخيه الخليفة أحمد بن سالم، بسبب خيانتة لوطنه، ففُرض عليها الحصار ولكن تدخل قوات الاحتلال بقيادة الجنرال يوسف من الجلفة حالت دون تحقيق هذا الهدف.

في 1852/10/04 خاض الشريف بن عبد الله وابن الناصر بن شهرة والقبائل المؤيدة معركة ضد قوات الاحتلال في عين الرق "غدير مزي" قريبا من الأغواط ضد الفرنسيين وقتل منهم 200 جندي وغنم منها ومن أعوانها حوالي 20 ألف رأس من الغنم و2000 جمل، ثم دخل مدينة الأغواط واستقبله سكانها بحفاوة بالغة وبمناشاة الفاتح الأكبر<sup>(3)</sup>.

كان لهذه الخسائر بالغ الأثر على معنويات القبائل الموالية للاحتلال، لذلك قررت السلطة الاستعمارية استقدام نجدات وتعزيزات<sup>(4)</sup> خاصة بعد العملية التي قام بها الشريف بن عبد الله على رأس 500 فارس ب 300 من المهاري اخترق بهم جبال عمور وهاجم أقوى قبائل المنطقة "الحجيلات" الموالية للاحتلال، وكان لهذه العملية أثر كبير على كل قبائل الصحراء، فاضطرت أهل جبال عمور

<sup>1</sup> - Ibid, p.398.

<sup>2</sup> - Feraud, Vol 30, vol,1886, p.427.

<sup>3</sup> - يحيى بوعزيز وثيقتان جديدتان عن كفاح الشريف عبد الله، المرجع السابق، ص 17.

<sup>4</sup> - Mémoires du Maréchal Randon, T.1, Typographie lahure, Paris, 1875, p.109.



إلى اللجوء إلى منطقة الأحرار وأغواط الكسل فرؤوا إلى الشط الشرقي، فكانت هذه القبائل في وضع متأزم وخشي الاحتلال أن تغير موقفها وتختار حلف المقاومة وتنظم إلى الشريف.<sup>(1)</sup>

من جهة أخرى فقد الشريف بلحشر ولاء عدد كبير من خيم قبيلته وثار سكان مدينة الاغواط على فرقة الصبايحية بقيادة ولد "بن حميدة" وكانوا يتحرشون بأعوان فرنسا، لهذا هرب من الباب الغربي مع أغلب الصبايحية قبل تعرضهم للقتل، ثم التحق سي نعيبي آغا اولاد سيد الشيخ الغرابية يوم 25 جويلية 1852 بحلف المقاومة في ورقلة، وعجزت عائلة بن سالم في التحكم في الوضع، بعد كل هذه التطورات توصل الجنرال راندون الى قناعة عبر عنها في التقرير الذي وجهه إلى وزارة الحربية يوم 05 سبتمبر وهي أن فكرة احتلال الأغواط بشكل مباشر ودائم أصبحت أكثر من ضرورية، على أن يشرف عليها ضابط فرنسي بقوات كافية لتتحول الأغواط إلى مركز وقاعدة متقدمة تمثل حدود التوسع الفرنسي في الجنوب، ويمكنها التحكم في كل منطقة جبال عمور واولاد نايل، إضافة فرض رقابة شديدة والتحكم في تجارة الحبوب من الجنوب ومنع الثوار من الاستفادة منه وضمان أمن القوافل التجارية والمعاملات والمبادلات التجارية في الجنوب.<sup>(2)</sup>

بعد خروج حامية الصبايحية من الأغواط أرسل سكان الأغواط (سرغين- حلاف) وفدا إلى الشريف في بريان يوم 02 نوفمبر لتقديم الولاء له الانضمام الى حلف المقاومة ودعوه لدخول المدينة، حينها غادرها أتباع فرنسا منهم "تواتي" الذي اتجه إلى عين ماضي عند الشيخ التيجاني، والشيخ علي ابن خليفة الأغواط السابق الذي اتجه نحو الجنرال يوسف في الجلفة ليلة 04 إلى 05 نوفمبر<sup>(3)</sup>، وعند التحاق الشريف بالأغواط بدأ في توعية العامة وحثهم على الجهاد وتحريضهم على القتال وترغيبهم في الشهادة في سبيل الله، وعزم بني الأغواط على الدفاع بكل عزم واستماتة ضد الكفار المحتلين ومن يساعدهم من الخونة.

حاول الجنرال يوسف دخول المدينة بواسطة التهديد والترغيب، فرفض سكان الأغواط كل العروض وأكدوا عزمهم على المقاومة، فأرسل الجنرال يوسف، الرائد "Faure" "فور" لتقديم تقرير إلى الحاكم العام الذي أمر بالسير مباشرة إلى الأغواط بكل القوات المتاحة من العمالات الثلاث:

<sup>1</sup> - Ibid, p.110.

<sup>2</sup> - Mangin. E, notes Sur l'histoire de Laghouat,ed.Adolphe Jourdan,Alger,1895, p.289.

<sup>3</sup> - Ibid, p.295.

- الفرقة الأولى من الجزائر والجلفة بقيادة الجنرال يوسف
- الفرقة الثانية من قسنطينة وبوسعادة تحت قيادة الرائد Pien
- الفرقة الثالثة والرابعة والخامسة من وهران ومعسكر وسعيد بقيادة الجنرال Pélissier

قدر العدد الإجمالي لهذه القوات 2200 من المشاة و500 فارس نظامي و1200 فارس من قوم المدينة وبوغار، إضافة إلى الهندسة العسكرية وفرقة المدفعية<sup>(1)</sup>، وفي مذكرات الجنرال راندون الحاكم العام في الجزائر الذي كان يسعى إلى فرض الوجود الفرنسي وطمأنة القبائل الموالية لها ثم بناء مركز عسكري متقدم مشابه للجلفة، يضمن تمويل القوات الفرنسية في الجنوب ويفرض الوجود الدائم في المنطقة، وحسب قائد الحملة فقد كانت تشكيلة هذه الحملة العسكرية التالي:

- فيلقين من الزواف 1250 جندي
- فيلق رقم 50 يضم 600 مشاة جندي
- 1/2 فيلق مشاة من فيلق إفريقيا 600 جندي
- الفرقة الثالثة طابور الصيادين 330 جندي
- طابور الصبايحية 110 جندي إضافة إلى فرقة المدفعية مما يجعل العدد الاجمالي 2890 جندي إضافة إلى قوات القوم المكونة من 1200 فارس.<sup>(2)</sup>

انطلق الفرقة الأولى لقوات الاحتلال من الجلفة بقيادة الجنرال يوسف يوم 17 نوفمبر وانقسمت إلى قسمين وتم اللقاء على واد سدور في اليوم الموالي توقفت على واد بن زيان، ثم توجهت فرقة إلى قصر الحيران أملا في محاصرة الشريف بن عبد الله والقبائل الثائرة، أما الفرقة الثانية تحت قيادة الكولونيل Liniers انطلق يوم 19 نحو العسافية « El-Assafia » نقطة تجمع القوات بقيادة الجنرال يوسف للراحة والتموين ثم الانطلاق في يوم 21، وبعد السير لمدة ساعتين وقعت المناوشات الأولى مع قوات المقاومة التي كانت متمركزة في حدائق وغابات الأغواط، وكبدت قوات الاحتلال عدة خسائر واستخدمت المقاومة المدفعية التي أجبرت قوات الاحتلال على التراجع خارج مجال رماية المدفعية، وتمركزت في رأس العيون على بعد 1800 متر من المدينة في انتظار التحاق القوات والفرق الأخرى بقيادة الجنرال Pellissier، وظهر من ناحية أخرى تصميم المقاومة على الدفاع

<sup>1</sup> - Ibid, p.298.

<sup>2</sup> - Randon (Général), Op.cit, pp.111-112.

المستमित ضد الاحتلال<sup>(1)</sup>، خاصة بعد أن انظم إلى المقاومة سي النعيمي أخ سي حمزة من أولاد سيد الشيخ إلى قوات المقاومة مع الشريف بن عبد الله أما أخوه سي حمزة فقد وقف إلى جانب العدو وكان له دور أساسي في هزيمة هذه المرحلة من مقاومة الشريف.

غادرت الفرقة الثانية وهران بقيادة الجنرال بيليسي يوم 06 نوفمبر والطابور الثاني غادر معسكر يوم 09 نوفمبر بقيادة الجنرال بوسكارين Bouscaren وتم اللقاء بين الفريقين في البيوض يوم 20 نوفمبر وأصبحت مكونة من 3000 جندي، ويوم 26 نوفمبر وصل أمر التحرك إلى الأغواط التي تحصن بها الشريف فانطلق الجنرال Pélissier نحو الأغواط عبر ستيتن يوم 27 نوفمبر ووصلت هذه القوات إلى بوعلام يوم 28 على نهر مكنزة ثم خنق الملاح يوم 29 ثم تاجرونة يوم 30 ويوم 01 ديسمبر وصلت إلى الحويطة ويوم 02 ديسمبر وصلت إلى ثنية الرمل مساء على مشارف الأغواط وحط الرحال في رأس العيون على الضفة اليمنى لواد مزي على بعد 02 كلم من المدينة.<sup>(2)</sup>

يوم 03 ديسمبر قام الجنرال بيليسي بدورة استطلاعية، استكشافية لمحيط المدينة لتحديد الخطة التي يجب اعتمادها في الهجوم وتعرض خلال هذه الدورية إلى هجومات قوية تكبدت خلالها قوات الاحتلال خسائر مؤثرة في صفوفها تمثلت في مقتل ضابط وجرح 08 ضباط ومقتل 08 جنود و60 جريح.<sup>(3)</sup>

واستقر الرأي بعد مشاورة مع نقيب هندسة الميدان والمدفعية حول خطة تمثلت في احتلال التلال المشرفة على المدينة في الغرب أين يوجد ضريح سي الحاج عيسى والمرتفع الثاني يشرف على المدينة من الناحية الشرق ويسمى كاف الدال.

وأسند Pélissier مهمة الهجوم على الجانب الغربي الجنرال بوسكارين بمساعدة العقيد « Cler » والنقيب « Brunon » وتشكلت هذه القوة من ثلاث فيالق من الزواف وفيلق من ثلاث كتائب مشاة إفريقية، وكتيبة من قناصة وهران، وفصيلة مدفعية ميدان، وفصيلة من رجال الاسعاف، وكتيبة دعم من جيش الجنرال يوسف<sup>(4)</sup>، وعندما استعد العقيد Cler لمغادرة المعسكر

<sup>1</sup> - Mangin.Op.cit, p.300.

<sup>2</sup> - Randon (Général), Op.cit, p 114.

<sup>3</sup> - Mangin, Op.cit p.307.

<sup>4</sup> - Ibid, p.312.

صافحه الجنرال بليسي وقال له "أريد أن أستضيفك غدا، على مأدبة غداء على أعلى شرفة في قصبة بن سالم".<sup>(1)</sup>

كانت مهمة العقيد « Cler » هو محاصرة المدينة من الجنوب ثم السيطرة على التلة المرتفعة التي يتواجد بها ضريح سي الحاج عيسى الاستراتيجية، وهي منطقة صخرية كانت محصنة، حيث وجدت هذه القوات صعوبات كبيرة وتكبدت خسائر كبيرة في الوصول إلى قممتها، فقد تحركت قوة مكونة من أربعة كتائب من جند زواف بقيادة الرائد مورون Morand وكتيبة من فيلق إفريقيا مع فرقة هندسة عسكرية بقيادة النقيب برونو Brunon، تحركت هذه القوات ليلا يوم 03 ديسمبر 1852، فوجدت مقاومة شرسة من طرف المقاومين الذين ألحقوا خسائر فادحة في قوات الاحتلال، كان من بين الضحايا النقيب فرانز Frantz وعدد كبير من الجرحى<sup>(2)</sup>، ولكن الاستراتيجية المعتمدة والتنظيم الحديث للجيش والخبرة التي اكتسبها ضباط جيش الاحتلال مكنتهم من الوصول إلى احتلال تلة ضريح سي الحاج عيسى الذي استخدم كمركز للمدفعية لإحداث ثغرات في سور المدينة للدخول الجيش عبرها، واستغلت ظلام الليل لتجهيز الطريق للقوات الأخرى بكل فروعها للتقدم.

وفي صباح يوم 04 ديسمبر تقدم قائد العمليات الجنرال "بليسي" مع قواته للتمركز في المواقع متقدمة عبر المنخفضات الصخرية والأخاديد وتقدم بليسي و"بوسكارين" وبعض الضباط إلى ضريح الولي الصالح كمركز للعمليات، ولكن أثناء تقدمهم تفاجؤوا بهجوم عنيف، ذهب ضحيته الجنرال Bouscaren فعوض بالعقيد Cler وبدأت عملية الاقتحام.<sup>(3)</sup>

تقدمت فرق الزواف للهجوم من الجنوب، على اليمين أربع كتائب بقيادة قائد الفيلق Barois وعلى اليسار الفيلق الثالث للزواف بقيادة الرائد Malafosse وقوات للدعم والاحتياط في الخلف بقيادة الرائد Moraud وتقدم الجنرال يوسف في الهجوم من الشمال عن طريق تسلق الأسوار المدينة بسلاالم فاندلعت معارك عنيفة واشتباكات دموية كانت فيها خسائر الطرفين كبيرة، وانتقلت المعركة الى داخل أزقة المدينة التي أظهر فيها المجاهدون شجاعة وتصميما على الشهادة والدفاع على كل شبر من المدينة، خاصة عندما تقدم الجنرال بليسي بكامل قواته ودخول المدينة

<sup>1</sup> - Cler, souvenir zouaves, Op.cit, p.32.

<sup>2</sup> - Cler, souvenir zouaves, Op.cit, pp.33-34.

<sup>3</sup> - Ibid, pp.40-45.

وإعلان هجوم الشامل على الأغواط، وبدأت عملية الإبادة لكل سكان مدينة الأغواط دون تمييز بين الشيوخ والنساء والأطفال فكانت مجزرة وإبادة حقيقية.

ثم تدخلت قوات الجنرال يوسف من الشمال وتمت محاصرة المجاهدين وسكان المدينة من جميع الجهات، ثم اقتحمت قصبة بن سالم التي دافع عنها المجاهدون بكل بسالة بقيادة كل من الناصر بن شهرة والشريف بن عبد الله ولكن عدم التكافؤ في العدد والعدّة مكنت جيش الاحتلال من السيطرة على المدينة، وتمكن كل من الناصر بن شهرة والشريف بن عبد الله ويحي بن معمر ومجموعة من المجاهدين من الفرار إلى خارج المدينة والتوجه جنوباً.

وأظهر جيش الاحتلال وحشية لا مثيل لها حيث وصفها Trumelet بالمذبحة المروعة، ولكنه يحاول تبريرها بمبررات واهية، وفي رسالة لأحد الشهود وجهها إلى Berbrugger يصف حالة الجنود الممزوجة بنوع من المتعة التي أصابت جنود الاحتلال حيث كان عدد الأسرى منعدم وتم قتل كل من وجد في المدينة، فقد بقي الجنود مدة ثلاثة أيام منشغلين بحرق الجثث أو ردمها في الآبار أو رميها مع جثث الخيول والحيوانات الميتة، وأضاف محافظ متحف مدينة الجزائر في رسالة سرية إلى Urbain مستشار الإمبراطور أنه "خلال 08 أيام الأولى تم إعدام وقتل كل من استسلم بالأفواج مكونة ما بين 12 إلى 15 شخص وبلغت الوحشية أن أحدهم اعترض على أن سيوف الصبايحية لم تعد حادة وقاطعة وهناك شهادات أخرى لضباط شاركوا في عملية الاحتلال، سردوا بعض القصص عن وحشية لا مثيل لها.<sup>(1)</sup>

وقدر عدد القتلى من الجزائريين في إحصائية أعدت في ظروف هادئة ب 2500 قتيل من سكان مدينة الأغواط ولم يذكر التقرير عدد الأسرى مما يؤكد ما سبق ذكره، وكان أغلب الشهداء داخل المدينة حيث قدرت نسبتهم ب 2/3 من شهداء المعركة.<sup>(2)</sup>

في هذه الأثناء قام سي حمزة من أولاد سيد الشيخ الذي كان في الأسر في وهران وأطلق سراحه، بعد انضمام أخيه سي النعيمي للمقاومة، فأراد أن يبرهن عن ولاءه لفرنسا التي كلفته

<sup>1</sup> - Charles- André Julien, Histoire de l'Algérie contemporaine, la conquête et les débuts de la colonisation 1827-1871 Casbah édition, Algérie, 2005, pp.391-393.

<sup>2</sup> - Eugène Fromentin, Un été dans le Sahara, Alphonse lemeré, Paris, 1874, p.176.

بمهمة عسكرية مكملة للحملة العسكرية الشاملة التي زحفت على الأغواط.<sup>(1)</sup>، وكانت انطلاقها من "الأبيوض" متجهة نحو "بريان" وصولاً إلى المنيعية يوم 29 نوفمبر ثم واد زرقون على بعد حوالي 40 كلم جنوباً، والتي يمثل منطقة "بلاد العطش" ويوم 03 ديسمبر ألقى القبض على أحد الرعاة في واد ستافة Settafa الذي أبلغهم بوجود الموالين للشريف في واد النسا، وتمكن من الانقضاض على هذه القافلة، بفضل قواته المكونة من 500 مشاة و150 فارس، وكلف ابن حطاب أحد قادته بقيادة الهجوم واصطدم بمقاومة قوية من طرف قبيلة الأرباع للناصر بن شهرة، خاصة عندما سادت نوع من الفوضى داخل قوات سي حمزة بسبب اهتمام جنوده بالاستيلاء على المياه التي كانت تحملها القافلة، ثم تراجعت هذه القوات نحو المنيعية ومنها وصولاً إلى الأغواط يوم 13 ديسمبر.<sup>(2)</sup>

وقد رسم الاحتلال هدفين للحملة على الأغواط الأول هو تأكيد السيطرة على الصحراء والتواجد الميداني الدائم والهدف الثاني معنوي وهو التصميم على ملاحقة القبائل الثائرة في الجنوب الذي كان يعد ملاذاً لها ودون حواجز وفي أي مكان، وقد توالى بعد هذه المرحلة رسائل الاستسلام، فقد أرسل الميزابيون رسالة يوم 12 ديسمبر 1852 التي عبر فيها سكان وادي ميزاب أسباب العصيان وهو سوء معاملة أحمد بن سالم لذلك أيدوا الشريف بن عبد الله وطلبوا الأمان وكذلك سكان بريان الذين توسطوا لقبيلة الأرباع في طلب الأمان، وكان رد الجنرال بيليسي موجه إلى سكان غرداية، مليكة، بني يزغن، العطاف، بونورة، بريان وقرارة وفي نوع من التهديد حيث ذكرهم بوجود عدد كبير من الميزابين كتجار في المدن التلية الشمالية، وذكرهم بحاجتهم إلى الأسواق الشمالية التي يقوم عليها اقتصاد واد ميزاب، وكان الاتفاق هو التزام أهل ميزاب بعدم الوقوف أو دعم القبائل الثائرة وعدم فتح أسواقهم لهؤلاء. ثم اشترط أن يذهب وفد لطلب الأمان من سي حمزة في الأغواط<sup>(3)</sup>، حتى تتأكد سلطته في المنطقة ثم تقرر الاحتلال الدائم لهذه المنطقة والتواجد العسكري المستمر تحسباً لأي حركة مقاومة في الصحراء واستقرار رأي الجنرال بيليسي مع الحاكم العام راندون على هذا الرأي فأصبحت الأغواط مركزاً أو قاعدة عسكرية متقدمة للاحتلال الفرنسي في الصحراء، إضافة إلى مراكز أخرى متقدمة للتموين في الأبيوض "جريفيل" البيض فتصبح المراكز

<sup>1</sup> - Mangin, Op.cit, p.323.

<sup>2</sup> - Ibid, pp. 05-07.

<sup>3</sup> - Manguin,op.cit, p.08.

بسكرة- بوسعادة- الأغواط- البيض تمثل خط لمراقبة القبائل التي مجال ترحالها وراء هذا الخط و"السرسو"<sup>1</sup>.

وقد تضمن تقرير الجنرال بيليسي مزايا احتلال الأغواط الدائم والمباشر مع وضع حامية عسكرية فرنسية دائمة فيها فيما يلي:-

1. فرض حراسة ومراقبة مشددة على أولاد نايل والأرباع وحصارهم من ناحية جبل عمور.
2. اخضاع الميزابيين بحيث تمثل الأغواط محطة ضرورية في الطريق الوحيد نحو التل من واد ميزاب والذي يستغرق 04 أيام دون مياه.
3. يمكن تمويل القوات المتركزة في الأغواط كل شهرين عن طريق فرضه على القوافل الصحراوية لنقل التموين كحق أو ضريبة العبور.
4. يستطيع فيلق من 600 جندي وسرية من الفرسان المحافظة على استقرار المدينة والمنطقة الجنوبية كذلك.
5. تعتبر خزان الصحراء وملتقى الطرق التجارية والقوافل الصحراوية.
6. يمكن أن تكون قاعدة عمليات ممتازة لكل التحركات العسكرية نحو الغرب والشرق.
7. يمكن التحكم في منطقة واد ميزاب عن طريق التحكم في الطرق التجارية نحو التل لذلك يجب الاكتفاء بالمراقبة الجمركية والشرطية فقط.<sup>(2)</sup>

لذلك كلف الجنرال Rivet بمهمة إلى الأغواط والتأكد والتحقق من النقاط الأهداف السابقة الذكر وعند وصولها كان قد اكتشف مدى أهمية السيطرة النهائية والدائمة على الأغواط ومدى نفوذ وتأثير وجود القوات الفرنسية في هذا المركز، وتمت الموافقة المؤقتة على إقامة دائرة الأغواط وكلف النقيب Du Barail قائد أعلى والشيخ علي في منصب القايد، ثم وضعت سلطات الاحتلال تحت تصرفه فيلق مشاة من 600 جندي وسرية من الفرسان وفرقة مدفعية ميدان، وتم اصلاح تحصينات المدينة وتقويتها حتى تكون قادرة على الصمود في وجه أي هجوم.

<sup>1</sup> -Ibid,09.

<sup>2</sup> - Mangin, Op.cit, pp.10-11.

تراجع الشريف بن عبد الله إلى الرويسات وواصل مقاومته ضد كل القبائل الموالية للاحتلال فهاجم قبيلة "الرحامنة" في 23 جانفي 1853 التي كانت مستقرة في واد إيتل، وفي 13 مارس غادر الشريف والناصر بن شهرة ورقلة على رأس 150 فارسا و500 من المقاتلين على الجمال، وتفادوا المرور من منطقة الشبكة في ميزاب، وتوجهوا شرق قرارة وانقضوا يوم 24 مارس على خيم أولاد عيسى جنوب جبل بوخيل على بُعد مسيرة 03 أيام من الأغواط<sup>(1)</sup>، وكان للعملية صدى وتأثير معنوي كبير على المنطقة لذلك اضطرت قوات الاحتلال المتركزة في الأغواط والمكونة بفيلق صبايحية و04 كتائب مشاة على الجمال والقوم إلى الانتقال إلى مَسْعَدَ وجبل بوخيل لطمأنت القبائل الموالية.

ولكن هذه العملية التي قام بها الشريف وتواجهه بقرارة أكد على استمرار المقاومة، حيث استرجع جناح المقاومة السلطة والغلبة وتم طرد كل الموالين للاحتلال، وفي شهر سبتمبر أستقر الشريف في وادي النسا، وبحركة سريعة هاجم أولاد تيفور وأمم ممتلكاتهم، وعندما حاول قايد "المية" El-Maïa مهاجمة الشريف تعرض إلى هزيمة ذهب ضحيتها القائد نفسه وعدد كبير من قواته، وتم الاستيلاء على قصره وفي نفس الوقت قام "تلي بن بلكلح" أحد قادة المقاومة بهجمة خاطفة على أولاد يحي بن سالم وانسحب بسرعة نظرا لعدم تكافؤ القوى بين المقاومة والجيش الذي وضعته سلطات الاحتلال تحت تصرف هذا القايد، ويشارك إلى جانب الشريف في هذه الحركة الأخيرة كل من سي نعيي وسي الزوبر من أولاد سيد الشيخ إخوة سي حمزة بن سيد الشيخ الموالي للاحتلال.<sup>(2)</sup>

كانت سلطات الاحتلال تراهن على الأثر الناتج عن المجزرة التي ارتكبتها في إبادة سكان مدينة الأغواط وإرهاب وتخويف قبائل المنطقة وبالتالي استسلامهم واحجامهم عن المقاومة، ولكن الأثر كان عكسي فبمجرد عودة الشريف وبن شهرة ودعوتهم إلى الجهاد انضمت أغلب القبائل إلى المقاومة وبدأت فصل آخر من فصول مقاومة الشريف بن عبد الله والناصر بن شهرة وسي النعيي وسي الزوبر من أولاد سيد الشيخ.

<sup>1</sup> - Ibid, p.18.

<sup>2</sup> - S.A.A, Notes pour servir a l'histoire d'Ouargla, Op.cit, pp.400-401.



## 6-6 الحملة العسكرية ضد الشريف

بعد فشل كل محاولات القضاء على هذه المقاومة التي تميزت بسرعة حركة قواتها واستغلال عنصر المفاجئة وضرب القبائل الموالية والمدعمة للاحتلال، وإثبات وجودها في المنطقة الجنوبية خاصة بعد فشل حملة النقيب Galinier ضد الشريف بن عبد الله، لذلك جاء قرار الحاكم العام بوضع خطة شاملة لوضع حد لمقاومة الشريف وامتدت هذه الحملة إلى جهة امتدادها 400 كلم، يكون للقوات المحلية دورا رئيسيا، وكان لسي حمزة دورا محوريا فيها بقوات قوامها 1000 فارس و1200 من المشاة من أولاد سيد الشيخ في الشرق، تتمركز قوات الباشاغا سي الشريف بلحرش الذي جمع قوات أولاد نايل والأرباع المواليين له، ونحو الشرق دائما تمركزت القوم من بوسعادة والحضنة والزيان بقيادتهم وتجمعوا في نواحي بسكرة.<sup>(1)</sup>

تدعمت كل هذه القوات المواجهة لجيش المقاومة بقوات احتياطية تمثلت في قوات، الرائد Niqueux التي تمركزت بين جيريفيل (البيض) وعين ماضي، والرائد دوباري Du Barail في الأغواط والعقيد Dargeut في عين الريش، وبدأت هذه الحملة الواسعة في نوفمبر 1853.<sup>(2)</sup>

تقدمت قوات سي حمزة نحو متليلي يوم 18 نوفمبر التي دخلها دون مقاومة، وشرع في سلسلة من المفاوضات مع الشعابنة والميزابيين، وعلم من بعض الجواسيس أن أخويه في خلاف مع الشريف بن عبد الله، لذلك انتظر إلى أن التحق به أخوه سي الزبير مع بعض فرسانه، وأعلمه أن شيخ "نقوسة" الطيب بن بابية مستعد لفتح أبواب المدينة له (وتقع هذه المدينة 20 كلم شمال شرق ورقلة)، فغادر سي حمزة متليلي يوم 05 ديسمبر وانظم إليه الشعابنة واتجه نحو "نقوسة" التي أخذها كقاعدة خلفية للهجوم على ورقلة أين يتواجد الشريف بن عبد الله، وترك فيها مؤنثته تحت حراسة 500 جندي من قواته وتحرك في حملة ضد القبائل المؤيدة للمقاومة المستقرة حول ورقلة، وفي نفس الوقت كان الشريف بن عبد الله قد تحرك بقواته المكونة من 4000 من المشاة من بينهم 200 فارس فقط نحو "نقوسة" وحصلت المعركة بين القوات الموالية المحصنة داخل القلعة أو القصر وقوات الشريف المقاومة ولم يتمكن الشريف من دخول المدينة، ولكنه في حينها علم أن

<sup>1</sup> - Camille Rousset, La conquête de l'Algérie 1841-1857, T2, librairie PLON, Paris, 1889, p.328.

<sup>2</sup> - Mangin, Op.cit, p.329.

قوات سي حمزة قد توجهت إلى نواحي ورقلة فانتقل مسرعا إلى ورقلة وتمكن من اللحاق به في جنوب ورقلة.

لاحظ الشريف أن نقطة قوة العدو، هي نفسها نقطة ضعفه هو، والمتمثلة في قوة الفرسان البالغة 1000 فارس لدى العدو و200 فارس في قواته، ولتجريد عدوه من هذه القوة، أمر جزء من قواته أن تحتل تلال رملية في ميدان المعركة المسمى "عرق بوسروال" بحيث من الصعب على الخيول الحركة في العرق أو التلال الرملية، واندلعت المعركة وكانت الخسائر من الجانبين كبيرة، واضطر سي حمزة إلى التخلي عن الخيول واستخدام قواته كمشاة، وأصيب الناصر بن شهرة بجروح خطيرة، وتمكن سي حمزة من الصمود رغم جروحه وإلحاق الهزيمة بقوات المقاومة، حيث كان استسلامها غير متوقعا، ففي اللحظة التي بدأت قوات الموالية للاحتلال تفتتروا وبذل سي حمزة جهدا كبيرا لتشجيع قواته على مواصلة القتال وإغرائهم بكل الوسائل، تفاجأ بتقدم مجموعة من الرجال طالبين الأمان والاستسلام<sup>(1)</sup>.

ويبدو أن خروج الناصر بن شهرة من المعركة والشك الذي سيطرة على بعض القيادات في الانتصار أدى إلى الهزيمة ولكن يبقى الانقسام داخل قوات الشريف بن عبد الله سببا أساسيا في هذه الهزيمة غير المتوقعة، ويعود السبب الذي أدى إلى هذا الانقسام والشك في وسط قوات الشريف إلى حالة الهلع التي أصابت قواته، عند هجومه على "نقوسة" اكتشفوا أن غالبية قوات سي حمزة اتجهت جنوبا أي إلى أماكن تواجد أهاليهم وأموالهم فتخلت عن حصار "نقوسة" وتوجهت كل فرقة إلى الجنوب للدفاع عن أموالها وأهاليها، فقد توجه سكان ورقلة إلى المدينة للدفاع عنها، وتوجه الشعابنة بوروبة وسعيد ومخادمة إلى أماكن تواجدها حول ورقلة، أما أولاد نايل والحرازية توجهوا جنوبا مع الشريف نحو قطعانهم ودواويرهم<sup>(2)</sup>، وبالتالي تشتت قواته واختلفت ورغم ذلك فقد قاوم وكبد العدو خسائر فادحة إضافة إلى الإصابة الخطيرة التي أصابت الناصر بن شهرة الذي كان له دور في مواجهة العدو وأدى خروجه من المعركة إلى تسرع المقاومين وطلبوا الأمان من سي حمزة الذي لم يكن يتوقعه، وتمكن الشريف بن عبد الله والناصر بن شهرة من الانسحاب،

<sup>1</sup> - Ibid. p.22.

<sup>2</sup> - Trumelet, Op.cit, p.93.

وأعلنت القبائل المقاومة استسلامها وهي "الأربع" - "الشعابنة" و "المخادمة" و "سعيد عتبة" وأخ سي حمزة وهو "سي النعيمي".

وكلف الحاكم العام، العقيد Durieu قائد مقاطعة معسكر بالتحرك إلى وادي ميزاب وقيادة قوات دوباراي ونيقو Niqueux، ثم توجه نحو ورقلة التي وصلها يوم 27 جانفي 1854 واستقبله الخليفة سي حمزة وكانت مهمته تنظيم هذه المناطق إداريا وعسكريا بهدف الاحتلال الدائم والمباشر وكانت هزيمة مقاومة الشريف بن عبد الله في معركة "عرق بوسروال" نهاية مرحلة من مراحل كفاح هذا المقاوم العنيد ضد الاحتلال.<sup>(1)</sup>

وتراجع الشريف محمد بن عبد الله إلى نفطة في تونس وبقي هناك عدة شهور يحضر لمواصلة الكفاح، كان موقف السلطات التونسية معارضا للتواجد الشريف محمد بن عبد الله في الجنوب التونسي من خلال الرسائل التي بعث بها المشير احمد باشا إلى القنصل الفرنسي بتونس يبلغه فيها بمعرفته بتواجد الشريف في تونس وقال "كاتبنا أمير اللواء أبنا احمد زروق بطرده وعدم قبوله في عمالتنا هو ومن معه وأذناه يبعث له ليرحل من غرب عمالتنا" والرسالة مؤرخة في 08 جمادى الثاني سنة 1270 هـ الموافق لمارس 1854<sup>(2)</sup>، وفي الرسالة الثانية يبدو أن الشريف بن عبد الله لم يتوقف عن المقاومة حتى في تونس حيث جاء فيها ما يلي: "... فإن رجلا من تلمسان اسمه الشريف محمد بن عبد الله قدم إلى أطراف بلادنا من ناحية الجريد، وأمرنا بطرده وإبعاده وعدم قبوله، ثم تحزب بمن معه وأغار على القطارية من رعيتنا ما بين نفطة و"توزر" وأخذ لهم قدر 30 بعيرا ووقعت بينهم القتلى والجرحى ..."<sup>(3)</sup>، والوثيقة مؤرخة في 10 رمضان 1270 هـ الموافق لشهر جوان 1854. كانت عودة الشريف بن عبد الله إلى منطقة وادي ريغ في سنة 1854 بحيث تحالف مع الشيخ سلمان بن جلاب في توقرت وتمكن من تشكيل قوات من المنطقة وادي سوف ووادي ريغ وانتهت هذه المرحلة كذلك بهزيمة معركة المقارين في 29 نوفمبر 1854 وبالتالي عودة الشريف بن عبد الله والشيخ سلمان عبر وادي سوف ثم اللجوء إلى الجنوب التونسي، وبقي هنالك إلى سنة 1858 م.

<sup>1</sup> - Camille.R, Op.cit, pp.331.332.

<sup>2</sup> - أرشيف الحكومة التونسية، صندوق 212، ملف 239، وثيقة رقم 05.

<sup>3</sup> - أرشيف الحكومة التونسية، صندوق 219، ملف 237، وثيقة رقم 04.

## 7-6 عودة الشريف محمد بن عبد الله

في سنة 1858 عاد إلى الجزائر متجه إلى منطقة توات، في عين صالح وتمكن من تجنيد عدد من الطوارق والشعابنة، وفي جوان 1861 انضم إليه الناصر بن شهرة، وتم الهجوم أو الإغارة على قبيلة المخادمة القريبة من ورقلة، فزحف نحوه علي باي بقوات قوامها 150 فارسا وحوالب 600 من المشاة من وادي ريغ ووادي سوف، وكان المعركة بين الجيشين في الرويسات خرج فيها الشريف بن عبد الله منتصرا وعلى أثر هذا الانتصار استسلمت ورقلة للشريف الذي توجه شمالا، ولكن قوات الاحتلال وبفضل الاستراتيجية التي وضعتها منذ عقود من الزمن والمتمثلة في وضع مراكز عسكرية وحاميات مزروعة بشكل يضمن حراسة وتحركات القوى المقاومة، تمكنت من محاصرته ودفعه جنوبا وتمكن سي بوبكر بن حمزة من أولاد سيد الشيخ من ملاحقته في "عرق بلاد الرمل"، حيث استسلم الشعابنة وحاول الشريف الفرار ولكنه ألقى عليه القبض من طرف سي بوبكر بن حمزة، وتمكن ناصر بن شهرة من اللجوء إلى الجريد التونسي.<sup>(1)</sup>

سجن الشريف في وهران ثم تم تحويله في 06 ديسمبر 1861 إلى قلعة بيمر بينيون « Perpignon » وبعد مدة من سجنه تم تحويله إلى عنابة بعد تقدمه في السن مع خادمه الوفي "بلخير" على أن يبقى داخل أسوار المدينة ولا يغادرها.

ويبدو أنه تمكن من الخروج من الإقامة الجبرية في عنابة بعد اندلاع ثورة أولاد سيد الشيخ 1864، وانضم إلى سي الأعلى، وسي الزويير الذين حملوا لواء الثورة بعد مقتل زعيمهم الباشاغا سي سليمان بن حمزة، ولكنه ولظروف مجهولة رجع إلى تونس وبقي هناك إلى أن اندلعت مقاومة المقراني والحداد، عاد الشريف بن عبد الله واشترك في المقاومة واتصل برفيقه في الجهاد الناصر بن شهرة في توقرت وبوشوشة في ورقلة، وربط صلاته بأولاد خليفة الثائرين حيث في 10 سبتمبر 1871 اشترك معهم في مهاجمة واحة ليانة في الزاب الشرقي وخاض عدة معارك كان آخرها ضد القوات الفرنسية في نهاية شهر سبتمبر في "معركة الركييز" ألحق بها هزيمة نكراء قضى فيها على معظم جنودها، وبعد عدة مواجهات فتبرت حركة الشريف بسبب فشل المقراني في الشمال والكبلوتي في

<sup>1</sup> - Mangin, Op.Cit, pp.36-38.

الأوراس<sup>(1)</sup>، ومجي الدين الأمير عبد القادر في الشرق، هذا التراجع في حركة المقاومة أدت إلى تراجعها ومغادرته 12 أكتوبر 1871 واتجه إلى واد بودخان ومن هناك إلى منطقة الكاف التونسية.

#### 8-6 اضطراد السلطات التونسية لشريف محمد بن عبد الله:

عند مقتل العربي المملوك<sup>(2)</sup>، عندما علمت السلطات الفرنسية بفرار قتلة العربي المملوك إلى تونس، احتجت بشدة لدى باي تونس وطالبت بإلقاء القبض على القتلة وتسليمهم إليها، وبعد 03 سنوات من البحث علمت حكومة تونس بوجود القتلة في المرازيق، فأرسل فرقة عسكرية إلى كاهية نفزاوة أحمد بن حمادي طالبت بالبحث عنهم، وعن الأمتعة التي استولوا عليها، فاكشف أنهم في كفالة الشريف محمد بن عبد الله، فسار إليه بحوالي 50 فارسا في ربيع 1876 وهاجموا منزله في غيابه ووجدوا به أمتعة العربي المملوك التي كان يحتفظ بها كأمانة لصديقه محمد الصغير عبد الرحمان، واستباحوا منزله ونهبوا كل ما فيه من أمتعة ومؤونة وحلي وهي كثيرة.<sup>(3)</sup>

عندما علم الشريف بخبر الاقتحام وهو في بوفليجة حيث كان يقضي الربيع بماشيته، فعلم أنهم سوف يعتقلونه ويتهمونهم بالمشاركة في الحادثة، فرحل إلى أولاد دباب قرب حدود طرابلس، ولكن بعض قتلة العربي المملوك وقعوا في أيدي السلطات التونسية التي سلمتهم إلى السلطة الفرنسية في الجزائر.

<sup>1</sup> - L C<sup>re</sup> de Margon, insurrection de la province de Constantine de 1870-1880, Paris, 1883, pp.81-145.  
<sup>2</sup> - هو من أعوان فرنسا وكان ضمن فرقة الصبايحية، ويقال انه من أصل إيطالي وأرتد عن دينه، وبعد نهاية 1871 قام الاحتلال بإعادة التنظيم الإداري للصحراء وأصدر الجنرال "دولاكروا" التعينات، فعين العربي المملوك قائد على وادي سوف وكان يعامل الجزائريين بالقسوة و غطرسة وفي عام 1873 كان العربي المملوك في إجازة فأتجه بعائلته وأولاده لزيارة بعض أصدقائه، فتعرض له بعض الأشخاص على رأسهم حميد الطرودي السوفي فقتلوه هو وزوجته واستولوا على أمتعته وهربوا إلى داخل تونس والتجأوا إلى الشريف محمد بن عبد الله المقيم في قرية العوينة بمعتمدية دوزي في نفزاوة بالمرازيق في جنوب تونس، فاستقبلهم وأكرم ضيافتهم، فبعث السيد محمد الصغير بن عبد الرحمان رسالة يطلب فيها من الشريف بن عبد الله ان يحتفظ بمجلاء الأشخاص ويحافظ على أمتعتهم ويبدوا ان محمد الصغير والشريف بن عبد الله كلاهما يؤيدان هذا الاعتقال نظرا للسوابق السيئة للعربي المملوك مع السكان الجزائريين. ينظر: يحي بوعزيز، وثيقتان جديدتان، ص 22، نقلا عن: محمد المرزوقي، صراع مع الحماية، تونس، دار الكتب الشرقية، 1973، ص ص 237-238.  
<sup>3</sup> - يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 22.

وألقي عليه القبض من طرف كاهية نفاوة الذي استخدم الحيلة حيث طلب من الشريف أن يتوسط لدى أولاد الدباب لإصلاح ذات البين، وفي الطريق اعتقله وسجنه وتدخل لصالحه علي بن خليفة لدى الباي فأطلق سراحه على أن لا يقوم بأي نشاط سياسي.

بعد الاحتلال الفرنسي لتونس 1881 انتقل الشريف إلى الحدود الليبية ثم بدأ ينتقل بين بوفليجة والجفارة بالصحراء، وبقي على اتصال بقريته العوينة بواسطة أبناءه إلى أن توفي 1895 فنقلت جثته إلى دوزر.<sup>(1)</sup>

كانت هذه نهاية فصل من فصول مقاومة الشعب الجزائري، كان قائدها وزعيمها الشريف محمد بن عبد الله الذي استمر في مواجهة الاحتلال من 1851 إلى 1871 وكان لهذه المسيرة الكفاحية المسلحة عدة نتائج نقتصر على ذكر أهمها:

1. نهاية الممالك والسلطنات المحلية مثل مشيخة بني بابية في نقوسة، وسلطنة بني جلاب في توقرت وكذلك نظام الأغواط المحلي الخاص، وأصبحت هذه المناطق كلها تحت الاحتلال وخاضعة للسلطة الفرنسية المباشرة.

2. كان للقوى المحلية الموالية للاحتلال دور محوري وأساسي في التوسع في الصحراء باعتراف القادة الفرنسيين حيث صرح الحاكم العام في إحدى أوامره قائلا "أمام هذا المجال الجغرافي الواسع (الصحراء)، يجب على القوم الأهالي أن يقوموا بدورهم، مدعين من الخلف بقوات احتياطية فرنسية... في هذه المأساة بين العرب، الدور الأول يجب أن يقوم به سي حمزة" وكان هذا التصريح عندما تقرر القضاء على مقاومة الشريف سنة 1854.<sup>(2)</sup>

3. أدت مقاومة الشريف بن عبد الله الطويلة المدى إلى إنهالك واستنزاف قوات الاحتلال سياسيا وكذلك اقتصاديا، ولم تقتصر وسائل القضاء على القوة العسكرية فقط بل استخدمت شتى الوسائل كإقتصادية، فرض الحصار الاقتصادي القاري بغلق التجارة وكافة الأسواق في وجه كل القبائل المقاومة، خاصة تجارة الحبوب التي كانت تقتنيها من التل، ثم أسلوب المؤامرات والذسائس وأثارة الفتن والحروب بين القبائل لكسر وحدتها.

<sup>1</sup> - المرجع نفسه ، ص ص 250-268.

<sup>2</sup> - Camille.R, Op.cit, pp.331.332.

4. استغلت فرنسا النزاعات والصراعات المحلية بين الزعامات والقبائل في المنطقة الجنوبية الشرقية خاصة في منطقة وادي ريغ والزاب وورقلة لصالحها، وتمكنت من استغلال حتى نفوذ بعض الزعامات والطرق الدينية مثل التيجانية في عين ماض وتماسين لصالحها، حيث دفعت الكثير من الجزائريين إلى التزام الحياد فكان دورهم سلبي مما سهل مهمة الاحتلال.

5- تفكيك وتشتيت بنية التركيبة البشرية للمدن والريف ويتضح ذلك من خلال تعليمات الجنرال كاموا « Camou » قائد القوات في الجزائر 01 جانفي 1853، الموجهة إلى الرائد دوباراي Du Barail لتطبيقها في الأغواط بعد احتلال<sup>(1)</sup>.

أ) فيما يخص سكان الأغواط الذين نجو من "كارثة 04 ديسمبر" حسب تعبيره، يجب أن نحتفظ في وسط المدينة بأقل عدد ممكن من السكان الأصليين للمدينة، ويجب أن يكونوا ممن هم على علم جيد بالزراعة ونظام الري أو السقي في الواحة.

ب) تعديل تركيبة المدينة البشرية أو السكانية بعناصر سكانية جديدة ومختارة من القصور التي كانت علاقتها مع الأغواط سيئة أو في نزاع، في مكان سكان المدينة الأصليين الذين يكونون لنا حقد دفين، حتى تكون تركيبة سكان المدينة غير منسجمة وغير موحدة، وبالتالي أقل خطورة.

ت) أما تعليماته حول الريف فقد كان الهدف منها السيطرة والمراقبة المستمرة والتحكم في حركة السكان بطريقة غير مباشرة فقد تضمنت هذه التعليمات ما يلي:

- مراقبة بني ميزاب وابلغهم بنقاط ضعفهم وهي يمكن لمدهم ان تلقى نفس مصير الأغواط ويمكن قطع اتصالاتهم وتجارتهم بالمناطق التلية.
- لحراسة المجال الجغرافي الواسع التابع للأغواط يجب خلق سوق أسبوعي ليوم الأحد في الجلفة، وسوق أسبوعي ثاني يوم الجمعة في الأغواط، ويتم استدعاء الممثلين من الأهالي وضابط المكتب العربي للنظر في النزاعات والقضايا المحلية.
- تحديد الأغواط والجلفة والحمام نقاط لتموين الأرباع وأولاد نايل ومنعهم من تخزين حبوبهم في مناطق أخرى.

<sup>1</sup> - Mangin, Op.Cit, pp.13-14, 1985.

- لتأمين المواصلات وتسهيلها يجب خلق محطات عربية بين عين وسارة والأغواط مكونة من بعض الخيم من أولاد نايل والأرباع متمركزة في مراكز محددة وبصفة دائمة.
- تكوين محزن من الفرسان من الأرباع الموالين وأولاد سعد بن سالم وتسجيل أبناء الشخصيات النافذة والمؤثرة من أولاد نايل كفرسان لتهديد الساخطين أو المنزعجين بأن الإدارة يمكنها استبدالهم بقيادة أكثر ولاء وإخلاصا. وبموجب القرار 26 جانفي 1853 الوزاري لخلق ملحقة المكتب العربي التابع إلى مقاطعة الفرعية في المدينة
- 6- تحطيم سمعة الجيش الفرنسي الذي لا يقهر ووسائل وطرقه الحديثة، بفضل الانتصارات التي حققها الشريف بن عبد الله واعتراف ضابط هذا الجيش بان الفضل في احتلال الصحراء يعود إلى القوات المحلية وخاصة الشيخ حمزة من أولاد سيد الشيخ.

#### 7) تأسيس دائرة الأغواط والاحتلال الدائم

في 22 جويلية 1853 جاء قرار الوالي العام بتأسيس دائرة الأغواط بعد احتلالها نهائيا ويضم المقاطعات التالية:

- القصور: الأغواط- عين ماض- تاجموت- الحويطة- الاسافية المخاليف (لازرق الجورب)- قصر الحيران.
- آغاليك الأرباع: الحرازية- المعامرة- الحجاج- اولاد صالح.
- باشأغا لليك اولاد نايل: اولاد سيدي احمد- أولاد غويني- أولاد ام هاني- الأبازيغ- شرف اولاد الضاية- أولاد لعور- اولاد عيسى- اولاد سيدي يونس- القصور فرنيتة- دمد- مسعد- زكار- حمرة- مجبرة.
- قيادة سعد بن سالم: اولاد خناتة- أولاد رقاد- أولاد يحي بن سالم.
- كونفدرالية واد ميزاب: بريان- غرداية- بني يزقن- مليكة- قارارة- بن نورة- العطف (هذه المدن هي تحت مراقبة سياسية لقائد الأغواط). توقيع القرار من طرف الجنرال راندون الحاكم العام.<sup>(1)</sup>

<sup>1</sup> - Mangin, Op.Cit, pp.16-17.



# الفصل الثاني

مقاومة التوسع الاستعماري في

منطقة توات – قورارة –

تيديكالت

## I. التعريف بإقليم توات الكبير (توات - قورارة - تيديكلت)

### 1) التسمية والموقع:

يقع هذا الاقليم في جنوب الجزائر بين خطي طول 01° درجة شرقا و 04° درجة غربا وما بين دائرتي عرض 26 درجة و 30 درجة شمالا، تقدر مساحته حوالي ألف ميل مربع من قصر تيلكوزة في الشمال إلى فقارة "الزوى" في الجنوب على شكل هلال، الأمر الذي جعله محور اتصال بين الشمال الصحراء والمناطق التلية من جهة والسودان من جهة أخرى وكذلك منطقة عبور بين الشرق والغرب الأفريقي الصحراوي.<sup>(1)</sup>

أما حدوده من حيث مظاهر الصحراء التضاريسية فيحده شمالا العرق الغربي الكبير ووادي مقيدن ووادي الساورة، ومن الجنوب رق تنزروفت إلى وادي قاريت وهضبة مويدير في الجنوب الشرقي ومن الشرق العرق الشرق الكبير وهضبة تادميت إلى غاية هضبة مويدير في الجنوب الشرقي.<sup>(2)</sup>

أما في الغرب فيحده عرق الشاش وعرق الراوي وبعض روافد وادي الساورة، يتميز من الناحية التضاريسية بوجود كل مظاهر الصحراء المرفولوجية التضاريسية من الحمادة والرق والعرق وغيرها،

- أما الرق وهو المساحة المستوية الواسعة من الصحراء تنتشر بها الحصى والحجارة الصغيرة على سطح مستوي في منطقة رق تنزروفت.<sup>(3)</sup>
- العرق: المتمثلة في الكثبان الرملية وهي جبال من الرمال متحركة بفعل الرياح وتغطي مساحات واسعة وتتركز في المناطق الشمالية للإقليم مثل العرق الغربي الكبير وعرق الشاش وجزء من العرق الشرقي الكبير.

<sup>1</sup> - فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين 18-19م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977، ص 04.

<sup>2</sup> - نفس المرجع، ص 03.

<sup>3</sup> - محمد السويدي، ص 07.

- الحمادة: تتخلل المظاهر التضاريسية السابقة خاصة العروق، وهي عبارة عن سطوح مستوية واسعة<sup>(1)</sup> صخرية بفعل عملية الحت التي تقوم بها الرياح والرمال، وكذلك عمل الجو الميكانيكي بفعل المدى الحراري الواسع بين درجة حرارة النهار ودرجة حرارة الليل الذي يؤدي إلى تشقق وتفتت الصخور.
- أما السباخ: فهي عبارة عن بحيرات جافة بعد تبخر الماء بفعل ارتفاع درجة الحرارة فتتحول إلى "ضاية" من الملح أو تسمى كذلك "الشط" أو "السبخة" أو "زاغر" بالتغيير المحلي تتركز في الأودية المنخفضة وفي مصباتها كذلك ومن أهمها: سبخة مكرغان جنوب أقبلي وسبخة آزال ماتي جنوب شرق رقان وسبخة توهات بين تيمي ورقان وغيرها.
- الهضاب: وهي المناطق المرتفعة والواسعة مثل هضبة تادميت الواسعة والتي تمتد من منخفض تديكلت جنوبا إلى وادي مقيدن شمالا.

## (2) المناخ:

يسود المناخ الصحراوي الجاف تقريبا طيلة السنة ما عدا بعض الأمطار النادرة وحيانا تكون أمطار طوفانية تخلف خسائر كبيرة ودرجة الحرارة المرتفعة بحيث يتذكر سكان عين صالح عن فترة جفاف دامت حوالي 20 سنة.<sup>(2)</sup>

وسجل المكتشف الألماني "Rohlf" درجات الحرارة المرتفعة جدا خلال فصل الصيف حيث في 20 أوت 1864 على الساعة الواحدة ظهرا بلغت 40 في الظل وسجل 35-39 يومي 19 و 27 سبتمبر و 34 يوم 05 أكتوبر من نفس السنة ويقدر المدى الحرار خلال يوم واحد إلى 20 خلال 24 ساعة.

وتهب بها رياح أنية من الجنوب جافة وحارة تتسبب في حدوث الزوابع الرملية التي تجعل من زحف الرمال أكبر خطر يهدد الواحات الصحراوية، مما جعل سكان الواحات يحاولون إيقافه أو الحد منه عن طريق الحواجز من جريد النخيل وعن طريق واحات النخيل وتسمى محليا "بأفراك" بمعنى الحاجز أو السياج.

<sup>1</sup> - محمد بن سويس، العمارة الدينية الاسلامية في منطقة توات، تخطيط نموذجيا بين سنة 6-13هـ / 12-19م، مذكرة ماجستير في العلوم الاسلامية، 2007-2008، جامعة الجزائر، ص.

<sup>2</sup> - Duveyrier, les Touaregs du Nord, Paris, 1864, p.118.

### 3) المصادر الهيدروغرافية:

قدرت إمكانيات المياه الجوفية في الصحراء الجزائرية ب 05 مليار م<sup>3</sup>(1)، وهي المصدر الوحيد للمياه في كامل الصحراء، وتتواجد على عمق قليل نظرا لانخفاض هذه المنطقة عن مستوى سطح البحر.

أما الأودية فجُلها مؤقتة الجريان وتنبع من جبال الأطلس الصحراوي في الشمال نحو الجنوب وأهمها وادي "مقيدن" الذي ينبع من نواحي المنيعلة لينتهي جريانه في نواحي قورارة مكونا سبخة قورارة، ثم وادي "مسعود" وهو من الأودية خارجة عن هذا الإقليم في منبعها، حيث هي امتداد لوادي الساورة القادم من الشمال والذي هو عبارة عن اتحاد واديين كبيرين ينبعان من منطقة "فقيق" وهما وادي "قيير" ووادي "روزفانة" وينتهي به المطاف في منطقة كرزاز ثم يواصل مسيره تحت تسمية وادي "مسعود" ليصل إلى منطقة توات.

أما وادي قاريت وهو التقاء لعدة أودية من الشمال الشرقي لمنطقة تيديكلت وكل هذه المجاري المائية السطحية جافة في أغلب شهور السنة ما عدا فترة سقوط الأمطار، ولكن مياهها سرعان ما تختفي في الرمال بفعل درجة الحرارة المرتفعة جدا وحالة الجفاف مع ندرة الأمطار وارتفاع مسامية السطح الرملي.

وتعد الأمطار المتساقطة على جبال الأطلس الصحراوي في الشمال وذوبان الثلوج هي المصدر الاساسي في المياه الجوفية في منطقة توات، بحيث تتسرب هذه المياه بين هضبة تادميت والكثبان الرملية عبر منخفض واد مقيدن، حيث يرتفع مستوى المياه في فصل الشتاء فنجده بالقرب من El-Goléa على عمق مترين فقط، وتصب في سبخة المالح أين تبرز على السطح(2)، وتغذي المياه الجوفية لواد مقيدن كل مقاطعة توات وأوغرورت التي تضم 550.000 نخلة(3)، في حين تغذي الأمطار

<sup>1</sup> - Koull Naima, Etude phytoécologique spatiotemporel le des zones humides du nord-est du Sahara septentrional algérien (region de ouaregla et d'oued Righ), Thèse de doctorat, Univ, Ouaragla, 2015, p.04.

<sup>2</sup> - Parisot, La région entre Ouargla, et El-Goléa, B.S.G.A.A,1880, p.130.

<sup>3</sup> - Henri Schirmer, le touât Etude de Géographie physique et économique, A.G. T1 Octobre 1891 juillet 1892, Ed. ACMEND colin 1892, Paris, p.407.

المتساقطة على مرتفعات هضبة تادميت المياه الجوفية في منطقة التيديكلت وتتسرب تحت الرمال عبر شقوق وصولاً إلى سهل عين صالح.<sup>(1)</sup>

#### 4 إقليم القولة (المنيعة) - El-Goléa -:

أشار العياشي إلى El-Goléa وهي تاوريرت التي كانت تابعة لسلطنة ورقلة وكان بها أحد أحفاد أولاد سيد الشيخ، ثم تم احتلالها من طرف الشعبانة المواظي أبناء عمومة شيخ متليلي، للابتعاد عن منطقة النفوذ والتبعية للأتراك في المدينة في الجزائر.

ثم ضمت المنيعة إلى السلطة الفرنسية 1861 عندما احتلها سي حمزة لصالح فرنسا وألزم سكانها بدفع الضريبة أثناء مقاومة الشريف بن عبد الله وأصبحت إدارياً تابعة إلى الخليفة سي حمزة، ثم تحولت إدارياً فأصبحت تابعة إلى علي باي ومقاطعة الأغواط 1864، ولكن سرعان ما تحولت إلى قاعدة خلفية لمقاومة أولاد سيدي الشيخ بقيادة سي الأعلى.<sup>(2)</sup>

ومن الفرنسيين الذين مروا على هذه المدينة، خاصة الطريق بين القليعة ومتليلي (250 كلم) دوفريي Duveyrier 1860 والنقيب Villot في 1863 ثم مرت بها الفرقة العسكرية بقيادة Gallifet 1873، ثم طابور Belin 1881، وبعثة Choizy 1878<sup>(3)</sup>، وبعد انعقاد المعاهد بين الانجليز والفرنسيين حول تقسيم المستعمرات في إفريقيا لتفادي الصدام في 05 أوت 1872 بدأت عملية الاحتلال العسكري للمناطق الخاضعة لمنطقة النفوذ الفرنسية، فكلف الجنرال Gallifet باحتلال القوليعة في أقصى جنوب المناطق التي كانت خاضعة للاحتلال المباشر، منطلقاً من بسكرة 20 ديسمبر 1872 وصل إلى توقرت 30 ديسمبر ثم ورقلة 03 جانفي 1873، ثم انطلق منها يوم 11 جانفي وصولاً إلى El-goléa يوم 24 جانفي فأصبحت هذه المدينة قاعدة أمامية متقدمة للحملات التي سوف تتلوها نحو الجنوب.<sup>(4)</sup>

ولم تكن بالأهمية الكبيرة التي أصبحت تتمتع بها، فكانت عبارة عن قلعة على ربوة وعدد سكانها قليل، ولكنها أصبحت في فترة الاحتلال قاعدة ذات أهمية استراتيجية بالنسبة لعملية احتلال الجنوب خاصة بعد أن أصبحت منطقة التيديكلت في التوات، مهد الثورات والمقاومات ضد

<sup>1</sup> - Ibid, p.408.

<sup>2</sup> -Feraud, RA, Vol 31, 1887,Op.cit, pp.238-30.

<sup>3</sup> -E.CAT, à travers le désert, Ed libraire Gedalge, Paris, p.99.

<sup>4</sup> -Le D<sup>r</sup> F, Quesnoy, l'Algérie,librairie Furne, Paris, 1885, p.138.

الاحتلال، فمن هناك أصبحت تتحضر أغلب المقاومات التي شهدتها المنطقة فيما بعد السبعينيات القرن 19.

El-goléa أصبحت تحت السيطرة المباشرة منذ 1891، بعد ما تم تشييد برج سنة 1890م في أسفل القصر ومن ثم احتلالها بصفة دائمة، وتم تجهيزها ببناء مستشفى وثكنة عسكرية تضم كتيبة من المشاة و60 من صبايحية، لقد أهلها موقعها الاستراتيجي لأن تكون مركزا تتجمع فيه كل قوات الحملة العسكرية الشاملة للاحتلال توات.<sup>(1)</sup>

القوليعة (المنيعة) تقع على جبل صخري مرتفع، وهي منشأة من الصخور المهذبة الغرانيثية وبنائها أجود من القصور الصحراوية الأخرى، تحتوي على 200 منزل محاطة بسور عالي وسميك ومحصن مع ثقوب ولها باب واحد من ناحية الغرب الذي يعد باب القلعة القديمة.

مع وجود بئر عميق جيد البناء، هو مصدر المياه لسكان المدينة ويمكن أن تكون أحد المراكز الرومانية.

تنقل الذاكرة الشعبية أن سكان القصر كانوا من جنس مختلط يشبه سكان توات ويتكلمون الزناتية ويبدو أنهم طُردوا من طرف الشعابنة الموازي السكان الحاليين.

يقطن البعض منهم داخل المدينة والبقية يقيمون في الخيم حول المدينة يعتمدون على المشية والجمال وكذلك التجارة مع المراكز المحيطة بهم، وتحيط بها حدائق أو غابات النخيل ومختلف المنتوجات مع توفر مياه قليلة العمق ومتوفرة بكثرة.

## II. أقاليم منطقة التوات الكبير (تيقورارين- توات - تيديكلت) الاطار الجغرافي والتركيبية

### البشرية:

#### 1) الاطار الجغرافي والتسمية:

تعددت الأراء والاتجاهات في أصل تسمية المنطقة من حيث اللغة وسبب التسمية وأول هذه الأراء يذهب إلى أن أصل التسمية سودانية تكرورية وتطلق على نوع من الأمراض الذي أصاب بعض الحجاج في هذا المكان، فحمل هذا المكان هذا الاسم، وذكره المؤرخ عبد الرحمان السعدي (ت

<sup>1</sup> -Jean Hess, L'extrême sud Algérien et le Touat, A.G, T6, N°26, 1897, pp. 158-159.

1006هـ) في كتابه تاريخ السودان<sup>(1)</sup>، وذهب آخرون إلى أن أصل التسمية توات عربية ولكنهم اختلفوا في اشتقاق الكلمة بحيث جاءت بمعنى الإتاوات أي المغارم أو الضرائب وتحولت الكلمة إلى أن أصبحت توات، والذين ذهبوا في هذا المنحى الشيخ محمد بن عمر ابن المبروك البداوي (كان حيا 1312م) وكذلك الشيخ محمد بن عبد الكريم البكراوي التمنطيبي (ت1374هـ).<sup>(2)</sup>

والمعنى الثاني هو أنها جاءت بمعنى "تواتي" أي "تناسب" أو "تليق" بعدة معاني منها أنها مناسبة للإقامة والسكن أو مواتية للعبادة والزهد والخلوة<sup>(3)</sup>، وذهب آخرون إلى أن أصل التسمية بربري أمازيغي ويطلق على الأماكن المنخفضة وفعلا المنطقة هي عبارة عن منخفض وهو الرأي الراجح حيث ان تاريخ استيطان أو استقرار الانسان في المنطقة يعود إلى فترة تاريخية قديمة جدا، وبما أن سكان المنطقة من الأمازيغ البربر واللهجة الزناتية البربرية أصلية في المنطقة لذلك يرجح أن يكون أصل التسمية بربري أمازيغي.

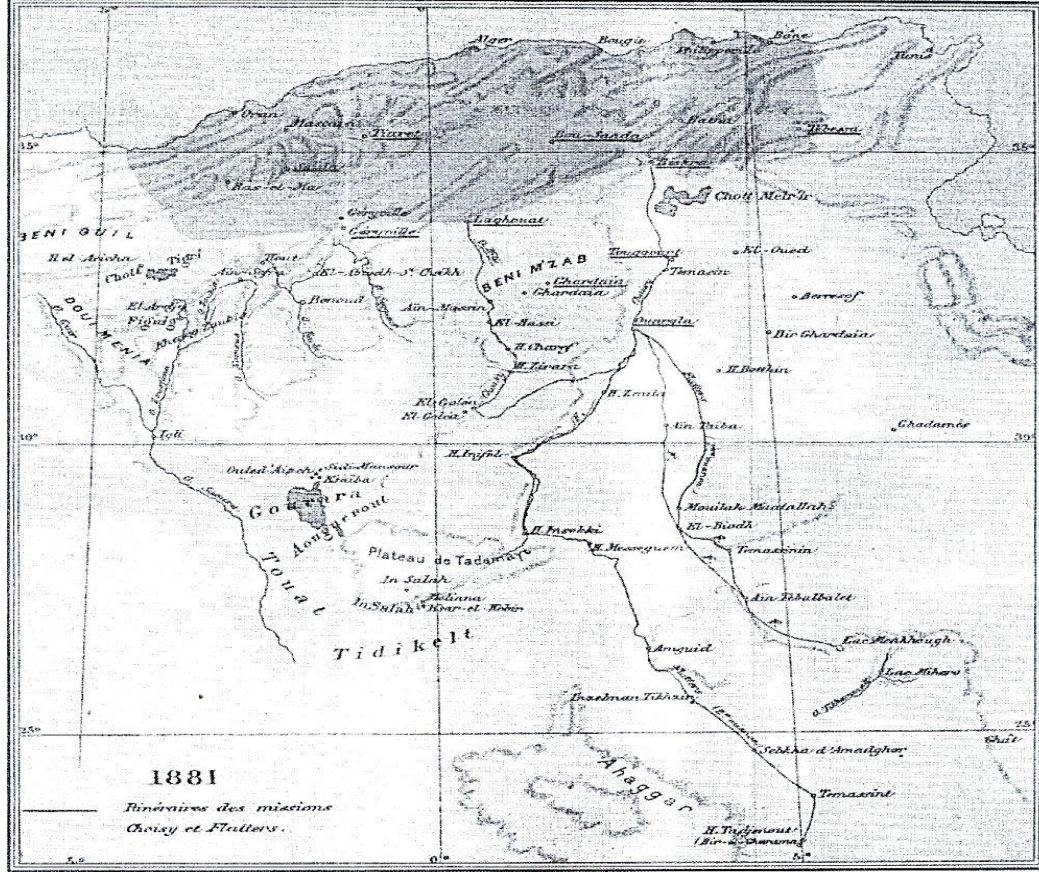
وينقسم هذا الاقليم إلى ثلاث مناطق كبرى تضم كل منها عدد كبير من القصور.

<sup>1</sup> - عبد الرحمان السعدي، تاريخ السودان، ط هوداس، باريس، 1981، ص 08.

<sup>2</sup> - عبد السلام الأسمر بلعالم، الحياة الفقهية في توات خلال القرنين 12-13هـ، مذكرة دكتوراه في العلوم الاسلامية، جامعة باتنة، 2015-2016، ص13.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 14.





خريطة

رقم (02): توات الكبير

### 1-1) منطقة تينجورارين (قورارة):

تقع في المنطقة الشمالية للإقليم يحدها العرق الغربي من الشمال والشمال الشرقي ثم هضبة تادميت من الجنوب والحوض الشرقي لواد الساورة من الشرق وتوجد بها سبخة تينجورارين وبعض الأودية الجافة مثل وادي اميقدن ووادي صالح، ومن أهم قصور هذه المنطقة:

- قصور أوقروت: تقع في منخفض واد امقيدن وتضم أربعة عشر قصرا،
- قصور أجريفت: الواقعة في سبخة تينجورارين وتضم 15 قصرا.
- قصور تيميمون: وتقع في الضفة الجنوبية لسبخة تيميمون وتضم 27 قصرا، قصر اولاد سعيد، وقصور شروين والزوى ودلدول و الدغامشة الواقعة غرب دلدول وتضم أربعة



قصور وأهمها قصر المطارفة، وقصور تساييت وتضم 11 قصرا في جنوب غرب الدغامشة، وقصور السبع وتضم قصر السبع والقرارة.<sup>(1)</sup>

## 2-1 منطقة توات:

تقع على حدود الهضبة العليا للقرارة التي تمثل الحدود الشرقية لواد مسعود والحدود المقابلة له هي العرق الغربي، وتبدأ بقصور "بودة" شمالا، وتمتد إلى رقان جنوبا وهو نفسه امتداد لواد مسعود من الشمال عندما يقتربن بواد الرمل في بودة ويتجه جنوبا إلى رقان<sup>(2)</sup>، وبالتالي المياه الجوفية موجودة بكميات كبيرة، وتكاد تكون سطحية لقرها من السطح، وتقع هذه المنطقة في حوض واد "الباطن" في الجهة اليسرى منه، وتشكل بفعل تجمع المياه الجوفية لواد مسعود من جهة وواد مقيدن « Meguiden » من ناحية أخرى، ويتميز هذا الحوض المائي الجوفي بالاتساع الكبير الذي يتراوح ما بين 300-400 كلم<sup>(3)</sup>، إضافة إلى المياه الجوفية المنحدرة من هضبة تادميت من الجنوب. الأمر الذي ساعد على تمركز عدد كبير من السكان في قصور منتشرة على طول مناطق توفر المياه الجوفية وأول هذه المراكز السكانية هو قصور "بودة" تضم 12 قصرا تنقسم إلى مقاطعتين بودة الفوقانية (العليا) وتضم 07 قصور وبودة التحتانية (السفلى) وتضم 05 قصور تبعد المقاطعتين عن بعضهما البعض ب 08 كيلومتر<sup>(4)</sup>.

ثم إقليم "تيمي" بمعنى "الجهة" وهي من أهم المقاطعات بحيث يعد أحد مراكزها حيث يقول عنها مولاي أحمد الإدريسي الطاهري (ت 1399 هـ) : «وكانت في القديم قبل الاستعمار محل الحلي والعقد ومجتمع الحرب والسلم، لأن القيادة القطيعة والقضاء والأحكام الشرعية التي كانت تصدر بتلك النواحي كانت بها ... وكانت بها الأسواق تقصدها التجار من كل مكان»<sup>(5)</sup>، يضم عدة قصور من بينها أدرار (520 نسمة) الذي أصبح مقر ملحقة توات ومقر كل "أقاليم الواحات الصحراوية"، إضافة إلى قصور أولاد "أوشن" و"ملوكة" "كوسام"، و"آدغا"، "بني تامر"، "تنلان"

1 - محمد الصالح حوثية، توات و الأزواد، ج1، دار الكتاب العربي، 2007، ص ص 28-31.

2 - نفس المرجع، ص 32.

3 - Commandant Vaissiere, Le Touat, R.G, 26<sup>eme</sup> année, T50, Janvier-juin 1902, Paris, p.29.

4 - محمد الصالح حوثية، المرجع السابق، ص 32.

5 - عبد السلام الأسمر بلعالم، المرجع السابق، ص 04.

و"أولاد انقال"، و"أو قديم" و"زاوية سيدي البكري" وغيرها، وتعتبر ملتقى الطرق من الشمال والشرق والغرب.<sup>(1)</sup>

وإذا اتجهنا نحو الجنوب أين تقع قصور "تمنطيط" التي تبعد عن "تيحي" بحوالي 12 كلم، وكلمة تمنطيط بربرية تعني "حاجب العين" وأهم قصورها "سيدي البكري" "بوفادي" و"توكي" وغيرها<sup>(2)</sup>، ثم قصور "فنوغيل" ومعنى الكلمة "فنو" أي أثار و"إغيل" تعني الذراع ويطلق عليها كذلك قصور "تسفاوت" تضم 17 قصرا أهمها "تسفاوت" في الشمال و"المنصور" في الجنوب، أما قصور "بوفادي" أو "أولاد الحاج" جنوب تمنطيط وتضم 04 قصور أهمها القصر الكبير ثم قصور تامست تبعد عن فنويل بحوالي 20 كلم جنوبا، وتضم 14 قصرا<sup>(3)</sup>، وقصور "أنز جمير" التي تشتهر بإنتاج الحنّة وتوجد في المنخفض الأيسر لواد مسعود وتضم 13 قصرا، أما قصور "سالي" تقع جنوب "أنز جمير" بحوالي 14 كلم على نفس الامتداد والموقع من واد مسعود، تضم 13 قصرا أهمها قصر "المحارزة" و"القصر الكبير".

قصور زاوية" كوننة" أو "أولاد سيدي حمو بلحاج" وتضم 16 قصرا أهمها قصر زاوية كوننة وقصر الشيخ سيدي عبد الكريم، ثم قصور رقان وتقع في أقصى جنوب إقليم توات وتضم قصرا أهمام تيمادانين.<sup>(4)</sup>

### 3-1 إقليم تيديكلت:

يقع هذا الاقليم بين منطقة التوات العام غربا، وهضبة تادمايت شمالا وهضبة مويدير جنوبا على الحدود الجنوبية لهضبة تادمايت بين حاسي المنغار « Mongar » شرقا، واد الشبي غربا،

<sup>1</sup> -A.G.P, Martin, Op.cit p.14.

<sup>2</sup> - عبد السلام الأسمر بلعالم، المرجع السابق، ص 05.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 34.

<sup>4</sup> - عبد السلام الأسمر بلعالم، المرجع السابق، ص 06. محمد حوثية، المرجع السابق، ص 34.

- A.G.P, Martin, Op.cit, pp.13-17.

ويمتد على مسافة 300 كلم من الشرق إلى الغرب ويضم 06 مجموعات من الواحات<sup>(1)</sup>، ومعنى كلمة تيديكلت "كف اليد" وتمتد مجموعات الواحات من فقارة الزوى شرقا إلى أولف غربا.<sup>(2)</sup>

- قصور فقارة الزوى: وتضم أربع قصور أولها الفقارة الكبيرة ومولاي هيبية وسيلافن وفقارة هينون.
- قصور إيغوستن: وتضم ثمانية قصور أهمها القبة الفوقانية (العليا) وعصون، فقارة العرب وحاسي الحجر.<sup>(3)</sup>
- قصور عين صالح: تقع على منحدرات هضبة تادميت شرق إيغرب 63 كلم وتضم 12 قصرا تمتد من الشمال إلى جنوب وأهمها قصر العرب أو الكبير وقصر أولاد باجودة ودغامشة وقصر أولاد الحاج.<sup>(4)</sup>
- قصور إيغرب: تقع على منحدرات هضبة تادميت وتبعد عن عين صالح بحوالي 63 كلم من الناحية الغربية وتضم سبع قصور أهمها زاوية الشرفاء أو قصبية أولاد جلول.
- قصور تيت: تبعد بحوالي 50 كلم عن قصور إيغرب نحو الجهة الغربية وتضم قصرين قصر تيت زاوية الشرفاء.
- قصور أولف: وتقع في الجهة الغربية لقصور تيت بحوالي 50 كلم وتنقسم إلى مجموعتين:
- أولف الشرقية: تضم 07 قصور أهمها قصر أولاد الحاج خلال وزاوية مولاي هيبية وأولف الشرفة، أما المجموعة الثانية وهي أولف العرب ويضم 10 قصور أهمها القصر الجديد وزاوية هينون وقصبية بلال وغيرها.
- قصور أقبلي: يقع جنوب قصور تيت بحوالي 35 كلم وتضم ست قصور أشهرها زاوية الشيخ بونعامة وقصر المنصور وقصبية أولاد زنان.<sup>(5)</sup>

<sup>1</sup> -Laquiére. E., La colonne servière au Tidikelt, au Touat, et au Gourara, R.R.C.et.D.et C.A.F, janvier 1902 p.06.

<sup>2</sup> - عبد السلام الأسمر بلعالم، المرجع السابق، ص 06.

<sup>3</sup> -E. Laquiére, Op.cit, p.06.

<sup>4</sup> - محمد حوثية، المرجع السابق، ص 36.

<sup>5</sup> -E. Laquiére, Op.cit, p.06.

## 2) التركيبة البشرية:

ورد بأحد الوثائق الأرشيفية في أرشيف ما وراء البحار بأكس تقرير سري يوضح الأهداف السياسية الأنية القريبة والبعيدة من وراء الدراسات العلمية للتركيبة البشرية للمناطق التي تهدف سلطة الاحتلال التوسع على حسابها، وكيف يتم استغلال الدراسات الأنثوغرافية التي أعدها باحثون مهتمون بقضايا التوسع الاستعماري في الجزائر من العسكريين خاصة، حيث صرح أحدهم في تقرير سري بعثه إلى قيادته، وكان هذا التقرير حول منطقة التوات وقورارة والتيديكلت، وركز فيه على الاحتياطات الواجب اتخاذها ويقول "إذ أخذنا بعين الاعتبار الوضع السياسي لسكان المنطقة، وجدناه عبارة عن تجمع لقبائل متباينة من حيث أصولها وقدراتها القتالية، والقانون الذي يحكم هذه التجمعات السكانية، هو قانون القوة الذي أنتج مجموعة من الفئات الضعيفة والمتمثلة في العبيد، الحراطين، هؤلاء لا يمكن استخدامهم والاعتماد عليهم حالياً ولكن مستقبلاً هم الذين سنعتمد عليهم، أما اهتماماتنا واحتياطياتنا الحالية منصبة على العناصر القيادية والتي تمارس قوتها وسيطرتها على المنطقة وهم أولاد باحمو، وأولاد المختار".<sup>(1)</sup>

ثم بدأ في عملية التحقيق حول قابلية كلا القبيلتين للتعاون مع فرنسا وضرورة التواجد في المنطقة وتشجيع الصراعات الداخلية بين هذه القوى لإضعافها، ثم دعم طرف ضد الآخر وفرض السيطرة بأقل جهد وإمكانيات ممكنة<sup>(2)</sup>، على المنطقة لذلك وجب استعراض التراتبية الاجتماعية بين الأصول المختلفة لسكان هذه المناطق الذين ينقسمون إلى خمسة مجموعات متباينة من حيث أصولها وهي:

1. الأشراف (الشرفة): ينتسب الشرفة إلى آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم، ويحتفي بهم أهل التوات ويحيطونهم بالاحترام والتقديس، وينتشر هؤلاء الأشراف في كامل قرى وقصور منطقة التوات، يحتكرون السلطة والنفوذ داخل أغلب قصور المنطقة وينتمى أغلبهم إلى المغرب ومنطقة تافيلالت في المغرب الأقصى مهد الدولة العلوية.<sup>(3)</sup>

<sup>1</sup> A.S, des efforts à tenter pour implanter l'influence française au Gourara et au Touat, 23 Juin 1891, boîte 22H 32, Anom, Aix-en-Provence.

<sup>2</sup> -Ibid.

<sup>3</sup> - عبد الرحمان بعثمان، القضاء في منطقة توات خلال القرنين 17-18م، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران 1، 2015-2016، ص 86.

2. العرب: القادمين من الشرق على عدة مراحل، خاصة بعد الفتح الاسلامي للمغرب الاسلامي وينتهي اغلهم إلى قبيلة الخنافسة وأولاد يعيش والمهارة في منطقة التوات وقورارة ثم أولاد باحمو وأولاد المختار أولاد زنون والزوى المستقرين في التيديكلت.<sup>(1)</sup>

3. البربر: وهم أسياذ المنطقة الأوائل ويعرفون بزناة التي أصبحت تطلق على كل سكان القصور من أصول بربرية رغم اختلاف انتماءاتهم القبلية البربرية، وفقد العنصر البربري قوته وسلطته أمام القبائل العربية فتحول إلى فئة الرعية داخل مجتمع قصور التوات الكبير.<sup>(2)</sup>

4. الحرطائين: اختلفوا في تفسير لفظه حرطاني ولكن يؤيد الكثير من الدارسين أن أصل هذه الكلمة هي "حر" "ثاني"، ويقول الناصري السلاوي "وأعلم أنه قد وقع في هذه الزمان لفظ حرطاني، ومعناه في عرف أهل المغرب العتيق، وأصله الحر الثاني، كأن الحر الأصلي حر أول وهذا العتيق حر ثاني، ثم كُثِرَ استعماله على الألسنة فقبل الحرطاني على ضرب من التخفيف، وبالتالي تتكون هذه الفئة من العتقاء والمولدين وتميل الوانهم إلى السمرة، وتمثل هذه المجموعة القوة العاملة في بساتين النخيل وحفر الآبار والفقاقير ويتقاضون خمس المحاصيل لذلك يطلق عليهم خمّاس ويلعب الحرطاني كذلك دور الوسيط بين تجار القوافل وسكان القصور، وكذلك له أجر مقابل خدماته في التجارة، ويعمل كذلك في الدكاكين التي يمتلكها الأشراف لبيع المنتجات المحلية، إضافة إلى السلع القوافل الآتية من السودان.<sup>(3)</sup>

5. العبيد: يمثل العبيد السود قاعدة الهرم السكاني في المنطقة يتواجدون في كافة قصور المنطقة وهم نتاج تجارة الرقيق مع السودان، وتعود أصولهم إلى عدة قبائل من جنوب الصحراء مثل قبيلة الفولان وهو الأقرب من حيث العقيدة الاسلامية إلى سكان توات

<sup>1</sup> -Guillaume De Champeaux, à travers les oasis sahariennes, les spahis sahariens, Ed. R. chapelot, Paris, 1903, p.25.

<sup>2</sup> -Commandant Deporter, Sahara Algérien Gourara, Touat, Tidikelt, imprimerie Fontana, Alger, 1891, p.18.

<sup>3</sup> -L. De COLOMB, Notice sur les oasis du Sahara et les routes qui y conduisent, extrait de la revue Algérienne et coloniale, Aout. Octobre 1860, Imprimerie de ch. Lahure, 1860, Paris, pp.40-42.

اضافة إلى قبيلة البومبارا وهي قبيلة جنوب شرق مالي، قبيلة "موشى" أو "موسي" وهي قبائل سودانية تنتشر في التشاد والكامرون، وغيرهم. ويعتبرون من العبيد الأقل رواجاً في هذه الأسواق لقلة معرفتهم بأعمال الزراعة وصعوبة تأقلمهم مع الظروف البيئية والاجتماعية.

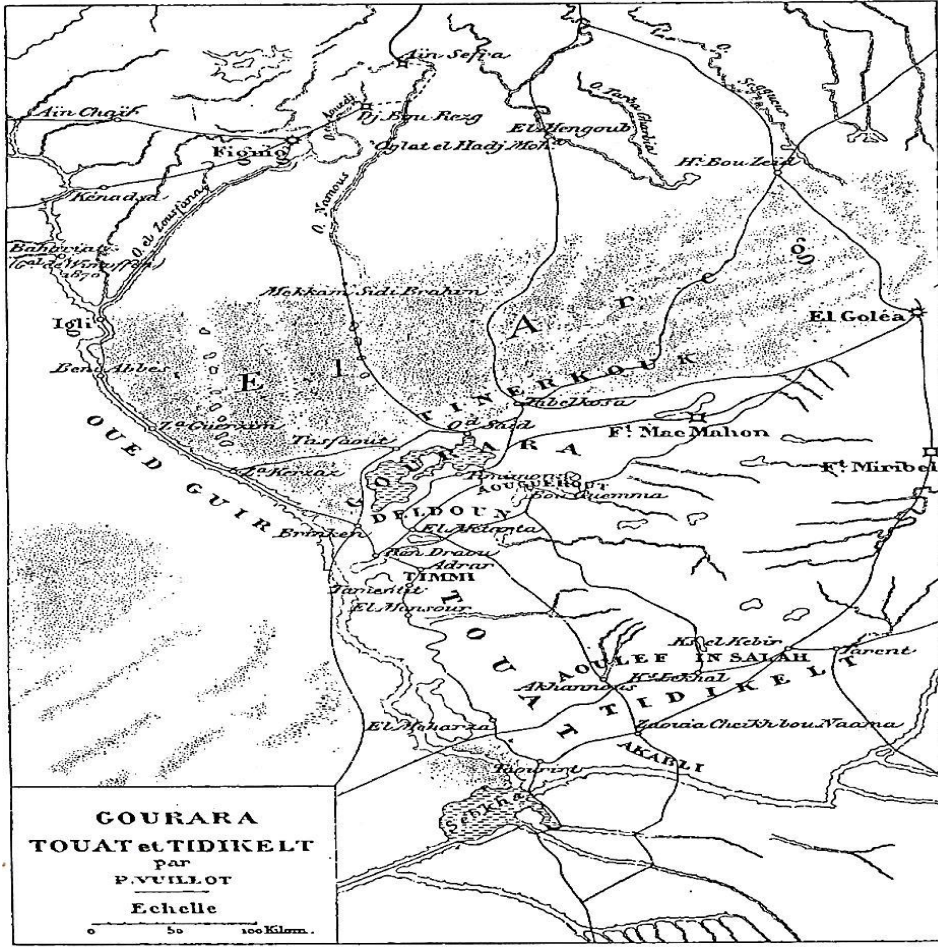
أما العبيد الذين تعود أصولهم إلى "الهوسا" مصدرهم من بنين والنيجر ونيجيريا، وسرغو والغوتا (Foutas- Sergous- Haoussas) وتعود أصولهم إلى الكوتديفوار وغانا، فهم الأعلى سعراً والأكثر طلباً في هذه الأسواق. بينما كان العبيد الذين يعود مصدرهم إلى منطقة الطوراق يستخدمون في رعي الإبل خاصة والأغنام.<sup>(1)</sup>

وقد ازدهرت تجارة النخاسة في المنطقة، نتيجة الإقبال على العبيد لاستخدامهم في مختلف الأعمال خاصة في حفر الآبار والفقاقير وأعمال البساتين وغيرها من الأعمال الشاقة، وكانت تتم مقايضتهم بالذهب والفضة وكذلك ببعض السلع المحلية.

وقد نقل الناصري عن "أحمد بابا التنبكتي" في "معراج الصعود إلى نيل مجلب السود" عن حكم استرقاق العبيد السود الذي اعتبره من أفحش المناكر وأعظمها في الدين، إذ أهل السودان هم قوم مسلمون لهم مآلنا، وعليهم ما علينا، والأصل في نوع الإنسان هو الحرية والخلو من موجب الاسترقاق.<sup>(2)</sup>

<sup>1</sup> -SELKA Abderrahmane, Notice sur le Touat population çofs Ksour, légendes, commerce, industrie agriculture, Elevage, Mœurs, et coutumes. B.S.G.A, Imprimerie Algérienne, 27<sup>eme</sup> Année, 1922, p.523.

<sup>2</sup> - أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، كتاب الاستقصاء أخبار حول المغرب الأقصى - الدولة السعدية، ج5، تق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1955، ص ص 131-134.



الخريطة رقم (03) الخريطة السياسية لتوات الكبير<sup>(1)</sup>

### 3) الوضع السياسي في توات الكبرى (قورارة - توات - تيديكلت):

لم تكتفي الدراسات الاثنوجرافية الفرنسية على هذا الأساس أي الأصول العرقية، في دراسة سكان منطقة قورارة توات- تيديكلت بل اكتشفت تصنيف آخر سياسي لا يعترف بالانتماء العرقي أو لون البشرة بل بالانتماء سياسي لأحد الطرفين أو عصبتين المتنازعتين في حروب كلفت المنطقة الكثير من الضحايا، وتعدى تأثيره إلى الجانب الاقتصادي، وما يترتب عنه من آثار اجتماعية سيئة، ويتمثل هذا الانقسام في عصابة أو معسكر "يأحمد" وعصابة "سفيان".

واختلف المؤرخون الأجانب والمحليين في جذور هذا الانقسام فقد أشار بعض الباحثين من الفرنسيين إلى أن أصل التسمية قد تم استعارتها من التاريخ الإسلامي في الفتنة التي وقعت بين خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومعاوية بن أبي سفيان

<sup>1</sup>- Augustin Bernard, occupation d'in-Salah, Questions diplomatiques et coloniales, Revue de politique extérieure, directeur Henri Pansa, T. IX, Janvier 1900, p.197

حول مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنهم جميعاً<sup>(1)</sup>، واستمرت الحروب بينهم لفترة طويلة مما اضطر كل طرف إلى البحث عن حليف من القبائل الواقعة في الشمال فتحالف "يأحمد" بالبرابر و"سفيان" بالشعابنة ودوي منية وكانت أخطر هذه المعارك حصار أدرار وقضية قائد عصابة "يأحمد" التي كادت أن تسقط في يد العصابة المعادية من سفيان، وانهمزم هؤلاء كذلك في معركة زاوية كونتا أمام "يأحمد" وهي أحد أهم القصور في منطقة سفيان.

أما المقدم كولومب Colonel L. De Colomb<sup>td</sup> الذي استغل مرحلة تواجده في المركز المتقدم Geryville (البيض) وقام بتسجيل كل ما سمعه واستقاه حول المناطق الجنوبية الصحراوية من التجار وكذلك "الطلبة" أو معلمي القرآن والرحالة وغيرهم، وجمعها في كتاب "الملاحظات حول الواحات الصحراوية والطرق المؤدية لها" سنة 1860.

من خلال ما جمعه يرجح أن مصطلحي "يأحمد" و"سفيان" تم استعارتهما من الفتنة الكبرى بين سيدنا علي ومعاوية رضي الله عنهما، ولكن جذور الخلاف والصراع تعود إلى حوالي 35 سنة خلت أي حوالي 1825م في "تيمي" أو "أدرار" حالياً، وكانت نواة الخلاف هي بين الشيخ البركة قائد قصر بودة وهو صهر الحاج حسين قائد قصر تيمي (زوج ابنته رقية) وسيدي المهدي قائد قصر سالي.

وفي أحد أيام سنة 1825 أبلغ أولاد الحاج بوفادي، الشيخ البركة بأن سيدي المهدي جاء قاصدا قصر تيمي مع حوالي 200 إلى 300 رجلا فقط من قومه، فاستغل الشيخ البركة الفرصة وهاجم سيدي المهدي في منطقة "الرحاب" الواقعة بين قصر منصور وبوفادي، وكانت نتيجة هذه المعركة لصالح سيدي المهدي رغم قلة عددهم، فاستنجد الشيخ البركة بصهره الحاج حسين قائد قصر تيمي الذي رفض الدخول في هذا النزاع، والسبب هو أن سيدي المهدي كان يقصده بالزيارة، وبالتالي كان ضيفه، والشيخ البركة قام بمهاجمته دونما اعتبار لصهره الحاج حسين. لذلك توجه الشيخ البركة إلى المناطق الشمالية وتحالف مع قبائل دوي منية و"آيت عطا" وقبائل أخرى، وأغراهم بالغنائم ولكن لم تحقق هذه الحملة أهدافها، ومن هذه الفترة وقع الانقسام، الذين أيدوا الشيخ البركة كانوا يمثلون صف سفيان، والذين أيدوا الحاج حسين مثلوا صف يأحمد.

<sup>1</sup> -SELKA Abderrahmane, Op.cit, pp.528-529.



استمرت هذه الحرب إلى أن تمكن صف يأحمد من احتلال قصر بودة والمنصور وألقى القبض على الشيخ البركة وتم إعدامه، ولكن الصراع استمر بعد موت القائد، حيث ظهر أخوه محمد الذي بحث عن حلفاء في الشمال واستمرت هذه الحرب التي كلفت الكثير من الأرواح ولكن هذه الحادثة لم تكن بداية هذا الصراع لأن مصادر أخرى أرجعت بدايته إلى مرحلة سابقة.<sup>(1)</sup>

أما المصادر العربية والمحلية فقد أشارت إلى (الهرج والمرج) ولكن لم تحدد المصادر تاريخ بداية هذه الحروب والصراعات الداخلية بدقة وأرجعت أن بدايتها كانت في عهد الدولة الموحدية عندما قام يوسف بن علي بإيفاد عاملا وقاضيا إلى المنطقة لفض النزاعات بين أهلها وكان ذلك 1165م.

أي أن هذا الصراع كان أقدم مما اعتقدته الدراسات الاستعمارية، ويعود سبب التسمية إلى أحمد أي محمد صلى الله عليه وسلم وأبي سفيان قبل إسلامه (لإظهار درجة العداوة بين الحلفين) أما مصادر أخرى يرجعها إلى البرامكة الذين وجدوا في هذه المنطقة الملاذ الآمن وهما الأخوين أحمد وموسى اللذين استقرا بها وأصبحوا من الملاك والتجار الكبار في قصر بوعلي والمنصور وسالي، ولكن اختلف الأخوين حول قسمة ممتلكاتهم الأمر الذي تطور إلى صراع ونزال وحروب، فأصبحت الفرقة المؤيدة لأحمد هي "يأحمد" وفئة موسى سميت "سفيان".<sup>(2)</sup>

ولكن المراحل التي مرت بها المنطقة خاصة توافد القبائل العربية إلى المنطقة خلال هجرات بني هلال وبني سليم إلى ظهور صراع بين القبائل المستقرة والقبائل العربية الوافدة التي اكتسحت المنطقة، ولكن سرعان ما انقلب هذا الصراع بين القبائل العربية التي عرفت بيأحمد وسفيان.

ولكن ما ركزت عليه الدراسات الأثنوغرافية الفرنسية هو قضية الخلاف والصراع وكيف يمكن استغلاله في عملية التوسع نحو الجنوب، والجانب الهام الذي أولته اهتماما كبيرا هو اضطرار هذه الأطراف على البحث عن حلفاء لها بهدف السيطرة على الطرف الآخر.

<sup>1</sup> -L. De colomb, Op.cit, pp.46-48.

<sup>2</sup> - عبد الرحمن بعثمان، القضاء في منطقة توات خلال القرنين 17-18م، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران 1، 2015-2016، ص ص94-96.

لم تتوقف هذه الدراسات عند هذا الجانب بل حاولت من خلال الدراسات الديمغرافية والاجتماعية لمنطقة قورارة- توات- تيديكلت، وخاصة توزيع الثروة بين مختلف طبقات وأصول سكان المنطقة، فتعتمد العلاقات الاجتماعية في وسط الواحات على مدى التحكم في مصادر المياه، ويخضع تقسيم كمية المياه لكل منتج أو فلاح إلى مدى مساهمته في مشروع تشييد وانجاز الفقارة. وبالرغم من أن هذه القاعدة عادلة، إلا أنها تجعل مصادر المياه تتركز ملكيتها والتحكم فيها في الفئة التي تملك اليد العاملة من العبيد والأجراء، أي طبقة الأشراف والمرابطين الذين يستفيدون ويتحكمون في التجارة عبر الصحراء خاصة تجارة الرقيق.

وفي إحصاء 1906 كانت طبقة الأشراف والمرابطين يمثلون 23% من سكان توات وقورارة والتيديكلت ويمتلكون 46% من مصادر المياه و44% من النخيل.<sup>(1)</sup>

ولكن نفوذ هذه الطبقة تراجع بشكل كبير بعد إلغاء تجارة العبيد مع السودان حيث انفتحت المعلومات التي جمعها القنصل الفرنسي في طرابلس مع تقرير للغرفة التجارية للجزائر حول الخسائر التي تكبدتها الواحات الجزائر بعد منع تجارة العبيد، فقد فرغت بعض الواحات من سكانها، وأصبحت اليد العاملة نادرة.

فمثلا الغوليعة (المنيعة) التي كانت تضم حوالي 50 واحة لم يبق منها إلا العدد القليل واقترح هذا التقرير أن يكلف عملاء في القوليعة وغرداية وعين صالح وورقلة لشراء العبيد، ثم يتم إدخالهم إلى الجزائر كأحرار ويمكن للحكومة أن تجندهم في الجيش لمدة 05 سنوات كمشاة، وعند قضاء هذه المدة يمكنه الحصول على أرض للعمل بها، أو استخدامهم كعمال أجراء لدى الفلاحين، والعمل على استقرار بعض العائلات منهم في الواحات المهجورة لاستغلالها<sup>(2)</sup>، واعتمد هذا التقرير على فرضية أن العنصر البشري الوحيد الذي يمكنه تحمل قساوة المناخ وصعوبة العمل، هم العبيد السود وعلى المدى البعيد يمكنهم خلق طبقة اجتماعية لها مكانتها الاقتصادية والسياسية في المجتمع وتكتسب عامل الولاء بعد الخدمة في الجيش للسيد، وتفتقد إلى الإحساس بالانتماء إلى

<sup>1</sup> -Martin, Op.cit, pp.224-226.

<sup>2</sup> -Engagement de négres libres pour l'Algérie, 28/10/1879,boite 22H 26, Anom.

الأرض والوطن، فتكون من السهل على سلطة الاحتلال كسب ولاءها وعمالتها. وكان هذا التقسيم غير المتساوي للمياه السبب في تركز النخيل في يد فئة قليلة من المجتمع الصحراوي.<sup>(1)</sup>

أما الطبقات الاجتماعية التي ركزت عليها هذه الدراسات التي اعتبرها بعضهم الطبقة التي تعمل بجَد ولها الفضل في النشاط الاقتصادي لقصور المنطقة، وبدأت في هيكلة نفسها وبقوة عملها يمكنها أن تصبح الطبقة الأولى في هذا المجتمع<sup>(2)</sup>، حيث تم التركيز عليها في الإحصاء الذي قامت به سلطات الاحتلال في مارس 1906 وتم فيه التركيز على توزيع الثروة داخل قصور المنطقة على طبقات المجتمع الصحراوي وخاصة طبقة الحراطين ومكانتها المادية في هذا المجتمع، وقد انتهت الدراسة إلى أن إقليم قورارة يمتلك فيه العوام من زناتة 5/3 من المياه، ونصف عدد النخيل والثورة الحيوانية، وبالتالي تتركز القوة الاقتصادية في إقليم قورارة في هذه الفئة.

أما في التوات فالتفوق الاقتصادي يمتلكه الأشراف الذين يمتلكون 3/1 المياه والنخيل، ولكن الثروة الحيوانية تتركز في يد الحراطين بنسبة 5/2 وحوالي نصف الحيوانات المستخدمة في الأشغال المختلفة.

في حين التيديكلت تتركز أغلب الثروة المتمثلة في المياه والنخيل في يد العنصر العربي بمختلف فئاته (أشراف- مرابطين- العامة)، مع تفوق العامة في هذه الفئات، أما الثروة الحيوانية عامة فيسيطر عليها الحراطين.<sup>(3)</sup>

ومن هذا العرض لإقليم قورارة اقتصاديا بربري أما التوات يهيمن عليه الأشراف والتيديكلت تحت سيطرة العامة من العرب.

مع أن ممتلكات الحراطين العقارية لا تمثل سوى 10/1 و لكن يمثلون 5/2 من السكان ويسيطرون على الثورة الحيوانية وخاصة الحيوانات المستخدمة في أعمال الفلاحة وغيرها.<sup>(4)</sup>

<sup>1</sup> - Yves Guillaume, Survie et ordre social au Sahara, les oasis du Touat- Gourara Tidikelt en Algérie, colloque, Science. Humaine 29 (1) 1993, Ed, de L'ORSTOM, Paris, pp.121-138, pp.130.131.

<sup>2</sup> -SELKA Abderrahmane, Op.cit, p.523.

<sup>3</sup> - Ibid, p.524

<sup>4</sup> -Martin, Op.cit, p.229.

وبالتالي انتهت كل هذه الدراسات والتقارير والمراسلات بين قيادات الاحتلال الفرنسي في الجزائر إلا أن المجتمع الجزائري في المناطق الصحراوية غير منسجم وغير متماسك ويمكن إثارة الفتن وتطبيق المبدأ الذي قامت عليه السياسة الاستعمارية في الجزائر، وهو مبدأ فرق تسد، بالاعتماد على فرضية أن هناك بعض الطبقات الاجتماعية لها القابلية للوقوف إلى جانب الاحتلال بناء على المعطيات التي سبق استعراضها، وركزت على طبقة العبيد باعتبارهم أجنب عن المنطقة ويمكنها استغلالهم عسكريا في الجيش الفرنسي، واقتصاديا كيد عاملة تستطيع تحمل الظروف المناخية القاسية.

ثم الاعتماد على طبقة الحراطين بعد أن تثير نوع من الشقاق والفرقة بينها وبين الطبقات الأخرى من العرب والبربر، إضافة إلى استغلال الصراعات الداخلية بين مختلف مكونات المجتمع الصحراوي في هذه المنطقة من الناحية العرقية والسياسية لتحقيق مصالح وأهداف فرنسا في الصحراء.

#### 4) مرحلة الحملات التجسسية الاستكشافية ورد فعل المقاومة:

نصت معاهدة لالة مغنية 1845<sup>(1)</sup> في ما يخص الحدود بين الجزائر والمغرب الأقصى في المناطق الصحراوية جنوب الهضاب العليا في المادة 03 من المعاهدة حددت الحدود بين البلدين من الشمال من "واد كيس" في الشمال حتى "ثنية الساسي" جنوبا الواقعة غرب العريشة، وفي المادة 04 تنص على عدم وجود حدود في المناطق الصحراوية على اعتبار أن الأرض غير صالحة للزراعة (أراضي غير محروثة). وتتصرف كل من السلطتين المغربية والفرنسية بكل حرية مع القبائل التابعة لكل منها، وذكرت هذه المادة قائمة بالقبائل في المنطقة.<sup>(2)</sup>

ورغم أن هذه المعاهدة خاصة بالمنطقة الغربية، إلا أن رحلات القوافل التجارية السنوية لقبائل المنطقة لم تكن تعترف بالجغرافيا الاستعمارية أو الحدود، وكان لها علاقات مباشرة بمنطقة توات وقورارة وتيديكلت وحتى المناطق الأخرى الشرقية، ثم السلطة المغربية حاولت ضم منطقة قورارة وتوات إليها، وحصلت عدة اتصالات ومراسلات بين قبائل المنطقة وواحاتها من جهة،

<sup>1</sup> -Dubois (Marcel), Terrier (Augustin), les colonies françaises Un siècle d'expansion coloniale, Ed. Augustin Challamel, Paris, 1902, p.213.

<sup>2</sup> -Lieutenant Baquey, Op.cit, pp.13-14.

والسلطة المغربية من جهة أخرى، عندما ظهرت نوايا فرنسا في احتلال الصحراء خاصة بعد الخدمات التي قدمها الشيخ حمزة من أولاد سيد الشيخ بعد مقاومة الشريف بن عبد الله والذي توسع جنوبا إلى أن وصل إلى "القوليلة" (المنيعية) ووادي ميزاب، الذي تكلم بالاتفاق في 1852/12/12 بين بني ميزاب والجنرال Péllisier كما ذكرناه سابقا. وكذلك أبناه سي بوبكر ابن سي حمزة من أولاد سيد الشيخ الذي مثل رأس الحربة للتوسع الفرنسي في الصحراء، وبفضله وسعت فرنسا من نفوذها، وكان له دور في مساعدة رحلات العسكريين المستكشفين الفرنسيين للتعرف على الصحراء ورسم خرائط بالطرق والسبل، ونقاط المياه، وأهم المراكز التجارية وتجمعات الواحات، وتوزيعها ومواقعها وبنيتها البشرية وغيرها من المعلومات الهامة التي استغلتها فرنسا في عملية الاحتلال.

لم يكن اهتمام الأوروبيين عامة والفرنسيين خاصة بالصحراء الإفريقية وليد عملية الاحتلال الفرنسي للجزائر، بل كان سابقا له، حيث نشأ هذا الاهتمام منذ ظهور الثورة الصناعية في أوروبا والتي أنتجت أزمة تسويق فائض الانتاج وندرة المواد الأولية الخام، وبالتالي ظهرت الحركة الاستعمارية والتنافس الحاد بين الدول الأوروبية على المستعمرات في إفريقيا التي مثلت سوق لتصريف فائض انتاجها، وكذلك للاستغلال ثرواتها الباطنية.

ولكن يوجد طريقان يربطان شمال القارة الإفريقية و المناطق التلية بالجنوب أي السودان، أولها الطريق الشرقي المار عبر واحة غدامس و غات وهو في خدمة تونس و طرابلس والطريق الثاني الغربي ويمر عبر واحات قورارة وتوات وتيديكلت بالنسبة للجزائر والمغرب.

الطريق الشرقي تم اكتشافه من طرف عدة رحلات حتى أصبح معروف لدى الفرنسيين أما الطريق الغربي لا زال مجهولا غير مستكشف، ويتفق أغلب المستكشفين (الجواسيس) أن العداء ورفض سكان الواحات للوجود الفرنسي، يزداد كلما اتجهنا غربا، لذلك اختار غالبية هؤلاء المغامرين الطريق الشرقي، واستمرت البقعة البيضاء في وجودها على خرائط هذه الفترة في المناطق الوسطى والغربية.<sup>(1)</sup>

<sup>1</sup> -Commandant colonieu, Voyage au Gourara et a l'Aouguerout, 1860, B.S.G, 1892, p.43.

من هذا المنطلق تجسد هذا الاهتمام بالمنطقة المراد دراستها (قورارة- توات- تيديكلت) بالاعتماد في البداية على المصادر القديمة مثل البكري (ق 11م) والادريسي (ق 12م) وليون الافريقي (ق 16م) وتوماس شو (ق 17م) و (J-A) Peyssonnel (ق 18م) voyage dans la régences de Tunis " et d'Alger" الذي نشره سنة 1838، وهو نص الرحلة التي قام بها الدكتور Peyssonnel في الجزائر وتونس من ربيع 1724 إلى خريف 1725، ثم رجل الدين L'abbé Poiret الذي أصدر كتابه 1789 Voyage en barbarie<sup>(1)</sup>.

ثم أعقبها أولى الرحلات الاستكشافية التي قام بها بعض المغامرين مثل رحلة major Laing (1825-1826) التي انطلقت من غدامس ومرت عبر تماسينين إلى عين صالح وأكابلي متوجها نحو تموكتو وبالتالي اجتاز منطقة تيديكلت في فترة مبكرة. ولكنه قتل في طريق عودته بين تيموكتو وآروان وباءت كل محاولات البحث عن ما بقي من مذكراته بالفشل، ما عدا المعلومات القليلة التي تضمنتها الرسائل التي بعث بها إلى أصدقائه وأهله.<sup>(2)</sup>

وفي أحد تقارير المكتب السياسي للشؤون العربية أبريل 1862م، قسم فترات استكشاف المناطق الصحراوية إلى مرحلتين: تبدأ الفترة الأولى من 1850 حتى 1857 وتستمر الفترة الثانية حتى 1862 وكانت أولى المحاولات سنة 1850 وتطوع للقيام بها M.Renaud متنكرا في زي عربي وسمى نفسه الحاج بن عبد الله، ورسم الطريق الذي سوف يسلكه إلى تمبوكتو عبر ورقلة ثم القويلة El-Goléa وتوات، ولكن شيخ نقوسة أقنعه بالعدول عن هذه الرحلة الخطيرة وأجبره على العودة<sup>(3)</sup>، ثم سنة 1854 كلفت وزارة الحربية Mac-Carthy للذهاب إلى تمبوكتو، ولكن الأخبار التي وصلت من قورارة تحذره من خطورة القيام بهذه الرحلة لرفض سكان المنطقة لأي تواجد مسيحي، فكلف بهذه الرحلة أحد الأهالي الجزائريين وهو سي محمد الوزاني الذي بعد غياب 04 أشهر ونصف جاء بعدة معلومات جغرافية، ومعلومات حول النشاط التجاري بها، ولكن اعتبرت معلومات هذه الرحلة غير موثوقة، وفشلت الرحلة الاستكشافية التي كان يريد أن يقوم بها M.Dastugues نائب في المكتب

<sup>1</sup> -FA. Bernard, N.Lacroix, la pénétration saharienne 1830-1906, El Gandini, 1993 France, pp.2-3..

<sup>2</sup> -P.Vuillot, L'exploration du Sahara Etude historique et Géographique, Ed.Augustin Challamel, Paris, 1895, pp.2-5

<sup>3</sup> -Résultats obtenus jusqu'à ce jour par les explorations Entreprises sur les auspices du gouvernement de l'Algérie pour pénétrer dans le soudan, Avril 1862, Bureau politique des affaires arabe, boite 22H 26, Anom.

العربي بمعسكر عن طريق مرافقته للقافلة السنوية لقبيلة حميان إلى التوات، ولكن رفض سكان الواحات القاطع ومقاومتهم لأي تواجد مسيحي حال دون إتمام هذه الرحلة، ثم حاولت فرنسا التمهيد للاتصال بالمنطقة بواسطة الرسائل التي حملها أحد سكان توات الحاج عبد القادر بن أبو بكر من السلطات الفرنسية إلى أعيان سكان توات، ولكن لم يتم الرد على أي من هذه الرسائل وبعد فشل كل هذه المحاولات تغيرت وجهة الاستكشاف نحو الطريق الشرقي (غدامس وغات).<sup>(1)</sup>

أما الفترة الثانية التي تبدأ من 1857 وهي الفترة التي كانت للشيخ حمزة بن بوبكر بن سيد الشيخ دور في توسع وامتداد الوجود الفرنسي جنوبا، بعد أن كانت هذه المناطق مثل ورقلة حتى «المنيعة مجهولة لدى الفرنسيين، ولكن سكان تيديكلت وقورارة وتوات استمروا في رفضهم لأي وجود مسيحي أجنبي، حيث حاول الشاب المغامر Henri Duveyrier سنة 1859 القيام برحلة نحو توات بإمكانياته الخاصة فتوجه نحو متليلي حتى المنيعه "El-Goléa" أين ألقى عليه سكان هذه الواحة القبض وضع في السجن مدة ثلاثة أيام وتمكن من فرار والعودة إلى ورقلة ونجى بنفسه، فلاحظ الجنرال De Martimprey روح المغامرة لدى هذا الشاب "هنري دوفريبي" فكلف بعدة رحلات استكشافية على نفقة الجيش ولكنها كانت كلها نحو الشرق.<sup>(2)</sup>

حاول قادة الجيش الفرنسي استخدام طريقة أخرى لاستكشاف هذه المناطق، نظرا لتصميم سكان هذه الواحات على مقاومة أي تدخل أجنبي، تمثلت هذه الطريقة في جمع كل ما تيسر من معلومات عن هذه المناطق، وقد جَسَّدَ المقدم De Colomb قائد دائرة جيريفيل الذي استغل فرصة لقاء القوافل التي اعتادت الذهاب إلى توات وكذلك السودان، وطلبة العلم الذين يقيمون في المنطقة لمدة معينة، واستمرت هذه العملية مدة أربعة سنوات تجسدت في الأخير في كتاب تضمن وصفا للواحات الصحراوية في إقليم توات، وأولى عناية خاصة بالنشاط التجاري وطرق المواصلات، ثم أنجز خريطة للواحات الصحراوية، ومناطق توفر المياه، ويذكر أحد الشخصيات التي زوده بمعلومات هامة عن تمبوكتو والقبائل المحيط بها<sup>(3)</sup>، وظهر هذا الرفض التام لأي تدخل فرنسي مسيحي، في الفشل الذريع للمهمة التي كلف بها الرائد Colonieu والملازم Burin في

<sup>1</sup> -Ibid

<sup>2</sup> -Ibid

<sup>3</sup> -De Colomb, Op.cit, pp.2-3.

منطقة واحات قورارة وتيبي (أدرار) أو توات، حيث انطلقت القافلة للقبائل الجزائرية من جريفيل وسعيدة في خريف 1860 نحو قورارة وتوات وحاول الضابطين الفرنسيين "كولونيو" و"بورين" اصطحابها، وكان الهدف لهذه الرحلة التأسيس لعلاقات تجارية واقتصادية، وتصبح منطقة قورارة وتوات وتيديكلت منطقة عبور تجارية بين المناطق التلية الشمالية والمناطق الجنوبية في إفريقيا أو ما يسمى بالسودان.<sup>(1)</sup>

ولكن تكوين القافلة والقوات المصاحبة لها كانت تدل على أنها حملة عسكرية، فقد بلغ عدد القوات المسلحة 120 فارسا 500 من المهاري مسلحين وانتقل خبر هذه القافلة والقوات مصاحبة لها إلى واحات الجنوب التي اتخذت كل التدابير والاستعدادات للمقاومة، ورفضوا فتح أبواب القصور والتفاوض أو استقبال حتى الرسائل، وفشلت كل محاولات الضابطين لطمأنة سكان الواحات، خاصة واحة "أولاد سعيد" و"تيميمون" ولكي يتمكن تجار هذه القافلة من إتمام مبادلاتهم التجارية، اشترط سكان الواحات أن يبتعد الضابطين وقواتهما عن الواحات بمسيرة يومين<sup>(2)</sup>، وأرجعت التقارير الفرنسية سبب هذا الفشل والرفض هو نشاط الدعوي الذي قام به الشريف محمد بن عبد الله في المنطقة، وتصميم سكان الواحات على موقفهم المعارض، وضد أي محاولة لاستكشاف المنطقة، وقام الرائد كولونيو بنثر مقال في جزئين في مجلة الجمعية الجغرافية 1892 عنوانه: « Voyage au gourara et à l'Aouguerout 1860 » حاول في هذا المقال أن يبرر الموقف الرفض للوجود الفرنسي تبريرا عرقيا، كون هذه القصور الراضة هي من بربر زناتة .

أما القصور التي رحبت بهم هم عرب مثل "أولاد عياش" من "المهارزة" المرابطين و"الخنافسة" التابعين إلى أولاد سيد الشيخ وكان أبو بكر بن سي حمزة قائد أولاد سيد الشيخ من الشخصيات التي رافقت القافلة، وسهلت لها المهمة ولكنها فشلت هي كذلك، بل ذهب في تحليله غير المنطقي إلى أن سكان هذه المناطق ينقسمون إلى قسمين، قسم قوي وهم بيض البشرة، والثاني ضعيف وهو السود، وعند الفتح الاسلامي (العربي) فرَّ البربر من الشمال مطرودين من طرف

<sup>1</sup> -Vuillot.P.,Op.cit, pp. 45-46

<sup>2</sup> -Ibid, pp 2-5.



العرب فتوجهوا جنوباً نحو توات قورارة وتيديكلت، وقاموا هم بدورهم بتجريد السود والحراطين - أي سكان هذه الواحات - من ممتلكاتهم وحولوهم إلى عمال لديهم وعبيد.<sup>(1)</sup>

ويتفق هذا التحليل مع الطروحات التي جاءت بها أغلب الدراسات الاثنوجرافية التي سبق أن عرضناها في دراسة التركيبة البشرية للمنطقة، والهدف منها هي استغلال كل أنواع التفرقة لصالح عملية الاحتلال.

#### 1-4) رحلة Gérard Rolfs جيرارولف (1864):

ساهمت الجمعية الجغرافية لباريس "S.G.P" في تشجيع حركة الاستكشاف في المنطقة التيديكلت وقورارة وتوات، فعرضت سنة 1855 جائزة خاصة للمستكشف الذي يستطيع الذهاب من الجزائر إلى السينغال عبر تمبوكتو، أو في الاتجاه المعاكس ويجمع معلومات عن سبل وطرق القوافل التي تتراد هذا الطريق، والآتية من طرابلس والمغرب وخاصة محطة عين صالح الضرورية لكل القوافل الآتية من مكناس أو ورقلة - تونس - طرابلس - غدامس وتمبوكتو، نظراً لأهمية موقعها الاستراتيجي،<sup>(2)</sup> والهدف من هذه الجائزة هو فتح الطريق التجاري الصحراوي أمام التجارة والسلع الفرنسية.

واستفاد جيرارد رولف من تجارب من سبقوه من المستكشفين، وجاء متنكراً تحت غطاء طيب تركي، واكتسب خبرة كبيرة أثناء انضمامه إلى قوات الليف الأجنبي « Légion d'honneur » الفرنسية ثم انتقله إلى المغرب وعمل كطبيب لمدة طويلة سمحت له بتعلم اللغة وعادات وتقاليد المسلمين، واكتسب ثقة زعامات بعض الطرق الدينية، أهمها شيخ زاوية وزان سيد الحاج عبد السلام التي حمّله رسائل توصية لشيخ قصور توات وتيديكلت، الأمر الذي كان له دور كبير في تسهيل هذه الرحلة والترحيب الذي لقيه هذا الرحالة في المنطقة معتقدين أنه مسلم، وجاء من طرف شيخ وشريف زاوية وزان. الذي وصفه في هذه الرسائل بأنه مسلم مخلص.

<sup>1</sup> -Commandant colonieu, Op.cit.pp.445-457.

<sup>2</sup> -V.A Malte- Brun, Résumé historique et Géographique de l'exploration de G.Rohlfs au Touat et Inçalah, Ed. challamel, Paris, 1866, pp.6-7.

انطلقت الرحلة 07 ماي 1864 من وزان نحو توات التي أقام بها ما بين 03 أوت إلى 10 سبتمبر 1864 سجل خلالها كل ملاحظاته سرا<sup>(1)</sup>. ثم انتقل إلى تيديكلت ونزل عند الشيخ القصر الجديد الحاج حامد بن جلول وهو قائد أولاد "زنان" القاطنين بأولف وهم من العرب، ثم مرَّ على كل قصور وواحات تيديكلت وصولاً إلى عين صالح، وهناك سلم رسالة سيدي الحاج عبد السلام شريف وزان الموجه إلى "الحاج عبد القادر ولو بوغراد" قائد أولاد "باحمو" و"عين صالح" وتضمنت ضمان أمن الرحالة رولف<sup>(2)</sup> ثم إرساله إلى الشيخ حامد البكاي في تمبوكتو، ولكن عدم توفر الأمن وأسباب أخرى موضوعية وذاتية لم يتمكن الرحالة من الذهاب إلى تمبوكتو ونصحته الحاج عبد القادر بالتوجه نحو طرابلس عبر غدامس<sup>(3)</sup>.

كانت مدة إقامته في تيديكلت من 11 سبتمبر إلى 22 أكتوبر 1864 وتمثلت أهمية هذه الرحلة في كونها أول رحلة يتمكن صاحبها من وصف منطقة قورارة - توات وتيديكلت عن طريق الملاحظة المباشرة، والأهم من ذلك الذهاب إلى عين صالح ووصف هذه المنطقة وتحديد موقعها الجغرافي والتعرف كذلك على موقف قادة المنطقة من بينهم الحاج عبد القادر من تواجد المسيحيين، والذي صرح له أن سكان عين صالح وقادتها لا يريدون تواجد المسيحيين في بلادهم، وأن مصيرهم هو الإعدام، وبالتالي أطلع بشكل مباشر على تصميم سكان هذه المنطقة على مقاومة أي تواجد مسيحي مهما كانت أغراضه وأهدافه وأهم نتائج رحلة رولف هي:

- (1) أهمية شريف وزان ونفوذه في المنطقة.
- (2) وصف كامل لمجموع واحات توات.
- (3) وصف فريد ووحد لواحات تيديكلت وعين صالح من الجانب الجغرافي.
- (4) تمكن من وصف الطرق الرئيسية في الصحراء بشكل أكثر دقة من المعلومات السابقة.
- (5) عرف باحتياجات الأسواق الداخلية، لكل تجمع سكاني لواحات المنطقة.
- (6) تحديد مواقع لواحات التيديكلت وتوات بشكل أكثر دقة.

<sup>1</sup> -Ibid, pp 97-120.

<sup>2</sup> -Ibid, pp 124-125.

<sup>3</sup> -Ibid, pp 120-138.

(7) تم تكملت السبل والطرق من الناحية الشرقية، مع ما استكشفه Duveyrier وبوضربة من الجنوب الغربي، مع ما سبق واستكشفته الرحلات السابقة.<sup>(1)</sup>

#### (2-4) رحلة 1874 بول سولايلات (Paul Soleillet) (1886-1842)

حاول هذا الرحالة أن يستكشف الطريق بين الجزائر والسنغال عبر تمبوكتو، وأسندت الغرفة التجارة للجزائر له مهمة استكشاف الطريق بين الأغواط وعين صالح عبر ميزاب والقوليلة، والتعريف بالمنتجات الفرنسية وربط علاقات تجارية مع هذه الأسواق، ولكن كل الأخبار كانت تحذر من مغبة المغامرة بالذهاب إلى تيديكلت بسبب الوضع غير المستقر ومقاومة أولاد سيد الشيخ (1883-1864)، ولكنه واصل طريقه إلى عين صالح، وعند وصوله إلى مليانة 07 مارس 1874 أول قصور تيديكلت، فحاول معرفة مدى قابلية سكان عين صالح لاستقباله، قرر ارسال أحد مرافقيه<sup>(2)</sup>، إلى الشيخ عبد القادر قائد واحة عين صالح ليسلمه<sup>(3)</sup>، رسالة توصية من آغا ورقلة وقايد متليبي ورسائل الغرفة التجارية للجزائر، وكان الرد أن جماعة قصور تيديكلت اتفقت على منع مرور أي أجنبي مسيحي في أراضيها، وطالبوه بالمغادرة فورا حتى لا يتعرض إلى القتل، وغادرها دون أن يتمكن من تحقيق أهدافه في الرحلة.<sup>(4)</sup>

ولعل الظروف التي زادت من تصميم سكان تيديكلت على رفض تواجد هذا الفرنسي في أحد قصورها وتهديده بالقتل هو مقاومة الشريف بوشوشة، وانتشار خبر الانتصارات التي كان يحققها ضد الجيش الفرنسي وضد القبائل الموالية للاحتلال، إضافة إلى مقاومة أولاد شيخ.

ولكن يعد هذا المستكشف من الهواة وكل الملاحظات التي سجلها كانت دون فائدة ولم تكن مهمة حسب بعض المتخصصين (Lacroix et Augustin Bernard) الذين صرحوا أنهم لم يتمكنوا من تحديد حتى الطريق التي سلكها من خلال الاتجاهات التي حددها في تقريره.

<sup>1</sup> -Ibid, pp. 140-140.

<sup>2</sup> - قدور وهو خادم الشيخ احمد بن أحمد من الشعابنة البرازغة. ينظر:

Paul. Soleillet, L'Afrique occidentale, Algérie. Mzab, Tidikelt, Ed. Avignon 1877, pp.238

<sup>3</sup> - رسالة من الغرفة التجارية للجزائر-رسالة من الأغا محمد بن الحاج دريس-رسالة من سليمان بن مسعود قايد

متليبي، هذه الرسائل موجهة إلى الحاج عبد القادر أولاد باحمو وكذلك قائد قصر عين صالح. ينظر:

-Exploration du Sahara central- voyage de P.soleillet d'Alger a l'oasis d'In salah, Rapport présenté à la chambre de commerce d'Alger 20/7/ 1874, p238.

<sup>4</sup> -Augustin B., Lacroix N,Op.cit , pp.63-226

لقيت رحلة « Victor largeau » نفس مصير رحلة Soliellet حيث انطلقت من ورقلة 11 سبتمبر 1877 واتجهت نحو عين صالح، ولكن عند وصوله إلى بئر الزميلة الواقع في واد "ميه" التقى مرابط مبعوث من طرف جماعة عين صالح إلى أعيان الشعابنة في ورقلة، يطالبون بعدم مرافقتهم للكفار إلى تيديكلت، وأنهم غير مرحب بهم حتى ولو جاء معهم سلطان المغرب بنفسه، فعزف "لارغو" عن هذه الرحلة وقفل راجعا إلى ورقلة وبالتالي فشلت هذه الرحلة وتعود أسباب فشل هذه الرحلة إلى التأخر في عملية الانطلاق نظر للمدة الطويلة التي أخذتها عملية تحضير القافلة ودخول فترة الحر في الصحراء مما كلفه الكثير من المال الذي كان مخصصا إلى الرحلة، وانتشار خبر هذه الرحلة بحيث قام جماعة عين صالح بإرسال رسالة تهديد إلى الشعابنة في حالة مرافقتهم في الرحلة، إضافة إلى إصرار المقاومين على معارضة أي تواجد مسيحي في الصحراء.<sup>(1)</sup>

#### 3-4) رحلة "مارسيل بالات" 1885 "MARCEL PALAT"

تمكن الملازم Marcel Palat من الحصول على تمويل حكومي (وزارة الداخلية ووزارة الخارجية) لرحلته إلى تيديكلت، وكان سي حمزة ولد بوبكر قد وعده بمرافقته حتى عين صالح، ولكنه لم يتمكن من الوفاء بوعده فأرسل معه أحد أفراد عائلته العربي ولد النعيمي، ليكون دليلا إلى قورارة فغادر الملازم "بالا جيريفيل" يوم 17 أكتوبر متوجها نحو القويلة « Goléa »، التي غادرها كذلك يوم 03 ديسمبر 1885 نحو قورارة عبر واد "مغيدن"، حيث وصل إلى "واحة تاهنتة" وهي واحدة من الواحات الاثني عشر مع تبلكوزة التي يتشكل منها اقليم "تتركوك" الواقع في المناطق الشمالية لقورارة<sup>(2)</sup>، لم يكن الملازم "بالا" مرحبا به من طرف سكان هذه الواحات بسبب تنكره في زي عربي وحديثه بالعربية التي لم يكن يحسنها ولكنته الأوربية فضحته لدى السكان الذين اكتشفوا حيلته منذ الوهلة الأولى، ثم تقدم نحو سيموتا « Semmota » شمال سبخة قورارة يوم 25 جانفي ومن هنا كانت آخر رسائله التي بعثها وأعلن فيها انطلاقه إلى تيديكلت<sup>(3)</sup>، متوجها نحو هضبة تادميت إلى عين صالح، ولكنه في 21 فيفري قتل في حاسي "إيلاتو" « Ilatou » شرق أدرار والخبر الذي انتشر هو أن رجلا من أولف من أولاد "بادهان" هو من قام بقتله وهرب إلى المغرب

<sup>1</sup> Vuillot - P., Op.cit, p..145.

<sup>2</sup> -Ibid, pp.224-225.

<sup>3</sup> -Ibid, p.225.

الأقصى خوفا من تسليمه إلى فرنسا<sup>(1)</sup>، في حين أورد Vuillot شهادة أحد مرافقيه وهو العبد "فراجي" الذي نجى من القتل، وذكر الحيلة التي استخدمها جماعة من أولاد باحمو لاستدراج الملائم ثم قتله وعثر على جثته ومترجمه بلقاسم، يوم 22 فيفري في منطقة حاسي الشيخ على بعد مسيرة أربعة أيام غرب واحة عين صالح<sup>(2)</sup>.

#### 4-4 رحلة كاميل دوول Camille Douls

أما « Camille Douls » الذي اعتمد على نفس الحيلة في التنكر في زي قبائلي بربري مسلم<sup>(3)</sup> وأسمى نفسه الحاج عبد المالك واختار أن تبدأ رحلته من الغرب نحو التيديكلت عبر تافيلالت والساورة في اتجاه التوات، ورغم الحماية التي كانت توفرها قافلة أولاد زنان التي كان يرافقها إلا أنه فضّل أن يغادرها في رقان ليتوجه نحو تمبوكتو مع قافلة طوارق « Ibatanaten » وبعد يومين من مغادرته رقان نحو أكابلي تم قتله<sup>(4)</sup>، ولكن تختلف الأخبار حول مقتل "كامبيل دول" في "حاس إليغن" بين أولف وأكابلي ويبدو أن الأقرب إلى الحقيقة هي لقاءه بأحد الشعانبة المواضي الثائرين ضد فرنسا في أولف والذي تبعه وعند توقفه في حاسي إليغن فاجئه هذا الثائر يكتب في رسالة باللغة الفرنسية، وتعرف إليها من اتجاه الكتابة من اليسار إلى اليمين، وإضافة إلى لكتته في الحديث باللغة العربية جعلته يتأكد أنه أمام أحد الفرنسيين فقتله في فيفري 1889، ورجع إلى أولف نشر خبر هذه الحادثة، وهذه الراوية تتوافق مع إصرار أهل الواحات الصحراوية على رفض أي تواجد أجنبي وسبق أن عرضنا ذلك<sup>(5)</sup>.

وما يؤكد هذه الفرضية هي الشهادة التي أولاها "دوفريبي" « Henri Deyverier »، عندما استشارة الملائم "دول" قبل ذهابه في هذه الرحلة، وحَدَّرَهُ من خطورة هذه الرحلة، خاصة بعد أن أخبره بالخطة التي يريد القيام بها، وهي التنكر في زي عربي حاج مسلم مما زاد في خطورة موقفة، وعندما طلب منه دوفريبي أن يتكلم أمامه بالعربية صرح له قائلا "أنا لست عربي ولكنني من خلال لكتتك أعرف أنك أوروبي إضافة إلى لون البشرة وهيئتك كلها علامات لا يمكنها أن تمر على فطنة

<sup>1</sup> - Voinot Louis, Le Tidikelt études sur la géographie l'histoire les mœurs du pays, Ed. Jacques Gandini, 1995, p.85.

<sup>2</sup> - Ibid, p.225.

<sup>3</sup> - Général Poizat, Nouvelle du sud, 03 Octobre 1891, boîte 22H 32 Anom.

<sup>4</sup> - Vuillot, Op.cit, pp.236-240.

<sup>5</sup> - G. Deleuze, Monument, élevé A L'Explorateur Camille Douls, B.S.G.A.A.N,1902,pp 408-412.

وذكاء سكان الصحراء" فكانت نتائج هذه الرحلة بالنسبة لخبرة دوفريبي في الصحراء محسومة منذ الانطلاق وحدث ما توقعه دوفريبي<sup>(1)</sup> ومنذ 1874 بلغ عدد الفرنسيين الذين تم تصفيتهم في التوات وبلاد طوارق الشمال 20 فرنسيا.

أشهر هؤلاء المغامرين أو الجواسيس هو « Foureau » في هذه الفترة بحيث سنتين بعد حادثة مقتل الضابط Flatters، كلف بعدة رحلات استكشافية تجسسية في الصحراء، حيث أنجز تسعة رحلات في الصحراء بين 1884-1896 في عدة اتجاهات وخاصة هضبة تادميت التي تحد قورارة توات وتيديكلت من الشرق والشمال<sup>(2)</sup>، ولكن كل محاولاته باءت بالفشل أمام رفض ومقاومة سكان الواحات لأي تواجد مسيحي أجنبي خاصة بين سنة 1890-1893، ورغم ذلك تمكن من وضع خرائط مفصلة لمواقع تواجد المياه ومسالك هذه المنطقة، إضافة إلى الطريق التي يمكن مد سكة حديدية فيها عبر تادميت حسب التركيبة الجيولوجية للأرض<sup>(3)</sup>، ورغم ذلك تمكنت هذه الرحلات من وضع خرائط دقيقة إلى أبعد الحدود وللمناطق الجنوبية واهتمت بصفة خاصة بمواقع تواجد المياه والآبار وكذلك المسالك السهلة التي غالبا ما كانت أماكن تواجد المياه تتحكم فيها، وهذا تحضيراً للغزو المسلح.

### III. مراحل التحضير للغزو العسكري على المنطقة :

#### 1) ضمان التأييد الدولي:

كانت الدول الاستعمارية قبل غزوها لمنطقة تكون محط أطماعها، تقوم بالحصول أولاً على موافقة منافسيها، أما من خلال اتفاقية ثنائية أو في أروقة المؤتمرات الدولية، وعندما يتحقق لها ذلك تشرع في عملية الغزو عبر مراحل تتناسب مع ظروف المناطق التي تريد غزوها وكثيرا ما كانت تنعت مرحلة الغزو العسكري هذا بإحلال السلام « Pacification » ومن بين الخطوات التي تتبعها تمهيدا للغزو هي افتعال الحوادث والبحث عن المبرر والحجج للتدخل، مثل الروايات عن غارات عصابات النهب والسلب لجوء الخارجين عن القانون إلى هذه المناطق الواقعة خارج سيطرتها والتي يسودها الأمن والاستقرار مع سوء إدارتها إضافة إلى استغلال الظروف الدولية أو تغيير في الوضع

<sup>1</sup> -Henri Duveyrier, Voyage de camille Douls au Sahara, Revue Française de l'étranger et des colonies, 1<sup>er</sup> semestre, 1890, imprimerie CHAIX, Paris 1890, pp.49-51.

<sup>2</sup> -F. Demoulin, L'exploration du Sahara, Annales de Géo, T40, N°226, 1931, pp.337-361.

<sup>3</sup> -L<sup>nt</sup> Baquey, La pénétration Saharienne Résumé historique 1899-1905, Ed CHARIX Lavauzelle, Paris, 1906, p.14.

الداخلي<sup>(1)</sup>، مثل ما حصل في فترة حكم مولاي عبد العزيز (1894-1908) على اعتبار أن المغرب كان يحاول ضم منطقة التوات الكبرى ويَدْعَى تبعيتها لأراضيه فكان من القوى المعارضة للاحتلال.

ولكن عند تولي السلطان عبد العزيز خلافة أبيه مولاي الحسن الأول بن محمد سنة 1894 بسن يناهز 14 سنة، وكانت السلطة الفعلية في يد الحاجب أحمد بن موسى باحمّاد باعتباره وصي على العرش، وبعد موته 1900 لم يتمكن السلطان الشاب من حكم البلاد، وثار الناس على حياة الترف والبنخ التي كان يعيشها هذا السلطان مما زاد من تأزم خزينة الدولة، ومن زيادة النفوذ الاستعماري داخل البلاد وبالتالي التخلص من أحد المعارضين الخارجيين.

أما في إطار التنافس الاستعماري على المستعمرات في إفريقيا بين القوى الكبرى في العالم سَعَتْ فرنسا الى توفير الشروط عن طريق عقد الاتفاق الفرنسي الانجليزي 05 اوت 1890 تم فيه الاتفاق على مناطق النفوذ جنوب البحر المتوسط<sup>(2)</sup>، ثم التوقيع على اتفاقية لندن 05 أوت 1890 من طرف اللورد Salisbury و M.Waddington سفير فرنسا ونصت على اعتراف فرنسا بالحماية البريطانية على زنجبار وتعترف بريطانيا بدورها بالحماية الفرنسية على مدغشقر، وعلى يكون الخط الرابط بين SAY في النيجر و Baroua في تشاد كحدود بين مناطق النفوذ الفرنسية في الغرب ومناطق النفوذ البريطانية في شرق القارة الافريقية، فسمحت هذه الاتفاقية لفرنسا بجمع كل مستعمراتها الغربية والشمالية في افريقيا في اقليم واحد

## 2) تشييد الحصون والقواعد المتقدمة:

كانت مناطق النفوذ الفرنسية في إفريقيا تشمل مساحة شاسعة، ولكن لم تكن كل هذه المساحة الشاسعة تحت سيطرتها بل كانت الصحراء الجزائرية لازلت حرة وغير معروفة بشكل دقيق وجيد بالنسبة لها، لذلك قامت باحتلال القوالية (المنيعة) بشكل دائم ووضعت حامية عسكرية بها، وأصبحت مركز عسكري متقدم في الجنوب منذ سنة 1891<sup>(3)</sup>، إضافة إلى تشييد

<sup>1</sup> - عبد الله العروي، المبادرات والمقاومة الافريقية في شمال افريقيا في الصحراء الكبرى، اللجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ افريقيا العام (اليونسكو)، المجلد 7، افريقيا في ظل السيطرة الاستعمارية 1880-1935، المشرق العام، أ. أدر بواهن، بيروت-لبنان، 1990، ص 113.

<sup>2</sup> -Marcel Dubois, Auguste Terrier, Les colonies Françaises. Un Siècle d'expansion coloniale, Ed A. Challamel, Paris, 1902, pp.751-752.

<sup>3</sup> -Bernard Augustin. N. Iacroy, Op.cit, p.113.

بعض الحصون أو الأبراج المتقدمة منذ 1893 في حاس اينيفيل « Inifel » على واد مية بالقرب من أحد روافده، واد اينسوكي « Insokki » سنة 1894، ثم بناء حصن في حاسي بلحيران وأطلق عليه «Fort Lallemad» في "إيغرغر" وحصن آخر في "حاسي شبابة" وأطلق عليه اسم «Fort Miribel» على بعد 135 كلم جنوب القوليعة على طريق عين صالح عبر هضبة تادميت، وحصن أو برج متقدم في حاس الحمر وسمي على أحد العسكريين الفرنسيين «Fort Mac-Mahon» على بعد 165 كلم جنوب غرب القوليعة على واد مغيدين على طريق قورارة<sup>(1)</sup>، هذه الأبراج أو الحصون التي وضعت فيها حاميات عسكرية، كانت نقطة ارتكاز للقوات الفرنسية بهدف التحضير لعملية الغزو الشاملة، وكذلك بهدف سرعة التدخل العسكري في حالة نشوب أي اشتباكات بين القبائل الموالية لها والقبائل الثائرة، وكذلك لفرض تواجدها الدائم في المنطقة، وكان لهذه الحصون المتقدمة دور كبير في عملية الجوسسة وانتقال الاخبار في تقارير دورية، تتم دراستها وتحليلها بهدف استغلالها في سياسة فرق تسد التي اعتمدها سلطة الاحتلال في هذه المناطق.

ثم في سنة 1897 تم تحويل مركز دائرة أقصى الجنوب من غرداية إلى القوليعة (المنيعة) تحضيرا لعملية الغزو، ولكن هذه الحصون طرحت مشكلة التمويل المكلفة وكذلك الخطيرة بحيث هذه القوافل التمويلية كانت تتعرض إلى هجمات المقاومين الثوار، اضافة إلى انها لا تستطيع التحكم في المنطقة نظر لشساعة الصحراء، حيث يمكن لقوات المقاومة تفاديها وتنفيذ عملياتها وهجماتها والانسحاب إلى المناطق الآمنة في الجنوب.

لذلك اقتنع إطارات الجيش الفرنسي بعدم فعالية هذه الاستراتيجية في عملية التوسع الاستعماري منذ عهد بيجو الذي توصل إلى أن احتلال مصادر المياه لا تمنع الثوار من المرور بعيدا عنه وتنفيذ مهمتهم وعبر عنها كذلك ب « لا يمكننا السيطرة على القبائل الرحّل بالأبراج » بل يجب استغلال نقطة ضعف هذه القبائل غير المستقرة والحرّة باحتياجاتها إلى الواحات التي تعد مراكز لتمويل هذه القبائل بالحبوب، وكل ما تحتاجه من مواد استهلاكية، فإذا تم التحكم في هذه الأسواق والواحات، يمكننا السيطرة على هذه القبائل، وأهم هذه المراكز التموينية هي واحات قورارة وتوات

<sup>1</sup> -Champeaux Guillaume, Op.cit, p54 et B. Augustin, N. Lacroix, Op.cit, p.114.



وتيديكلت، وتعد عين صالح مركز وعاصمة هذا الإقليم<sup>(1)</sup>، وذهب بعض ضباط الجيش الفرنسي إلى القول أنه يمكن التحكم في سكان الصحراء الرحل "بالطن" أي سياسة التجويع بالسيطرة على المراكز التموينية والأسواق في الواحات.

### 3) أوضاع الجهة الداخلية خلال عملية الغزو :

ومن جهة أخرى كانت منطقة التيديكلت تشهد نزاع بين أهل عين صالح والطوارق، حيث في أحد التقارير الفرنسية المؤرخة 08 جوان 1899 أي قبل أشهر قليلة من الغزو، أشار إلى مبادرة قام بها الطرفان لوضع حد لهذا النزاع الحرب بينهما التي دامت ما يقارب العام، وكان الوسيط بينهما في هذا الصلح هم المرابطون لأولف وحصَر «ميعاد» أو وفد من الطوارق لعقد الاتفاق، وكان هناك استعداد من سكان عين الصالح لوضع حد لهذا الصراع<sup>(2)</sup>، إضافة الى منطقة توات وقورارة التي كانت تشهد صراعا داخليا وتمثل في الخلاف الذي كان بين باشا تيمي (أدرار) وباشا تيميمون حول حوادث داخلية كادت أن تتحول إلى نزاع داخلي مسلح<sup>(3)</sup>، وكان الوضع الداخلي الذي تشوبه الفرقة والتفكك والصراعات الداخلية هو المناخ المناسب الذي تتوفر فيه كل الشروط الذي يسعى الاحتلال للاستغلالها بهدف فرض السيطرة ووضع كل الظروف إلى جانبه لضمان نجاح عملية الاحتلال.

بدأ الاهتمام بشكل جدي بمشكل الجنوب منذ 1898 عند تعيين « La Ferrière » كحاكم عام على الجزائر و الذي أظهر نيته في انهاء مشكل أقصى الجنوب (الصحراء) في خطابه، عند افتتاح المجلس الأعلى للحكومة مركزا على ما يمكن تحقيقه من مزايا في التوسع واحتلال الجنوب مثل تحقيق أمن القبائل الموالية من هجمات القبائل المقاومة للاحتلال وتحقيق كذلك أمن البعثات العلمية لاستكشاف الصحراء والبحث على طرق جديدة نحو المستعمرات الفرنسية في المناطق الواقعة جنوب الصحراء، وكذلك ما يخبئه باطن هذه الأرض من ثروات معدنية يمكنها استغلاله في

<sup>1</sup> -Comte H. de castries, le Sahara Français, journal des Débats politique et littéraires, 17 Février 1899, N°47, Année 111, France, pp.2-3.

<sup>2</sup> -Nouvelles du sud et sud-ouest 08 juin 1899, Anom, boite 22H 44.

<sup>3</sup> -Ibid.

المستقبل، ثم أشار إلى بعثة الأستاذ فلامون وأكد على ضرورة توفير الحماية لهذه البعثات العلمية<sup>(1)</sup>.

أي أن السياسة الجديدة التي انتهجها تعتمد على توفير قوات عسكرية مجهزة ترافق هذه البعثات العلمية، ولكن الحماية يجب أن تكون دائمة عن طريق احتلال المراكز الاستراتيجية في الصحراء، والتحكم في الواحات التي كانت تعتمد عليها هذه القبائل الثائرة في عملية التموين والإمداد بكل احتياجاتها فتكون أمام "خيارين أما طلب الأمان أو الخروج إلى المناطق البعيدة عن مناطق تواجدها"<sup>(2)</sup>.

وهذا يؤكد الاستراتيجية العسكرية الجديدة التي اعتمدها سلطات الاحتلال في المناطق الصحراوية بصفة عامة ومنطقة توات وقورارة وتيديكلت بصفة خاصة، وهي بسيطة من حيث المبدأ، ولكنها مؤثرة في الجانب الميداني فقد تتسع تأثيراتها على الجانب الاقتصادي المتمثلة في فقدان أسواق المنطقة، مثل واحة عين صالح وتيميمون وتيمي أو أدرار لأهميتها الاقتصادية كوسيط بين السودان أو جنوب الصحراء ومناطق التلية في الشمال، وتحول طرق التجارة في الصحراء إلى تافيلالت غربا وغات وغدامس شرقا، ثم تأثيرها على الجانب الاجتماعي في تراجع سكان الواحات بشكل كبير وبالتالي تراجع إنتاجها المحلي بأنواعه المختلفة.

#### IV. المقاومة المسلحة للتوسع الاستعماري في منطقة تيديكلت:

1) بعثة فلامون ومعركة إيفوسطن 28 ديسمبر 1899: Géorges. B. M- Flamand (1861-1919):

كانت هذه البعثة في إطار الاستراتيجية الجديدة التي رسمتها سلطات الاحتلال، والتي ترمي إلى تكوين فرق عسكرية من الأهالي مثل الشعابنة والذين لهم دراية بالصحراء، ولهم قدرة كبيرة على تحمل قساوة المناخ الصحراوي وتجهيزهم بأسلحة حديثة، وتكون هذه الفرق تحت قيادة ضباط فرنسيين من الذين لهم خبرة في الصحراء وسبق أن قاموا بعدة مهمات في هذه المناطق، وعلى معرفة بأهالي هذه المناطق، ولهم خبرة كذلك في قيادتهم، وكان للحاكم الجديد للجزائر "La Ferrière" منذ أوت 1898 دور كبير في اعتماد هذه الاستراتيجية الجديدة والتي حققت إلى حد ما الأهداف التي كانت ترمي إليها.

<sup>1</sup> -Ibid.

<sup>2</sup> -Ibid.

كانت هذه المرحلة أو البعثة للسيد (فلامون) "Flamand" ظاهريا علمية، على اعتبار ان هذه الشخصية أستاذ في مدرسة العلوم بالجزائر، ويعد أحد رواد الدراسات الجيولوجية في الصحراء بكل فروعها من البحث عن ثروات باطنية معدنية وغيرها، إضافة الى اهتماماته بالكتابات الأثرية القديمة،

بدأ رحلاته العلمية منذ 1892 في الأطلس الصحراوي، ثم في سنة 1896 كلف من طرف M.J. Combon الحاكم العام في الجزائر لهذه الفترة بدراسة منطقة واد مقيدن « Méguiden » وحصل على اثرها على جائزة الجمعية الجغرافية لباريس<sup>(1)</sup>، ثم قامت وزارة المعارف العمومية وشؤون المستعمرات بتكليف (فلامون) بهذه الرحلة العلمية والمتمثلة في دراسة جيولوجية لهضبة تامديت حتى مويدير و استكشاف الطرق والسبل المؤدية إلى تمبوكتو<sup>(2)</sup>، وأصطحب قائد الرحلة فلامون معه M.Joly<sup>(3)</sup> أستاذ في المدرسة الجزائر العليا، وكانت له خبرة كبيرة بالصحراء والأهم انه يتقن الحديث باللغة العربية، ولتدعيم هذه الرحلة بالسلطة روحية محلية تكون كوسيط بينه وبين الأهالي، اصطحب معه نائب الطريقة القادرية سي محمد بن الطيب شخصية دينية لها نفوذها وأهميتها في المنطقة، وكان قد ساعدهم في جمع معلومات دقيقة عن مقتل الأب Du marquis de mores في طرابلس<sup>(4)</sup>، فتم بذلك استغلال السلطة الدينية الروحية المتمثلة في قيادة الطرق الدينية التي يمتد نفوذها وسلطتها في الصحراء حتى السودان، ولم تتوقف عملية استغلال القوى المحلية على هذا الجانب فقط، بل رافقت الحملة قوات عسكرية مكونة أساسا من قوات القوم من ورقلة

<sup>1</sup> -Augustin Bernard, occupation d'in-Salah, Questions Diplomatiques et coloniales, Revue de politique extérieur directeur, Henri pensa T. IX, Janvier 1900, p.66.

<sup>2</sup> -G.de champeaux, Op.cit, p.57.

<sup>3</sup> - (Alexandre Joly): ولد في Montreuil فرنسا 30 أبريل 1870 وكانت وفاته في قسنطينة 27 فيفري 1913 كان أستاذ في مدرسة قسنطينة ثم انتقل إلى الجزائر العاصمة، كلف بعدت مهام رسمية وله عدة مقالات في مجلة جمعية الجغرافية للجزائر تاريخية وسيوسولوجية ولسانيات وكذلك في المجلة الافريقية، قضى عدة سنوات مع القبائل الرحل في الشلالة وكان راعيا للغنم فاصبح يجيد الحديث بلغة الأهالي المحلية وتعرف على عاداتهم وتقاليدهم حتى أصبح واحدا منهم حتى من حيث الشكل وكان من الأوروبيين القلائل الذين يعرفون الأهالي حتى المغرفة. ينظر:

- A.Bernard, Alexandre Joly (Note Biographique Annale de Geo, Année 1913, p.124

<sup>4</sup> -Colonel D'Eu, In-Salah et le Tidikelt, journal d'opération, Imprimeur Militaire, R. Chapelot Paris, 1903, p.02.

من الشعابنة على المهاري بقيادة النقيب Pien قدر عددها ب 100 جندي إضافة إلى 20 آخرين كانوا برفقة نائب الطريقة القادرية سي محمد بن الطيب<sup>(1)</sup>.

وتم اختيار النقيب Pien بناء على الخبرة التي اكتسبها في عدة مهمات كلف بها في الصحراء كان أبرزها مهمة تموين رحلة (فورو- لامي)، وعدة دوريات عسكرية تقدم بها حتى غدامس، وتفاديا لأي مفاجئة تم دعم هذه الرحلة بجزء كبير من فيلق صبايحية الصحراء بقيادة النقيب « Germain » ما يقارب 200 جندي<sup>(2)</sup>، على أن تتأخر هذه الفرقة على البعثة الرئيسية بمسيرة نصف يوم، وتكون على اتصال دائم بها وتتدخل في حالة الضرورة وتقوم بحمايتها من الخلف، وكان أغلب هذه القوات والجنود من القبائل التي كانت تخدم في جيوش المستعمرات الفرنسية تحت قيادة ضباط فرنسيين<sup>(3)</sup>.

انطلقت هذه الحملة العسكرية أو البعثة العلمية من ورقلة يوم 28 نوفمبر عبر واد مية وصولا إلى حاسي اينيفيل يوم 09 ديسمبر ويوم 15 ديسمبر إلى حاسي اينسوكي، ثم التفت البعثة حول هضبة تادميت يوم 18 ديسمبر 1899م وصولا إلى فقارة الدوا، وهي أول قصور تيديكلت وسكانها ليسوا تابعين لأولاد سيد الشيخ، وأظهروا استعدادهم لطلب الأمان من الفرنسيين<sup>(4)</sup>، وأثناء تقدم هذه البعثة كانت تصل أخبار تفيد أنها غير مرحب فيها في المنطقة أي أن سكان المنطقة لا زالوا على نفس الموقف، وهو رفض أي تدخل اجنبي مهما كانت نيته، وعندما وصلت هذه البعثة يوم 27 ديسمبر إلى فقارة الحاج عبد القادر حيث عسكرت على بعد 500 متر بالقرب من "إيغوستن" « Igosten » (ينظر الخريطة رقم 3)، ثم أرسل من يقوم بجس النبض وتقصي الأخبار عن الوضع الداخلي وكانت المعلومات تفيد أن سكان الواحات أعدوا العدة وهم في طريقهم إلى إيغوستن مصممين على منع تقدم الفرنسيين<sup>(5)</sup>.

<sup>1</sup> -A. Bernard, occupation D'in –Salah, Op.cit, p.68.

<sup>2</sup> -Colonel D'eu, Op.cit, p.05.

<sup>3</sup> - رمون فيرون، الصحراء الكبرى، تر: جمال الدين الديناصوري، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1993، ص 114.

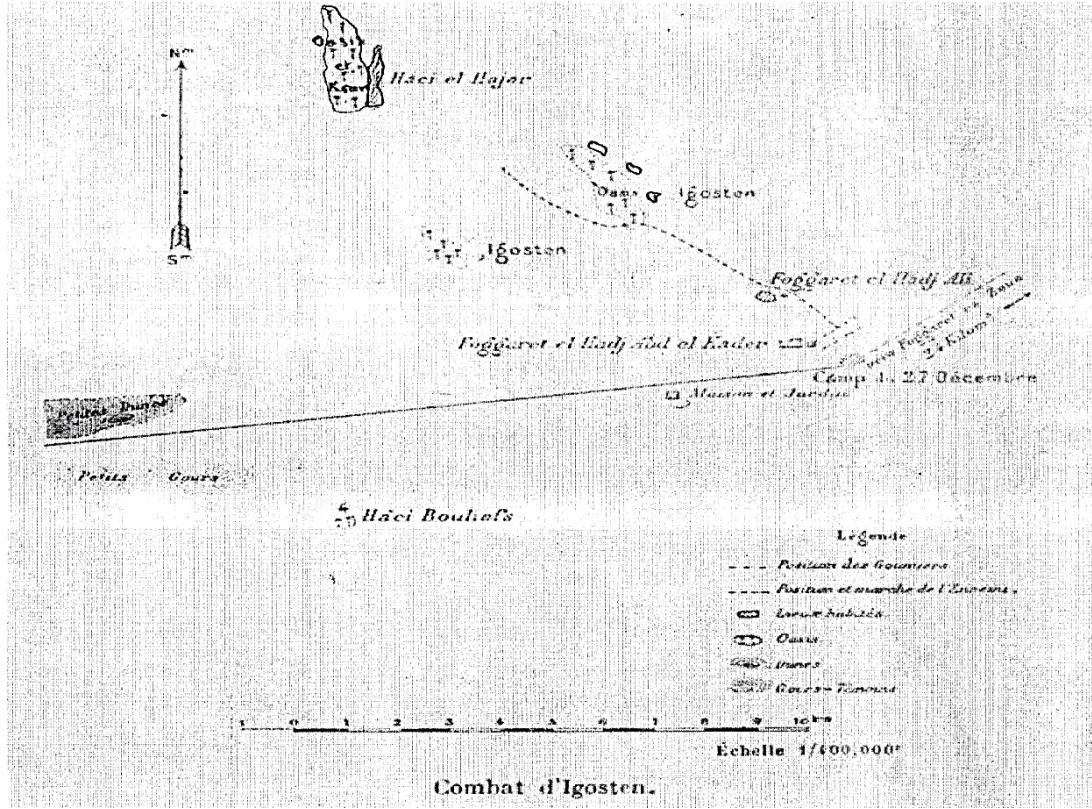
<sup>4</sup> -A. Bernard, occupation D'in –Salah, Op.cit, p.68.

<sup>5</sup> -Colonel D'eu, Op.cit.,p.04.





خسائر مادية تمثلت في فقدان 12 حصانا و99 جملا و55 قطعة سلاح<sup>(1)</sup>، واندلعت هذه المعركة في حدود 07 صباحا وانتهت في حدود 10 صباحا واستشهد قائدها المهدي باجود وأيضا بوعمامة بن باجود وأسر البكاي بن باجودا في إيغوستن.



الخريطة رقم (05): معركة إيغوستن أو الفقيرة 22 شعبان 1317هـ<sup>(2)</sup>.

على الساعة 14 من نفس اليوم التحقت قوات النقيب جرمان بالنقيب Pein واستمر تقدم هذه القوات نحو عين صالح، وفي صباح يوم 29 ديسمبر اقتحمت قصبة باجودا واستقرت هذه الفرقة في القصر الكبير لسهولة التحصن داخله والدفاع عليه، وكان هذا القصر يمثل مركز إقامة السلطة المحلية في التديكلت، وقام أغلب سكان عين صالح من أولاد المختار إلى أولاد باحمو

<sup>1</sup> - شهادات ووثائق جمعية قصبة اينغر عين صالح عن محمد صالح حوثية، توات والأزواج، ج2، ص 473.

<sup>2</sup> - Colonel D'eu, Op.cit, p.04.

وسكان أيغوستن وغيرهم بطلب الأمان من القوات الفرنسية، ويبدو أن هذا الموقف كان خطوة استراتيجية لتفادي الانتقام والتخريب من القوات الفرنسية لواحة عين صالح.<sup>(1)</sup>

وأشارت بعض التقارير أن قوات المقاومة تقدمت وكلها ثقة في النصر، لدرجة أن بعض كبار السن حاولوا الإشارة إلى القيام بالهجوم ليلا لاستغلال عنصر المفاجئة ولكنهم ثقة المقاومين من الشباب الزائدة في الانتصار، جعلتهم يصممون على الهجوم والمواجهة في وضح النهار، دون إدراك لنوعية السلاح المتطور لدى العدو، وبساطة وبدائية الأسلحة التي كان المقاومون يمتلكونها ومما زاد من ارتفاع عدد الشهداء والانسحاب من المعركة، أن القوات الفرنسية تفادت التحام الجيش، وفتحت قوة نيرانها على مسافة بعيدة، قبل أن تصل إليها قوات المقاومة التي قاتلت بكل شجاعة وإقدام، وقامت قوات العدو بنشر عناصرها في ميدان المعركة بشكل يصعب الوصول إليهم، فكانت نتيجة هذه المعركة لصالح القوات الفرنسية.

## 2) معركة الدغامشة 05 جانفي 1900:

20 رمضان 1317هـ كان زعيم هذه المقاومة الروحي هو "مولاي عبد الله بن مولاي العباس الرقاني"، حيث بعد المعركة الأولى في «أيغوسن» ويطلق عليها محليا معركة «الفقيقرة»، توجه كل من بقي من المجاهدين إلى اينغر التي تبعد عن عين صالح ب 65 كلم، وانضم إليهم المجاهدين من "تيت" "أكابلي" "أولف" وكانت عيون وجواسيس قوات الاحتلال، ترسل الأخبار بهذا التجمع ثم بالزحف وتحركات قوات المقاومة نحوهم.<sup>(2)</sup>

وبدأ الزحف بقيادة الرقاني مولاي عبد الله يوم 04 جانفي 1900 وتجمع الجميع بقرية "البركة" التي تبعد عن عين صالح نحو الغرب ب 05 كلم، وكان عدد المجاهدين حوالي 1300 مجاهد، وباتوا ليلتهم يتشاورون لوضع خطة لملاقاة العدو، وكان في وسطهم عدد من الجواسيس الذين زودوا قوات الاحتلال بالمعلومات التي وضعت على أساسها خطة المواجهة، فتحصنت قوات الاحتلال بالكثبان الرملية الواقعة في جنوب غرب عين صالح وانتظروا قدوم قوات المقاومة في منطقة جرداء عارية وهي "الدغامشة"، ومن بين الآراء التي طرحت أثناء ليلة التشاور هذه، خطة "أولاد زنان" أن يكون الهجوم ليلا، وأن يستغل عنصر المفاجئة للقضاء على العدو، لكن الغالبية

<sup>1</sup> -L.voinot, Op.cit, p.92.

<sup>2</sup> -Colonel D'eu, Op.cit p.05.

رأت أن يكون في النهار حتى يتسنى للجميع المشاركة<sup>(1)</sup>، فكان الثقة المفرطة الى درجة الغرور في النصر، أحد العوامل التي ساهمت في هزيمة جيش المقاومة وجعلها تغفل عن الخطة التي يجب اعتمادها في المعركة، والأخذ بعين الاعتبار التفوق في الاسلحة من ناحية قوات الاحتلال، التي اعتمدت على بندقية حديثة تسمى chassepot على اسم مخترعها، يبلغ أقصى مدى لها 1700 متر، وقوة نيرانها من 07 الى 14 طلقة في الدقيقة، بينما الاسلحة القديمة كانت ذات طلقة واحدة فقط، فكان للاختلاف في التجهيز والتنظيم، دور محوري في نتائج المعركة ومصير المقاومة في هذه المنطقة، إضافة إلى تجهيز مجاهدي المقاومة بالوسائل البسيطة المحلية التي تكون فعّالة عند التحام الجيشين وهذا ما تفادته قوات الاحتلال.

تقدمت قوات المجاهدين بقيادة مولاي عبد الله الرقاني يوم 05 جانفي نحو عين صالح، والتفت حول الكثبان، وعندما اقتربوا من منطقة الدغامشة بالجنوب الغربي لعين صالح، وكانت منطقة مكشوفة لا يوجد بها سواتر، في حين كانت قوات النقيب "Germain" متمركزة حول الكثبان الرملية تتربص وصولهم، وقوات "Pien" تحصنت داخل أسوار واحة دغامشة<sup>(2)</sup>، وعند وصول قوات المقاومة إلى هذه المنطقة المنبسطة المكشوفة، انتهزت قوات الاحتلال الفرصة وبدأت في إطلاق النار عليهم من على بُعد 1200 متر، ولم تترك أي فرصة للتحام الجيشين، فكانت الغلبة لقوة السلاح وتطوره وكذلك للدور الذي لعبه الجواسيس في جمع المعلومات حول تحركات المقاومين من ناحية، ووضع خطة تعتمد على قطع الطريق أمام المقاومة أولاً ثم فرض واختيار ميدان المعركة الذي يضمن النصر، وبالرغم من ذلك استمرت المواجهة طيلة هذا اليوم وأظهر فيه المجاهدون قوة العزيمة والاقدام، والرغبة في الشهادة أذهلت ضباط الجيش الفرنسي (ينظر: الخريطة رقم 06)

والحادثة التي زادت الطينة بلة وساهمت في هذه الهزيمة انفجار برميل من البارود الذي كان يستخدم في البنادق الشفرة التي تعتمد على البارود، والتي أدت الى استشهاد حوالي 150 شهيد و 200 جريح<sup>(3)</sup>، وأشارت تقارير النقيب Pien والقائد "فلامون" على حال الانهالك والذعر الذي

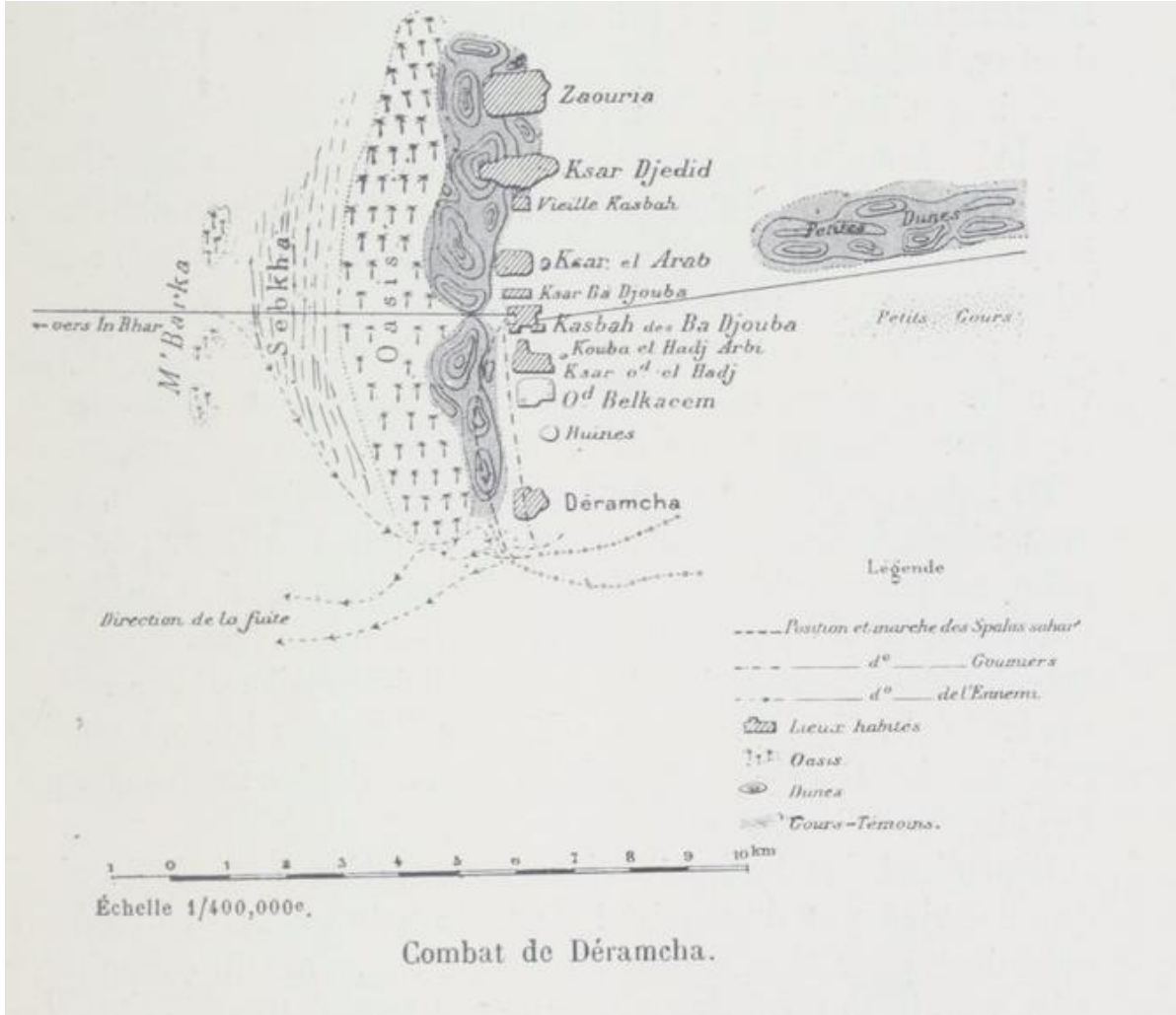
<sup>1</sup> - الشيخ المولاي التهامي غيثاوي، لفت الانظار إلى ما وقع من النهب والتخريب والدمار لولاية أدرار أبان احتلال الاستعمار، دار الكتب العلمية بيروت، 2013، ص 114.

<sup>2</sup> - Colonel D'eu, Op.cit p.05.

<sup>3</sup> - الشيخ المولاي التهامي غيثاوي، المرجع السابق، ص 114.



أضحت عليه قواتهم العسكرية بعد معركة الدغامشة، إذ باتوا يعدون الساعات أملا في وصول المدد، وأسرع مما توقعوا وصلت سرية القناصة الصحراوية وعلى رأسها قائد مركز القولعة Boumgarten في 18 جانفي 1900<sup>(1)</sup>،



الخريطة رقم (06): معركة الدغامشة<sup>(2)</sup>

أما في مخيم المقاومة فقد انظم كل المجاهدين إلى "واحة إينغر" - الواقعة غرب عين صالح ب50 كلم - بعد معركة الدغامشة لمواصلة الجهاد والمقاومة ضد الاحتلال، وبدأ الشروع في تحصين

<sup>1</sup> - عبد القادر بوية، تيديكلت وثائق ومخطوطات، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر - قسنطينة عاصمة الثقافة العربية، ط1، 2015، ص ص 84-87.

<sup>2</sup> - Colonel D'eu, Op.cit p 05.

القصبة وتحضير البارود وجمع وتنظيم القوات والعتاد والتموين بكل ما هو ضروري لخوض المعركة.

كانت قوات الاحتلال التي جاءت من المنيعة El-Goléa بقيادة Boumagarten قوامها 200 جندي وقطعت المسافة بين المنيعة والقصر الكبير في 11 يوما، وتسلم قائدها قيادة قوات الواحات في الجنوب. ويبدو أن الجناح المؤيد للوجود الفرنسي في المنطقة "سي عبد النبي بن صديق" مقدم الزاوية التجانية هو الذي تولى مهمة الدعوة إلى القبول بالوجود الفرنسي والاستسلام<sup>(1)</sup>، إضافة إلى شخصيات أخرى من بينهم Douro كبير أولاد يحي الذي طلب الأمان بعد معركة الدغامشة و Baba كبير أولاد دهان الذي طلب الأمان كذلك بعد دخول الفرنسيين إلى عين صالح، وفي معركة أيقوسطن التزام الحياد<sup>(2)</sup>، وعبر عنهم شاعر المقاومة بوتقي عبد النبي (1860-1920) في قصيدته المشهورة قائلا:

ضاقت روجي وخاطري داخل تزفار \*\*\*\* من عملة صاحب الخزي والمزانة  
واحد رومي لآخر أمخازني الثالث سخر \*\*\*\* و الرابع قائد يحكم بالعنف أعلينا

في هذه الأبيات أشار إلى الشخصيات التي أعلنت استسلامها للقوات الفرنسية ولم تواصل الجهاد ضد المحتل.

اعتمدت سياسة الاحتلال التوسعية في هذه المناطق على كل الوسائل المتاحة لتحقيق أهدافها والعوامل التي حددت الفارق بين قوات المقاومة وقوات الاحتلال، التنظيم الجيد والتخطيط للمعركة وجمع المعلومات عن العدو والسلاح المتطور واستخدامه بالطريقة التي تحقق النصر.

### 3) معركة إينغر الأولى 23-25 جانفي 1900:

عند لجوء كل من شارك في معركة الدغامشة إلى إينغر وجهزوا أنفسهم للاستماتة في الدفاع عن القصبة، عند وصول القوات الفرنسية بقيادة Baumgarten إلى إينغر يوم 22 جانفي 1900

<sup>1</sup> -Guillaume champeaux, Op.cit, p.60.

<sup>2</sup> -Voinot, Op.cit, p.92.

حيث طلب الاستسلام وكان الرد الرفض القاطع، حيث قال فيها شاعر هذه المقاومة الشعبية "بوتقي عبد النبي" في هذه القضية:

أبعث بوشاطته يطلب التسيار \*\*\*\* وأحلفنا باليمين لا صارت عنا  
في أول رمضان يوم جمعة آخر أ نهار \*\*\*\* قلنا ليه إلى أغدا تعال لينا<sup>(1)</sup>

فحاولت قوات الاحتلال اقتحام القصبتين المحصنتين لكنها فشلت بعد عدة محاولات، وحققت المقاومة انتصارا كبيرا بفضل الخطة والاستراتيجية التي اعتمدها في تحصين القصبية ثم تمركز قواتها خلف الكتبان الرملية من الجهة الشرقية لإينغر، فتكبدت قوات الاحتلال خسائر فادحة قدرتها المصادر الفرنسية بعدد قليل من الجرحى والقتلى<sup>(2)</sup>، دون أن تذكر العدد كعادتها عندما تريد التعقيم، بالرغم من أن المعركة استمرت من ليلة 24 جانفي 1900 إلى عشية يوم 25 جانفي، فقد أغفلت هذه المصادر كذلك حتى الحديث عن هذه المعركة بل تعرضت لها بشكل مختصر دون الدخول في تفاصيلها.

ولكن المصادر المحلية خاصة قصيدة الشاعر الشعبي "بوتقي عبد النبي" وهو شاهد عيان وشارك في هذه المعركة يذكر تفاصيلها فقد قدر عدد الخسائر الفرنسية ب 80 قتيلًا عكس ما ذكرته المصادر الفرنسية التي تحاول دائم تقزيم انتصارات المقاومة الشعبية حيث يقول هذا الشاعر:

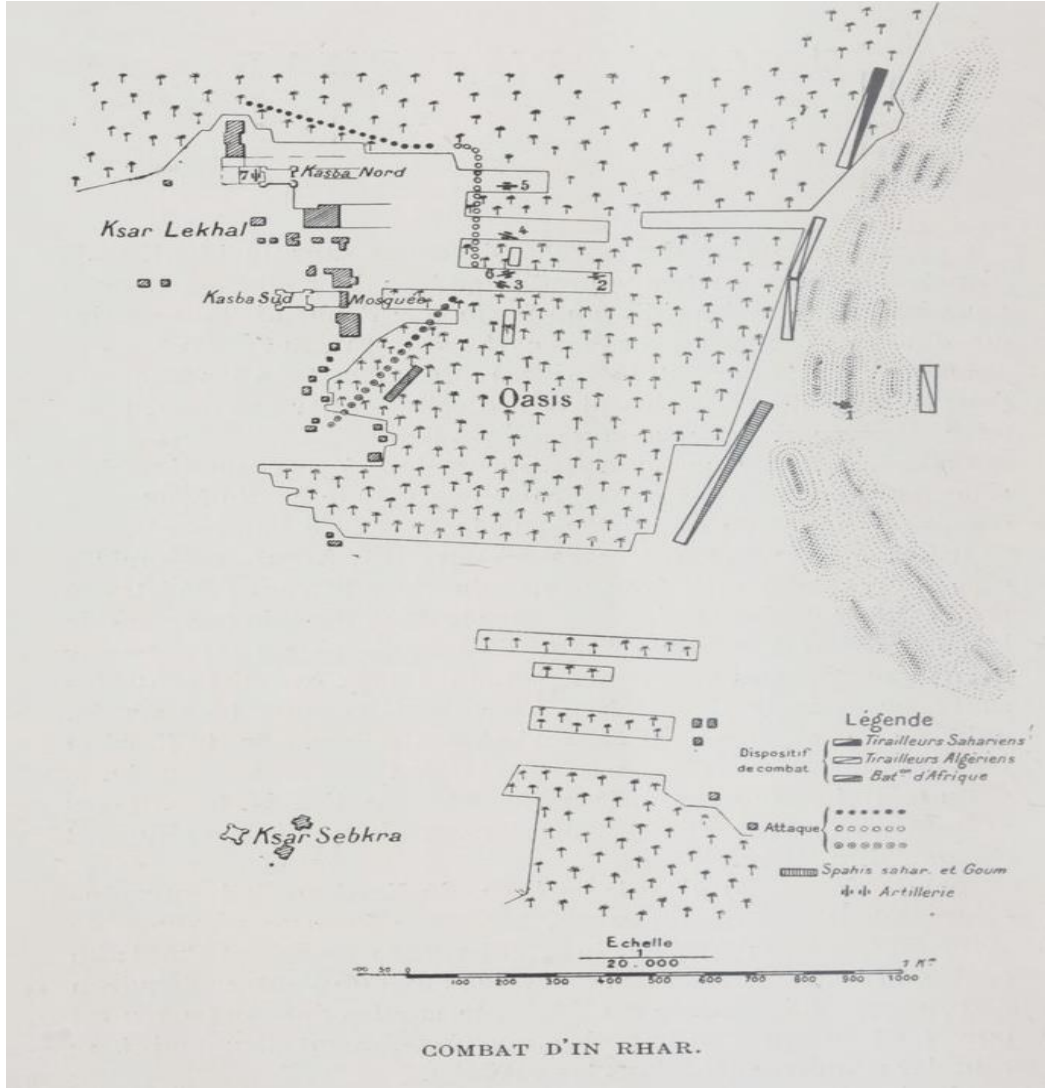
في أول رمضان يوم جمعة آخر أ نهار \*\*\*\* قلنا ليه إلى أغدا تعال لينا  
أضربناه من البعد وارجع على الادبار \*\*\*\* وأمشى غضبان مسود المغبانا  
أقتلنا من العدو ثمانين أ خيار \*\*\*\* وعسكر واسويرجان شي ما سولنا  
وارفد موتاتوا فوق بيبان النجار \*\*\*\* وادفنههم قبلة عين صالح جبانا

فكانت هذه المعركة في شهر رمضان، مع كل ما تحمله هذه المعركة من رمزية الى جهاد الرسول عليه الصلاة والسلام ضد الكفار، وانتصر فيها المقاومون على قوات الاحتلال التي كانت تتكون من القوات العسكرية التي جاءت مع الرحلة فلامون بقيادة Pien والفرقة التي كانت بقيادة

<sup>1</sup> - الشيخ المولاي التهامي غيثاوي، المرجع السابق، ص 115.

<sup>2</sup> - Colonel D'eu, Op.cit p.06.

"جرمان" ثم القوات التي أرسلت بقيادة Baumgarten أي ما يقارب 500 جندي، اضطر هذا القائد إلى الانسحاب من إينغر وتوجه نحو عين صالح، ولازالت آثار مقبرة الفرنسيين شاهد حتى الآن في بساتين "بلكرم"، "تورفين" و"إينغر".<sup>(1)</sup>



خريطة رقم (07): مخطط معركة إينغر الأولى جانفي 1900<sup>(2)</sup>

4) معركة إينغر الثانية 18 مارس 1900:

انتشر خبر هذا النصر في كامل الصحراء ويقول عنها شاعر المقاومة (بوتقي) في قصيدته

المشهوره

<sup>1</sup> - الشيخ المولاي التهامي غيثاوي، المرجع السابق، ص 115.

<sup>2</sup> - Colonel D'eu, Op.cit, p.44.

إذا كذبتو شوفوا ما عملت الأصقار \*\*\*\* جعلنا منهم مقبرة في وسط نخيلنا  
هذه العملة رها شاعت في الأبرار \*\*\*\* ورأهم ضربوا بها المثل نوبة مزغنا

بل لم يقتصر انتشارها على المناطق الصحراوية، إذ تعدته إلى "مزغنة" أي الجزائر ليؤكد انتماء هذه المناطق إلى وطنهم الجزائر، الأمر الذي شجع كل المترددين إلى الانضمام إلى الجهاد ضد المحتل، بحيث قام باشا "تيمي" (أي أدرار) بالدعوة إلى الجهاد، فانظم إليه كل من يستطيع حمل السلام من (تيت، أقبلي، رقان، أولف، الهبلة ومالي ومنطقة تسابيت)<sup>(1)</sup>، ثم قام الباشا أدريس بن الكوري<sup>(2)</sup>، أو ابن النعيمي<sup>(3)</sup>، بفرض غرامة 100 دورو على المتخلفين عن الجهاد، وتمكن من حشد 1300 مجاهد في منطقة توات وتوجه بهم إلى اينغر ودخلها يوم 26 فيفري وقام بتنظيم الدفاعات والتحصينات في قسبة "الحادقة" وقسبة "أولاد أحمد بن جلول"، ثم قام بجني التمور وحصد الحبوب قبل نضجه وخزنه داخل القسبة.<sup>(4)</sup>

أما قوات الاحتلال فقد قرر وزير الحربية إرسال التعزيزات العسكرية إلى التيديكلت لدعم القوات المتواجدة هناك، على أن يتم تجميعها في "المنيعة"، فانطلقت بداية من 11 جانفي 1900 الكتيبة التاسعة للمشاة الجزائريين من المدينة إلى المنيعة، ثم تحركت الكتيبة الرابعة من الفيلق الثاني الأفريقي من الأغواط، إضافة إلى سرية من الصباحية، وفرقة المدفعية إلى نفس الوجهة أي المنيعة، أين يتم تجميع الحملة العسكرية ضد التيديكلت بقيادة المقدم D'EU<sup>(\*)</sup> بداية من 10 فيفري، إضافة إلى فرق الخدمات المُسَاعِدَة، وتقرر أن تنقسم الحملة إلى ثلاث مجموعات في مسيرتها نحو عين صالح، تنفصل كل مجموعة عن أخرى بمسيرة يوم أو يومين حتى تكون أكثر

<sup>1</sup> - الشيخ المولاي التهامي غيناوي، المرجع السابق، ص 116.

<sup>2</sup> - Voinot, Op.cit, p.93.

<sup>3</sup> - Guillaume champeaux, Op.cit, p.61.

<sup>4</sup> - Voinot, Op.cit, p.93.

\*-Clément célestin D'EU: 03 أكتوبر 1848 / 04 جوان 1911 في Dijon، انتقل إلى صف الضباط في جويلية 1898 وقائد في جويلية 1905 ثم جنرال جويلية 1910 قائد لقوات المشاة في اقليم قسنطينة.  
EU- بلدية في سان Saine Maritime شمال شرق فرنسا.

حركة، وتسهل عملية التموين بالمياه، لأن نقص المياه والمراعي في الطريق عبر تادميت هي المشكلة الأساسية.<sup>(1)</sup>

انطلقت المجموعة الأولى من "المنبوعة" يوم 24 فيفري تليها المجموعتين الأخريين وتكونت "حملة تيديكلت" كما أصبحت تسمى من: 30 ضابطا و698 جندي و79 فارسا إضافة إلى 1579 جمالا، وبمؤنة ل 40 يوما ومخزون المياه لأربعة أيام.<sup>(2)</sup>

وصلت المجموعة الأولى إلى عين صالح يوم 14 مارس وتمركزت في القصر الكبير والتحقت المجموعة الثانية يوم 15 مارس 1900، ثم صدر الأمر بتوجه القوات نحو إيغور يوم 17 مارس الواقعة غرب عين صالح ب 50 كلم<sup>(3)</sup>، وكانت هذه المجموعة متكونة من 10 ضباط و243 جندي والمجموعة الثانية المكونة من 10 ضباط كذلك و288 جندي إضافة إلى القوات التي كانت متواجدة في تيديكلت وهي 100 من القومية و60 صبايحية و200 من مشاة الصحراء مع فرقة لقوات المدفعية.<sup>(4)</sup>

فكان مجموع القوات المشاركة في هذه المعركة والمجهزة بأحدث الأسلحة بأكثر من 900 جندي من مختلف القطاعات العسكرية إضافة إلى فرقة المدفعية التي كانت تستخدمها ضد القصبات والقصور الصحراوية والتي لم يسبق لسكان الصحراء أن عرفوا هذا النوع من الأسلحة من قبل.

ولكن سلطة الاحتلال حاولت على لسان بعض عملاءها، وبعض الأهالي في المنطقة التأثير على معنويات المقاومين في إطار الحرب النفسية التي يشنها الجيش الفرنسي على المقاومة المسلحة الوطنية في الجزائر، وكانت عبارة عن منشورات تنادي أهل توات بضرورة الاستسلام، وتهديدهم بالشنق والحرق إذا حاولوا أن يبدو أي مقاومة وتوضح هذه الرسالة أن جيشا عظيما يقوده واحدا من أولاد سيد الشيخ سي العربي بن قدور بن حمزة الزاوي الأغا، ويشرك فيه شعابنة المنبوعة وشعابنة ورقلة، وشعابنة متليلي، وفيالق فرنسية تحمل أسلحة قوية وثلاث مدافع وتذكر بالحرف

<sup>1</sup> -Colonel D'eu, Op.cit p.06.

<sup>2</sup> -Ibid, p.07.

<sup>3</sup> -Ibid, p.36.

<sup>4</sup> -Ibid, p.36.

"... أن الأسياد الفرنسيين وصلوا إلى البلاد، وأن لهم قوة لا تقهر وسوف يذبجونكم إذ لم تستسلموا" وتشير الرسالة إلى دور الوساطة الذي قام بها العربي بن قدير بن حمزة بهدف إقناع المجاهدين بالاستسلام ولكنه فشل في تحقيق هدفه وكانت هذه الرسالة بتاريخ 29 رمضان 1317/ 13 يناير 1900.<sup>(1)</sup>

نزلت قوات الاحتلال في مكان يسمى سيدي بوجناح شرق إينغر، أما قوات المقاومة فقد انتشر جزء منها داخل بساتين النخيل لمنع تقدم العدو ومباغتته، والجزء الآخر من المجاهدين تحصن داخل القصبتين (أولاد أحمد بن جلول- الحادقة) أو (القصر الأكل)، ونصبت قوات الاحتلال سلاح المدفعية على قمة الكثبان الرملية المشرفة على الواحة.<sup>(2)</sup>

اندلعت المناوشات بين الطرفين ليلة 18 مارس 1900، استبدل خلالها المجاهدون في صد هجمات العدو، ولكن سلاح المدفعية الذي بدأ يقصف جدران وأبراج القصبتين منذ 07:30 صباحا بحيث أحدثت عدة ثغرات في التحصينات، في نفس الوقت وتحت تغطية سلاح المدفعية كان المشاة يتقدمون داخل الواحة.

واعتمدت خطة واستراتيجية قوات الاحتلال على جبهتين، الجهة اليمنى كانت تحت قيادة الرائد «Quinquandon» وتتكون من الكتيبة الثانية من الفيلق الإفريقي بقيادة النقيب «Marchal» والكتيبة العاشرة وفيلق المشاة بقيادة النقيب «Thoureny»، أما الجهة اليمنى بقيادة الرائد Boumagarten وشملت كل الفرق الصحراوية من المشاة والصباحية والقومية أما الكتيبة التاسعة من المشاة بقيادة النقيب Carlhian بقيت كقوات احتياطية<sup>(3)</sup>، بدأ زحف القوات نحو القصبتين بعد أن تمكنت قوات المدفعية من تدمير جدران وأبراج القصبية الشمالية<sup>(4)</sup>، رغم جهود المجاهدين في إعادة بناء ما تهدم من جدران القصبية ولكنهم واصلوا كفاحهم داخل البساتين والمنازل المجاورة للقصبية<sup>(5)</sup>، بعد أن لاحظ العدو أن سلاح المدفعية قد تمكن من فتح ثغرات كبيرة

<sup>1</sup> - الشيخ المولاي التهامي غيثاوي، المصدر السابق، ص ص 121-122.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 116.

<sup>3</sup> - Colonel D'eu, Op.cit p.45.

<sup>4</sup> - Ibid, pp.45-46

<sup>5</sup> - غيثاوي، لفت الأنظار، المصدر السابق، ص 116.

في جدران وأبراج القسبة الشمالية، قام بتحويل قصف سلاح المدفعية إلى القسبة الجنوبية (قسبة المرابطين) وكانت على بعد 900 متر.

وقد ساعدت الرياح الرملية القوية التي اندفعت نحو القصر، قوات الاحتلال في التقدم نحو القصر مستغلة كثافة الرمال وانعدام الرؤيا وتمكنت من تمركز سلاح المدفعية، حيث أصبحت على بعد 500 متر من القصر، ولكن رغم ذلك لم تتمكن من فتح ثغرات قابلة للاقتحام من طرف قوات العدو، لذلك استغلت التغطية التي أمنتها نخيل وبساتين الواحة، واستمات المقاومون في الدفاع ومحاولة صد الهجوم، ولكن عدم معرفة المجاهدين لتقنيات الأسلحة الحديثة، بحيث كان لدى جنود المقاومة أسلحة ذات المدى البعيد وعندما تكون المعركة ومجال الرمي قصير تكون غير فعالة، ففي كثير من الأحيان لا تصيب هدفها وهذا باعتراف ضباط الاحتلال الفرنسي أبرزهم قائد هذه الحملة العسكرية العقيد D'EU.<sup>(1)</sup>

لذلك رغم المقاومة التي استبسل فيها المجاهدون وكبّدوا قوات الاحتلال خسائر فادحة وكانوا محل إعجاب واحترام ضباط الجيش الفرنسي لما أظهره من شجاعة في الدفاع عن وطنهم، وهذا ما يفسر عدد الشهداء الكبير، وكان المجاهدون يستغلون فترات توقف القصف المدفعي في إصلاح جدران القصور وغلق الثغرات التي أحدثتها المدفعية في الأسوار.

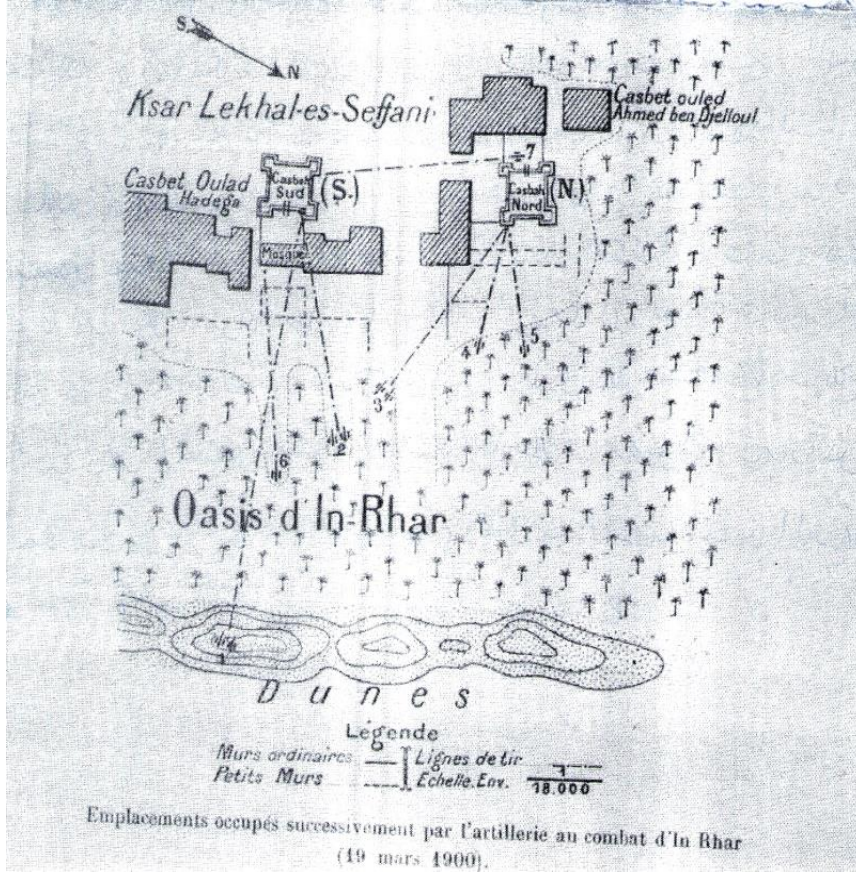
واستمرت المعركة بحيث اقترب سلاح المدفعية من الأسوار حتى أصبح على بعد 300 متر وتمكن من إحداث ثغرات كبيرة في أسوار القصور بعد تكثيف عملية القصف، وما أحدثته هذه القنابل من دمار وخسائر داخل القصر، وفي حدود 10 صباحا، كان الهجوم بأعداد كبيرة من المشاة والسيادة للدخول إلى داخل القصر ولكن الحاجز الذي أوقفهم داخل القصر كان أقوى من الأسوار التي دُكّت تحت القصف المدفعي.

فقد كان القصر عبارة عن متاهة من المنازل والدروب الضيقة والتقاطعات المظلمة بحيث يصعب التمييز العدو من الصديق وتمركزت قوات المقاومة داخل القصر فكانت النيران تنطلق من

<sup>1</sup> -Colonel D'eu, Op.cit p.45.



كل متر مربع داخل القصر وكانت تقدم قوات الاحتلال بصعوبة كبيرة وتكبدت خلال تقدمها خسائر فادحة.<sup>(1)</sup>



الخريطة رقم (08) معركة إيغور الثانية:<sup>(2)</sup>

ولكن الاستراتيجية المعتمدة من طرف قوات الاحتلال وتنوع وتطور الأسلحة المستخدمة في عملية الاقتحام مع الاعتماد على المدفعية في تدمير النقاط القوة والمراكز التي عجزت القوات عن اقتحامها أدى إلى السيطرة على القصبية الشمالية، وأصبحت القصبية الجنوبية على بعد 325 متر منها، وحاولت قوات الاحتلال فتح ثغرات في القصبية الجنوبية ولكن المتفجرات كانت دون مفعول، فحاولت فتح ثغرات عبر المسجد المحاذي لسور القصبية، ولكن المجاهدين تمركزوا في نفس المنطقة، ودافعوا بشجاعة افشلت كل محاولات الاقتحام واستمرت المعركة، وتمركزت المدفعية في القصبية الشمالية (أولاد أحمد بن جلول) بهدف قصف القصبية الجنوبية، وفتح ثغرات لاقتحامها، في هذه الأثناء ظهرت الراية البيضاء يحملها باشا تيمبي إدريس بن الكوري، وعلن الاستسلام، ولم

<sup>1</sup> -Ibid, p.46.

<sup>2</sup> -Colonel D'eu, Op.cit, p.44.

يكن هذا الاستسلام إلا بعد ان استشهد أحد زعماء هذه المقاومة "عزي الحاج محمد" الذي رفض الاستسلام وواصل المقاومة حتى الشهادة، وحينها توقف القصف، وأعلن باشا تيمبي أن استسلامه شخصي ولا يتحدث إلا باسمه الخاص، واثبت لقوات العدو أنه لم يستخدم ذخيرة السلاح التي كانت معه<sup>(1)</sup>، وبعد عدة مفاوضات بين الطرفين تقرر فتح القصبه والاستسلام، وكانت نهاية هذه المقاومة بعد أن استشهد أهم قادتها، ثم استسلام باشا التيمبي الذي جاء من فاس، وانتهت هذه المعركة بخسائر فادحة في كلا الجيشين، ولكنها كانت كبير في صفوف المقاومة الشعبية، فقد قدرتها التقارير الفرنسية بحوالي 600 شهيد وعدد من الأسرى وكان من بينهم 24 من أعيان كبار القصور المنطقة من "توات" و"أولف" و"أولاد زنان" و"سالي" وغيرها من المناطق التي تكاثفت ووقفت في صف المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي وكان مجموع الأسرى 450 أسير.<sup>(2)</sup>

أما خسائر الفرنسيين فقد عبر عنها بعضهم عشرات القتلى في صفوف جيش الاحتلال وعدد كبير من الجرحى دون أن يذكر العدد<sup>(3)</sup>، في حين قدرها آخرون 09 قتلى وهذا يتنافى مع الوصف والأحداث التي سردها الفرنسيون انفسهم بحيث كانت المقاومة مستميتة، وتراجع الجيش في الكثير من المناطق، ولم تتم عملية الاحتلال إلا بعد الاستسلام، وإلا لا كانت الخسائر في صفوف الفرنسيين كبيرة جدا، وهذا ما عبرت عنه المصادر المحلية ولكن دون أن تذكر الاحصاءات الدقيقة، فقد وصف "الشيخ الحاج محمد عبد الرحمان بن محمد السكوني" في ما وقع في اينغر مع العدو الفرنسي:

فالدِين عَزَّيْهِم جَنَابِهِ وَاحْتَى	****	وَالكُفْر يَرْهَقُهُ الْإِذْلَالُ وَالصَّغْرُ
رَمَتْ حَمَاهِمُ كَلَابِ الرُّومِ مِنْ سَفِهِ	****	فَاحِقَ بِالرُّومِ مَا رَامُوا دَمَا مَكْرُوا
رَامُوا خَزِيَا حِيَارِي يَحْمَلُونَ عَلَى	****	اِكْتَاْفِهِمْ جِيْفَا مَاوَاهِمُ سَقْرُ
فَالْأَرْضُ مِنْ دَمِ كَلْمَا هُمْ مَلُونَةُ	****	كَمَا بِقَتْلَاهُمْ مَلَّتْ الْحَفْرُ

ويذكر شاعر هذه المقاومة بوتقي عبد النبي كذلك في خسائر جيش الاحتلال

يَحْجِبُ رِجَالَ اَيْنَغْر مَاذَا وَسَاوُ	****	عَمَلُوا مِثْلَ أَعْمَالِ عَلِي وَنَبِينَا
---	------	--

<sup>1</sup> - غيتاوي، لفت الأنظار، المصدر السابق، ص 117.

<sup>2</sup> - Voinot, Op.cit, p 122.

<sup>3</sup> - Guillaume champeaux, Op.cit, p.60.

إلى كذب يشوف ما عملت الأبطال \*\*\*\* عادو مثل الجراد جيف في الجنا(1)

أما الاسرى فقد كانوا تحت حراسة الكتيبة العاشرة، واستخدموا في عملية تدمير وتهديم كل الأسوار القلاع والأبراج الموجودة في قصور وقصبات تيديكلت، خاصة قصبة أولاد أحمد بن جلول أو القصبة الشمالية في اينغر وقصبة الحادقة أو الجنوبية في نفس الواحة، أما أعيان وكبار المنطقة فقد تم نقل 13 منهم الى المنيعه « El-Goléa » ومن خلال القائمة الأسمية نستخلص أن كل قصور المنطقة شاركت في المقاومة، وكان أعيان وكبار هذه الواحات والقصور في الواجهة وفي الصفوف الأولى في المعركة وأهمهم: الحاج احمد ولد الحاج العربي (من أولاد زنان من أولف العرب).

الحاج محمد سالم ولد محمد (كبير أولاد يحي من تيموكتن أولف)- أحمد بن محمد كبير أولاد زنان من أولف العرب- الحاج عميران بن سليمان من إينزغير)- احمد بن عبد الرحمان من تيمي توات محمد ولد الحاج مبارك من تيمي- باسالم بلحاج أمحمد من تيمي- عبد الله ولد باصديق من تيمي عبد الرحمان بن سيدي محمد من سالي ابن كبير القصر- محمد بن أمحمد من فاس مرافق باشا تيمي الحاج محمد بن بركة من تيتاف توات- محمد ولد عبد القادر من اينغر من أعيان المنطقة أما 08 من أعيان السجناء تم الاحتفاظ بهم في عين صالح.

لم تتوقف المقاومة الشعبية بعد هذه المعارك بل استمر جناح المقاومة في الدفاع عن أرضه وتنظيم صفوفه لمواجهة الاحتلال بكل عزيمة وشجاعة، فبعد معركة اينغر انتقلت المقاومة والصمود إلى بقية القصور والواحات، رغم استسلام الواحات تيت وأولف وأكابلي، وتلقى قائد هذه الحملة الأمر بالعودة إلى المنيعه عبر هضبة تادميت، بعد ان ترك في واحات تيديكلت حامية عسكرية<sup>(2)</sup>، في كل من تيت من طرف فرقة من الصبايحية وفصيلة من المشاة واتخذوا من القصبة مركزا لهم، وكانت صهوتهم حراسة المنطقة ومحاولة بناء علاقات سليمة مع التوارق الذين اعتادوا ارتياد هذه المناطق، أما الحامية الثانية فتم تمركزها في قصبة السبخة جنوب اينغر لعدة أسباب من بينها اعتدال درجة حرارتها وعذوبة مياهها وتوفر المرعى للجَمال خاصة<sup>(3)</sup>، والإبقاء على فرقة عسكرية في عين صالح مكونة من حوالي 14 ضابطا و285 جندي من مختلف الأسلحة والجيش،

1 - غيتاوي، لفت الأنظار، المصدر السابق، ص 117.

2 - Guillaume champeaux, Op.cit, p.61.

3 - Colonel D'eu, Op.cit p.70.

أما بقية الحملة توجهت نحو الشمال إلى المنيةة وتم حل وإنهاء مهام هذه الحملة يوم 17 ماي 1900.

### 5) التنظيم الإداري للملحة عين صالح:

تم تأسيس ملحقة عين صالح بمرسوم 09 جوان 1900 من طرف الحاكم العام للجزائر ونص في مادته الأولى: في انتظار تقرير نظام إداري نهائي للمناطق الصحراوية، يجب دعم الإدارة المؤقتة للمناطق المحتلة بملحقات تابعة لمصلحة للشؤون الأهلية تحت إمرة الجنرال قائد والجزائر العاصمة بالنسبة للتوات وقائد القوات لوهران بالنسبة لمنطقة زوزسفانا ووادي الساوره

أما في مادته الثانية فجعل من عين صالح وايغلي مقرالهما، يتكون الجهاز الإداري من ضابط مصلحة الشؤون الأهلية برتبة نقيب وقائد الملحقة ونائبين برتبة نقيب، أو ملازم ومترجم وخوجة وأمين، وفي مادة الثالثة القيادة اللازمين لإدارة الأهالي يعينهم قائد الملحقة بعد أن تعرض على قائد القوات والحاكم العام.

والملاحظة التي صاحبت هذا القرار هي في طريقة تسيير الشؤون الأهالي بحيث أضاف توصية تقضي بعدم التدخل في شؤون الأهالي الداخلية والمحافضة على طرق التقليدية في تسيير شؤونهم الداخلية، وبعبارة مختصرة وصريحة ختمت هذا المرسوم "عدم المبالغة في زيادة عبء وثقل الظلم الذي يفرضه احتلالنا".

ثم حددت عدة أهداف في إطار برنامج احتلال المنطقة مثل إعادة ربط العلاقات بين سكان تيديكلت والتوارق الذين أصبحوا أكثر حذرا وعداوة بعد الاحتلال، وفتح الطرق التجارية بين الجزائر والسودان والشروع في الأعمال والاشغال العامة مثل تحديد الطرق غير المعبدة، وحفر الآبار ومحاولة فرض ضريبة رمزية على سكان المناطق المحتلة حديثا.

ولكي يتم تطبيق هذا البرنامج يجب تأمين الطرق عن طريق الحاميات العسكرية في عين صالح- اينغريت وأولف.

وتم تنظيم المنطقة على أساس توزيع القبائل المحلية مع مراعاة وحدة الانتماء واشتراك المصلحة فكان توزيع مطابقا للتنظيم وتوزيع القبائل كما كان عليه الحال قبل الاحتلال، وتم

تعويض رؤساء القبائل وكبار هذه القبائل الذين استشهدوا في المعارك التي شهدتها تيديكلت من نفس العائلات أو القرابة لتفادي إثارة النزاعات الداخلية.<sup>(1)</sup>

### V. المقاومة المسلحة للاحتلال الفرنسي في توات وقورارة:

بعد احتلال إقليم تيديكلت وتم تطبيق تنظيم إداري مؤقت مع توزيع حاميات عسكرية على المراكز المهمة تراجعت الحملة العسكرية إلى مركز المنيعية وتم انهاء مهام الحملة العسكرية التي أطلق عليها اسم "حملة تيديكلت" في ماي 1900 وكانت تحت قيادة العقيد D'EU<sup>(2)</sup>، في نفس الفترة تقرر احتلال قورارة في ماي وجوان 1900 عن طريق تحرك فرقتين عسكريتين، الأولى انطلقت من جريفيل (البيض) بقيادة العقيد Letulle عبر العرق نحو واحات قورارة، والثانية بقيادة العقيد Menestrel من حصن مكماهون عبر واد مقيدن نحو مدخل واحات قورارة<sup>(3)</sup>، وتم اللقاء بين الفرقتين مشكلة الحملة العسكرية التي فاق عدد جنودها 1000 جندي من مختلف الأسلحة<sup>(4)</sup>، في يوم 17 ماي 1900 وصلت هذه الحملة الى الواحات الشمالية لإقليم قورارة بداية بقصر "فاطيس" الذي رفض فتح الأبواب واستقبال الحملة، ولكن استخدام سلاح المدفعية ضد هذا القصر الصغير جعل سكانه مجبرين على فتح الأبواب وتقدمت الحملة إلى أن احتلت تيميمون عاصمة الإقليم<sup>(5)</sup> يوم 25 ماي 1900<sup>(6)</sup>، وتم التأسيس ملحقة للمكتب العربي وتدعيمه بكتيبة المشاة الصحراء، وبقي إقليم توات الذي يحده تيديكلت من الجنوب الشرقي وقورارة من الشمال، خارج المناطق المحتلة، ثم توجهت القوات بقيادة العقيد Menestrel نحو الشمال إلى حصن مكماهون يوم 10 جوان حيث وصل إلى هذا البرج يوم 17 جوان 1900 تاركين حاميات عسكرية في عدة مراكز بمؤونة تكفي إلى حلول فصل الخريف.

<sup>1</sup> -Adjudant, Lehuraux, L'Annexe d' In-Salah et la compagnie saharienne du Tidikelt depuis leur création, B.S.G. A.A.N, 1914, ., 19<sup>eme</sup> année 1914 ; 1<sup>er</sup> Trimestre, Première F.MONTEG UE, Alger. pp.295-299

<sup>2</sup> -P.N, La conquête du Touat, Revue du cercle Militaire, Bull des Réunion d'officiers des Armées de terre et de mer N° 20, 18 Mai 1901, p.510.

<sup>3</sup> -Baquéy, Op.cit, p.21.

<sup>4</sup> -Champeaux, Op.cit p.61.

<sup>5</sup> -Baquéy, Op.cit, p.23.

<sup>6</sup> -Champeaux, Op.cit p.61.

خلال شهر جوان 1900 قام الجنرال Servières بدورية تفتيشية في تيديكلت، عبر واد مية وعبر الجنرال منطقة توات من الجنوب نحو الشمال وصولاً إلى قورارة بقوات النقيب Pien أي حوالي 150 فارساً، وكانت هذه الدورية سلمية بحيث تمكن من المرور عبر قصور توات وصولاً إلى أدرار عاصمة هذا الاقليم، واستقبل من طرف جماعة كبار أدرار واصل تقدمه نحو الشمال إلى تيميمون في قورارة وسافر إلى مركز سلطته في الجزائر العاصمة مع نهاية شهر جوان 1900.<sup>(1)</sup>

**1) معركة ساهلة مطارفة 27-30 أوت، 05 سبتمبر 1900: (تقع جنوب تيميمون بحوالي 80 كلم)**  
استمرت المقاومة الشعبية وتمكنت من التأقلم مع الأسلوب الجديد في المواجهة العسكرية الذي فرضته قوات الاحتلال، بحيث سجلت المقاومة انتصارات باهرة على قوات الاحتلال التي كانت تمتلك أسلحة أكثر تطوراً وأجبرتها على الانسحاب من أرض المعركة مكبدة أياها خسار فادحة بشرية وكذلك مادية.

بداية من شهر أفريل 1900 كان التحضير للمقاومة في واحات قورارة ضد الاحتلال بحشد القوات من قصور المنطقة وخارجها كذلك، وتزعم هذه المقاومة القائد عبد العزيز بن حاج أحمد من المطارفة<sup>(2)</sup>، وهي واحة تقع في تجمع واحات الساهلة التحتانية جنوب تيميمون بحوالي 80 كلم وتضم أولاد بودهان وأولاد أشيميان أو عزي والزوي<sup>(3)</sup>.

تمكنت الاستخبارات الفرنسية في مركزها في تيميمون من جمع معلومات عن حركة الاستعداد التي يقوم بها المجاهدون فخرج في 27 أوت قائد مركز تيميمون النقيب Falconetti على رأس قواته نحو واحة المطارفة التي رفض سكانها فتح أبواب القصر، وفي يوم الموالي قامت قوات المقاومة بالهجوم عليه في منطقة الساهلة والمطارفة وكان القتال عنيفا بحيث فشلت قوات الاحتلال من تحقيق أي تقدم في المعركة، فاستنجد النقيب Falconetti بقوات النقيب Jacques المتمثلة في كتيبة الصحراء الثانية من لدول، واستمرت المعركة في 28 إلى 30 أوت<sup>(4)</sup>، فكانت الخسائر كبيرة خاصة في وسط قوات الاحتلال، واستفادت المقاومة من تجارب المعارك السابقة في

<sup>1</sup> -Baquéy, Op.cit, p.24.

<sup>2</sup> - غيثاوي، لفت الأنظار، المصدر السابق، ص 124.

<sup>3</sup> -Voinot, Op.cit, p.88.

<sup>4</sup> -Baquéy, Op.cit, p.25.



تيديكلت بحيث غادر سكان القصور منازلهم والتحقوا بالكثبان الرملية، واجبرت قوات الاحتلال على التراجع والانسحاب إلى دلدول<sup>(1)</sup>.

قام النقيب فالكونتي بالإسراع إلى تيميمون للإتيان بالمدفعية، ورجع يوم 03 سبتمبر وبدأ الهجوم على قصري المطارفة وساهلة ولكن الهجوم فشل كذلك وارتفعت الخسائر في وسط قوات الاحتلال خاصة ما يتعلق بالخسائر البشرية في وسط الضباط الفرنسيين مثل النقيب جاك والملازم Depardieu إضافة إلى 3/1 قوات الاحتلال كانت أما في عداد القتلى أو الجرحى<sup>(2)</sup>، فانتشر خبر الفشل الذريع في كامل الصحراء مما شجع المترددين على تقوية عزمهم والانضمام إلى المقاومة المسلحة ضد قوات الاحتلال، وسقوط الأسطورة الجيش الذي لا يقهر وبرهنت المقاومة أن قوة العزيمة والإصرار في الصمود يؤدي لا محالة إلى النصر.

## (2) حملة الجنرال سرفيار الثانية « Général Serviére » وموقعة تيميمون 19/02/1901:

قامت سلطة الاحتلال بارسال الدعم العسكري من مركزها في « القوليعة » وكانت هذ القوات بقيادة الضابط Quiquandon إلى تيميمون، وتقرر في مجلس الوزراء في باريس أن عملية إخضاع قورارة وتوات، يجب ان تعتمد على الفرقة العسكرية التي جاءت إلى المنطقة، لتعويض الوحدات العسكرية في المراكز التي أنشأتها في تيديكلت وقورارة، وكلف الجنرال Grisot باستغلال هذه القوات للاحتلال توات وقورارة وإخماد الثورات فيها.

كلف الجنرال Serviérs بالحملة العسكرية على قورارة وتوات بين فيفري ومارس 1901 وكان عدد القوات حوالي 650 جندي أغلبهم من الجزائريين، وانطلقت من المنيعة « القوليعة » يوم 17 جانفي نحو تيميمون عبر واد ميغيدان عن طريق حصن فور مكماهون وصولا إلى تيميمون يوم 26 جانفي، حيث تم استقبال الحملة من طرف العقيد Cauchemez القائد العسكري للوحدات منذ نوفمبر من السنة الماضية، ولكن بقاء هذه القوات كان للراحة واستغلال هذه الوقفة لجمع

<sup>1</sup> - غيثاوي، لفت الأنظار، المصدر السابق، ص 125.

<sup>2</sup> - P.N, La conquête du Touat, Op.cit, p.532.

معلومات استخبارية حول المناطق المراد إخضاعها بين تيميمون وطلمين ودلدول والمعروفة بإصرارها على المقاومة وعداؤها للاحتلال الفرنسي.<sup>(1)</sup>

وكان الدور الذي لعبه الضابط Joly في هذه المهمة مع فرقته من الصبايحية الصحراء في توات، وكانت له خبرة كبيرة في الصحراء وكان تحت قيادته عدد من الشعابنة (التائبين) ويدينون بالولاء والإخلاص التام لقائدهم ولهم معرفة جيدة بمنطقة توات وسكانها، وخاصة المنطقة بين دلدول وطلمين لتفادي أي مفاجئة من طرف المقاومة، ولضمان أمن هذه الحملة تم استدعاء القائد "دورو" من تيديكلت الذي قدم خدمات هامة سهلت مهمة الفرنسيين في حملتهم خلال صيف 1900، ثم لضمان نجاح الحملة جاء ب 11 أسيرا من أعيان وكبار المنطقة الذين أُسروا خلال معركة إينغر وأغلبهم كانوا من توات بهدف التأثير على سكان توات، وكان من بينهم أخ قائد تيممي الذي حاول إقناعهم بالعدول عن أي عمل عسكري ضد فرنسا.<sup>(2)</sup>

لقد اعتمد الجنرال سرفيار على كل الوسائل من أجل إخضاع المنطقة وتفادي أي مواجهة عسكرية مع المقاومة، حيث إضافة إلى الإجراءات التي اتخذها لضمان تحقيق أهداف الحملة ذهب إلى استغلال الصراع القائم بين الصفيين أحمد وسفيان من أجل التوغل والسيطرة، بحيث كسبت ولاء الشخصيتان المؤثرة في كلا الصفيين، فقد تمكنت من استمالت قائد تيممي محمد عبد الرحمان زعيم صف أحمد وأحد أهم الشخصيات في توات، واستخدمت نفس السياسة في محاولة كسب الشخصيات المؤثرة في الصف الثاني سفيان، فلم تكن عملية التوسع والاحتلال تعتمد على قوة السلاح فقط بل كانت تستغل كل نقاط الضعف داخل هذه المجتمعات الصحراوية لإضعافها ومنع وحدتها ثم يتم احتلالها بأقل التكاليف الممكنة.

تمكنت هذه الحملة من ضمان استسلام أغلب قصور المنطقة مثل قصر ساهلة ومطارفة الذي تلقت فيه القوات الفرنسية شر هزيمة بين أوت وسبتمبر 1900 ثم دخلت هذه القوات سلميا في "بريكن" في "تسابيت" ثم توجهت إلى أدرار في تيممي، وهو أهم قصور المنطقة، خاصة بعد انتشار

<sup>1</sup> -E. Laquière, La Deuxième reconnaissance du Général Serviére Au Gourara et au Touat, Bul.C.A.F, 1902, p.29.

<sup>2</sup> -Ibid, p.29.



خبر اطلاق سراح أسرى توات من الكبار والأعيان الذين كانوا محتجزين في الأغواط<sup>(1)</sup>، وتمكن الجنرال سرفيار من تحقيق الأهداف التي رسمها المخطط الاستعماري دون استخدام السلاح، ولكن روح المقاومة كانت لا تزال قائمة في منطقة توات بعد الهجوم المفاجئ على الحامية العسكرية في تيميمون 18 فيفري 1901.

انتقلت قوات المقاومة إلى اعتماد أسلوب جديد أكثر جرأة في حربها ضد الاحتلال فقد تدعمت المقاومة الشعبية بالمتطوعين الذين أطلق عليهم قادة وضباط الاحتلال "البرابرة" وهي القبائل الواقعة في المناطق الجنوبية الغربية للجزائر (دوي منيع) إضافة إلى واحات "ظلمين" و"شروين" وقد تمثلت استراتيجية المقاومة الجديدة في الهجوم ليلا على الحاميات العسكرية في المراكز التي أقامها الاحتلال مثل الهجوم على تيميمون التي كانت بها حامية عسكرية تحت قيادة الرائد « Reibell » والتسلل ليلا إلى داخل القصبة عبر أحد الأبواب الخلفية التي لم تكن محروسة، واندلعت المواجهة داخل أسوار المدينة مما أحدث فوضى عارمة في صفوف قوات الاحتلال، وكان عدد القتلى في صفوف جيش الاحتلال كبير و وجد ضباط جيش الاحتلال صعوبة في إعادة تنظيم صفوفهم وقواتهم داخل المدينة، لأن مخيمهم كان خارجها ثم انسحبت قوات المقاومة بعد أن كبدت الاحتلال خسائر كبيرة خاصة في صف ضباط الجيش من الفرنسيين.<sup>(2)</sup>

على اعتبار أن قوات الاحتلال كانت مكونة من أفراد القبائل الجزائرية المتعاونة مع الاحتلال و وجود الفرنسيين كان مقتصرًا على القيادة من الضباط وصف الضباط فقط وكانت عملية إحصاء الخسائر الفرنسية في هذه المعارك يشمل الفرنسيين وحسب، والذين كان عددهم يعد على الأصابع في هذه الفرق العسكرية، أما الجزائريين الذين قتلوا في صفوف الجيش الفرنسي فكانوا لا يتم إحصائهم ضمن خسائر الجيش الفرنسي.

وقام أولاد زنان في تيديكلت باستغلال الانتصارات التي حققتها المقاومة في أوت 1900 في ساهلة ومطارفة في قورارة، وهجموا على مركز أولف الذي كان مقر عسكريا وفرنسيا، ويضم حامية

<sup>1</sup> -Ibid, p.31.

<sup>2</sup> -P.N, La conquête du Touat, Op.cit,p.533 . B.Augustin,Op.cit., p.153.

- Baquey, Op.Cit, p.26.- E.Laquiere, Op.Cit, pp.31.32.

مكونة من حوالي 50 جندي، في فيفري 1901<sup>(1)</sup>، ولكن وجود الملازم Cottenest بقواته في عين صالح الذي تمكن من نجدة هذه الحامية يوم 02 مارس وإخماد هذه العملية العسكرية التي استشهد فيها الحاج "أحمد دحا" الذي تزعم هذه المعركة ضد قوات الاحتلال الفرنسي.

### 3) معركة شروين 28 فيفري والحميرة 01 مارس 1901:

لما علم الجنرال Servières بخبر الهجوم المباغ على مركز تيميمون يوم 22 فيفري أثناء قيامه بحملته العسكرية في المنطقة، ترك فرقة عسكرية لاحتلال أدارر مع موظفين للمصالح الأهالي لإدارة شؤون المنطقة، وتوجه شمالا لملاحقة قوات المقاومة وقطع الطريق عليهما في الانسحاب غربا نحو شروين<sup>(2)</sup>، على رأس 600 جندي من مختلف الأسلحة ومجهزة بأربعة مدافع جبلية من عيار 80 ملم وتمكن من الوصول إلى قصر شروين الواقع في الشمال الشرقي للواحة يوم 28 فيفري، واندلعت المعركة بحيث قام المجاهدون بهجومات عنيفة على القوات الاستعمارية التي تكبدت خسائر معتبرة<sup>(3)</sup>، بداية من استغلال المقاومة لكثافة النخيل في الواحة والأودية التي تميز أرض المعركة، فنصبت عدة كمائن للجيش الفرنسي، ثم انسحب المجاهدون انسحابا تكتيكيا إلى داخل القصر بعد أن حاولت قوات المشاة تطويق مناطق تمركزهم بعد وصول قوات إضافية لدعم قوات الاحتلال يوم 01 مارس.

استخدمت القوات الاستعمارية سلاح المدفعية ضد قصر شروين، ضد أسوار القصر ومنارة المسجد ولكن استراتيجية المقاومة التي اعتمدها من تجارب المعارك السابقة هي مواجهة العدو في ميدان معركة يكون من اختيارها، حتى تتمركز فيه قوات المقاومة استعداد للمواجهة، لذلك خرج المجاهدون يوم 02 مارس ليلا من القصر وتوجهوا نحو عرق الحميرة، فتعقبهم أثرهم فرقة القوم من ورقلة وفرقة الصبايحية ومشاة الصحراء<sup>(4)</sup>، وكانت هذه القوات بقيادة النقيب Ramillon، واندلعت المعركة في عرق الحميرة يوم 03 مارس على الساعة 10 سا 30 فتلقت قوات الاحتلال هزيمة نكراء، ذهب ضحيتها قادة الجيش من الضباط الفرنسيين النقيب "راملون"

<sup>1</sup> - Voinot, Op.cit, p.98.

<sup>2</sup> - E. Laquiére, Op.cit, p.32.

<sup>3</sup> - غيثاوي، لفت الأنظار، المصدر السابق، ص ص 123-124.

<sup>4</sup> - Champeaux, Op.cit p.63.

Ramillon والملازم de la Hellerie و23 قتيل آخر<sup>(1)</sup>، وأجبرت هذه القوات على الفرار من أرض المعركة إلى مخيم القوات في شروين ب 60 جريح من بينهم ضابطين.

وانتهى حصار قصر شروين بعد مغادرة قوات المقاومة له باستسلام سكانه أغلبهم من المدنيين إلى الجنرال "سارفير" يوم 04 مارس بدفع غرامة للحرب وتقديم الرهائن بعد تقديم طلب الأمان وتسليم السلاح، أما قوات المقاومة الشعبية انسحبت إلى الشمال نحو قصر "ظلمين".

#### 4) معركة ظلمين 09 مارس 1901م:

توجه الجنرال سارفير على رأس قواته في اتجاه عرق الحميرة والكثبان في أثر جيش المقاومة الذي اتجه جزء منه بدوره إلى قصر ظلمين وشرع في الاستعداد لمواجهة قوات الاستعمار التي انطلقت من شروين شمالا نحو ظلمين عبر نقاط توفر المياه مثل "المعالم" يوم 09 مارس والقصبيات في اليوم الموالي وكانت هذه القوات على مشارف قصر ظلمين يوم 09 مارس وكان القتال عنيفا ولكن دخول سلاح المدفعية كان له أثر كبير في تقرير نتائج كل المواجهات، إضافة إلى تطور أسلحة جنود الاحتلال والقوة النارية التي صنعت الفارق بين القوتين، وعلى أثر هذا القتال العنيف سجل خلاله المجاهدون بطولات مشرفة دافعا عن وطنهم<sup>(2)</sup>، سقطت "ظلمين" تحت نير الاحتلال، بعد أن شاركت في الهجوم على تيميمون وفي معركة شروين كذلك، ورفضت كل المساومات، عندما أرسل Ménestrel وفدا للتفاوض حول الاستسلام.

وتوقفت المعركة عندما أرسل كبار قصر ظلمين رسالة طلب الأمان وقبول الشروط المفروضة المتمثلة في تسليم السلاح ودفع غرامة الحرب وتسليم الرهائن من الكبار والشخصيات الهامة في القصر.<sup>(3)</sup>

وفي برقية بعث بها الجنرال سارفير إلى الجزائر يوم 14 مارس على أنه غادر ظلمين بعد استقبال وفدها الذي طلب الأمان وأدى الشروط التي فرضت عليهم، وكذلك قصر "ساغورة" و"نعامة" المجاورة وكان من بين الرهائن شيخ ظلمين "محمد بن مازالقي" العدو اللدود لفرنسا وكان

<sup>1</sup> - Baquéy, Op.cit, p.29.

<sup>2</sup> - غيثاوي، لفت الأنظار، المصدر السابق، ص 124.

<sup>3</sup> - Champeaux, Op.cit p.63 . P.N, Laconquête du Touat, p.533. E. Laquiere, Op.Cit, p.33.

قائد هذه المعركة، هؤلاء الرهائن يكونون كضمان لعدم تكرار ما حدث وسوف ينقلون إلى الأغواط، أما هذه القوات فسوف يشرع في حلها وتوزيعها من يوم 15 مارس حيث سيتوجه العقيد Ménestrel بجزء من القوات نحو تيميمون والبقية تعود إلى توات<sup>(1)</sup>.

ثم واصل الجنرال سارفيير تقدمه نحو أدرار يوم 23 مارس ثم توجه نحو "سالي" و"رقان" في اتجاه تيديكلت، وفي أدرار طلب القائد السابق لقصر بودا محمد بلحاج بلقاسم الأمان والذي اعترف بأنه شارك في معركة شروين، فوافق الجنرال على منحه الأمان ولكن فرض عليه غرامة 2500 فرنك وجرده من كل وظائفه ووصفه على أنه رجل ذكي وخطير لذلك يجب مراقبته من قريب.<sup>(2)</sup>

فكانت هذه آخر المعارك الذي شهدتها هذه المنطقة والتي كلفت الاستعمار خسائر مادية وبشرية ضخمة فقد قدرت المصاريف العسكرية لسنة 1900 بمبلغ 21 مليون فرنك<sup>(3)</sup>، ولكن تفوق قوات الاحتلال كان لعدة عوامل لعل أبرزها التطور الكبير في مجال الأسلحة واستخدام سلاح المدفعية واعتماد استراتيجية عسكرية حديثة في تحرك القوات وتمركزهم على أرض المعركة عكس قوات المقاومة الشعبية التي تفتنت في المعارك الأخيرة وحققت بعض الانتصارات ولكن هذه الاستفاقة كانت متأخرة وبقي تفوق الأسلحة خاصة المدفعية العامل الذي ساهم في هزيمة القوات الشعبية المقاومة.

أما في الجانب البشري فقد اعتمد الاستعمار على القوات المحلية من القبائل التي خدمت في صفوف الجيش الفرنسي تحت قيادة ضباط فرنسيين، فاستغلوا معرفة هؤلاء للمنطقة وسرعة تحركهم في الصحراء وقوة تحملهم وتأقلمهم مع ظروف الصحراء خاصة في فصل الصيف، إضافة إلى انخفاض تكاليف هذه الحملات العسكرية من حيث التموين خاص.

واستغلت سلطة الاحتلال تركيبة المنطقة من الناحية البشرية من خلال الدراسات التاريخية والإثنولوجية والأنثروبولوجية التي قام بها المتخصصون من الضباط وغيرهم من الباحثين في هذا المجال من المستشرقين، فمثلا استغلت الصراع القديم والعريق القائم بين

<sup>1</sup> -Expédition du général Serviére dans le Gourara, B.S.G. de lille, 01/05/1901, pp.382-383.

<sup>2</sup> -E. Laquière, Op.cit, p.33.

<sup>3</sup> -Baquéy, Op.cit, p.28.

الصفين "يأحمد" و"سفيان" وما ترتب عنه من تأثير سلبي وكارثي على المقاومة، فإذا كانت المقاومة في قصر ينتمي إلى صف يأحمد، فإن صف سفيان يتعامل مع هذه الحوادث كأن الأمر لا يعنيه والعكس كذلك إضافة إلى التركيبة من حيث البنية البشرية المتمثلة عموماً بوجود السكان البيض (عرب، أشراف زناتة) والسكان السود من (عبيد- حراطين) فقد استغلت هذه الجانِب وعمقت الشقاق بين هذه المجموعات لإضعاف الجبهة الداخلية.

ساهمت هذه العوامل وغيرها سبق ذكرها في إضعاف الجبهة الداخلية، وفشل أغلب محاولات المقاومة الشعبية، ولكن روح المقاومة بقيت واستمرت حتى الاستقلال.

# الفصل الثالث

المقاومة المسلحة للتوسع  
الاستعماري في الأهمقار  
والتاسيلي

## I. الاطار الجغرافي لإقليم الطوارق: الهقار والتاسيلي:

الصحراء الجزائرية هضبة هائلة، إذ تأخذ في الارتفاع بصفة تدريجية من الصحراء المنخفضة جنوب الأطلس الصحراوي وتبلغ أوج ارتفاعها في جبال الهقار، وتنقسم عموماً إلى قسم صخري حجري تدعى الحمادة والرق وهي صحراء صخرية حجرية تنعدم فيها الحياة، خالية من النبات، وقسم رملي يدعى العرق أو الكثبان الرملية التي تحافظ على الرطوبة داخلها وتسمح بنمو النبات، وأغلب الواحات تتواجد في مناطق العروق التي تتوفر على المياه الجوفية وعلى أعماق قليلة خاصة في مجاري الأنهار.

والمنطقة التي نحاول التعريف بها جغرافياً، هي مرتفعات الجنوب الشرقي الجبلية الهقار والتاسيلي، حيث تعد كتلة الهقار التي تحيط بها هضبة التاسيلي مركز الصحراء الكبرى، تقدر مساحتها 300 ألف كلم<sup>2</sup>، أما متوسط الارتفاع على مستوى سطح البحر يقدر بـ 1000 متر، و كان (كونراد كيليان) أول من أنجز رسم تخطيطي لمعالم الهقار ونطاق التاسيلي الذي يحيط بها سنة 1922<sup>(1)</sup>، تعد "الأتاكور" أو كدية الهقار، التي تأخذ شكل هضبة صخرية بركانية في شكل قبة يصل قطرها الأقصى إلى 70 كلم وتتميز بشدة ارتفاع<sup>(2)</sup>، مثل تاهات 3006 متر وقمة أيلمان 2732 متر، وإزيكرام 2728 متر، وتنحدر بشدة في اتجاهين نحو الشرق والجنوب.<sup>(3)</sup>

تحيط بمنطقة الهقار من الشمال والشرق والجنوب هضاب من الحجر الرملي تسمى التاسيلي ومنحدرات تدريجية تتجه إلى خارج الهضبة، أما في الداخل فترتفع تدريجياً، أي أن هناك هضبتين متتابعتين يطلق عليهما هضبة التاسيلي الداخلية، وهضبة التاسيلي الخارجية، يفصلهما شق أو أخدود ولكنه متصل في الشمال.<sup>(4)</sup>

<sup>1</sup> - ضيف محمد رشدي جراية، الصحراء الجزائرية، دراسة في الجغرافيا، مجلة البحوث والدراسات، عدد 24، السنة 14، 2017، ص 345.

<sup>2</sup> - Ibid, p.50.

<sup>3</sup> - Gouvernement général de l'Algérie. Commissariat général du centenaire, les Territoires du sud de l'Algérie. 1<sup>er</sup> partie, Imprimerie Algérienne Alger, 1926, p.50.

<sup>4</sup> - رمون فيرون، الصحراء الكبرى، تر: جمال الدين الديناصوري، مرا: نصرى شكوى، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1963، ص 36.

أي أن هناك تاسيلي داخلية وأخرى خارجية، ويختفى هذا المعلم التضاريسي في اتجاه الغرب تدريجيا وأهم المناطق الجبلية هي:

### 1) كتلة جبال الأتاكور:

يشغل المنطقة الوسطى ومركز كتلة الهقار و يتراوح ارتفاعها 1000 م وتمتد إلى الجنوب الشرقي عبر مرتفع (ريفسا) ثم في جنوب الجنوب الشرقي حتى حدود الرق ويوجد بها قمة تاهات (3006م) وتبدو جلية فوهات البراكين الخامدة في وسط الهضبة القديمة.<sup>(1)</sup>

### 2) هضاب أناحف:

تقع إلى الشرق من الأتاكور وهي عبارة عن سلسلة طويلة من الهضاب المتصلة وتمتد من الشمال إلى الشمال الغربي للمرتفعات وإلى الجنوب جنوبها الشرقي حتى تصل إلى منخفض سروانوت الفاصل بين الهقار والآخر.<sup>(2)</sup>

### 3) صحراء تنزروقت:

ويطلق عليها صحراء العطش وهي من أشد المناطق قحولة تقع غربي الكتلة الوسطى بين أحنات وأدرار الأيفوغاس، يبلغ عرضها 500 كلم تنعدم بها الحياة النباتية والحيوانية فهي الصحراء القاحلة بما تعمله الكلمة من معنى.

### 4) الأمادرور:

تمتد هي المنطقة الشمالية لكتلة الأتاكور وهي عبارة عن رق صحراوي تنعدم فيها الحياة النباتية ويشهر بسبخة الملح التي تقع بها.<sup>(3)</sup>

### 5) هضبة طاسيلي ناجر:

وتمتد (هضبة) من وادي ايغرغار إلى غاية فزان بليبيا ويتراوح عرضها ما بين 60 إلى 150 كلم أما ارتفاعها فيصل إلى 1200 م.

<sup>1</sup> - Jean Sesiano, le Hoggar et son volcanisme, in: le globe Revue genevoise de géographie, T.120, année 1980, N°120, pp.77.79.

<sup>2</sup> - H. Lhote, les Touargs du Hoggar, poyot, Paris, 1955, p.20.

<sup>3</sup> - جبال الدين الديناصوري، المرجع السابق، ص 281.



## 6) مرتفعات أحنات:

سلسلة جبلية تقع في شمال غرب كتلة الهقار على الامتداد الجنوبي الشرقي، يقدر امتدادها 200 كلم من جنوب التاسيلي إلى أن تصل إلى أمقيد، أما عرضها فيتراوح ما بين 10 إلى 15 كلم في حين ارتفاعها 650م وتتصل بصحراء تنزوفت.

## 7) كتلة الطاسلي الجنوبي:

تقع جنوب الهقار وهي جزء من الطاسلي المحيط بجبال الهقار، تتخللها مساحات الرق أو الصحراء الحصوية والمتكونة من الحصى والحجارة الرملية، وبها جبال صخرية غرانيتية في وسط الرمال والحصى مثل منطقة عين قزام.<sup>(1)</sup>

## 8) المناخ منطقة التاسيلي والهقار:

الميزة العامة لمناخ الصحراء من حيث التساقط هي الجفاف أو ندرة في تساقط الأمطار والكمية القليلة المتساقط تكون في شكل رعود موسمية تؤدي في أغلب الأحيان إلى فيضانات في الأودية الصحراوية، ولكن علماء المناخ اعتمدوا في تحديد نوعية المناخ في المناطق المختلفة في الصحراء على طريقتين:-

للأولى دراسة الاحصائيات والمعطيات المسجلة في محطات قياس عناصر المناخ (ضغط جوي- درجة حرارة- تساقط- رطوبة) المنتشرة في المناطق الصحراوية.  
للثانية تحقيقات لدى سكان الصحراء الذين يستطيعون تحديد سنوات الجفاف والسنوات الممطرة، وخاصة لدى كبار السن، وتمكن هؤلاء المحققين من العودة حتى سنة 1860 حيث أمكن تحديد فترة الجفاف في منطقة أحنات ب 26 سنة جفاف خلال 64 سنة أي أن فترات الجفاف كانت تصل إلى 05 سنوات، أما مويدير خلال 45 سنة قدرت سنوات الجفاف خلالها ب 17 أي ان فترات الجفاف كانت تصل إلى 05 سنوات كذلك، اما منطقة الهقار خلال 81 سنة بلغت سنوات الجفاف 32 سنة أي ان مواسم الجفاف كانت ما بين 05 و07 سنوات كحد أقصى، أما منطقة "تامسنة" وهي هضبة واسعة تقع بين

1 - محمد رشدي جراية، المرجع السابق، ص 346.

"الأيير" و"الأدرار إيفوغاس" وهي منطقة المفضلة لدي الطورق أهقار فخلال 37 سنة 04 مواسم جفاف وهي المنطقة الأقل جفاف مقارنة مع المناطق الأخرى.<sup>(1)</sup>

وعموما يتميز مناخ هذا الإقليم بالبساطة والتشابه على مساحات واسعة من الصحراء والخاصية الغالبة هي قساوة البيئة التي لا توفر ظروف الحياة إلا في مناطق محدودة التي تتوفر على المياه الجوفية، فنسبة التساقط القليلة جدا ودرجة الحرارة المرتفعة التي ترفع من نسبة التبخر بشكل كبير لا تسمح بنمو النبات، إضافة إلى سلسلة الأطلس التلي والصحراوي التي تمثل حاجزا أمام مرور المؤثرات المتوسطة إلى الجنوب، ويقدر متوسط التساقط السنوي ب 100 ملم، وهي لا تتعدى 160 ملم في تمنراست، وفي بعض السنوات تكاد تكون منعدمة.<sup>(2)</sup>

أما درجة الحرارة فهي مرتفعة بحيث يقدر المتوسط الحرارة صيفا 38° وشتاء 13° بينما تبلغ المدى الحراري 25°م ويقدر الحد الأقصى لدرجة الحرارة حيث نهارا بين 60°-80°، أما تحت الظل فتصل إلى 50°-55°م وتنخفض ليلا بشكل كبير حتى يصل الفرق إلى 36°م، أما شتاء فيقدر الحد الأدنى للحرارة ليلا إلى الصفر أما المناطق المرتفعة (الهقار) تقارب -60°م وبالتالي الميزة التي ينفرد بها مناخ الصحراء من حيث درجة الحرارة هي في المدى الحراري اليومي الواسع وكذلك السنوي والذي يؤدي إلى تغيير الجانب المورفولوجي للسطح الصحراء بفعل العمل الكيميائي والعمل الميكانيكي للجو.

## 9) الثروة المائية ومصادرها:

ترتكز الحياة في المناطق الصحراوية أساسا على موارد المياه التي تكون عاملا محوريا في عمارة الأرض، ويكون ازدهارها وكثافة سكانها، حسب أهمية هذه الموارد، وامكانية توفرها، وتمثل مصادر مياه هذه الأودية في مياه الأمطار التي تنحدر من مختلف الجهات وتسير في اودية صحراوية

<sup>1</sup> - Robert capot-Rey, Etudes récentes sur le climat de l'Afrique du nord et du Sahara, in : Annales de Géographie, T55, n°297, 1946, p.39-48.

<sup>2</sup> - محمد رشدي جراية، المرجع السابق، ص 348.

لفترة قصيرة، أو تقوم بتغذية المجاري المائية الكبيرة فتصبح أنهارا كبيرة، إضافة إلى مصدر آخر هام يتمثل في المياه الجوفية التي تعد من المصادر الدائمة لهذه الأودية.<sup>(1)</sup>

تعد جبال "آتاكور" البركانية الواقعة في وسط جبال الهقار خزان المياه للأودية المتجهة جنوبا "تيكويات" و"واد تمنراست" و"واد تين ترايين"<sup>(2)</sup>، أما شمالا فأهم الأودية في منطقة جبال الهقار والتاسيلي هما وادين رئيسيين يتجهان من الجنوب والجنوب الغربي نحو الشمال هما واد إيغرغار الذي ينبع من منطقة ايدليس في الجنوب في الناحية الشمالية لجبال الهقار ووادي مية (Mya) من هضبة تادميت ويتحد وادي مية وإيغرغار في واد ريغ في الصحراء المنخفضة.

يتجه واد إيغرغار من الجنوب نحو الشمال على مسافة تتجاوز 1000 كلم، وتجري به المياه في فترة من السنة حتى يصل إلى بركة أو بحيرة "إيغالاشن" - وهي بركة مياه بالقرب من تماسينين على الطريق الرابط بين عين صالح وغدامس-، ولكنه في بعض السنوات يكون تساقط الأمطار بكميات كافية، يتابع سيره إلى أن يصل إلى "أمغيد".

ينقسم مجرى هذا الواد الصحراوي إلى إيغرغار الأعلى الذي يمتد من منبعه من المرتفعات الجنوبية الهقار إلى تماسينين على مسافة 375 كلم حيث يبدأ من منبعه من المرتفعات الجنوبية في الهقار والتاسيلي متجه نحو الشمال عبر الرق أو الصحراء الحصوية إلى بركة أو بحيرة إيغالاشن « Aghelechen » ثم يصل إلى المنبع المائي في أمغيد وبعد هذا العنصر المائي يغير اتجاهه نحو الشرق عبر مضيق el-kheneg الخنق بين جرفين، أو منحدرين صخريين يعتبران حدود هضبة "إيراوان"<sup>(3)</sup> Iraouen من جهة، وتاسيلي آزدجار من ناحية أخرى، ثم يتابع مسيرته عبر الرق وصولا إلى تماسينين، وله عدة روافد وتفرعات كثيرة مثل واد "تامجرت"<sup>(4)</sup> Temdjert، التي ينبع فب الأهقار

<sup>1</sup> - اسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 23.

<sup>2</sup> - Le lubre, les grands traits géologique de l' Ahaggar (Sahara central), travaux de l'institut de recherches sahariennes, T II, 1943, Ed IMBERT imprimeur, Alger, p.57.

<sup>3</sup> - إيراوان: (Iraouen) تقع شمال غرب نحر إيغرغار الأعلى الذي يفصلها عن هضبة التاسيلي الكبرى وآزدجار في الناحية الغربية والجنوب الشرقي.

<sup>4</sup> - واد تامجرت: (Temdjert) يقع في الجهة الغربية لهضبة التاسيلي ناجر، في الجنوب الغربي لمدينة إليزي بحوالي 200 كلم

ويخترق جبال Eguéré "إغيري" أين يلتقي بواد "ألوي" و واد "غاريس" الذي تتجمع فيه كل المياه المنحدرة من هضبة المويدير من الغرب وكذلك جبال "إفتيسان".

وبعد مضيق الخنق<sup>(1)</sup> في الجنوب يتحد مع مجرى واد "Iskaouen إيسكاون" الذي ينحدر من التاسيلي أزدار حيث تتكون (بحيرة إيسكاون) من أحد منابعه المائية الجوفية وعند وصول هذا الواد الى هضبة تماسينين يستقبل روافد واد آخر هو واد "إهارهارن"<sup>(2)</sup> Iharharen ويواصل سيره وصولا الى واد "إيساوان"<sup>(3)</sup> الذي ينحدر من التاسيلي أزدار، إضافة الى العديد من الروافد، وغالبا ما تكون مياه هذه الأودية قليلة ومؤقتة الجريان ولكن أهميتها في الصحراء كبيرة وتتوقف عليها الحياة في هذه المناطق<sup>(4)</sup>.

أما الجزء الأدنى من وادي إيغرغار يتابع سيره نحو الشمال عبر الكثبان الرملية في العرق الشرقي الكبير، ويخترق هذه المنطقة من الناحية الشرقية "للقامي مخازنة"، ثم يتابع سيره شمالا حتى يشكل مجرى واحد مع واد مية، وعند فيضان الواد يحمل معه الطمي والترية الخصبة إلى الصحراء المنخفضة (وادي ريع - الزاب - الجريد) عند أقدام سلسلة جبال الأوراس الصحراوية<sup>(5)</sup>.

يضم كذلك عدد كبير من الروافد وغالبا ما تكون جافة خلال أغلب شهور السنة، ولكن المياه الجوفية تكون على عمق قليل، و عند هطول الأمطار في الصحراء تفيض مياهها ويرتفع منسوبها بشكل عنيف وسريع، حيث في لحظات قليلة تؤدي الى غرق مناطق واسعة ويذهب الانسان وعمله الدائب ضحية للغيث الذي كان ينتظره بفارغ الصبر كما قد يؤدي الى عزل مناطق بكاملها.

1 - مضيق الخنق: هي الممر الضيق الذي ينتهي عنده واد إيغرغار مع منطقة أمغيد بين الطرف الشمالي لي إيراوان والحدود الغربية لتاسيلي

2 - واد إهارهارن: يقع في الحدود الشمالية لهضبة التاسيلي على مجرى نهر إيغرغار الأعلى من الناحية الجنوبية الشرقية  
Georges Rolland, Géologie du Sahara Algérien et aperçu géologique sur le Sahara de l'océan atlantique a la mer rouge, imprimerie national, Paris, 1890, pp233-236

3 - واد إيساوان: يقع شمال المنطقة السابقة من الناحية المقابلة في المنحدر الشمالي الغربي

4- Georges Rolland, Hydrologie du Sahara Algérien, , imprimerie national, Paris, 1894, pp13-17.

5- اسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 29.

## II. السلطة السياسية التقليدية وعلاقتها بالتوغل الاستعماري (الانثروبولوجيا في خدمة

الاستعمار)<sup>(1)</sup>:

كانت معارف الأوروبيين حول منطقة الهقار والتاسيلي تقتصر في معارف الجغرافيين والرحالة القدماء من مختلف الحضارات والدول السابقة من الاغريق الى المسلمين في العصر الوسيط، ولكن عند ظهور الأطماع الاستعمارية للأمبرطوريتين الانجليزية والفرنسية في افريقيا، خاصة الصحراء وجنوبها، ظهرت قاعدة (تعرف على عدوك تريح المعركة)، وانطلاقا من متطلبات الغزو العسكري المتمثلة في المعرفة الدقيقة على عدة مستويات، أهمها المستوى السياسي بالتعرف على النظام التقليدي الذي يتحكم في العلاقات الداخلية وكذا العلاقات الخارجية، في الجانب الاقتصادي التجاري وحركة القوافل والنظم التي تحكمها، والقوات التي يمكن أن تجهزها ونوعية الاسلحة المستعملة وغيرها، أما المستوى الجغرافي فيجب وضع خرائط لهذه المناطق تحدد المسالك ومناطق توفر المياه في الصحراء التي تتحكم في حركة القوافل والرحالة فيها.

ثم ظهرت أكبر مدرستين استعمارييتين شرعت في التنظير لأسلوب السيطرة على المستعمرات، الأسلوب المباشر الذي يعتمد على الادمج والاسلوب غير المباشر أو الاستقلال الداخلي الانجليزي<sup>(2)</sup> ولكن لا يمكن تطبيق هذه النظريات إلا بمعرفة دقيقة وتفصيلية للتركيبية الاجتماعية الداخلية والنظام الذي يتحكم في العلاقات الداخلية بين مختلف مكونات المجتمع الصحراوي، وقد توصلت الى الاستفادة منه واستغلاله لمصلحتها بعد أن سجلت عدة اخفاقات وأصدرت العديد من الأحكام الخاطئة كلها نابعة من جهلها بنظام هذه المجتمعات التقليدي، ويتجلى ذلك في العديد من الاعترافات الاستعمارية بأخطاء ارتكبت وأحكام صدرت غير منطقية بل زادت من تعقيد عدة قضايا كانت حلولها في متناول اليد.

<sup>1</sup> - مرموري، المرجع السابق، ص 148.

<sup>2</sup> - Gérard leclerc, anthropologie et colonialisme, Artheme fayard, Paris, 1972,p.152.

### ظهور البوادر الأولى للتوسع الاستعماري في الصحراء

جاء في الدراسة التي أعدها المقدم Daumas حول الصحراء الجزائرية دراسة جغرافية واحصائية وتاريخية « Le Sahara Algerien » نشره سنة 1845، وهي في الواقع عبارة عن تقرير قدم إلى الحاكم العام آنذاك المارشال Bugeaud، صرح فيها "دوما" والخطاب موجه إلى الحاكم العام " ... بعد كل هذه المجهودات العسكرية، تمكنتم من وضع حد لحالة التردد بين الاحتلال الشامل والاحتلال الجزئي، وأقنعتم الجميع بأننا يجب أن تكون في كل مكان، وإلا لن نكون في أمن في أي مكان ". ثم طرح مجموعة من التساؤلات توحى في أبعادها إلى طبيعة الأهداف الذي يجب العمل على تحقيقها " ... هل الصحراء موجودة فعلا؟ ما هو حجم الجيوش التي يمكن للقبائل الرحل والمستقرة أن تجهزها؟، كيف هو حال تجارتهم وصناعاتهم؟ ما هي الجوانب التي يجب أن نحتاط منها؟ وما هي آمالنا وأهدافنا؟، إذن دراسة هذه البلاد وإعداد إحصاءات دقيقة حوله يجعلنا في مأمن من كل المفاجئات...." (1).

لقد كانت الصحراء مجهولة تماما بالنسبة للفرنسيين حتى الأربعينيات من القرن 19، وكل ما كان يعلمه هؤلاء عن الصحراء هي الكتابات العربية الإسلامية، التي تعود إلى القرون الوسطى مثل ابن خلدون وغيره، لذلك كان من الأهمية بمكان عدم المجازفة بالدخول إلى منطقة غير معروفة، والتعرف عليها أولا عن طريق ما عرف فيما بعد بالحملة العلمية الاستكشافية التجسسية المشروعة، حتى تتحصل سلطة الاحتلال على الإجابة عن الأسئلة التي طرحها المقدم "دوما"، خاصة بعد اصرار المارشال بيجو على احتلال كل الأراضي الواقعة في الجنوب حتى لا تكون ملجأ للثوار وقاعدة خلفية لهم، إضافة إلى أن الصحراء هي حلقة وصل بين المستعمرات الفرنسية الشمالية على سواحل البحر المتوسط ومستعمراتها في إفريقيا الوسطى والغربية، لذلك لا مناص من عبورها واحتلالها فكانت الخطوة الأولى هي الحملات العسكرية بعنوان الاستعلام والاستكشاف، وانكبوا على دراسة المنطقة من كل النواحي السياسية والعسكرية والاقتصادية والجغرافية والبشرية، وظهرت بذلك دراسات كثيرة في هذه الميادين العلمية المتخصصة، ورحلات عامة حملت معلومات هامة استغلت في عملية التوسع الاستعماري في هذه المنطقة.

<sup>1</sup> - Daumas, le Sahara Algérien, Op.cit, p.05.

من أهم البعثات الاستكشافية التي مهدت للاحتلال الفرنسي لمنطقة التوارق الهقار والتاسيلي هي بعثة "هنري دوفيري"<sup>(1)</sup>، التي دامت بين 1853-1862 جمع فيها معلومات هامة ومتنوعة، ثم البعثة التي كلف بها "اسماعيل بوضربة" الذي جمع معلومات مهمة عن التوارق خلال رحلته إلى غاية أواخر الخمسينات<sup>(2)</sup>، ولعل أهم هذه البعثات هي بعثة المقدم "فلاتيرز" الذي كلف بمهمة من طرف وزير الأشغال العمومية يوم 07 نوفمبر 1879 تتمثل في قيادة حملة استكشافية تهدف إلى دراسة وتحديد طريق لسكة الحديد ينطلق من المناطق التلية في الجزائر إلى السودان بين النيجر وبحيرة التشاد. عبر الصحراء الجزائرية وانتهت هذه المهمة بالقضاء على كل اعضاء هذه الرحلة في مرحلتها الثانية.<sup>(3)</sup>

وكان فيرناند فور Fernand Foureau من الضباط الذين قاموا بعدة رحلات إلى بلاد توارق، وتمكن من التعريف بطرق عديدة نحو وجهات مختلفة مثل غدامس وبلاد الأزديجار وغيرها، فكان لكتاباته حول هذه الرحلات أهمية كبيرة في التعريف بالجوانب الجغرافية والبشرية والاقتصادية لهذه المناطق<sup>(4)</sup>، إضافة إلى العديد من الحملات الاستكشافية والرحلات التي ركزت في مجملها على جانبين أساسيين الأول الجانب الجغرافي من حيث الخصائص التضاريسية والمناخية ونقاط توفر المياه ونوعيتها ومدى توفرها عبر الطرق التي مرت بها الرحلة، أما الجانب الثاني فركز على الجانب البشري بالتعرف على القبائل المسيطرة على هذه المناطق والتجمعات السكانية مثل الواحات والقصور المنتشرة عبر هذه الصحراء خاصة التعرف على السكان من التوارق من حيث طبائعهم وعاداتهم وتقاليدهم وتنظيماتهم الداخلية، ونوعية أسلحتهم، وغيرها من المعلومات المرتبطة

<sup>1</sup> - Henri Duveyrier, 1. Notes sur les Touareg et leurs pays 1863, 2- Exploration du Sahara les Touareg du nord, 1864.

<sup>2</sup> - I. Boudierba, Voyage a Ghat du 1<sup>er</sup> décembre 1858 (Bu). Sco. Géo, Paris, 1860.

<sup>3</sup> - Henri Brosselard, les deux missions Flatters au pays des touareg Azdjer et Hoggar, 2<sup>eme</sup> Ed, Jouvett et C<sup>mt</sup> Editeur, Paris, 1889.

- F. Bernard, Quatre mois dans le Sahara, journal d'un voyage chez les Touareg suivi d'un aperçu sur la deuxième mission Flatters, librairie delagrave, Paris, 1881.

<sup>4</sup> - Fernand Foureau, Mission chez les Touareg mes deux Itinéraires sahariens D'octobre 1894 A Mai 1895, A.challamel, Paris 1895.

- Les Touareg de L'est (B.S.G.C. Paris 1874-1895) T. XVI pp.298.310.

- Mon neuvième voyage au Sahara et au pays Touareg, (B.S. G. Paris. 1898), pp.230-260.

بالجانب البشري، وخاصة امكانيات هذه القبائل العسكرية تحسبا لأي مواجهة، لذلك من الأهمية بمكان التعرف على التركيبة البشرية لهذه المنطقة وقد تناول.

■ نسيم:

أهتم ابن خلدون بدراسة أجداد الطوارق من الصنهاجيين الذين ردهم من أصول عربية نزحت من جنوب الجزيرة العربية فيقول "... لا خلاف بين نَسابة العرب، أن شعوب البربر الذين قدمنا ذكرهم كلهم من البربر إلا صنهاجة وكتامة فإن بين نَسابة العرب خلاف والمشهور أنهم من اليمنية وأن إفريقيش لما غزا افريقيا انزلهم فيها..."<sup>(1)</sup>، ولا يوجد خلاف بين المؤرخين السابقين في اصولهم العربية، بل كان الخلاف فيمن اخرجهم من بلاد العرب فقال ابن الكلبي اختلف الناس فيمن أخرج البربر من الشام، ف قيل داود بالوحي، وعند البكري ان بني اسرائيل اخرجوهم عند مقتل جالوت، وللمسعودي والبكري انهم فروا بعد موت جالوت إلى المغرب... " ويفخر المثلثون (لمتون وصنهاجة) بنسبهم العربي القديم فيقول شاعرهم:<sup>(2)</sup>

قوم لهم شرف العلاء من حمير \*\*\* وإذا انتموا صنهاجة فهم هم  
لما حووا أحرار كل فضيلة \*\*\* غلب الحياء عليهم فتلثموا

وتعرض العالم أبو راس الناصري في عجائب الاسفار إلى (التوارك) من خلال شهادة أخيه حيث يقول: "... أخبرني الطالب الأجل الناسك الأمثل شقيقي سيدي عبد القادر برد الله ضريحه وأسكنه من الفردوس فسيحه، وكان ذا معرفة لتلك البلدان كما مر بها وتخط إلى السودان ... وكان اخباره لي بذلك كما سألته سنة أربع وتسعين ومائة وألف ... ان صنهاجة أهل اللثام المعروفين عندنا

<sup>1</sup> - ابن خلدون، كتاب العمر وديوان المبتدأ والخبر، المجلة السادسة، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1958، ص 192.

<sup>2</sup> - محمد سعيد القشاش، التوارق عرب الصحراء، مركز دراسات وابحاث شؤون الصحراء، ط2، 1989، مطابع اديتار. ايطاليا، ص 21.



بالتوارك مساكنهم بين السودان وبين الرمال التي هي تقوم بلاد البربر متصلون بالبحر المحيط لهذا العهد بالمغرب إلى ساحل النيل في المشرق ... هكذا أخبرني شقيقي سيدي عبد القادر ...".<sup>(1)</sup>

ويتناول بعض الباحثين كلمة الهقار والتوارق بالبحث محاولين تحديد أصلها واشتقاقاتها، منها ان اسم القبيلة هي (تاركة) أو (تريجة) ويكون الانتساب بصيغة (تاركي) وتأول بعضهم اسم (التوارك) إلى أنهم تركوا الوثنية إلى الاسلام وقيل العكس، وذلك عند أول عهدهم بالإسلام، والاسم الأخير هذا التوارك هو الذي حرفه بعض مترجمي المشرق فقال (الطوارق)<sup>(2)</sup>، أما بلادهم فقد سماها لنا ابن خلدون (الهكار) ويقول في اصل هذه الكلمة انها منقلبة عن (هواره) فأصبحت واوها - كافا، ولكن يرى المؤرخ عبد الرحمان الجيلالي (رحمه الله) ان المتغير من الحروف في كلمة (الهكار) هو حرف الهاء لا الواو ولا الكاف، حيث يقول ان أصلها (الحجار) لأن طبيعة المنطقة الجبلية والمكونة من صخور بركانية، إضافة إلى الأدوات القديمة المصنوعة من الحجر وبالتالي تكون قد حُوِرَتْ من (حجار) إلى الهجار- الهكار- الهقار<sup>(3)</sup>، وتحتمل هذه الكلمة معنى (هجر النهار) إذا اشتد حره والهاجرة والهجير شدة الحر، خاصة ان المنطقة صحراوية وتكون فيها درجة الحرارة مرتفعة خاصة صيفا وغيرها من التأويلات حول هذه التسمية.

حاول الرحالة من العسكريين الفرنسيين أثناء حملاتهم التجسسية الاستكشافية تحضيراً لعملية الاحتلال، التعرف على المنطقة من جميع الجوانب والبياديين المحيطة بالإنسان والأرض في هذه المنطقة وكان Henri Duveyrier مؤلف كتاب طوارق الشمال « les touaregs du nord » من بين الذين تعرفوا على نسب وانتماء الطوارق من خلال المصادر المحلية المتمثلة في شخصية الشيخ ابراهيم ولد سيدي من علماء المنطقة وهو محل احترام وتقدير كل طوارق الشمال، حيث أعد الشيخ ابراهيم شجرة نسب كل القبائل الشريفة في تقييد سلم إلى شيخ الطريقة التيجانية "سيدي

<sup>1</sup> - محمد ابن احمد ابى راس الناصر، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، نقد- تحق: محمد غانم، ج6، منشورات م.و.ب.أ.إ.ث CRASC، 2008، ص ص 50-51.

<sup>2</sup> - عبد الرحمان الجيلالي، هؤلاء التوارك المثلثين، مجلة الأصالة، محرم 1391- مارس 1971، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 1971، ص 20.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 23.

محمد العيد" الذي سلمه بدوره إلى دو فريبي، تضمن تقييد " الشيخ ابراهيم ولد سيدي" أصل الطوارق بصفة عامة من الإدراسة في فاس والبعض منهم جاء من شنقيط بين تمبوكتو والمحيط والبعض الآخر جاء من "الأدرغارغ" بين النيجر ومرتفعات الهقار.

ويعود هذا النسب إلى أحد أشرف الأدارسة وهو الجد المشترك لأشرف أزديجار وأشرف كرزاز وأشرف وزان وبذلك يشترك أشرف "الايفوغاس" والإيمانان" مع أكبر العائلات الشريفة في المغرب<sup>(1)</sup>، وتشير وثيقة هذا الشيخ إلا أن عملية تحديد ذوي الأصل الشريف في قبائل طوارق الشمال، عملية صعبة لأن التداخل والاختلاط في النسب يشبه اختلاط بين صوف الغنم ووبر البعير في قماش الخيمة وتتطلب هذه العملية معرفة جيدة وفطنة للتمييز بينهما، مع العلم ان أصول القبائل الطوارق الشمال مختلفة ومن جهات متعددة.<sup>(2)</sup>

ولكن قبل عرض الكونفدراليات الكبرى وتفرعاتها التي تشكل الطوارق يجب التعرف على التنظيم الاجتماعي لقبائل الطوارق، والطبقات الاجتماعية التي تعبر على النظام الاجتماعي وكذلك السياسي للحياة الاجتماعي للطوارق.

## 1) السلطة السياسية التقليدية لطوارق الشمال:

### ﴿ قراءة في المصادر التي عالجت هذا الجانب:﴾

لم تقم للتوارق أي دولة في تاريخهم السياسي خاصة بهم- ولكنهم كانوا ضمن جيوش الدولة المرابطية (الملثمون) (05-07هـ) (11/12م) وساهموا في انتصاراتها وتوسعاتها مثلهم مثل سكان الصحراء الكبرى، إن لم يكونوا أي- التوارق- يمثلون أغلب جنودها وقيادتها العسكرية لما عُرفَ عنهم من قوة البأس والشجاعة والأقدام في القتال، ولكنهم تمكنوا من التأسيس لنظام داخلي سياسي يضمن تسيير شؤونهم الداخلية وتنظيم علاقاتهم الخارجية مع ضمان احترامه من طرف الجميع، وكانت محاولة فرض تطبيق واحترام هذا النظام السياسي للتوارق، سببا في قيام العديد من الفتن والحروب في عدة مراحل من تاريخ التوارق.

<sup>1</sup> - Henri Duveyrier, les touareg du nord, Op.cit, pp.318-319.

<sup>2</sup> - Ibid, p.319.

نحاول من خلال هذه المرحلة من البحث التعرف على حقيقة نظامهم السياسي ثم على نظامهم القبلي الذي يتجسد فيه نظامهم السياسي.

لقد اهتم الكثير من الباحثين الأوروبيين من الأكاديميين وكذلك الرحالة والعسكريين الفرنسيين وغيرهم من الباحثين العرب والجزائريين بدراسة التوارق من جميع النواحي الاجتماعية والبشرية والاقتصادية والأنثروبولوجية. واعتمدوا في كل هذه الدراسات على القيام برحلات إلى هذه المناطق والقيام بتحقيقات واستجوابات مباشرة للذاكرة الشفهية للتوارق، على اعتبار أن المصادر المكتوبة نادرة، فقد اعتمد "دوفريبي" على تقييد وضعه الشيخ ابراهيم ولد سيدي حول قبائل وكل الفصائل المكونة للتوارق من الناحية الاجتماعية والسياسية، إضافة إلى إقامته في المنطقة لفترة تمكن خلالها من جمع معلومات هامة حول التوارق.

وكذلك الشأن بالنسبة لـ « Benhazera » الذي ذهب مع الفرقة العسكرية الفرنسية التي انطلقت من عين صالح نحو الهقار (03 ماي إلى 21 أكتوبر 1905)، بصفته مترجم في الجيش وكلفه المقدم Laperrine قائد القوات الصحراوية، بجمع كل ما يمكن جمعه من معلومات حول التوارق الأهقار، ثم دراسة النقيب H. Bissuel حول توارق الغرب « Les Touareg de l'Ouest » 1888 إضافة إلى العديد من الدارسين الذين حاولوا استغلال المصادر الشفهية التي جمعها هؤلاء في نهاية القرن 19 وبداية القرن 20 لما لها من أهمية علمية وتاريخية كبيرة.

قبل الشروع في دراسة المنطقة المعنية بالدراسة يجب تعريف الاطار العام لمنطقة التوارق التي تمتد بين دائرتي عرض 14° و 30° شمالا وخطى طول 05° شرقا و 10° غربا حيث تمتد هذه المنطقة على مسافة واسعة من الصحراء الوسطى وجزء من السودان<sup>(1)</sup>، والتي يقسمها "القشاط" في كتابه "التوارق عرب الصحراء" إلى سبع سلطنات وكل سلطنة تتكون من عدة قبائل:

- (1) سلطنة "أزقر" (الأزدجار) وتحتوي على 07 قبائل في جبال التاسيلي.
- (2) سلطنة "الأهقار" تضم أربعة قبائل كبرى في منطقة الهقار وعاصمتها تامنراست.

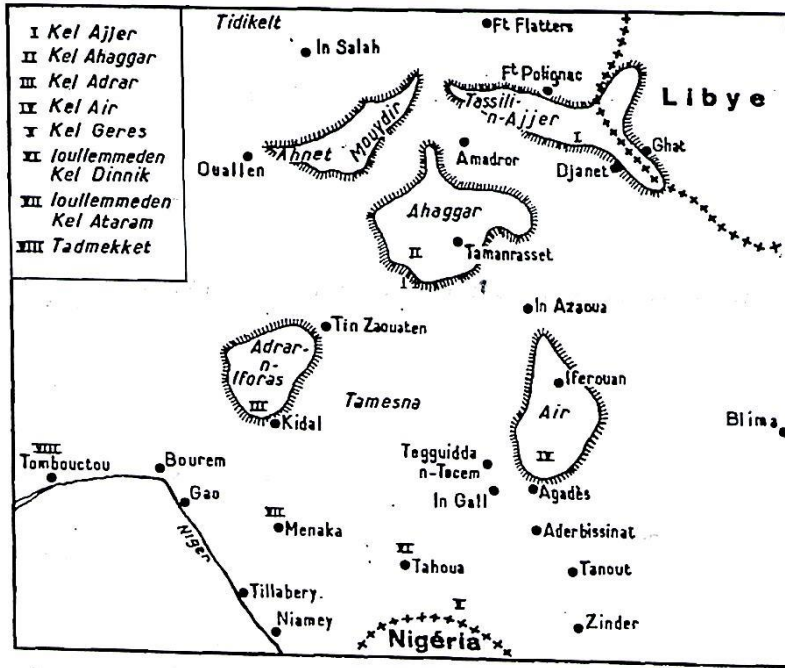
<sup>1</sup> - Johannes Nicolaisen, Structures Politique et sociales de L'Air et de l'Ahaggar, traduit par S.Bernus, Etudes nigériennes N°7, Institut de recherches en sciences humaines, Niamey, 1981, p.7

- 3) سلطنة "والليمدن كال أطرام" ومعنى هذه التسمية أهل الغرب في "الأزواغ" ونهر النيجر وتضم أربعة إمارات كل منها تضم عدد من القبائل.
- 4) سلطنة "نقر تقريت" أو "والليمدن" أهل الشرق ومعنى التسمية هي الوسط أي تقع في وسط بلاد التوراق أي شمال النيجر الحالي وتضم أكثر من 16 قبيلة كبرى.
- 5) سلطنة "الأيير": وسلطانها من قبيلة الهوسا بالاتفاق مع القبائل التارقية التي تنتمي إلى أصول تركية عثمانية وتضم 12 قبيلة.
- 6) سلطنة "تمزقدا" وتعد من أقوى وأغنى القبائل التارقية لموقعها الاستراتيجي المتحكم في طرق القوافل وأراضيها الخصبة وتضم حوال 14 قبيلة.
- 7) سلطنة "كال أقرس" تقع في منطقة الهوسا وهي مكونة من مجموعة من القبائل المتداخلة مع السلطنات المجاورة لها وتضم 04 قبائل وعدد كبير من الموالي والعبيد.<sup>(1)</sup>

أما الباحث الدانماركي Johannes Nicolaisen (1921-1980) الذي اعتمد على المادة العلمية التي جمعها من منطقة "الأهقار" و"التاسيلي ناجير" و"الأحنات" و"الأيير" بين سنة 1959-1951، وكان الهدف من دراسته هي وصف ودراسة التنظيم السياسي في منطقة "الأهقار" و"الأيير" إضافة إلى الجوانب الثقافية، وبناء على معايته الميدانية حدد عدد الفيدراليات التارقية ب 08 فيدراليات (ينظر الخريطة رقم 10) تضم كل منها عدد من القبائل المقسمة بدورها إلى عدة فئات وضعها في خريطة وهي متطابقة لدراسة القشاط مع إضافة فيدرالية واحدة هي "كال أدرار".<sup>(2)</sup>

<sup>1</sup> - محمد سعيد القشاط، التوارق عرب الصحراء الكبرى، مركز دراسات وابحاث الصحراء، ط2، 1989، ص ص 39-47.

<sup>2</sup> - Johannes Nicolaisen, Op.cit, p.11.



خريطة رقم (09)<sup>(1)</sup>: الكونفدراليات التارقية الثمانية

أما H. Duveyrier فارس النظام الإمبراطوري في فيلق الشرف وعضو أجنبي في الجمعية الملكية الجغرافية في برلين، فقد قام بعدة رحلات استكشافية تجسسية نحو الصحراء الجنوبية الشرقية من 1859-1861م، تمكن فيها من جمع معلومات كثيرة وهامة حول التوارق، حتى أصبح كتابه « Les Touareg du nord » كتابا مرجعيا في أدبيات الرحلة إلى صحراء التوارق، ولم يتسنى له القيام بهذا الانجاز دون المساعدة الهامة والحماية التي وفرها له "سي حمزة من أولاد سيد الشيخ" وكان خليفة على الجنوب، و"سي محمد العيد" شيخ الطريقة التجانية والمرابط "سيدي عثمان بن الحاج البكري" قائد قبيلة الأيفوغاس و"الأمير الحاج محمد إخنوخن" أمنوكال التوارق "الأزدجار" والمرابط "سيدي البكاي" هو ابن عم شيخ تمبوكتو "سي سليمان العزابي"، هذه الشخصيات الهامة والتي كان لها نفوذ وسلطة في الجنوب مهدت له الطريق ووفرت له الحماية رغم وجود مقاومة "الشريف محمد بن عبد الله في هذه الفترة.

<sup>1</sup> - Ibid, p.11

« أما النقيب H.bissuel أحد قادة المكاتب العربية الذي ألف كتابا حول توارق الغرب Les Touaregs de L'ouest وطبعة سنة 1888. واتفق الكاتبين الأخيرين Bissuel- Devuyrier على أن التوارق ينقسمون إلى أربعة كونفدراليات كبرى وهي:

1. كونفدرالية "الأزدجار" أو "كال أزدجار" في الشمال الشرقي في هضبة التاسيلي الشمالية.
2. كونفيدرالية "الأهقار" أو "كال أهقار" في الشمال الغربي في جبال الهقار.
3. كونفيدرالية "الأيير" ويعرفون كذلك تحت تسمية "كال أويي" في الجنوب الشرقي في مرتفعات الأيير أو آزين.
4. كونفيدرالية الأوليمدان في الجنوب الغربي في مرتفعات الأدرار وجزء من منخفض أهوآغ.

و بطريقة أخرى يصنفون إلى صنفين توارق الشمال، وهما (الأزدجار والأهقار)، وتوارق الجنوب وتشمل (الأيير والأوليمدان)<sup>(1)</sup>، ويضاف إليهم قبائل "أغراف آحنات" ويتمركزون في الأدرار آحنات ويطلق عليها "باتن آحنات" في غرب الهقار، وهم يشكلون توارق الغرب وهو موضوع كتاب النقيب Bissuel توارق الغرب، واعتمد فيه على المعلومات التي تمكن من جمعها من خلال استجواب السجناء التوارق السبعة.<sup>(2)</sup> في سجن باب عزون في الجزائر العاصمة وهم أي السجناء التوارق كانوا من التوارق المستقرين غرب جبال الهقار فاطلق عليهم الضابط الفرنسي Bussuel توارق الغرب.

<sup>1</sup> -Duveyrier, Les touaerg du nord, Op.cit., p.2-3.

<sup>2</sup> - خلال صيف 1887 اغارت مجموعة من التوارق بلغ عددهم 40 محاربا يمتطون المهاري على جمال الشعابنة المواضي في ضاية الدرينة شمال شرق مدينة المنيعا بالقرب من "عرق الرتم" وكان خبر هذا الغزو قد وصل إلى قائد الشعابنة المواضي قدور بن بلخير عن طريق بوحفص بن لكحل وهو أحد عيون القايد في عين صالح، وانتهت هذه العملية بعد الكمين الذي نصبه قايد بلخير للتوارق عند حاسي اينفيل في 08 اوت 1887، حيث تم إعدام 08 من التوارق، وسلم 07 اسرى إلى السلطات الفرنسية، وكان دليلهم في هذه الغزوة من الشعابنة المواضي، ولكنه مقيم في عين صالح وأربعة من أشرف قبيلة تابتوك وعضوين من قبيلة الأمغاد كال آحنات وتم تحويلهم من طرف السلطات الفرنسية من غرداية إلى الجزائر العاصمة في سجن باب عزون، حينها كلف النقيب Bissuel باستجوابهم وجمع معلومات حول بلادهم وعاداتهم وكل ما يمكن جمعه من معلومات حول بلاد التوارق. Le Capitaine, H. Bissuel, les touaerg de L'ouest, Adolphe jourdin, Algu, 1888, pp2-8.

تمكن أهمية هذه الدراسات لكونها مصادر شفوية تم جمعها من خلال استجواب للتوارق أنفسهم خلال القرن 19، وهي الفترة التي كان التوارق لا زالوا يحافظون على ثقافتهم ونمطهم المعيش وتاريخهم الشفوي الذي تناقلوه على مدى أجيال في شكل أساطير للفتيات القديمة جدا وكذلك حقائق تاريخية متعارف عليها وثابتة في الذاكرة الشعبية.

أهم ما يمكن ملاحظته في هذه المصادر هي:

1. اقتصر تعريف الضباط الفرنسيين للتوارق على خمسة "كونفدراليات" قسمت إلى توارق الشمال والجنوب ثم الغرب، وهي المناطق المتاخمة للأقاليم الجنوبية المحتلة، وكانت خارج السيطرة الاستعمارية، لذلك تم تكثيف عمليات الاستكشاف التجسسية.
2. استخدم الفرنسيون مصطلح "الكونفدرالية" للتعبير عن النظام القبلي التارقي، بالرغم من أن المصادر التي اعتمدوا عليها من العصر الوسيط، كانت تستخدم مصطلح "السلطنة" وأكد المسلمون الذين ألفوا في تاريخ التوارق مثل "القشاط" الذي قسم التوارق إلى سبعة سلطنات على اعتبار أنها وحدات سياسية لها تنظيمها السياسي الداخلي، وإقليمها الجغرافي المتعارف عليه وعلاقاتها الخارجية مع منطقة السودان جنوب الصحراء، وتغاضي الباحثين الغربيين عن مثل هذه المصطلحات التي لا تتفق مع الفرضيات والأحكام المسبقة التي يحاولون فرضها لتبرير الوسائل التي يستخدمونها لتحقيق أهدافهم التوسعية في هذه المناطق.
3. اعتمد الضباط الفرنسيون والباحثين الأوروبيين على أساس العامل الجغرافي الاقليمي في تقسيم هذه القبائل - توارق الشمال (الأزدجار- الأهقار) وتوارق الجنوب (الأيير والأوليميدان) توارق الغرب- الأمر الذي يؤكد أهداف الاستعمار التوسعية من كل هذه الدراسات والجهود.
4. لم يكن سكان الصحراء من التوارق ممن يميلون إلى تدوين تاريخهم، بل كانت ثقافتهم شفوية يتم تناقلها عبر الأجيال، لذلك يجد الباحث صعوبة كبيرة في البحث في تاريخ المنطقة في ظل ندرة المصادر المحلية المكتوبة، وأغلب هذه الدراسات اعتمدت على مصادر شفوية وشهادات لمثقفى المنطقة في مختلف فروع الأبحاث في العلوم الانسانية أو الاجتماعية.

5. يجب تحديد المجال الجغرافي لهذه الدراسة ينحصر في منطقة التاسيلي ومرتفعات الأهقار أي أقصى جنوب شرق الجزائر و تتجاوز هذا المجال الجغرافي عندما يستدعي الأمر توضيح وتحليل بعض الاشكاليات، قبل الانتقال إلى التنظيم السياسي والاجتماعي لتوارق الشمال. تمكنت قبائل التوارق من التأسيس لتنظيم سياسي متميز يضمن لها تسيير شؤونها الداخلية المتشعبة وعلاقتها الخارجية مع الكونفدرليات المجاورة لها ويتكرر نظام حكمها من الهياكل التالية:

#### 1-1) منصب الأمينوكال « Aminokal » أو السلطان:

وهي كلمة مركبة من AMA وتعني سيد و N لي akal الأرض أو البلاد "سيد البلاد" أو الزعيم أو السلطان الأعلى مرتبة ونفوذا وسلطة عند التوارق<sup>(1)</sup>، ويتولى هذا المنصب من ينتمي إلى القبائل الشريفة النسب أو النبلاء<sup>(2)</sup>، فمثلا رجال قبيلة (الإيمانان) « imenanes » التي كانت تحكم الأهقار والأزدجار وجزء من الآير والأدرار الإيفوغاس حتى منتصف القرن 17م<sup>(3)</sup>، وجمعت هذه القبيلة بين شرف النسب إلى الرسول ﷺ من طريق الأدارسة من الصحراء الغربية ومعنى كلمة "إيمانان" هي السلطان، ويفترض أن أول تواجدهم في المنطقة ( ينظر الخريطة رقم9) بعد انهيار وسقوط الدولة المرابطية في القرن 12م، وهو تاريخ وصول الأشراف إلى تيديكلت، ويمكن أن يكون أول تواجدهم في المنطقة في المرحلة الثانية للصحوة الاسلامية التي تزعمها الشيخ عبد الكريم المغيلي في الصحراء الوسطى والسودان، وتلتها حملات الشريف السعودي السلطان أحمد المنصور على الجنوب وصولا إلى تمبوكتو 1591،<sup>(4)</sup> وكانت مدينة غات مركز إقامة السلطان أو الأمينوكال وكانت "قبيلة إيمنغاساتن" تمثل قوتها العسكرية المسيطرة.

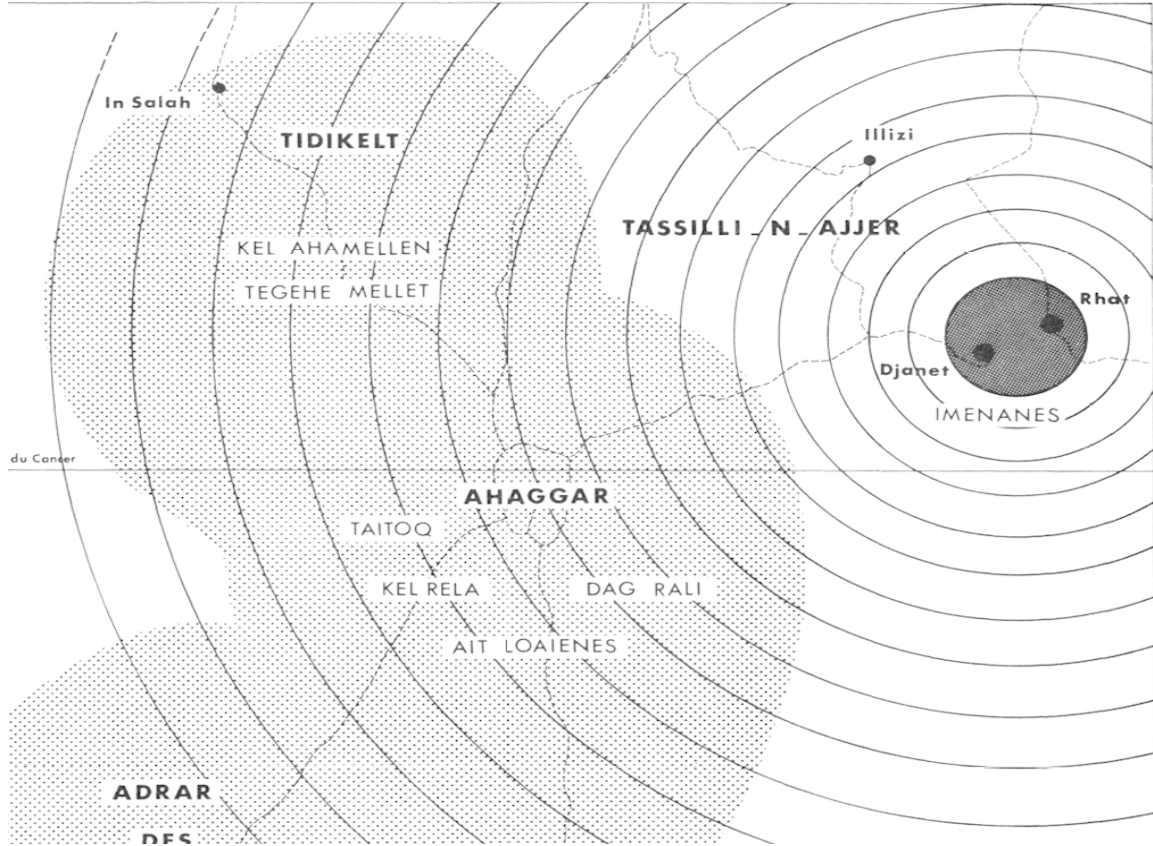
<sup>1</sup> - محمد سعيد القشاط، المرجع السابق، ص ص 49.

- المصطلح الذي استخدمه أغلب الباحثين للدلالة على شرف النسب ونبيل الانتماء.<sup>2</sup>

<sup>3</sup> - M.Gast et S.chaker « Aminokal, AME Noukal », in Gabriel Camps (dir) 4, Alger-Amazwar, Aix-en-provence, Edisud, Vol n°4, 1986, p.02.

<sup>4</sup> - Mouglin. L, les premiers sultans saadides et le Sahara, R.O.M.M, N°19, 1975, pp.167-187.





الخريطة رقم (10) المجال الجغرافي لقبيلة الايمانان

يساعد السلطان أو الأمينوكال في حكمة "الأتابال" أو "الطبول"<sup>(1)</sup>، أما مفهومه الإصطلاحي العملي هم رؤساء مجموعات قبائل، أي أن كل رئيس تحت إمرته مجموعة من القبائل الممثلين بشيوخها ويطلق عليهم (الأمغار) بمعنى الشيوخ، يكونون مجلس ممثلا من القبائل النبيلة أو الشريفة، وكذلك القبائل التابعة.

يكون انتقال سلطة الأمينوكال وراثيا إلى ابن الأخت ويترشح لهذا المنصب في حالة شغوره عدة مرشحين يراعى فيهم النسب من ناحية الأم إلى فئة النبلاء الأشراف على الأقل عبر خمسة أجيال ثم قدراته الفكرية والجسدية وشجاعته وكرمه وفي بعض الأحيان السن على أن تكون علاقته

<sup>1</sup> - الطبول: طبل كبير كان يدق عليه من طرف شيخ أو قائد القبيلة لجمعها بهدف تغيير الرعي أو أي أمر آخر، أي انه رمز القيادة، وأصبحت- ترمز إلى النبلاء والقبائل إلغاد أي التابعة لها والتي تستجيب لدق الطبل فيقال "طبول كال غلا" أو "طبول التاتوك" أي النبلاء من كال غلا أو تاتوك وقبائل إلغاد التابعة لكل منهما. ينظر:

Gast. M, Op.cit, p.1- Benharera, Op.cit, pp.309-310.

وطيدة بينه وبين شعبه و يتمتع بالثقة حتى يستطيع ممارسة سلطته، ويمكن تنحيته في أي مرحلة من طرف شعبه<sup>(1)</sup>، وتتم عملية تعيين السلطان عن طريق الانتخاب من طرف كل النبلاء وشيوخ القبائل أو الأمغار من بين الشخصيات المترشحة، فمثلا بعد وفاة الأمينوكال الأهقار "أيتيغال آغ بيسكا" عند الأهقار سنة 1900 كانت الأسبقية في خلافته "لمحمد آغ أورزيغ" ولكن الأمغار وغالبية النبلاء أو الأشراف عارضوا تعيينه وأيدوا "أتاسي آغ أملال"<sup>(2)</sup>.

يعتمد التوارق في تقسيم الميراث على ما تنص عليه الشريعة الاسلامية، ولكنهم في وراثة السلطة السياسية فهم يحافظون على حق الحكم على الخط الأمومي، أي عند وفاة الامينوكال يرثه أخوه الأكبر في حالة عدم وجوده، يرثه ابن خالته الأكبر، وفي حالة عدم وجود يرثه ابن أخته الكبرى، أي البنت هي التي تمنح حق الطبول لأبناءها، فمثلا نبلاء "الكال غلا" أصبحوا على رأس طبول في الأهقار من جدتهم "كلا kella" وقبيلة "التاتوك" النبيلة تعود إلى جدتهم "سكينة" وكانت معاصرة ل "Kella, كلا" وهذا ما جعل الامينوكال التاتوك سيدي آغ كراجي « Sidi ig Karadji » فأبوه من طبول "كال غلا" وأمه من طبول "تاتوك" فأصبح هو أمينوكال لتاتوك من جهة أمه.<sup>(3)</sup>

أما عن صلاحياته السياسية الخاصة فتتمثل في تمثيل الكونفدرالية في علاقاتها الخارجية، و اعلان الحرب والهدنة، ويقود الجيش في الحروب، ويتراأس مجلس الأعيان والرؤساء، أما الاقتصادية يحدد مناطق الرعي لكل مجموعة ويراقب طريق القبائل ويأخذ الرسوم بما يسمى "حق المرور"، لإثبات الولاء وهي ضريبة سنوية على رؤوس الماشية وعلى السلع من تجارة القوافل من طرف أعضاء الحلف الذين تربطهم به علاقات سياسية واقتصادية تسمى "تويسي" « Tiouisé », وحصه من غنيمة الغزو، وكذلك ضريبة تدفعها قبائل خاصة عن اقليم "إتابال" (طبول) والتي تطلب الحماية من الامينوكال وتسمى "تامزلاغت" « Temazlart » ومصادر أخرى للدخل.

أما مسؤولياته الاجتماعية فتتمثل في حل النزاعات الداخلية، واسترجاع الثروات المسلوقة، والدفاع عن الفقراء والمساكين والتصدق عليهم، ويعتمد في تسيير الشؤون الداخلية على مجلس

<sup>1</sup> -Duveyrier, Les touareg du nord, Op.cit., p.343.

<sup>2</sup> -M.Benhazera, Six mois chez les Touaregs, Ahaggar, B.S.G.A.A., Noed, 11<sup>eme</sup> Année, 1960, IXI, impe. Typographique et Lithographique S.Léon, Alger, 1906, pp.311-312.

<sup>3</sup> -Benhadza, Op.cit,p.311- Devuyrier, Op.cit, pp.331-332.

مكون من الشيوخ والأعيان داخل الكونفدرالية، وهو بذلك ليس حاكما مطلقا، بل يعتمد على هيئة استشارية يقوم باستدعائها لدراسة القضايا الخطيرة والهامة، أو في حالة شغور منصب الأمينوكال بسبب الوفاة أو سبب آخر وانتخاب أمينوكال آخر.

تتكون كونفدرالية طوارق الشمال من ثلاثة "أتابال" أو "طبول" (كال غلا- تاتيوك- تجيني مليت) كل منهم مستقلة اقتصاديا وسياسيا عن بعضها البعض، ولكن الكونفيدرالية الوحيدة التي يحمل قائدها لقب الأمينوكال هي "كال غلا" وهي أقوى هذه الكونفدراليات، أما الوحدات الأخرى فيحمل قائدها لقب "الأمغار".

## 1-2) منصب "الأمغار" « Amghar »:

يطلق مصطلح أو لقب "أمغار" في اللهجات البربرية على كبير السن أو المتقدم في السن، وفي مجال القرابة يطلق على أب وأم الزوج، بالنسبة للزوجة، وكذلك يقصد بها كل الأسلاف، أما مجال التنظيم الاجتماعي فيأخذ معنى القائد على جميع المستويات من رئيس على مستوى القرية إلى شيخ القبيلة إلى رئيس الدولة وزعيمها<sup>(1)</sup>، وهي كلمة مركبة من أمغار-ن-توسيت- إذن هو رئيس أو زعيم قبيلة، وكل أمينوكال هو أمغار وليس كل أمغار أمينوكال.

يقوم الأمغار بالإشراف على شؤون قبيلته، ويمثلها في الاجتماعات الهامة ويحمي مصالحها، ويجمع منها حصتها من الأموال المطلوبة لخزانة السلطنة، أو لتمويل الحرب، ويقود رجال قبيلته في حالة الحرب أو للإغارة على الأطراف المعادية<sup>(2)</sup>، ويشارك في انتخاب الأمينوكال، ومناقشة القرارات الكبرى التي تخص الكونفدرالية في المجلس الذي يجمع الأمينوكال- الأمغار ومجموعة من الأعيان والمرافقين.<sup>(3)</sup>

<sup>1</sup> -S.Chaker et M. Gast, « Amghar », in Gabriel Camps(dir), 4/Alger-Amzwar, Aix-en-Provence, Edisud, volume n4, 1986, p23. Et. Duveyrier, op.cit, p331

<sup>2</sup> - محمد سعيد القشاش، المرجع السابق، ص 53.

<sup>3</sup> - مرموري حسن، المرجع السابق، ص 126.

## 2-2) مجلس الشيوخ أو الأعيان أو المجلس العام:

استخدم الأوربيون الذين اهتموا بدراسة مجتمع الطوارق مصطلح "الميعاد" <sup>(1)</sup> « miaâd » تعبيراً عن المجلس الذي يترأسه الأمينوكال، والذي يعد كهيئة استشارية تستمد أهميتها من قوة شخصيات ونفوذ "أمغارن" أو شيوخ ورؤساء القبائل، وتجتمع هذه الهيئة الاستشارية بدعوة من الأمينوكال أو في حالة شغور منصب الأمينوكال لأي سبب من الأسباب، ويجمع المجلس لمناقشة قضايا السلم والحرب والقضايا المهمة في التجارة كإرسال القوافل الكبرى وحمايتها وتنقلات القبائل سعياً وراء الكلاء وغيرها. <sup>(2)</sup>

- فكان التنظيم التقليدي السياسي السائد لدى قبائل التوارق، يعتمد الحرية والتسيير الجماعي والديمقراطي للشؤون الداخلية انطلاقاً من تعيين الرئيس أو "الأمينوكال" الذي يكون من بين عدة مترشحين ورثة حق الحكم من الخط الأمومي، ويكون أسلافهم معلومون ومعروفون حتى الجيل الرابع أو الخامس لضمان صفاء ونقاء الأصل، أي أن الانتخاب وحرية الاختيار مضمونة ضمن هذا الإطار.
- يضمن هذا النظام مشاركة ومساهمة جميع أطرافه في تسيير شؤونه الداخلية عن طريق "الميعاد" أو مجلس الشيوخ أو الأعيان الذي يحضره ممثلون عن كل القبائل والطبقات المختلفة للمجتمع التارقي.
- يعتمد الأمينوكال في حكمه على الثقة المتبادلة والروابط المتينة بين الأمينوكال وشعبه فقط، فلا يوجد جهاز ردع (جيش مثلاً) تحت إمرة الأمينوكال يفرض به قراراته بالقوة، فهي قائمة على القرابة أولاً، وقداسة النسب وصفاءه الذي يفرض الطاعة والولاء من طرف القبائل التابعة والأطراف الأخرى، في كونفيدرالية الأهمقار انحصر منصب الأمينوكال في "كال غلا" منذ ظهورها وفي الأزديجار كان منصب الأمينوكال في الأوراغن منذ منتصف ق 17.

<sup>1</sup> -Duveyrier, Les touareg du nord ,Op.cit. p.331.

<sup>2</sup> - مرموري، المرجع السابق، ص 125، محمد سعيد القشاط، المرجع السابق، ص 54.

## 2) التنظيم الاجتماعي عند الأهقار والأزدجار:

السلطنة أو (تمغر) وهي اتحاد مجموعات من القبائل يجمعها "إتابال" أو "الطبل" الواحد الذي يمتلكه السلطان أو الأمينوكال الذي يعينه مجموعة من شيوخ القبائل المتحدة والمتحالفة فيما بينها في مجال جغرافي تنتقل فيه كل القبائل التابعة لها معلوم الحدود وهو مجال هيمنتها، وتعد المدن الواقعة ضمن هذا المجال الجغرافي محايدة ومشاركة لكل السلطنات أو الكونفيدراليات بحيث يمكنها الدخول إلى أسواقها لبيع منتوجاتها أو شراء احتياجاتها<sup>(1)</sup>، يتكون مجتمع الطوارق من عدة طبقات اجتماعية، تحتفظ كل طبقة بخصوصياتها وامتيازاتها الاجتماعية إلى درجة أن التزاوج لا يتم بين طبقة وطبقة حفاظا على صفاء النسل، خاصة بين الطبقات العليا مع الأدنى منها، وكذلك بعض الحرف والمهن لا تقوم بها إلا بعض أصناف من الطبقات فقط، وتعد في نظر طبقات أخرى غير لائقة بهم وتقلل من شأنهم.

لذلك قام بعض الباحثين أو العسكريين الأوروبيين بعملية إسقاط للمجتمع الاقطاعي الذي عرفته أوروبا في العصور الوسطى على مجتمع الطوارق الطبقي دون الاهتمام بالفوارق العديدة بينهما في الأسس التي يقوم عليها التنظيم الاجتماعي لدى الطوارق الذي ينقسم إلى عدة طبقات أو مجموعات:

### 1-2) طبقة النبلاء أو السادة:

وهي الطبقة التي تمتلك حق القيادة السياسية داخل الكونفيدرالية وتمارس سلطتها داخل القبيلة<sup>(2)</sup>، ويعرفون بتمسكهم بالعادات والتقاليد التارقية وكذلك بشجاعتهم وشدة بأسهم في الحروب، وفي حماية القبائل التابعة لهم، وهي المهمة المنوطة بهم، إضافة إلى ضمان أمن الطرق التجارية وحماية قوافل القبائل المتعاملة معهم، ومراقبة الأعداء ومحاربتهم، وفي حالة الحرب ينظم الجميع إلى الجيش تحت قيادتهم، ويذهب بعض الأوروبيين مثل الضابط المترجم Benhazera أنه يمكن التعرف على النبيل بمجرد النظر إليه لتمييزه عن الآخرين من خلال مظهره العام ومن طريقة

1 - محمد عبد الرحمان عبد اللطيف، مساهمة في دراسة تاريخ ومجتمع الطوارق شعب الصحراء الكبرى، مخطوط مكتبة المؤلف، ص 62، عن أ.م. سعيد القشاط، المرجع السابق، ص 64.

2 - Duveyrier, Les touareg du nord, Op.cit., p.331.

سيره بخطوات واسعة وهندامه الخاص وملامحه الظاهرة من وجهه المثلث<sup>(1)</sup>، وهي الطبقة التي تحتقر الحرف اليدوية وتعتبرها خاصة بالطبقات الدنيا كالعبيد والحراطين.<sup>(2)</sup>

ومقابل مهمة الدركي التي تقوم بها هذه الطبقة في الصحراء، تدفع القبائل التابعة ضريبة "تيوسي"<sup>(\*)</sup> « tioussée » إليها كرمز لتبعية والطاعة، وتدفع في فصل الخريف من المنتجات المحلية ويعبر "دوفريي" عن حياة النبلاء أن أغلب حياتهم يقضونها في الترحال عبر الصحراء الشاسعة دائي الحركة وغير مرتبطين بمكان محدد وأقل ثراء من القبائل التابعة لهم.<sup>(3)</sup>

و يُعرفون كذلك بالصبر والثبات وحميم للعزلة والاستقلالية، وتمسكهم بالسيادة والمكانة بين قبائل الكونفيدرالية وغيرتهم الشديدة على مكان إقامتهم داخل مرتفعات الهقار، ولا يعرف الكذب أو السرقة والخداع، وإذا ارتكب جريمة يحاول الفرار، وإذ ألقى عليه القبض يقر بالجريمة التي ارتكبها حتى ولو كلفته حياته<sup>(4)</sup>، وهذه شهادة الأوروبيين الأوائل الذين تعرفوا على المجتمع التارقي على حقيقته، أما الصورة النمطية التي حاول الاستعمار أن يرسمها للطوارق من خلال الكتابات التي صاحبت عملية التوسع العسكري، وظهرت فيها نية فرنسا في استعمار المناطق الجنوبية هي معاكسة تماما للوصف الذي قدمه "دوفريي" من خلال زيارته للطوارق 1861.<sup>(5)</sup>

<sup>1</sup> -Benhazera.M, Op.cit, p.308.

<sup>2</sup> -Rognon Pierre, la confédération des nomades kel Ahaggar (Sahara central). In: annales de Geographies, t.71, n°388, 1962, pp.604-619 ; p.606.

\*- Tioussée تويوسي: ضريبة تدفع من الأمغاد (التابع) إلى الأمينوكال (السلطان) أو النبلاء وهي ثابتة وتختلف سنة إلى أخرى وتقدم في فصل الخريف بعد موسم جني التمور وتكون في شكل تمور أو زبدة أو حبوب أو أبل وغنم وتأخذ هذه الغربية شكل آخر يتمثل في تقديم هدايا وسد احتياجات النبلاء العادية، حيث كل مجموعة من العائلات التابعة (الأمغاد) تهتم باحتياجات عائلة من النبلاء.

- Benhazera, Op.cit, p.313.

<sup>3</sup> -Demoulin.F, La vie des touareg du Hagggar. In ; Annales de Géographie, t37, N°206, 1928, pp.137-162 ; p.144.

<sup>4</sup> -Duveyrier, Les touareg du nord, Op.cit.,p.385.

<sup>5</sup> -Maurice Benhazera, six mois chez les touareg du Ahaggar, Bull. Soc. Géo. D'Alger. Afr. 11<sup>eme</sup> année, 1906, T XI, Imprimerie, S.Leon, Alger, p.308.

## 2-2 طبقة الأمغاد أو الأتباع أو الخدم:

هي عبارة عن عشائر وأسر تقع تحت حماية النبلاء أو الأسياد مقابل ضريبة التيوسي، وقد تكون من القبائل العربية الوافدة على المنطقة وكانت في حالة ضعف، ويطلق عليهم "كل أولي" Kel « oulli بمعنى أهل الماعز، وتوكل إليهم كل الأعمال اليدوية، كالمهن المختلفة مثل الزراعة وغيرها، وهم عبارة عن مورد اقتصادي للنبلاء الذين يتكفون بمهمة الحماية مقابل توفير ما يحتاجونه من حبوب وزبدة وحليب وغيرها، ولكنهم يتمتعون بالحرية في المشاركة في الحروب وكذلك اختيار الأمينوكال وهم يميلون إلى الاستقرار أكثر من الترحال.<sup>(1)</sup>

الأمر الذي جعل الكتاب الفرنسيين في مأزق إيجاد المصطلح الفرنسي الذي يعبر عن حقيقة هذه الفئة، بحيث كان البعض منهم يقوم بعملية إسقاط مصطلحات المجتمع الإقطاعي على المجتمع التارقي في علاقة الأسياد أو النبلاء بالطبقات الأخرى، فاختار بعضهم كلمة « Serf » أي القن المرتبط بالأرض وكان يباع مع الأرض في المجتمع الإقطاعي الأمر الذي لا ينطبق على "الأمغاد" في الصحراء<sup>(2)</sup>، فتم استخدام « tributaire » أي التابع أو Homme Lige أي الرجل المخلص لسيده.

فإن كان الأمغاد يدفع ضريبة التيوسي للأسياد وتابع لهم وتحت حمايتهم، ولكنه يتمتع بالحرية في المشاركة في الحروب إلى جانبهم ويملك نفس الأسلحة، وفي الغزوات على الأعداء فكان يشارك فيها وله نصيب من الغنائم، ويشاركون في انتخاب "الأمينوكال"، ويعبرون عن آرائهم بكل حرية في أهم القضايا عند التوارق.

## 3-2 فئة الأشراف المرابطين إينسلمن « inislmin »:

ويلقبون بالفقهاء وهم من الأشراف المرابطين أو النبلاء الذين تنازلوا عن دورهم السياسي في الكونفدرالية، مقابل الاستحواذ على السلطة الدينية لتحقيق التوازن داخل الكونفدرالية بين السلطتين إضافة إلى الدور الذي يمكن القيام به في المجال القضائي بين أفراد أو قبائل وعشائر الكونفدرالية لتحقيق الاستقرار، وبالتالي كانت هذه الفئة تلعب دور وزارة الشؤون الدينية

<sup>1</sup> -Duveyrier, Les touaerg du nord, Op.cit., pp.334-338.

<sup>2</sup> -M.Benhazera, op.cit, p.309.

والقضائية والتعليم<sup>(1)</sup>، قامت هذه الفئة بدور الامام العالم<sup>(2)</sup>، للمحافظة على تعاليم الدين الاسلامي داخل المجتمع التارقي من خلال سلوكهم وحياتهم، وكذلك أقوالهم ودعواتهم إلى المحافظة على مذهب أهل السنة والجماعة.

أما دور في الجانب القضائي بحل النزاعات بين الأفراد والقبائل داخل الكونفدرالية وكذلك بين الكونفدرالية أو بين الطوارق والأجانب، والسلطة الوحيدة التي تمتلكها هي احترام وتقدير كل سكان الصحراء.

أما في الجانب الثقافي فهم يقومون بدور تعليم القراءة والكتابة وتحفيظ القرآن وكل العلوم التي يمكن للمرابط أن يقدمها، والفرق هو أن المرابط المعلم هو الذي ينتقل إلى مكان إقامة القبائل لتقديم دروسه إلى تلاميذه في هذه القبائل.<sup>(3)</sup>

تكونت هذه الطبقة بعد ظهور الاسلام، وهي محل احترام وتقدير الجميع، وأفرادها في العادة لا يحملون السلاح ويلجؤون دائما إلى حصى طبقة النبلاء التي تتولى توفير الحماية لهم.<sup>(4)</sup>

#### 4-2 الحرفيون أو الحدادون (الصناع التقليديون): اينضن (Enaden):

تشير الذاكرة الجماعية الشعبية إلى هذه الفئة "اينضن" على أنها تعود إلى عصور قديمة، ومعنى هذه التسمية الأمازيغية (ابن العصر القديم) ومفردها "ايناض"، ويذهب التوارق إلى أن الكتابات القديمة الأثرية على الصخور والكهوف هي من صنع "اينضن"، وهي الطبقة التي تحتكر الصناعة التقليدية بكل أنواعها وكل ما يحتاجه التوارق في حياتهم اليومية من صناعة الجلود إلى المعادن الحلي وكل الخدمات اليومية كذلك<sup>(5)</sup>، ولكن معنى الكلمة في لغتهم تقتصر على مهنة

<sup>1</sup> -Duveyrier, Les touareg du nord, p.332.

<sup>2</sup> -H. Bissuel, Op.cit.p.28.

<sup>3</sup> -Duveyrier, Les touaerg du nord, p.333. et- Bissuel, Op.cit, p.28.et. Benhazera, Op.cit, p.316.

<sup>4</sup> - محمد سعيد القشاط، المرجع السابق، ص 67-68.

<sup>5</sup> - محمد سعيد القشاط، المرجع السابق، ص 69.



الحدادة حسب معجم Sid Kaoui<sup>(1)</sup> ثم توسعت لتشمل كل الوظائف التي كانت هذه الفئة تقوم بها في المجتمع التارقي.

أما عن أصولهم فيشير بعض الباحثين إلى أن هجرتهم إلى المنطقة صاحبت النزوح العربي البربري نحو الجنوب بعد الفتوحات الإسلامية، وكان أغلبهم من اليهود ولا زالت بعض القبائل تحافظ على أصولها اليهودية حتى زمن المؤلف، ولم تقتصر وظائفهم على المهن التي أشرنا إليها سابقا، بل تعدته إلى الحلاقة والتطبيب والجراحة، وكانوا مجهزين بأدوات معدنية تشبه أدوات الأطباء في أوروبا أثناء العصور الوسطى والتي أخذوها عن العرب المسلمين فيما سبق، وكانت هذه الفئة محل احتقار وخوف لدى الطوراق وسكان الصحراء عموما.<sup>(2)</sup> لأن العمل اليدوي والأعمال الشاقة بالنسبة للنبلاء والأشراف هي مخصصة للطبقات الدنيا في المجتمع، ثم الرهبة المتزايدة من هذه الفئة، تعود إلى قدراتهم الغامضة والحرية المتمثلة في تحكمهم في صناعة المعادن المختلفة وكذلك لنفوذهم الاقتصادي المتنامي من خلال احتكارهم للمعرفة التقنية وارتفاع مداخيلهم من خلال تجارة المواد المصنعة من طرفهم، ويتوزعون على القبائل بأعداد قليلة وهم في أسفل السلم الاجتماعي ولكنهم أحرار ويستطيعون التملك.<sup>(3)</sup>

## 5-2 فئة العبيد "إكلان" :klan:

مفرده أكلي Akli ومؤنثة « Taklit » وهم زنوج من أصول سودانية مختلفة، استقدموا في البداية كرقيق من أفريقيا في إطار تجارة العبيد أو الخطف أو الإغارة، يشتغلون في الرعي والزراعة وأعمال المنازل كخدم، ويروي "القشاط" عن الحالة الذهنية لهؤلاء من خلال حادثة شخصية أنه طلب من أحد العبيد كان يرعى الأبل أن يرافقه إلى ليبيا ليشتغل هناك حرا بعيدا عن العبودية،

<sup>1</sup> -S.Cid Kaoui, Dictionnaire français- Tamâheq (langue Touareg) adolphe jourdan, libraire- Editeur, Alger, 1894, p.438.

<sup>2</sup> -Attilio Gaudio, Le Sahara des africains, Collections Histoire et voyage Ed, Julliard Réne, Paris, 1960, pp.26.27.

<sup>3</sup> -Bourgeot André. Idéologie et appellations ethniques : l'exemple twereg analyse des catégories sociales, in : cahiers d'études africaines, vol. 12, N°48, 1972, p.536.

فأجابه العبد: ولئن أترك إبل سيدي؟ فرد عليه أن يتركها له يرعاها، فضحك العبد منه وهو يقول: سيدي لا يرعى الإبل، وتركه ولحق إبل سيده.<sup>(1)</sup>

فكانت هذه الفئة مقتنعة بدورها في المجتمع الصحراوي، ويعود ذلك إلى أن معاملة المسلمين للعبد خاضعة لتعاليم الشريعة الإسلامية واندمجت هذه الفئة حتى أصبحت من أفراد العائلة التي تمتلكها.

### 3) التنظيم القبلي عند طوارق الشمال:

#### 1-3) التنظيم القبلي لكونفدرالية الأهقار:

استخدمنا مصطلح الكونفدرالية في النظام السياسي عند توارق الأهقار نظرا لتوسع مكونات الأهقار الاجتماعية والسياسية على المستوى الأفقي، حيث يتكون من عدة فيدراليات واتحادات قبلية هي بدورها متكونة من العديد من العشائر والقبائل، مما يجعل بنية النظام الاجتماعي للتوارق بالغة التعقيد لذلك نحاول التعريف به دون الوقوف على التفاصيل ونكتفي بذكر ما يفيد بحثنا. والمعلوم مما سبق أن قبائل النبلاء أو الأموهاغ تأتي في قمة ترتيب قبائل التوارق الاجتماعي، وتنحدر هذه القبائل من أصل واحد وهو الجدة "تين هينان"، وانقسمت وتفرعت هذه السلالة إلى ثلاث قبائل من النبلاء في كونفدرالية الأهقار وهي -كال غلا- تايتوك- تجيبي ملت.

يسود نوع من الغموض في ظل عدم توفر المصادر لفترة الفاصلة بين تين هينان وفترة تشكل هذه "الطبول" (Ettebel)، وتتضح الصورة منذ الفترة التي ظهر فيها سيدي آغ محمد الخير الذي تزوج بـ "كال" « Kella » وهي من سلالة "تين هينان" كما سبق ذكره فيما سبق.

ونحاول التعريف بهذه القبائل وترتيبها حسب أهميتها ونفوذها في الكونفيدرالية.

#### 1-1-3) كال غلا:

<sup>1</sup> -Duveyrier, Les touaerg du nord, p.339 - Bissuel, Op.cit, p.21. Bourgeot, Op.cit, p.536.

- القشاط، المرجع السابق، ص 71.

تشكل من ثلاث فصائل (إنمبا- أيبوغلان- كال غلا)<sup>(1)</sup> وهي أقوى القبائل في الكونفيدرالية من حيث نفوذها وحلفاءها أي القبائل التابعة لها، وهي التي تحتكر منصب الأمينوكال أي الحاكم الأول أو العام للكونفيدرالية. كما أنها تضم عدة قبائل إمغاد أي التابعة لها، وهنا تكمن أهميتها وقوتها، بحيث "عين صالح" هي السوق الذي يعتمد عليه الأهقار في اقتناء كل ما يحتاجونه و"كال إينغر" وهي إحدى القبائل التابعة "أمغار" تقطن في قرية بنفس الاسم في تيديكلت بالغرب من عين صالح، أي أنها نقطة ارتكاز وقاعدة متقدمة لنبلأء "كال غلا" عندما يذهبون إلى سوق عين صالح.<sup>(2)</sup>

ثم قبيلة "إسكاماغن- Isaquamaren" المتمركزة في التاسيلي وقبيلة "كال غريس" المتمركزة في "مويدير" تسيطران على الطريق التجاري الهام بين عين صالح وغات وكلتا القبيلتين من القبائل الأمغار التابعة للنبلأء "كال غلا" وتآتمر بأمرهم.

تتمركز قبيلة "كال غلا" النبيلة في وسط مرتفعات الأهقار في مركز الكونفيدرالية تفاديا لأي مفاجئة غير متوقعة من الأعداء، وتحيط بها أربعة قبائل من الأمغار التابعة لها "كال تهات" من الجنوب الغربي، و"كال تازهولت" في الجنوب الشرقي و"كال تفديست" و"كال إيدينيك" من الشمال وعن طريق هاتين القبيلتين يتحكم النبلأء في الطريق التجاري بين "إدلس"<sup>(3)</sup> وعين صالح و"إدلس" وورقلة.<sup>(4)</sup>

وبناء على هذه الاعتبارات ذات الطابع الاقتصادي خاصة في التحكم في الطرق التجارية والتحكم كذلك في أهم الأسواق التجارية في الصحراء في تيديكلت في مدينة عين صالح، إضافة إلى الضريبة التي تقدمها قبائل التابعة لها يجعلها من أقوى القبائل في الكونفيدرالية وفي الصحراء الجنوبية الجزائرية، لذلك كانت محل اهتمام الجواسيس المستكشفين الأوروبيين عامة والفرنسيين بصفة خاصة.

<sup>1</sup> -Benhazera. Op.cit. pp. 338-339.

<sup>2</sup> -Duveyrier. Les touareg du nord, Op.cit. p.376.

<sup>3</sup> - إدلس: (Idèles): منطقة زراعية تقع في واد تارودة « Tarouda » على بعد 85 كلم شرق أن أمقل In « ingel » وعلى بعد 130 كلم شمال شرق تمنراست أغلب سكانها من داك غالي. ينظر:

Claude Blanguernon, le Hoggar, Ed. Arthaus, Paris, 1958, p.239.

<sup>4</sup> -Duveyrier. Les touareg du nord, Op.cit. p.377.

2-1-3) تايبتوك:

هذه القبيلة تعادل في قوتها، قوة "كال غلا" وتحقق نوعا من التوازن داخل الكونفيدرالية، تتمركز في الجانب الغربي من مرتفعات الأهقار مما يجعلها تهيمن على الطريق التجاري بين عين صالح وتمبوكتو أما قبائل الأمغاد التابعة لها فهي "كال آحت Kel- Ahnet" وكال غافسا Kel-Rhâfsa وتقتسمها مع كال غلا و"إيمسليتن" Imesseliten و"الإيكلان" « Iklan » وهم من السود المحررين و"تجيهي أن أفيس" Tédjéhen-Afis وتكمن مهمة القبيلتين الأخيرتين في تكفلهما بحراسة الثروة الحيوانية.<sup>(1)</sup>

وترتبط هذه القبيلة النبيلة بالقبائل الأمغاد التابعة لها سياسيا وكذلك اقتصاديا وتمارس سلطتها السياسية داخل مجموعتها ولها حاكمها الخاص بها "الأمغار".

3-1-3) تجيهي ملت Tedjehé Mellet:

وتدعى كذلك "بأولاد مسعود" ويعود أصلها إلى الشعابنة، ولكنها تعد من أضعف القبائل النبيلة لأنها تضم عدد أقل من قبائل الأمغاد التابعة لها، حيث تضم:

أ) كال اوهاث Kel-Ouhet: وتنتمي هذه القبيلة إلى عشيرة إسكمارن ويتمركز في منطقة "تفدست" إلى واد أغرغار ويمتلكون أراضي زراعية في "أوهاث".<sup>(2)</sup>

وتضم كذلك "كال تروريت" (Kel-Tarvourit) وهم من الفقراء في هذه المجموعة يتمركزون في نواحي "أمقيد" و"الطاسيلي آجر" ومناطق رعيهم شمال شرق الهقار، ويملكون بعض البساتين في "إين إمقل"<sup>(3)</sup>، أما القبيلة الأخيرة فهي آيت لواهان Ait-Lôahen.<sup>(4)</sup>

ورغم قلة القبائل التابعة لها إلا أن نقطة قوتها في تموقعها في الجزء الغربي من هضبة التاسيلي على الحدود مع الأزديجار، لذلك لها دور الوسيط المصلح بين الكونفيدراليين.

<sup>1</sup> - Claude Beanguernon, Op.cit, p.63. Henri Lhote, les touareg du Hoggar, Ed Payot. Paris, 1955, pp 239-245. - Duveyrier. Les touareg du nord, Op. cit, p.378-379.

<sup>2</sup> - Henri Lhote, les Touareg du Hoggar, Op.cit. p.249.

<sup>3</sup> - Ibid, p.249.

<sup>4</sup> - Duveyrier, Les touareg du nord ,Op.cit. p375.

أما قبائل الأمغاد أو التابعة، والتي أطلق عليها الفرنسيون اسم قبائل "الخدم"، فكل قبيلة من قبائل النبلاء الثلاث السابقة الذكر، ترتبط بها عدد من القبائل الأمغاد التي بدورها تنقسم كل واحدة منها إلى عدد من العشائر، ويستقر كل فرع من هذه الفروع في منطقة أو مجال جغرافي يحدده حاكم العام لكل هذه القبائل من النبلاء، وتختلف كل قبيلة عن الأخرى من حيث أهميتها وقوتها بالنسبة للكونفدرالية بصفة عامة والنبلاء بصفة خاصة والجدول التالي يوضح هذه التركيبة الاجتماعية بصفة عامة.

جدول القبائل والعشائر التابعة لطوارق كونفدرالية الأهقار.<sup>(1)</sup>

قبائل نبلاء الأهقار	فئة الخدم	اهم العشائر التي تفرعت عن فئة الخدم	المناطق التي تتوزع فيها هاته العشائر أو الأراضي الرعوية
قبيلة كل غلا	داق غالي	- كل تمنغاست - كل ترهنانت - كل تاهات - كل هرفك - كل أرشو شم	- من وادي تمنغاست ووادي انطركدن - إدلس جنوبا- طهالغا وتين ظهار غربا - إين أكر على إدلس- إيلمن. - وترهنانت- أبلسه وتمنغاست- أقلان - تفيرت- عين أمقل- سيلات
	أجوه ان طهلي	- كل إعلا - كل عرفسة - كل أزرونطا - أسنداطن - كل طهيفت	- أبلسة- تهارت- أمسال
	أيت لورواين	- كل سرکوت - كل طوره	- الأطاكور والأجر - تين طرابين
	أيت لورواين	- كل أناهق - كل طلرطبية	-
	رولانين	- كل أبلق	- طازروك- تين طرابين- أيت اوكلان- سرسوف- امغنا- إدلس

1 - آمال هاشمي، الوضع الاجتماعي والفكري لطوارق من خلال الكتابات الفرنسية في بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر، مذكرة ماجستير، جامعة وهران، 2007-2008، ص 144.

- هاجروا إلى الأيبر	-	أبطنطن	
- أبلسه تهجوين - تيفرت- واحة تباريمت	- اكلان ملان - إكلان سطفن	أكلان تاوسيت	
- تفسدت- أفستس- واد سلبوراك- تجموت- امدير- جرف- تقنوط. - تازولت- طازروك - أن غار- تفسدت- أراضي مرطوطك، دهين وابزو. - غار جنون- أسكسن، أمقيوط	- الهيوون حدة - كل امدير - كل تازولت - كل أن غار - كل تفسدت - كل ان تونين - كل توريريت - كل اوهانط	أسقارن	
- شمال ادرار أيفوغاس قرب منطقة تمطرين	- اردجناطن أدرار ينقسم إلى قبيلتين هما: أردجناطن سطاقنين اردجناطن هقارينين	أردجناطن	
- اهنط والأيبر- الكودية	- أرششو من		
- جبل اهنط- الأيبر- ادرار أيفوغاس- ابلسه- تهارت- تيط	- كل اهنط	كل اهنط	قبيلة تيطوق
- طهلغا (أمسل)- الأيبر- تهجنويين امسل- تهارت	- تجهي- ن- افيس		
- الأجر- تفسدت	- قبيلة ان تونين		
- السودان	- قبيلة إوروارن		
- واحة بسيالات	- قبيلة اكششمان		
- امقيد- الطاسلي	- قبيلة	قبيلة إيكوتيسان	
- تيط- تهجوين	- قبيلة أكادين		

- أمقيد- الطاسيلي- أجر - ناحية تغماغ- تغمهاوهاوت- أونان- أجيري- غارة الجنون. - عين أمقل	-	كل تروريت	
- تفسدت- وادي اغرغار- أجر - أوهاط	-	كل اوهاط	
-	-	كل طره	

للـ كوندراالية الإزدجار: (1)

A. lhaggaren	النبلاء	
Urayen	أوراغن	
Imanyasaten	امنغساتن	
Ihadanaren	احضنارن	
Kel-Izebân	كال ازبان	
B, Kel-Ulli	الأمغاد- التابعة- الخدم	
Imeqqéryesen		Ikerkumen
Kel-Tôbren		Iserekkîten
Kel-Agerager		Ibetamen
Kel-Aherir		Ikibzen
Ifilalen		
Ifereqqenen		
Iwerweren		
Kel-Aras (Ahras)		
Isesmeden		
Clan in lhaggaren ni imyad :		

<sup>1</sup> -M.Gast, « Ajjer », in Gobriel comps (dir), 8/Aurés-Azrou. Aix-en- Provence. Edisud (« Vol N°8 ») 1990, p.7

Imetterîlâlen		
Clan marabourique : lfoyas		

### 2-3) التنظيم القبلي لكونفدرالية الأزديجار:

سبق و أن تعرضنا للتحول السياسي الذي حدث لدى طوارق الشمال ونهاية حكم الأشراف الإمان النبلاء، والانقسام الذي أنتج خريطة سياسية جديدة تجسدت في ظهور كونفدرالية الأزديجار تتزعمها قبيلة "الأوراغن" النبيلة، وكونفدرالية الأهقار وتتزعمها "كال غلا" من النبلاء بعد حروب داخلية طاحنة، وفوضى عارمة انتهت بالتحالف بين قبيلة الأشراف وقبيلة من الأموهاغ النبلاء من سلالة "تين هينان"، فتوفرت في حكامها شرف النسب من ناحية الأب ونبيل النسب من ناحية الأم، ولكن هذا السلام كان هشاً، بسبب وجود قبائل أخرى تطالب بنفس الحق كلما سنحت الفرصة لذلك، الأمر الذي كان يهدد السلام داخل هذه الكونفدرالية، ونحاول عرض أهم القبائل في كونفدرالية الأزديجار والقبائل الأمجاد التابعة لها.

#### 1-2-3) الأوراغن النبلاء:

ينقسمون إلى فئتين من الأوراغن: "وزجروتين" أو الكبار نسبة إلى القامة، ومن بينهم "محمد آغ تنكرباس" وهذه الفئة هي المؤهلة لتقلد منصب "الأمنوكال" و"جزولين" أو الصغار ليس لهم الحق في هذا المنصب.

ويعتمد هذا التمييز على خلفية تاريخية بحيث الزعيم "تين أكرباس" الذي انتقل من الأزواغ للقضاء على سلطة الامنان "وكل من ساندته وجاء معه يعتبرون من الفئة الأولى، أما الفئة الثانية هي التي كان موقفها سلبي من جور ولاة سلطة الإمان.

تتزعّم هذه القبيلة (الأوراغن) كونفدرالية الأزديجار، وتناوب على منصب الأمنوكال منذ التأسيس 11 حاكماً كان آخرهم "محمد آغ خاتيتا" في فترة رحلة دوفريي 1860.<sup>(1)</sup>

<sup>1</sup> -Duveyrier, Les touareg du nord, Op.cit, p.350.



وكان هذا المنصب من حق إخنوخن وهو ابن الأخت الكبرى للأمينوكال السابق "محمد شفاو" « Chaffao » ولكن إخنوخن تنازل عن منصب القيادة إلى "خاتيتا" زوج أخته، وحافظ إخنوخن على نفوذه وسمعته داخل الكونفدرالية.

يتحكم هؤلاء النبلاء في عدة قبائل من الأمغاد التابعة، التي ترتبط بها بعلاقة سياسية واقتصادية تتمثل في التحكم في أراضي الرعي والتنظيم ودفع الضرائب (تيوسي) ويقدر عددها 14 قبيلة من بينها "أجريجريوان"، "كال توباران" - "إيفيلالين" - "كال أغاس" وغيرها.

تستقر هذه القبائل السابقة في التاسيلي، أما النبلاء من الأوراغن فينتقلون بين هضبة "أغرغار" ومنطقة "إمهمرو" ونواحي "جانث"، وقدر دوفريبي القوات التي تستطيع أن تجندها هذه القبيلة بحوالي 200 فارس من المهاري، وهذا العدد كبير، نظرا لظروف الصحراء القاسية التي تجعل من الصعوبة توفير المياه لهذا العدد من المهاري في آبار الصحراء التي تصل المسافة فيما بينها أحيانا بين 200-300 كلم.<sup>(1)</sup> وبالتالي أصبحت استراتيجية الفرنسيين الحربية في تجهيز الجيوش الجرارة في هذه النواحي غير مجدية ولذلك يجب تغيير استراتيجية الغزو بشكل جذري وهو نفسه الهدف من خلال هذه الرحلات التجسيسية والأوربية في الصحراء.

### 3-2-2) الإمنغساتن:

تنتمي هذه الفئة إلى أصول نبيلة ولا تربطهم علاقة مباشرة بالأوراغن ويتشكلون من ثلاثة تجمعات تتمركز في كل من "واد تغات" أو "غات" و"فزان" و"غدامس" وهي أغنى قبائل الأزدجار يقدر عدد أفرادها حوالي 200 شخص وتمتلك حوالي 700 من الإبل وتعيش معها قبيلة إيدارافن وهم من العبيد.<sup>(2)</sup>

أما الأمغاد الذين يدفعون الضريبة « Tioussé » وهي ضريبة تدفع من طرف القبائل التابعة أي الأمغاد إلى النبلاء، لا تخضع هذه الضريبة لأي قاعدة، فيمكن أن تكون حبوب أو الأغنام أو الإبل أو منتجات محلية أخرى، يقدر عدد هذه القبائل تسعة، نذكر منها على سبيل المثال "كال

<sup>1</sup> - Ibid, p.353.

<sup>2</sup> - Lieutenant Ardaillon, op.cit, p.361.

آبادا" تُقيم في نواحي Serdelés و"إيفالين" التي تمتلك العديد من البساتين والنخيل في Serdelés و"كال أهراس" و"كال تبيران" و"إيجراجراون".

### 3-2-3 إهضانان:

وهي من القبائل الأكثر عدائية وكثيرة الترحال بين الإقليم الخاص بالأردجار والأهقار حسب ظروفها وعلاقاتها في المنطقة، وغالبا ما تستقر في سهل "آدمار" في منطقة الأزدجار، ورغم أنها من النبلاء إلا أنها من أفقر هذه الفئة، لذلك ليس لديها قبائل تابعة أو خادمة، وتنقسم إلى ثلاث فروع "أوي- ستافين" و"أوي تامولات" و"دارقو".<sup>(1)</sup>

### 3-2-4 الإيفوغاس:

ينقسمون إلى ثلاثة أقسام "أن-أوكيران" و"أن إقضاض" وهما من المرابطين الأشراف، أما القسم الأخير (أن-أو-طبول) كانوا في خدمة سلاطين الإيمانان في القصر، و في ضرب الطبل عند مرورهم، ومن هنا اشتقت تسمية هذا الفرع<sup>(2)</sup>، كان هؤلاء المرابطون محل احترام وتقدير كل القبائل التارقية، وتعد زاوية تماسينين التابعة للطريقة التيجانية ومقدمها سي عثمان، هي المقر الرئيسي لهؤلاء المرابطين، و أصبح الطريق الرابط بين عين صالح وغدامس تحت حمايتهم.<sup>(3)</sup>

أشاد الكتاب الفرنسيون بهذه القبيلة نظر لأهميتها الكامنة في مكانتها بين قبائل التوارق وكانت كثيرا ما تقوم بدور الحكم بين القبائل المتنازعة، وتتدخل كذلك لحل بعض المشاكل وتفادي الحروب، وتتفوق على القبائل الأخرى في تعداد أفرادها إضافة إلى ميول قادتها خاصة الشيخ عثمان إلى المهادنة مع الفرنسيين، وبالتالي يمكن استغلال نفوذها وتأثيرها في القبائل الأخرى لحملها على الانضمام إلى حلف المسالم لفرنسا ضد الحلف المقاوم للاحتلال.<sup>(4)</sup>

<sup>1</sup> - Duveyrier, Les touareg du nord, p.359-357.

<sup>2</sup> - مرموري، المرجع السابق، ص 113.

<sup>3</sup> - Duveyrier, Les touareg du nord, op.cit, p.362.

<sup>4</sup> - Rachid Bellil, mutation touarègues (Kel ahaggar et Kel adagh, CNRPAH, Alger, 2008, pp.233-234.

### 5-2-3) قبيلة إهياون Ihehaouen:

تستقر بين "غات" و"مرزوق" في واحة "الفقار" وهم من المرابطين لطوارق "فزان" وعددهم قليل ولكنهم من القبائل الغنية ولديها قبيلة "إيسوركين" تقوم بخدمة أفرادها في أعمال الزراعة والرعي داخل الواحة.

### 6-2-3) كال تين الكوم:

كانت تستقر في قصر "تين الكوم" جنوب "البركات" في الطريق بين "غات" و"جانت"، ولكن بعد الثورة التي قامت ضد سلاطين الإيமானان هاجرت إلى فزان، وهم من الطوارق الذين فضلوا الاستقرار والزراعة على الترحال والرعي، ويتميزون عن القبائل الأخرى كونهم ليسوا نبلاء ولا أتباع ولكنهم أحرار، ويمارسون التجارة ونقل السلع في القوافل، وكذلك الزراعة وبعض المهين ويعترفون بسلطة الأوراغن.

### 7-2-3) قبيلة إمتين:

تقطن هذه القبيلة في مدينة "البركات" جنوب "غات" ب 10 كلم، وهم من سكان المدن يعملون في التجارة والزراعة، ولديهم قبيلة إفركانن" من الأمغاد أو الخدام تابعة لهم.<sup>(1)</sup> إضافة إلى قبائل أخرى أقل أهمية مثل "كال إيزابان" وهي تابعة للأوراغن وكذلك قبيلة "إيمتريلابن" وهي متكونة من عدة مجموعات تستقر بين غات ومرزوق في منطقة فزان وأهم نشاطاتها الزراعة وتفضل الاستقرار في المدن على حياة الترحال.

وترتبط بقبائل النبلاء أو المرابطين الأشراف عدد من قبائل الأمغاد أو التابعة لها وتختلف قوة النبلاء بعدد الأمغاد وتحتكر الأوراغن أغلب الأمغاد في كونفدرالية الأزديجار.

يمتد الإطار الجغرافي لكونفدرالية الأزديجار إلى الأراضي الليبية، ويمتلك هذا الإقليم العديد من المدن أو التجمعات السكانية التي لعبت دور الوسيط في المبادلات التجارية بين المناطق الشمالية التلية وما تنتجه من مواد، والأقاليم جنوب الصحراء وما تمتلكه هذه المناطق من ثروات.

<sup>1</sup> - Duveyrier, Les touareg du nord, Op.cit, pp.366-367.

#### 4) التطور السياسي لطوارق الشمال قبل فترة الاحتلال المباشر:

##### 1-4) لمحة تاريخية عن طوارق الشمال (الأهقار، الأزديجار):

أما عن التطور التاريخي لطبقة النبلاء أو الأشراف على اعتبار أنها أهم الطبقات الاجتماعية عند طوارق الشمال المكونة من كونفدراليتين الأهقار والأزديجار، التي كانت تشكل كتلة واحدة تحت سيادة قبيلة "الإيمانان" الشريفة من المغرب الأقصى والتي حكمت الأهقار والأزديجار خلال القرن 17 وكان مقر هذه السلطة مدينة "غات".

أشار الشيخ ابراهيم ولد سيدي في تقييده الذي وجهه إلى سيدي محمد العيد شيخ الطريقة التيجانية وكان "دوفريبي" قد اطلع على النسخة الأصلية، وجاء فيها أن "الإيمانان أو السلاطين هم شرفاء حقيقيين من الأدارسة الذين حكموا فاس وعلويين من أبناء سيدنا علي بن أبي طالب"<sup>(1)</sup>، ويتفق الجميع على انتماء هذه القبيلة إلى أهل بيت رسول ﷺ. الأمر الذي جعلها محل احترام وتقدير كل القبائل المحلية، وأهلها ذلك لأن أصبحت تلعب دور الحكم المصلح في النزاعات الداخلية ذات الطابع الاقتصادي التجاري خاصة و السياسي، ثم تمكنت قبيلة الإيمانان من توطيد سلطتها عن طريق التحالف مع نساء الارستقراطية المحلية بطريقة المصاهرة، فأصبحت هذه القبيلة تستحوذ على السلطة السياسية عن طريق نظام التوارق في كونهم مجتمع أمومي، حيث أن وارث الرجل هو ابن أخته، ومن ناحية الأب، فهم يمثلون سلطة دينية واجتماعية كونهم من الأشراف، فجمعوا بين السلطة السياسية والدينية وأسسوا نظامهم على قواعد محلية متينة.<sup>(2)</sup>

ويبدو أن سلطة الإيمانان على هذه المناطق كانت بدايتها إما مع سقوط وانحيار الدولة المرابطية في القرن 12م وظهور الشرفاء في التيديكلت، أو في مرحلة لاحقة مع القرن 16م عندما بدأت الدعوة إلى الإصلاح التي تزعمها عبد الكريم المغيلي والقضاء على يهود تمنطيط 1492م، وصحبتها توسع الدولة السعدية بقيادة أحمد المنصور في الجنوب المغربي والسودان<sup>(3)</sup>، واعتمد

<sup>1</sup> -Duveyrier, Les touaerg du nord, Op.cit., p.385.

<sup>2</sup> -M.gast, « imenan », in Gabriel camps (dir), 24 /ida-issamadanen, Aix-en-Provence, edisud (« volume », N°24), 2001, p.3.

<sup>3</sup> -Mougin louis, les premiers sultans saadides et le Sahara, in ; R.A.M.M, N°19, 1975, p.184.

- Marceau Gast, les Kel Rela: historique et essai d'analyse du groupe de commandement des Kel Ahaggar, In ; R.O.M.M, N°21, 1976 (pp.47-68) p.48.

الأشراف الإيمانان على قبيلة الأمانغساتن كقوة عسكرية، يمارسون بها سلطتهم ويفرضون بها سيادتهم على طوارق الشمال، وهي قبيلة تعود إلى أصل عربي (عرب الشرق).<sup>(1)</sup>

ويبدو أن الإيمانان اختاروا قواتهم من قبائل أجنبية عن المنطقة، وهؤلاء رحبوا بهذه المهمة التي تجعلهم في قمة هرم السلطة السياسية، وبمرور الزمن أصبحت من قبائل التوارق ذات الأصول العربية واستوطنت منطقة فزان في أواخر القرن 19.<sup>(2)</sup>

#### 2-4 طوارق الشمال من الوحدة إلى الانفصال:

يجب الإشارة أولاً إلى نقص أو ندرة المصادر المكتوبة عن تاريخ التوارق بصفة عامة وأغلب الباحثين الذين اهتموا بالتوارق من عدة جوانب من الجزائريين والأجانب، واعتمدوا على الذاكرة الشعبية والشهادات الحية لأعيان وشيوخ قبائل التوارق، وما تم تناقله عبر الأجيال، وأهم هذه المصادر هي الشهادات التي جمعها الأستاذ الباحث في "المركز الوطني للبحث فيما قبل التاريخ والأنثروبولوجيا والتاريخ" « CNRPAH » "ديدا بادي آغ خمادين Dida Badi ag khamadine سنة 2005 من "أمغار" الأزديجار "الحاج إبراهيم قوما" وكذلك من أحد شيوخ التوارق.

ثم أمناء الذاكرة الشعبية "بلغاندي أكوني" المدعو القايد « Belgandi Akunni » ثم شهادات أخرى من طرف شيوخ قبائل تابعة بما يسمى بالأمغاد لقبيلة الأشراف الأورغن، وهما "أخمادو عبدلي" من "كال تابرن" سنة 2005 في برج الحواس، والثانية من "إيكنان" Iknan "أذهان" Adhehans من "إيماكرغسن" Imaquerghesen من ناحية الأم مخيمه في واد "أمايس" « Amayes » في اوت 2005 أي أن هذه الرواية الأولى والثانية هي للأشراف أو النبلاء من كونفدرالية الطوارق الأزديجار، والروايات الثلاث هي لأعيان القبائل التابعة من الأمغاد أو الخادمة، وبذلك يمكن مقارنة هذه الروايات، ومجالات الاختلاف فيما بينها تحدد مدى موضوعيتها<sup>(3)</sup>، أما الرواية الأخيرة فهي التي جاء بها المغامر الفرنسي Duveyrier في كتابه Les Touareg du nord سنة 1862، والتي جمعها كذلك من أعيان وشيوخ الطوارق قبل قرن ونصف من الآن.

<sup>1</sup> -Duveyrier, Les touareg du nord Op.cit, p.4.

<sup>2</sup> -M.Gast, Imenan, Op.cit, p.04.

<sup>3</sup> -Dida Badi, Op.Cit, pp.247-346.

شهدت منطقة توارق الشمال (الأزدجار- الأهقار) صراعات وحروب داخلية طاحنة تسببت في خسائر بشرية ومادية ساهمت بشكل كبير في إضعاف وتفكك هذه القبائل، ولم تتوقف هذه الصراعات والنزاعات الداخلية على المستوى المحلي أي داخل كل من الكونفدراليتين فقط، بل تعداه إلى الصراع والحرب بين الكونفيدراليتين الأهقار من جهة والأزدجار من ناحية الأخرى، وكان سببه الرئيسي هو الصراع على منصب الأمنيوكال، أي القائد الأعلى للكونفدرالية الأهقار أو الأزدجار، الأمر الذي جعل أغلب قبائل الطوارق تكون غائبة ولم تشارك في المقاومة التي اندلعت ضد الإستعمار الفرنسي خلال توسعه في الصحراء وانشغالها بصراعاتها الداخلية.

#### 3-4 الصراع السياسي الداخلي على السلطة:

نحاول من خلال هذه الروايات، رسم صور التفكك والانشقاق الذي حدث عند طوارق الشمال بعد أن كانوا تحت سلطة واحدة تمثلها قبيلة الأشراف Imanane التي اعتمدت على قبيلة Imanghasaten "ايمانغاساتن" كقوة عسكرية تفرض بها سلطتها السياسية، ولكن مع بداية النصف الثاني من القرن 17 أي 1760<sup>(1)</sup> أو 1765م، تغيرت الأوضاع أو الظروف السياسية في المنطقة حيث تراجع نفوذ وسلطة الإيمانان لصالح ولاية أو حكام الإيمنغاساتن في مدينة جانت التي كان يحكمها في هذه الفترة Ghawen وفي مدينة غات كانت السلطة في يد Edawken ابن Katika ينتمون إلى نفس القبيلة من ناحية الأب، وينتمون إلى قبيلة Ihadjenen من ناحية الأم، ومارس هؤلاء الولاية أو الحكام كل أنواع الظلم والتعسف والاستبداد ضد سكان المدينتين "جانت وغات" والتجار الذين اعتادوا التعامل التجاري في أسواق المدينتين، اللتان كانتا تمثلان أسواق هامة ولا يمكن الاستغناء عنها، ومن بين القبائل التي تعرض أفرادها إلى استبدادهم قبيلة تنتمي إلى طبقة النبلاء هي (الأوراغن) من ناحية الأم ومن ناحية الأب فتنتمي إلى قبيلة "الأوليمدان" التي تقيم في منطقة الأزواغ.<sup>(2)</sup>

<sup>1</sup> -Duveyrier, Les touaerg du nord,Op.cit, p.344.

<sup>2</sup> - قبيلة الأوليميدان: تحتل منطقتي واسعة من شرق وشمال ووسط مالي حتى وادي أزواغ وانقسمت في القرن 19 إلى قسمين كل أترام (الغرب) وكل دينيك (الشرق) وينشرون حاليا عبر الحدود كل من النيجر ومالي وبروكينا فاسو.  
- Héléne claudat-awad, Iwellemen, kel Atram (Touareg) in Eyclopedie Béerber XXV (2003), document 176.

هاجرت قبيلة الأوراغ إلى الأزواغ أين تقيم قبيلة الأوليميدان، ما عدا فرع من هذه القبيلة بقي في التاسيلي في وادي إيغرغار تحت سلطة الإيمينغاساتن الجائرة.

ظهر في قبيلة الأوراغ التي هاجرت إلى الأزواغ، البطل الذي تزعم مهمة تحرير هذه القبائل وسكان المدينتين من الظلم والطغيان، وكان اسمه تي ن أكرباس « Tin Akerbas » الذي ظهرت عليه علامات الشجاعة والقيادة<sup>(1)</sup>، توجه هذا البطل نحو جانت بقواته التي جندها في الأزواغ والتي انضمت إليه عند وصوله، إلى منطقة "التاسلي ناجر"، وتمكن من قتل حاكمها المستبد Ghawen وكل اتباعه في مدينة "جانت"، وحرر سكان المدينة من هذه الهيمنة، ثم توجه نحو مدينة "غات" وتمكن كذلك من قتل حاكمها المستبد "إيداوكن ابن كوتيك" وإسترجع بذلك ممتلكات أجداده الأوراغ، الذين أصبحوا يمثلون السلطة السياسية في منطقة الأزديجار، على اعتبار أنها من طبقة النبلاء الأشراف، فيكون الأمينوكال من هذه القبيلة.<sup>(2)</sup>

فإنهار بذلك الإتحاد الذي كان سائدا لطوارق الشمال، وانفصل الأوراغ بالمناطق الشرقية في التاسيلي ناجر، منذ أن أعلن (تي ن أكرباس) سيادته على غات وجانت وكل منطقة الأزديجار متجاهلا منطقة الأهقار، ومن هذه الفترة انقسم طوارق الشمال إلى الأزديجار في الشمال الشرقي والأهقار في الشمال الغربي وتكونت بذلك أكبر الكونفدراليات في منطقة التاسلي أزديجار<sup>(3)</sup>.

وكان مصير المنهزم من الإيمينغاساتن اللجوء إلى عرب الشرق في فزان في وادي الشياطي، أما قبيلة Ihadjenen فذهبت إلى الأيبر عند "كال أضاغ"، واستسلم سكان "غات إلى الأوراغ، أما الإيمانان فقد لجأوا إلى آغاديس عند حلفائهم وأقربائهم.<sup>(4)</sup>

أما الجزء الشمالي الغربي أي الأهقار، فقد كان لسقوط حكم الإيمانان الأشراف وفقدان سلطتهم في نفس الفترة التي بدأ انهيار الدولة السعدية، بحيث بداية من 1660م توقف الدعاء

<sup>1</sup> - امه تسمى Tahayawet وتعنى البنت الصغيرة أو الأحفاد وقام Barth في رحلته بتفسيرها على أساس أنها مشتقة من الكلمة العربية تاه- يتوه.

<sup>2</sup> -Dida Badi, Op. cit, pp.247-346.

<sup>3</sup> -M. Gast, « Imenàn », In Gabriel camps (dir), 24/ Ida- Issamadane, Aix-en- Provence, Edisud, (« Volume », N°24, 2001, p.04

<sup>4</sup> -Duveyrier, Les touareg du nord, p349.

لسلاطين السعديين في جوامع السودان وبداية من 1740 تمكن الطوارق من التحكم في الوضع وأصبحوا يفرضون الأتاوات على باشا أو حاكم تمبوكتو وأصبحت الصحراء تحت سيطرة قبائل التوارق.<sup>(1)</sup>

وتنج عن إنبهار الدولة السعدية حالة من الفوضى في منطقة الأهقار، على أثر تحرر القبائل وسادت حالة من التفكك وللاستقرار، مما أدى إلى اندلاع حروب طاحنة داخل كونفدرالية الأهقار ولكن تمكن "صالح" من أن يعتلي منصب الأمينوكال، وعقد الصلح مع مرابط زاوية "كونتا" «سيدي محمد بن عبد الرحمان بن أبي نعامة»، ثم خلف "صالح" ابنه "محمد الخير" الذي استمر في محاولة تحقيق السلام مع مرابط زاوية كونتا خاصة الشيخ المختار بن أحمد بن بوبكر (1729-1811)<sup>(2)</sup>، ورغم الجهود التي بذلها "محمد الخير بن صالح" في تحقيق السلام ورغم الدعم من الشيخ الكنتي، إلا أن بعض القبائل "كونتا" صمموا على الانتقام من الأهقار الذين تمكنوا من إلحاق هزيمة نكراء بهذه القبائل الكونتية، وفرضت عليها ضريبة سنوية تتمثل في (08 نوق) تدفع إلى الأهقار، وقدر Benhazera أن هذه الأحداث وقعت حوالي سنة 1755م، وكان للشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمان أبي نعامة وسلطته الروحية على قبائل المنطقة، لكراماته الخارقة، دور في استتاب السلم في المنطقة لصالح الأهقار. وبعد وفاة محمد الخير خليفة ابنه "سيدي أغ محمد الخير"، وتنتمي هذه العائلة التي حكمت كونفدرالية الأهقار إلى أشرف وأنبل قبائل المنطقة وهي Tédjéhe-n-ou-sidi، بينما قبائل (كال غلا - تايوتوك - تجمي مللت) لا تمثل إلا قبائل ثانوية ولكنها تبقى من النبلاء.<sup>(3)</sup>

<sup>1</sup> -Capot- Rey. Sahara Français, pp.19-191.

<sup>2</sup> - هو الجد الأعلى من الأم للشيخ سيدي أحمد البكاي بن الرقاني الكونتي الولي الصالح المعروف. ينظر:

Louis RINN, Marabouts et khoins Etude sur l'islam en Algérie, Adolphe-Jourdan, Libraire-Editeur, Alger, 1884, p336.

<sup>3</sup> -Benhazera, Op.cit, pp.344-346.



ولكي يدعم "سيدي آغ محمد الخير" سلطته قام بالزواج بـ « Kella » "كالا" وهي من قبيلة "كال غلا" والجميع يعلم أن "كالا" هي من سلالة أحد أشهر الشخصيات الأمازيغية التارقية "تين هينان"<sup>(1)</sup>.

فأنجبت "كالا" ثلاثة أبناء وست بنات، ونتج عن هذه المصاهرة، هو بقاء السلطة في يد قبيلة "كال غلا" وفقدان كل من قبيلة "تايتوك" و"تجهي مللت" إمكانية الوصول إلى منصب الأمينوكال، وكان هذا التطور سببا في النزاع والصراع بين القبائل النبيلة الثلاث (كال غلا- تايتوك- تجهي مللت). من أجل تهدئة الأوضاع، قام "سيدي آغ محمد الخير" بترضية القبيلتين عن طريق منحها جزء من القبائل التابعة أو الخادمة أو "كال أولي" « Kel oulli », وبعض الأقاليم لتكون مصدر دخلها.

فقام الأمينوكال "سيدي آغ محمد الخير" بالمحافظة على طبول "كال غلا" لأهميته الاقتصادية والعسكرية وموقعه في وسط إقليم الأهقار، ووضع تجهي مللت في الشرق، وتايتوك في الغرب وقسم الأمغاد أو القبائل التابعة أو الخادمة أو "كال أولي" بين الطبول الثلاث التي أصبحت تكون كونفدرالية الأهقار<sup>(2)</sup> وهي كالتالي:

1. طبول كال غلا: يترأسها الأمينوكال "سيدي آغ محمد الخير" ويقود كل كونفدرالية الأهقار وتشمل النبلاء من كال غلا وكذلك الأمغاد مثل داغ غالي و"إيسكماغن" « Issaqqamaren » و"كال إينغر" وغيرها.
2. طبول تايتوك: يترأسه "عامر الحاج" ويشمل نبلاء تايتوك إضافة إلى الأمغاد مثل كال آخت و"تيجي ن أيفيس" وغيرها.

<sup>1</sup> -Gast (M), Témoignages nouveaux sur Tin Hinane, ancêtres légendaires des Touaregs Hangar, R.O.M.M, 13-14, 1973, pp.395-400.

<sup>2</sup> -Ibid,p400.

Les kel Rela : historique et essai d'analyse du groupe de commandement des kel Ahaggar, In : Revue de R.O.M.M N°21, 1976, p.53.

3. طبول (تيجيهي مللت): يرأسه "خَالِبَا" و"آغ سرادة" ويشمل نبلاء تيجيهي مللت والأمغاد

أسكاناغن الشرق وكال اوهاات وكال تاغوغيت.<sup>(1)</sup>

لكن شيخ أو الأمغار تايوتوك (عامر الحاج) اعتبر هذا التقسيم غير عادل وفيه ظلم لقبيلته، لذلك تحالف مع طوارق الأيبر وهاجم (كالا غلا) وانتصر، ثم قام بغزوة أخرى على رأس 90 محارباً من التايوتوك ولكنه انهزم أمام سيدي آغ محمد الذي فرض عليه الاستسلام، ولضمان دوام هذا السلام قام بالاحتفاظ بمجموعة من الرهائن لديه من أسياذ التايوتوك، ولدعم هذا السلام اعتمد على المصاهرة فزوج ابنه "يونس" و"آغ ماما" من قبيلة التايوتوك.<sup>(2)</sup>

ولكن هذه المحاولات لم تجدي نفعا بحيث استمر الصراع داخل كونفدرالية الأهقار بعد وفاة الأمينوكال سيدي آغ محمد الخير، حيث طالب أبناء الأخت الكبرى ل "كالا" « Kella » بحقهم في منصب الأمينوكال اعتماداً على التقاليد التارقية كمجتمع أمومي في انتقال السلطة، ولكن بقي منصب الأمينوكال داخل طبول كال غلا، حيث عين "يونس" ابن سيدي ثم خلفه أخوه "آغ ماما" على قمة السلطة في كونفدرالية الأهقار، وكان تحدي قواعد وتقاليد انتقال السلطة في المجتمع الأمومي التارقي اعتماداً على أهمية وقداثة انتماء الأب إلى قبيلة "تيجيهي-ن-أو سيدي" التي لا مجال للشك من شرف نسبها إلى الرسول ﷺ.<sup>(3)</sup>

رغم كل هذه الجهود من أجل المحافظة على السلطة السياسية إلا أن الصراع على منصب الأمينوكال انتقل إلى طبول "تيجيهي مللت" الذين حاولوا الوصول إلى هذا المنصب عن طريق التحالف مع عرب "عين صالح" من "أولاد باحمو" و"أولاد المختار" ثم الشعابنة، وبعد عدة معارك تمكن "كال غلا" من الانتصار<sup>(4)</sup>، السيطرة على الوضع لصالحها وفرض السلام بالقوة على المنافسين من قبائل النبلاء في الكونفدرالية.

<sup>1</sup> -Benhazera, Op.cit, pp.346.

<sup>2</sup> -Ibid. p.347.

<sup>3</sup> -Gast.M, le kel Rela, historique ... op.cit, p.54.

<sup>4</sup> -Benhazera, Op.cit, pp.348-349.

استمر السلام داخل الكونفدرالية في فترة حكم الأمينوكال "آغ ماما ابن سيدي آغ محمد"، حتى الفترة التي وصل فيها « Duveyrier » إلى المنطقة سنة 1861م، حينها كان الأمينوكال "آغ ماما" قد تجاوز سنه القرن وأصبح كفيف، وبالتالي كان عاجز عن تسيير شؤون الكونفدرالية، لذلك تقرر تعيين خليفة له، الأمر الذي أدى إلى رجوع الصراعات والحروب الداخلية بين مختلف الأطراف الطامعة في السلطة، ولكن ظهور شخصية "الحاج أحمد" الذي توفرت فيه ثلاثة شروط جعلته مرشح توافقي بين الأطراف المتصارعة و هي: الأول صفة المرابط التي تفرض الاحترام والتقدير من الجميع، والثاني كونه أجنبي أو لم يكن طرفا في الصراع، والثالث هو ابن أخت "آغ ماما" الأمينوكال السابق<sup>(1)</sup>، مما يسمح له حسب العرف والتقاليد أن يكون في هذا المنصب.

وكانت هذه الشخصية محل توافق وهو "الحاج أحمد آغ الحاج البكري آغ الحاج الفقي"، أبوه من الأيفوغاس وأمه زهرة ابنة "كالا" وسيدي آغ محمد الخير من "كالا غلا"، ولكن هذا التوافق كان مؤقتا بحيث سرعان ما اندلعت حرب أهلية داخلية بين الأطراف المتنازعة على السلطة، وسادت حالة من الفوضى وللاستقرار في المنطقة، وكانت هذه الأوضاع سببا في عدم المشاركة في مقاومة الشريف محمد بن عبد الله سنة 1860 من طرف التوارق المنشغلين بصراعاتهم الداخلية، إضافة إلى استغلال الاستعمار لهذه الصراعات والعمل على تعميقها واستغلالها في إضعاف وإنهاك إمكانيات هذه القبائل وتفريقها، بحيث كانت من العوامل التي سهلت عملية التوسع الاستعماري في هذه المناطق.

#### 4-4 الصراع العسكري الخارجي بين الأهقار والأزدجار:

في ظل ندرة المصادر حول الحياة السياسية في منطقة طوارق الشمال في المراحل التي سبقت الاحتلال الفرنسي، واعتماد سكان المنطقة على انتقال الأخبار شفويا من جيل إلى آخر، جعل من الصعوبة بمكان التعريف بتاريخ التوارق السياسي خاصة النصف الثاني من القرن 18 حتى بداية القرن 20 التي تعد من الفترات الهامة والتي حددت مصير المنطقة في مواجهتها للاحتلال الفرنسي.

<sup>1</sup> - Ibid, p350.

اعتمدنا في محاولة إعادة بناء طبيعة العلاقات والسياسية التي كانت سائدة بين الكونفدراليتين الأهقار والأزدجار على شهادة سي عبد النبي آغ علي، التي Hوردتها النقيب Touchard في أحد تقاريره<sup>(1)</sup> التجسسية الاستكشافية في الجنوب القسنطيني.

والشهادة الثانية هي لي "باحمو الأنصاري" من مدينة غات ودونها المترجم Benhazera الذي صاحب الدورية العسكرية بقيادة Dinaux التي انطلقت من عين صالح في ماي 1905 وقام بمقابلة هذه الشهادة وتأكيد ما جاء بها بشهادة "موسى آغ أمستان" أمينوكال الأهقار.

بعد أن استعرضنا نهاية حكم قبلية الإيمانان "على يد" تي ن أكرباس "زعيم قبيلة الأوراغن التي استقلت وأصبحت تتزعم كونفدرالية الأزدجار، وانقسم طوارق الشمال إلى كونفدراليتين، لم يكتفي الأوراغن بالقضاء على سلطة "الإيمانان" الأشراف، بل استمروا في مضايقتهم ومهاجمتهم وتجريدهم من ممتلكاتهم في جانغ وغات ونواحي غدامس، فقام الأشراف من الإيمانان مع الإيمينغاساتن (قبيلة تابعة لهم) بطلب المساعدة واللجوء إلى الأهقار الذين تدخلوا وطلبوا من زعيم الأوراغن "أخنوخن" بعدم التعرض للإيمانان، ولكن استمرت هذه الإعتداءات مدة أربع سنوات (1874-1870)، وحاول صاحب هذه الشهادة سي عبد النبي التوسط بين الطرفين لحل النزاع وكان آخر تدخل له في الصراع رسالة تهديد من الأهقار بأن أي عمل عدائي يكون الرد عليه بالسلاح ضد الأزدجار.<sup>(2)</sup>

وكان آخر الأعمال العدائية من الأوراغن ضد الإيمانان الأشراف، هو ادعاء قبيلة الأوراغن أن من حقها الاستفادة من ضريبة "الغفارة" التي كان سكان "مسراتة" يدفعونها للإيمانان، ثم أدعو ملكيتهم لبئر تونين (Tounine) في جانغ كان يستغله الإيمانان، ثم تمادت قبيلة الأوراغن بقيادة (إخنوخن) في غزو قافلة تجارية آتية من طرابلس في منطقة كانت تحت حماية الأشراف من الإيمانان والإيمينغاساتن.<sup>(3)</sup>

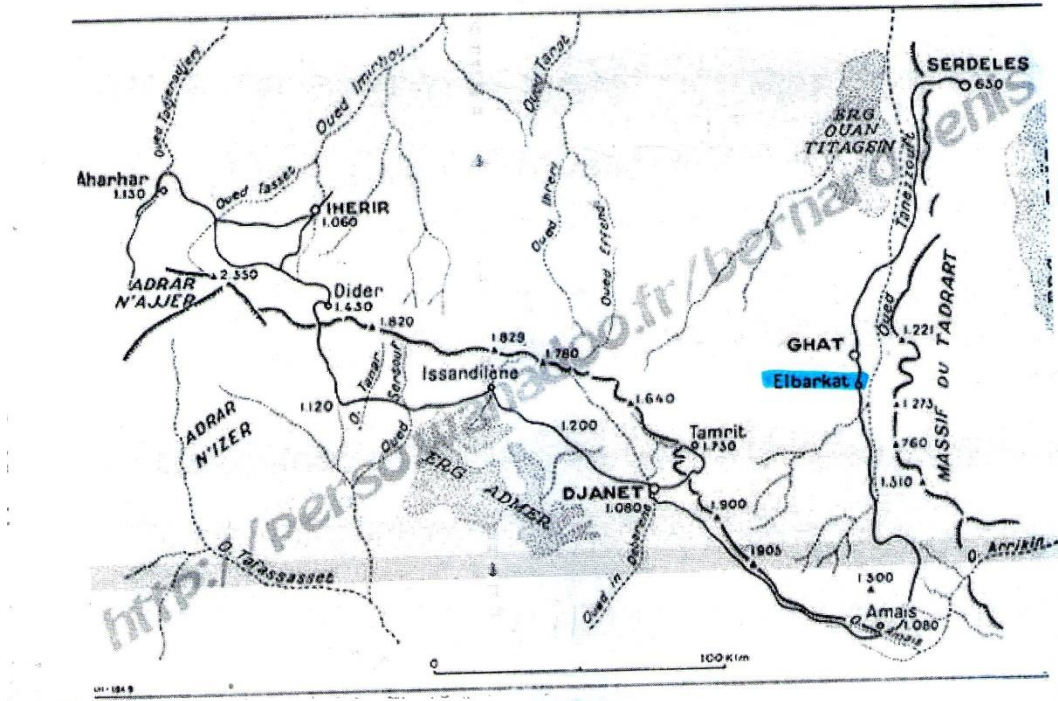
<sup>1</sup> -Rapport de M<sup>ere</sup> le capitaine Touchard sur les Travaux et reconnaissance de pénétration saharienne exécuté dans le sud constantinois, boîte 22H 37, Anom.

<sup>2</sup> - Récit de si abdennebi sur l'une des dernières luttes entre les hoggar et les azguezers. Boîte 22H 37, Anom.

<sup>3</sup> -Benhazera, Op.cit, p.352.

فطلب الإيمان والإيمانان والدعم والمساعدة من الأهقار بقيادة الأمينوكال "الحاج أحمد" Elkhadj Akhmed فتوحدت كل قبائل الأهقار من (كالا غلا- تيتيوك- تيجهي مللت) وأنظم الأمغاد إلى صف الإيمانان فوصل عددهم 1000 محارب<sup>(1)</sup>، وقدّر عددهم "باحمو الأنصاري" ب 650 محارب.<sup>(2)</sup>

فتجمع الأهقار في مدينة "بركات" El-Barkat<sup>(3)</sup> ( خريطة رقم 10) أما الأزديجار (الأوراغن) فتجمعوا بالقرب من مدينة "غات"، وحاول الأشراف والأنصار من غات - وكان من بينهم صاحب الشهادة باحمو الأنصاري- التوسط وتفادي إراقة الدماء، ولكنهم فشلوا أمام تصميم الأزديجار والتعصب لرأيهم بقيادة "إخنوخن" وإندلعت المعركة وكانت الغلبة لصالح الأهقار، وقرّ الأوراغن إلى مدينة "غات" وتحصنوا بأسوارها، واستولى الأهقار على كل قطيع الجمال وتراجعوا إلى "البركات" وقدرت خسائر المهزمين من الأوراغن ب 10 قتلى من النبلاء و13 من الأمغاد و03 من سكان القصور.



<sup>1</sup> -Recit de si abdennebi,Op.cit.,22H 37.

<sup>2</sup> -Benhazera, Op.cit, p.352.

<sup>3</sup> - El-Barkat (البركات): مدينة صغيرة جنوب مدينة غات بمسافة قليلة (11 كلم).

### الخريطة رقم (11): إقليم الأزديجار

ولكن إخنوخن زعيم الأزديجار و"الأوراغن" صمم على الانتقام، فقام باصطحاب "الصافي ولد الحاج الأمين" شيخ مدينة "غات" وذهبوا إلى "باي مرزوق علي بن محمد"، لطلب الدعم والمساعدة من طرف عرب منطقة واد الشياطي في فزان للانتقام من الأهقار، واشترط "باي مرزوق" أنه في حالة الانتصار، يقوم بوضع حامية عسكرية تركية في مدينة "غات" لدفاع عنهم في حالة الضرورة، وتمت الموافقة على هذا الشرط.

دُعِمَت قوات إخنوخن ب 400 محارب<sup>(1)</sup>، وانضموا إلى حوالي 800 من الأزديجار والتقى الجيشين في واد « Tintahert » أو « Tahihert » في التاسيلي، وكانت نتيجة المعركة لصالح الأزديجار تحت قيادة "إخنوخن" و تكبد الأهقار خسائر بحيث قتل تقريبا كل زعماء الإيمانان من النبلاء الأشراف ولم يبقى منهم من الذكور إلا الشيخ أمود ابن المختار.

و قرَّرَ الأهقار نحو الجنوب بالقرب من تمرناست، وقرر زعماء الكونفدرالية الاستعداد والتحضير للانتقام، وبعد عشرة أشهر تمكنوا من تكوين جيش من 800 محارب، وهاجموا على الأزديجار في بلادهم وكانت هذه القوات بقيادة أهيتغال- ابن خالة الحاج أحمد أمينوكال الأهقار وخليفته، وتمكنوا من الانتصار على الأزديجار وقائدهم إخنوخن الذي فقَدَ في هذه المعركة ابنه "حاما" « Hamma » و"عامر الحاج" و"دغام" إخوة إخنوخن والعديد من أقاربه ومن الأمغاد، وتراجع الأزديجار إلى غات.<sup>(2)</sup>

لم يتقبل الأزديجار الهزيمة وقرر إخنوخن إعادة بناء قواته، والهجوم مرة ثانية والانتقام من الأهقار، ولكن هؤلاء أي الأهقار توقعوا عملية الانتقام لذلك بادروا بالهجوم، وتمكنوا من تدمير قوات الأزديجار باستغلال عنصر المفاجئة، بحيث قتل عدد كبير من نبلاء قبيلة الأوراغن والأزديجار عامة وعدد كبير من الأمغاد.<sup>(3)</sup>

<sup>1</sup> -Benhazera, Op.cit, P.354.

<sup>2</sup> -Notes sur l'histoire des Imanan et des Oraghen, boite 22h 37 ANOM

<sup>3</sup> -Ibid.

لذلك أجبر أمغاد التاسيلي، نبلاء الأزديجار على عقد السلام مع الأهقار، وإنهاء حالة الحرب، ورجع "الأمغاساتن" إلى مناطقهم بالقرب من غدامس، أما السلطان أمود بن المختار بقي مع الأهقار ثم رجع إلى منطقتهم بين جانت وغات، وكانت نهاية هذه الحرب سنة 1878 كان لهذه الحرب بين أكبر كونفدراليتين للطوارق في الجنوب الشرقي الجزائري دور كبير في التوسع الاستعماري الفرنسي في التاسيلي والأهقار، بحيث لم تكن الجهة الداخلية متماسكة وموحدة. فاستغل الاحتلال النزاعات الداخلية على المستويين، داخل الكونفدرالية على منصب القيادة ثم استغل كذلك النزاع بين الكونفدراليات، وتمكن من كسب أطراف مؤثرة في القرارات السياسية داخل هذه القبائل، وعملت هذه الأطراف على تسهيل عملية التوسع الاستعماري واحتلال المنطقة وبأقل التكاليف.

### 5) الغزو الاستعماري بين القوة والديبلوماسية وردود فعل المقاومة الشعبية:

#### 1-5) استراتيجية الحصون والقلاع الفرنسية في الصحراء:

اعتمدت سلطة الاحتلال الفرنسي في الجزائر أثناء حملتها التوسعية في الصحراء الجزائرية في بداية الأمر على البعثات التجسسية التي أطلقت عليها البعثات والرحلات العلمية والاستكشافية، بحيث لا يمكنها المجازفة بقواتها في المناطق الجنوبية دون دراستها من الناحيتين الجغرافية (المورفولوجية والجيولوجية) والبشرية (الأثنولوجية والأنثروبولوجية) فقامت بإرسال العديد من ضباط الجيش الفرنسي وبعض المغامرين من أمثال René caillié الذي وصل إلى تومبوكتو أفريل 1828 وتمكن من العودة إلى طنجة، ثم جاء بعده Henri Barth ما بين 1850-1855 حيث تمكن من جمع معلومات في غاية الأهمية من الناحية الجغرافية والأثنوغرافية، ولعل أهم هؤلاء الجواسيس والذي تمكن من كشف العديد من أسرار الصحراء Henri Duveyrier الذي دَوَّن كل ما لاحظته في رحلاته في كتابه "طوارق الشمال" 1861، وغيرهم من الرحالة الذين مهدوا لعملية الاحتلال عن طريق اكتشاف الطرق نحو مختلف الاتجاهات، ومدى توفر المياه التي تعد العامل المحوري المتحكم في الطرق التجارية في الصحراء، ثم طبيعة السكان والواحات ومناطق تركيز السكان، ومدى استعدادهم للتواجد الأجنبي واستغلال تركيبتهم البشرية من أجل كسب بعض الأطراف داخل الصحراء من أجل استغلالهم في جمع المعلومات الضرورية لعملية التوسع، وانتهت

المرحلة الأولى من حملات الاستكشاف والتجسس بعملية اغتيال المقدم فلانيرز L.Colonel Flatters وكل من كان معه في بئر الغرامة 1881 (16 فيفري) ، فتوقفت كل المحاولات لاختراق الصحراء، ودخلت سلطة الاحتلال في مرحلة الارتياح والشك في مشروعها في الصحراء بين 1890-1881 خاصة بعد اندلاع مقاومة أولاد سيد الشيخ بقيادة الشيخ بوعمامة.

#### 1-1-5) بناء الحصون: Fort Inifel مارس 1893:

تم تشييد هذا الحصن على الضفة الشرقية لواد مية على بعد 120 كلم جنوب شرق المنيعه (El-Goléa) وعلى حوالي 170 كلم جنوب ورقلة، ويعد "حاسي إينيفيل" من بين أهم الآبار في الطريق الرابط بين عين صالح وورقلة، وتكمن أهميته في وجود ضريح سيد عبد الحكم الولي الصالح الأمر الذي يظهر أهمية وقداسة المكان بالنسبة للأهالي، ويشهد هذا المكان على المعركة التي اندلعت بين الشعابنة المواضي والهقار تايوتوك الذين سلبوا عدد من الجمال.

وكان هذا الموقع كذلك منطقة مرور لعدد من الرحالة الأوربيين مثل فلانيرز الذي مر بنفس هذا المكان في رحلته الثانية 1881 وخيم به Foureau العديد من المرات خلال رحلاته بين 1890-1895 لذلك وقع الاختيار لهذا الموقع إضافة إلى أهميته الجغرافية.

في شهر أكتوبر 1892 توجهت فرقة عسكرية من الفيلق الأفريقي ومجموعة من العمال تحت قياد النقيب من الهندسة العسكرية Almand مع نائبه الملازم Delagrange الذي يقود فصيلة من الجنود على المهاري من 50 جندي المكلفة بالحماية وحراسة الحصن.

الحصن عبارة عن مستطيل طوله 40 متر وعرضه 30 متر، محصن بقلاع من الشمال الغربي والجنوب الشرقي وفي جهة الجنوب شيد برج مراقبة عبارة عن قبة لحراسة الطريق الآتي من عين صالح.

يحتوي الحصن على غرف خاصة بالجنود ومخازن السلاح والتموين والفرن، إضافة إلى غرف الضباط في رسالة للجنرال Marmet في 05 جويلية 1893 أثار مشكلة المياه في الحصن حيث كان هذا المركز يحتوي على أربعة آبار تتركز شمال وغرب الحصن على واد مية وعلى أعماق مختلفة لا تتجاوز 11م، وقام النقيب بحفر بئر داخل الحصن وفي رسالة بعثها الجنرال Swiney إلى الحاكم



العام 18 مارس 1893 يبلغه بانتهاء الأشغال في الحصن الذي استغرق تشييده 06 أشهر وتم وضع حامية عسكرية على المهاري مكونة من 50 جندي، وأهم ما ميز هذا الحصن أن موقعه كان بجانب مرتفعات من الرمال في الجهة الشرقية لذلك كان يتعرض إلى زحف وغزو الرمال بصفة دائمة.<sup>(1)</sup>

#### 2-1-5 - حصن Miribel مارس 1894:

دعمت سلطة الاحتلال الحصن السابق بحصن آخر فرضته الضرورة الاستراتيجية في عملية التحضير للتوسع نحو الجنوب، فقد كان حصن اينيفيل (Fort Inifel) يراقب الطريق بين ورقلة وعين صالح من الشمال إلى الجنوب، وجاء تشيد حصن مييريبيل (Fort Miribel) في "حاسي شبابة" جنوب شرق القوليعة (المنيعة) لمراقبة الطريق بين المنيعة وعين صالح، وعلى بعد 25 كلم من مركز المنيعة وكان اختيار هذا الموقع لعدة اعتبارات من بينها بئر عمقه 04 أمتار فقط وبطاقة تدفق مياه عالية، إضافة إلى توفر مواد البناء في الموقع ذاته، ومرعى للإبل المستخدمة في نقل كل ما يحتاجه الحصن، يمكن لهذا الحصن أن يكمل خط البريد المتقدم جنوباً من El-Hameur الحمر، عبر حاسي شبابة، و"إين سوكي" وحاسي مسقم ويمتد الخط إلى عمالة قسنطينة حاسي الأبيوض وتماسينين، حيث تمكن هذه الجهة المتقدمة للاحتلال من امكانية التوسع جنوباً، وتوفير الأمن للقبائل الموالية للاحتلال، وتمكن قوات الاحتلال في الصحراء من القيام بدور الشرطة خاصة ضد قبائل التوارق.<sup>(2)</sup>

وقد وافق وزير الحربية على انجاز هذا الحصن الهام نظراً للدور المنوط به في مشروع احتلال عين صالح مثل حصن "الحمر" بالنسبة لتيميمون.

<sup>1</sup> - Construction de postes fortifier dans l'extrême sud. 06 Aout 1893. Le gouverneur général Jules Cambon, boîte 22H 47 Anom

- Le Général Hervé commandant le 19<sup>ème</sup> corps d'armée, construction de postes dans l'extrême sud, 24 Octobre 1893. boîte 22H 47 Anom.

- Au sujet de la disparition de deux méhariste entre El-Goléa- Hassi Inifel. Mai 1893, boîte 22H 47 Anom.

- E.Grésillon, Assassinés ou Morts de souf Entre El-Goléa- et Hassi Inifel, Journal l'Algérie, 1<sup>er</sup> Année, N° 21, Jeudi 06 juillet 1893, boîte 22H 47 Anom.

- Déclassement des ouvrages de Fort Miribel et de Hassi Inifel, Arrêté du gouvernement général 23/09/1903.

- Licenciement des cavaliers de Hassi Inifel, Ministre de la guerre, 17 juillet 1903, boîte 22h47.

<sup>2</sup> -Lettre du Général Swiney commandant 19<sup>ème</sup> corps d'armée en date du 14/09/1893 au gouverneur général A.S de la construction du Fort Hassi- Chababa (Miribel), boîte 22H 47, ANOM.

تولى جهاز الهندسة العسكرية عملية البناء وكانت هذه القوات مكونة من المهاري وعمال البناء وكتيبة الحماية والأشياء الضرورية الأخرى فكان العدد الاجمالي 170 جندي تحت قيادة النقيب Digue والملازم Pierre، وتم إنجازه خلال سنة 1893، وهو صورة طبق الأصل للحصن "إينيفيل" السابق أي مستطيل ب 65 متر طول على 40 متر عرض يقع على مرتفع يطل على وادي "شبابة" به باب رئيسي للحصن من الجهة الجنوبية ويحتوي على برجين في الجهة الشمالية الشرقية والجنوبية الشرقية يمكنه أن يأوي 50 من المشاة، ومن 10-15 جندي على المهاري، وتم حفر بئر داخل الحصن لضمان التزود بالماء في جميع الأحوال.

يتميز موقعه الجغرافي بالاستراتيجي بالنسبة للقوافل المتجهة من عين صالح إلى المنيعه على الأطراف الشرقية لهضبة تادميت، وكذلك القوافل التي تمر عبر "واد مية" عبر حصن "إينيفيل" نحو ورقلة، فكان حصن "ميريبيل" أكثر الحصون المتقدمة نحو الجنوب.

وحمل هذا الحصن اسم الجنرال de Miribel بموجب مرسوم صادر من الحاكم العام 19 ديسمبر 1893م، وتكونت قرية صغيرة قريبة من الحصن، بها عائلات الصبايحية وبعض الرحل وانتقل إليها التجار من المنيعه من بينهم على سبيل المثال "Rodrigués" نظر لعدد جنود الحماية العسكرية من مشاة وصبايحية والمصلحة الصحية وضابط مصلحة الأهالي.

وتم وضع نصب تذكاري للملازم Collot الذي قتل شمال الحصن بحوالي 30 كلم أثناء قيامه بمهمة توبوغرافية في 13 أكتوبر 1896، حيث رغم وجود هذا الحصن إلا أن أعمال وعمليات المقاومة لم تتوقف ضد الاحتلال.

كان لهذا الحصن دور محوري خلال سنة 1900 عند احتلال الواحات الجنوبية، لذلك قرر وزير الحرب أن يحافظ على وجود الحماية العسكرية في الحصن وكلف المهندس Boyal لربط الحصن بخط تلغراف لتسهيل عملية الاتصال، ولكن المنطقة وتهديد المقاومة الدائم حال دون تحقيق هذا المشروع.<sup>(1)</sup>

<sup>1</sup> -Construction des postes Fortifiés dans l'extrême sud 06 Aout 1893, le gouverneur général de l'Algérie au, Général commandant la division.

3-1-5 - حصن لا ليمو Fort Lallemand مارس 1894: (بل حيران)

تم تشييد هذا الحصن على "حاسي بلحيران" أو "حاسي الجمالين" ب 170 كلم جنوب توقرت عند ملتقى الطرق توقرت- تماسين وورقلة- غدامس، وكانت الحامية العسكرية التي كلفت ببناء الحصن تحت قيادة النقيب Pujat وكانت مكونة من 07 ضباط وطبيبان ومترجم و196 جندي غادرت توقرت 17 جانفي 1894م بأمر مهمة يتضمن:

1. تقدم جنوبا قدر الامكان لبناء الحصن في بلحيران.
  2. البحث عن الماء وحفر آبار بين توقرت وبلحيران على الطريق خاصة في المناطق التي تتوفر فيها المياه.
  3. القيام بنفس الأعمال في جنوب بلحيران في اتجاه الأبيوض وصلت هذه الحملة يوم 26 جانفي وشرع في اختيار المكان المناسب لبناء الحصن، ووقع الاختيار على تلة أو ربوة مرتفعة من الناحية الشمالية وتشرف على الحوض الذي يوجد به حاسي بلحيران وتبعد عنه ب 30 متر ويسمح هذا الموقع بمراقبة كل المنطقة المحيطة وعلى بعد عدة كيلمترات.
- شرعت هذه الوحدة في عملية التشييد وبداية بحفر بئرين حتى تتوفر المياه لاحتياجات الجنود والحيوانات وعملية البناء، إضافة إلى البحث عن مواد البناء في المكان نفسه، وغيرها من التجهيزات وتم الشروع في بناء الحصن في 06 فيفري.

- Général Swiney commandant la division d'Alger à M gouverneur général d'Alger, organisation à Fort Miribel de service de renseignements et de la correspondance 19 Février 1894,boite 22H 47, Anom.

- Notes du capitaine du génie DIGUE commandant le détachement du Fort Miribel au sujet des mesures prises pour assurer le service de renseignement et de correspondance 15 Janvier 1896,boite 22H 47 Anom.

- Le Général Collet Meygret, service des renseignements dans les poste de Fort Mac-Mahon et Fort Miribel, 30 Juin 1896.

Plan de Fort Miribel, boite 22H 47, Anom.

- Capitaine DIGUE, Rapport du 20 Février sur le service des renseignements 1894, boite 22H 47.anom

- اكتشاف للمياه على بعد 24 كلم جنوب غرب فور ميريبيل في مجرى نهر « Khouma » على بعد 200 متر من أحد الروافد Bejah والذي يشكل واد شبابة، يقدر عمقه 2, 50 متر يقدر تدفق مياهه 1900 لتر يوميا بصفة دائمة إضافة إلى بئر آخر على بعد 300 متر وآخر يبعد 02 كلم يسمى حاسي بليل في مجرى واد شبابة مياهه لا تَنْصَبُ.

- Mobacher, Journal Officiel N°3536, 16 Décembre 1893, Gouverneur Général après la date du 15/12/1893, une décision en vertus de laquelle le mon de fort Miribel à été donné à Fort Hassi Chebaba.

يشير هذا التقرير إلى التقنيات التي استخدمت في استخراج مياه البئر بشكل يكفي احتياجات البناء، إلى أنها اقتبست من الطريقة التي استخدمها أهل وادي سوف ومنطقة ميزاب في استخراج مياه الآبار وتم الانتهاء من الأشغال يوم 18 أفريل وحدد يوم 20 أفريل للعودة إلى توقرت، مع الإبقاء على الفرقة العسكرية في الحصن.<sup>(1)</sup>

كان حصن بلحيران (حصن لالمون) عبارة عن مربع طول أضلاعه 40 متر، ويقدر ارتفاع جدرانه 4,20 متر، وجهز بأبراج مراقبة في الزاوية الشمالية الشرقية والجنوبية الغربية، إضافة إلى 03 آبار التي تم حفرها في الموقع، قامت هذه الوحدة بحفر بئر آخر في "بولرواح"، وآخر في "واد زايثا" وتجهيز الحصن كذلك ببئر داخل الحصن وفرن يكفي 200 وجبة، وأوكلت حراسة الحصن إلى فرقة عسكرية صغيرة.<sup>(2)</sup>

فكرت سلطة الاحتلال الفرنسي في بناء حصن عسكري يكون كقاعدة متقدمة نحو الجنوب في هذه المنطقة جنوب توقرت منذ بداية تسعينات القرن 19، لذلك كلفت مجموعة من الجواسيس (المستكشفين) لدراسة المنطقة دراسة طبوغرافية ومورفولوجية وجغرافية ومحاولة تحديد المكان المناسب لبناءه، وكلف كل من Méry و Foureau للقيام بهذه المهمة، وكان المكان المقصود هو تماسينين، وأشار قائد الوحدة العسكرية لقسنطينة في تقرير إلى الحاكم العام، أنه عند لقاء "سي لعروسي" مقدم زاوية قمار في واد سوف، وكان ضمن الوفد التارقي الذي زار الجزائر العاصمة، طلب رأيه في المهمة التي كلف بها M.Méry المتمثلة في بناء حصن في تماسينين، فكان رأي "سي لعروسي" أن المشروع سيفشل ولن يتمكن هذا الضابط من بناء الحصن، لأن المعارضين كثر وسوف يتعرض إلى هجوم من طرف الطوارق الهقار والأزدجار، وكذلك من الشعابنة الثائرين على

<sup>1</sup> -Capitaine Pujat, Rapport de l'installation définitive du poste de Fort lallemand les améliorations à y apporter, boîte 22h 47.

<sup>2</sup> -A.S. du borjs à construire à temassinine et à Hassi bel-heirane 01 Décembre 1892, le général O'neil au gouverneur général, boîte 22h 47.

- Résumé sommaire des opérations de la colonne de Bel- Heirane le 27 Mars 1894, boîte 22h 47.

- Création des puits entre Fort L'Allmand et Temassinine dans le Gassi Touil 1898-1899, boîte 22H 47, Anom.

السلطة الفرنسية، وبعض القبائل الثائرة في الشرق، ولذلك سوف تتوقف عملية التوسع والتوغل جنوبا لمدة طويلة وتكون نتائج هذا المشروع كارثية على مستقبل التوسع الفرنسي<sup>(1)</sup>.

واقترح "سي لعروسي" مقدم الزاوية التيجانية في قمار بالواد على الضابط الفرنسي أن يكون التوغل تدريجي وعلى مراحل، وتكون البداية ببناء زاوية تيجانية في تماسنين ويتكلف سي لعروسي ببناءها على شكل زاوية ولكن تكون محصنة ومجهزة داخليا بوسائل دفاعية، وعلى أن لا تتدخل فرنسا ولا أي أوربي في هذه العملية، حتى لا تثار الشكوك حولها، ثم عليه أن يتشاور "سي لعروسي" مع "سي عبد النبي أغ غالي" - حفيد الشيخ عثمان من قبيلة الأيفوغاس التارقية ورئيس وفد الطوارق الذي زار مدينة الجزائر في ستينيات القرن التاسع عشر- حول هذا المشروع وانتقلت فكرة تشييد حصن فرنسي متقدم إلى منطقة حاسي بلحيران التي تحتوي على مصدر مائي هام ويقع جنوب توقرت بصفة مباشرة عند بداية العرق الكبير على مسيرة 04 أيام من حاسي مية (Mey)<sup>(2)</sup>.

#### 4-1-5 حصن ماكماهون Fort Mac Mahon مارس 1894:

أعد العقيد Didier مشروع انجاز مراكز أو حصون متقدمة جنوب القوليعة بطلب من الحاكم العام للجزائر تحت إشراف الجنرال Marmet، وقد حدد الحاكم العام أن يتم البدء ببناء حصن في حاسي الحمر في فريق 1893، ثم حصن آخر في الخط الرابط بين عين اينيفيل- اينسوكي- حاسي مسقم، وخصص مبلغ 20.000 فرنك من ميزانية بلدية غرداية لبناء هذا الحصن في حاسي الحمر، ويبعد حاسي الحمر ب 160 كلم عن القوليعة في منتصف الطريق نحو تيميمون، يمكن لفرقة من الفرسان أو المهاري الوصول اليه في خلال ثلاثة أيام، أما المشاة في 06 أيام، يتميز بكثرة مياهه وتتوفر في المكان كل احتياجات عملية البناء من مواد البناء ومرعى الجمال<sup>(3)</sup>.

الفرقة العسكرية التي كلفت بعملية البناء تشكلت من كتبتين من 120 جندي لكل منها اضافة إلى جهاز الهندسة وعمال البناء وضابط من مصلحة الأهالي مع الصبايحية والمهاري المستخدمين في البريد والاستخبارات اضافة للجهاز الطبي والإداري.

<sup>1</sup> - Ibid.

<sup>2</sup> -A.S. du bordjs à construire à temassinine et à Hassi bel-heirane 01/12/1892, boîte22H 47, Anom.

<sup>3</sup> -Le Général Marmet, au, le général commandant la Division, A.S de la création de postes au-dessous d'El-Goléa, Medéa 05 Mai 1893, boîte 22H 47, Anom.

انطلقت هذه الحامية من القوليعة يوم 26 نوفمبر 1893 تحت قيادة النقيب Almand من الهندسة العسكرية وهو نفسه الذي أشرف على بناء "برج اينيفيل"، يساعده الملازم Pouget، ونظر لأهمية هذا الحصن كانت طاقة استيعابه 100 جندي وبين 25-30 مهاري والمصالح الضرورية الأخرى، وعلى أساس هذه التعليمات يحدد مساحة الحصن حيث كان طوله 70 متر وعرضه 40 متر، ويمكنه تخزين مؤونة لثلاثة أشهر ويمكن بناء فرن داخله، وعينت فرقة خاصة بإعادة اصلاح الآبار الموجودة في الطريق بين هذا الحصن والقوليعة، ولكي يتمكن فيما بعد من وضع مراكز لتلغراف، واستغل النقيب Almand كل المواد الموجودة حول الحصن في بناء أسوار وأبراج الحصن، فكان أكبر الحصون وأهمها في المنطقة ولعب دورا محوريا في احتلال تيديكلت وتوات وقورارة.<sup>(1)</sup>

تعرض هذا الحصن إلى العديد من الهجمات من طرف جيش المقاومة، خاصة الهجمات المتكررة على قوافل التموين التي كانت تأتيه من القوليعة، مثل عملية بوخنفوس في 09 سبتمبر 1894 وهي منطقة في الطريق بين حصن مكماهون والقوليعة وفيها تمكن فرقة من المقاومة مكونة من 40 مجاهدا من الهجوم على القافلة التي كانت تحت حراسة مشددة مكونة من المشاة ويفوق عدد جنودها 100 وكبدوا قوات العدو خسائر بشرية ومادية فادحة، وانسحبوا بخسائر طفيفة حيث يعترف أحد الضباط الذي أعد تقريرا<sup>(2)</sup> مفصلا حول الهجوم قائلا: «كيف يمكن لعدد قليل من الجنود في وقت قياسي يكبدوننا خسائر فادحة في حين خسائرهم كانت قليلة»، ويحاول الضابط الملازم «De la Selve» في تقريره المشار إليه أن يحدد العوامل والأسباب أو الظروف التي أدت إلى هذه الهزيمة النكراء كمحاولة لتبرير الخسائر، أما الخسائر التي تمكن "الملازم goubeaux" المكلف بمصلحة الاستخبارات في حصن مكماهون أن يجمعها من "محمد بلحاج محمد صالح" وهو تاجر قماش يحمل إذن بالتنقل من سلطة الاحتلال في القوليعة، وهو من قبيلة الخنافسة من المرابطين وسبق أن قدم خدماته التجسسية إلى الضابط المكلف يجمع الأخبار.

<sup>1</sup> -A.S. du détachement de Fort Mac-Mahon, Instruction donnée pour les travaux de constructions de Fort Mac- Mahon par l'état-major du 19<sup>eme</sup> C.A. 10 Décembre 1893, boîte22h 56.

- Lettre du G. Hervé. CDT le 19<sup>eme</sup> C.A au Gouv en date du 24 Octobre 1893, A.S. de la construction de Fort Mac-Mahon et les trouble possible, boîte 22h 47.

<sup>2</sup> -Rapport circonstancié sur l'Attaque à Bou Khanfous le 09 Septembre 1894 du détachement de relève de la garnison de fort Mac-Mahon (1croquis),boîte 22h 42, Anom.

جاء التاجر الجاسوس قادما من "الكاف" في قورارة قاصدا حاسي الحمر (حصن مكماهون)، ومجمل الأخبار التي جاء بها أن العصاة (الثوار) الشعابنة والمواضي رجعوا إلى ديارهم في قرى قورارة، وأنهم تمكنوا من قتل حوالي 40 جنديا فرنسا، وبعض الضباط الفرنسيين، وأن صناديق الملازم De la Selve هي في حوزة الأخوة "جلول" العصاة (الثوار) من القوليعة وأكبرهم هو "محمد بن جلول"، ويبدو أن عدد كبير من هؤلاء يلبسون ملابس المشاة و صف الضباط والضباط التي غنموها من هذه المعركة، وشاهد هذا التاجر الجاسوس جريحين أولهم "الطيب بن الحاج قدور" من القوليعة الذي تلقى رصاصتين في الصدر ويبدو أن أيامه محدودة لإصابته الخطيرة، والثاني حرج برصاصة في الفخذ، وجريح ثالث، ثم ذكر فرس الضابط الذي قتل في بوخنفوس أصبح ملكا "لمنصور بن لكحل" من المواضي العصاة<sup>(1)</sup>.

وذكر التاجر كذلك اندهاش جنود المقاومة من قوة نيران بنادق الجنود الفرنسيين التي لا تتوقف والتطور الذي ميز أسلحة جنود الاحتلال.

ويضيف العقيد Didier في نفس التقرير ملاحظة عن مصداقية هذا الشخص "محمد بن الحاج محمد الصالح" أن أصوله من قورارة واستقر منذ مدة طويلة في القوليعة، وهو تاجر قماش لذلك مصلحته تكمن في خدمتنا وليس له أي مصلحة مع الخارجين عن القانون، لذلك فكل الأخبار التي جاء بها حقيقية، وما يزيد من تأكيد هذه الأخبار أن ما جاء به يتوافق مع الأخبار التي جاء بها "القوم البرازقة" التي تضمنها تقرير 15 أكتوبر، وبالتالي يجب الاستعداد جيدا للهجوم الذي تنوي هذه المجموعة القيام به مستقبلا.<sup>(2)</sup>

ولم يكن هذا الهجوم الوحيد على هذا المركز، بل تعرض على هجمات ومضايقات كثيرة من طرف جنود المقاومة من أتباع زعيم مقاومة أولاد سيد الشيخ، الشيخ بوعمامة وشخصية أخرى.

لذلك يمكننا أن نستخلص من تقارير الفرنسيين حول العمليات الثورية التي يقوم بها جنود المقاومة، غالبا ما يتم التقليل من حجم خسائرهم البشرية والمادية حفاظا على معنويات الجيش

<sup>1</sup> -Ibid.

<sup>2</sup> -Le Général Swiney, Renseignements relatifs aux dissidents auteurs du coups de mains de Bou-Khanfous 08 Novembre 1894,boite 22h 42 Anom.

الفرنسي والتحدث عن جيش المقاومة على أن الدافع الوحيد هو الغنائم، وتصورهم هذه التقارير على أنهم مجموعة من العصاة وقطاع الطرق والذين اعتادت الغزو والسرقة، ولكنها في تقارير أخرى تبوح بتصورها الحقيقي مثل التقرير السابق الذي تذكر فيه شجاعة هذه المجموعة وحجم الخسائر التي تكبدها الجيش الفرنسي، وأن الدافع هو وطني، على اعتبار أن أغلب هذه المجموعات هم من أتباع الشيخ بوعمامة الذي تزعم مقاومة الاحتلال لمدة طويلة جدا.

ولم يكن هذا الهجوم الوحيد على هذا الحصن بل تعرض إلى مضايقات وهجمات كثيرة نذكرها في إطار زمني والتاريخ الموضوعي.

لكن الأبراج والمراكز الأولى التي شرعت سلطة الاحتلال في تشييدها منذ 1891 هي برج مية و برج بَرَصُوفْ، ولكن تبين فيما بعد أن هذه الأبراج لم يكن لها أي دور في عملية التوسع جنوبا، فقد وجه الحاكم العام Combon (سنة 1891) تعليمات إلى الجنرال أونيل O'Neil قائد مقاطعة قسنطينة لتشجيع وتنمية العلاقات التجارية مع غدامس، وتشجيع الرحلات استكشافية، وهي في واقع حملات تجسسية نحو الجنوب الشرقي، وأمام تصميم الحاكم العام Combon على مراقبة والتحكم في منطقة العرق الكبير الشرقي، قرر بناء برج متقدم محصن وأوكل هذه المهمة إلى الجنرال O'Neil الذي اختار مكان يبعد ب 180 كلم جنوب الواد وتوقرت على تقاطع طرق القوافل نحو غدامس، وكلف النقيب Ricaud قائد منطقة الواد بتحقيق هذا المشروع.

أما صعوبة هذه المهمة تمثلت في بُعد هذا البرج عن التجمعات السكانية، وطبيعة المنطقة الصحراوية، قرر النقيب Ricaud وضع هذا البرج في "حاسي ماي الظهراوي" وهو بئر يقع في تقاطع الطريق الوادي غدامس مع طريق توقرت - غدامس، ويشرع في عملية البناء في ديسمبر 1891 وهو عبارة عن مستطيل يضم أربعة أبراج مراقبة، وكان يلجأ إليه الرحل وفرق المراقبة في حالة تعرضهم إلى هجوم، وتم الانتهاء من بناءه في مارس 1892 ويعد أول برج متقدم نحو الجنوب الشرقي لتوقرت ب



150 كلم، ولكن الحدث الوحيد الذي شهده هذا البرج هو مرور رحلة Méry في مارس 1892م، ثم فقد أهمية بعد بناء حصن لالمون Lallmand.<sup>(1)</sup>

أما البرج الثاني فقد كان في بئر بَرَصُوف (Beressof) ويقع على بعد 140 كلم جنوب شرق الواد وفي شمال شرق (برج الماي الظهراوي) السابق، وجاء ليدعم المنطقة الحدودية مع تونس ويتميز بكونه محطة اجبارية للقبائل الرحل ويتواجد في قلب العرق وعلى الطريق إلى غدامس.<sup>(2)</sup>

## 2-5 مشاريع خطوط سكة الحديدية في الصحراء:

شرعت فرنسا الاستعمارية في اعداد الدراسات الأولى لمد خطوط سكة الحديد في سنة 1855 و تدعت بمرسوم 08 أفريل 1857 الذي حدد خط سكة الحديد الموازي لساحل البحر من قسنطينة إلى الجزائر ومنها إلى وهران ثم يتم انجاز خطوط أخرى من الموانئ الكبرى إلى هذا الخط الموازي للساحل.<sup>(3)</sup>

وكانت السلطة الاستعمارية تسعى إلى دعم هذا القطاع في وسائل المواصلات، لما له من أهمية في نقل المواد الأولية والمنتجات الفلاحية خاصة الحبوب التي تمثل 1/3 من مداخل شركة سكة الحديد، اضافة إلى سرعة وسهولة نقل الجيش، وخلق أسواق ومراكز تجارية وعمرانية جديدة عبر هذه الخطوط<sup>(4)</sup>، وتطور طول السكة الحديدية في الجزائر 1862 التي كانت تقدر 49 كلم إلى 2905 كلم سنة 1895<sup>(5)</sup>، وتبين ان وسيلة النقل البرية الأكثر فعالية من الناحية الاقتصادية والعسكرية هي قطاع سكة الحديدية، لذلك ازداد اهتمام قادة السلطات الاستعمارية بتوسيع شبكة السكة الحديدية إلى الجنوب خاصة عند توسع الاستعمار على حساب المدن الكبرى في الجنوب الجزائري، وكان المهندس « A.Duponchel » أول من قام بدراسة مشروع خط سكة

<sup>1</sup> -Lettre du G<sup>nl</sup> O'Neil au gouverneur général en date du 1<sup>er</sup> Décembre 1892 au sujet du voyage de Foureau chez les Touareg Ajjer et la participation de Méry a la construction du bordj de Hassi El- Mey ,boite 22H 56 Anom.

<sup>2</sup> -Lettre du G<sup>nl</sup> O'Neil 20 Décembre 1892 A.S. de la construction d'un bordj à Beressof, boite 22H 56 Anom.

<sup>3</sup> -M. Forestiers, Notice sur les chemins de fer Algériens, Alger Mustapha Giralt, 1900, pp.05-06.

<sup>4</sup> -A. Bordier, la colonisation scientifique et les colonies française typographie pour Schmidt. Paris, 1884, p.203.

<sup>5</sup> -G.G.A. notice sur les chemins de fer Algérienne. Imprimeur du gouvernement général Alger, 1900, pp.04-05.

الحديد العابر للصحراء قبل 1874 ويقول « Duponchel » انجزت المشروع بعد مهمة رسمية قمت بها في الصحراء ثم حررت ملخص نتائج المشروع الذي تم طبعه في بداية سنة 1878 والذي أدى إلى لفت أنظار الرأي العام الداخلي إلى هذا المشروع، الأمر الذي أجبر الحكومة على أخذ هذا المشروع بعين الاعتبار.<sup>(1)</sup>

اهتم وزير الأشغال العمومية M. de Freycinet بهذا المشروع فقام بتعيين لجنة تقوم بدراسة مشروع Duponchel، وكانت هذه اللجنة مكونة من 40 عضوا وارتفع عدد أعضائها إلى 68 عضو، واعترف رئيس اللجنة – الوزير- أن حدود معرفته لا تتعدى الأغواط ويجهل تماما المناطق الواقعة جنوب القوليلة ( المنيعه)، وما تجدر الإشارة إليه أن هذه اللجنة لم يكن أي عضو من أعضائها قد زار الصحراء أو له أي خبرة بها ما عدا Duveyrier الذي قضى بها حوالي 20 سنة.<sup>(2)</sup>

لذلك علق المهندس Dupochel عن هذه اللجان التي لم تتلقى أي برنامج واضح من الإدارة وعجزت عن اقتراح برنامج قائلا: «وبعد سنتين من المناقشات العقيمة أوصت بإرسال لجنة استطلاعية بقيادة العقيد Flatters» ولكن السؤال الذي يفرض بنفسه هو ما هي أهداف الحكومة من وراء الاهتمام الكبير بهذا المشروع؟، وفي هذا التوقيت بذات (1878)؟، يمكن أن تكون الرغبة في نسيان هزيمة 1870 النكراء أمام بروسيا الدولة الناشئة، ومحاولة استعادة الثقة والمجد الغابر، ورفع المعنويات الداخلية برفع التحدي وانجاز هذا المشروع الضخم، الذي يهدف إلى ربط سواحل الجزائر بالسودان الغربي والشرقي عبر الصحراء، خاصة وأنه في نفس الفترة كانت الولايات المتحدة الأمريكية قد افتتحت الخط الذي يربط نيويورك بسان فرانسيسكو أي ربط المحيط الأطلس بالمحيط الهادي مع كل التحديات التي تم تجاوزها كان أبرزها جبال روكي الصخرية، أما فرنسا فالحاجز هو الصحراء.<sup>(3)</sup>

كانت اللجنة العلمية الاستطلاعية بتمويل من الغرفة التجارية للجزائر بقيادة Paul Soleillet مكلفة بتحديد مسار هذا الخط سنة 1874 ولكنه لم يدرس المسار من الناحية التقنية

<sup>1</sup> -A. Duponchel, le transsaharien, Typo. Charles Boehy 1878. Montpellier, pp.01-02.

<sup>2</sup> -André Schontz, le transsaharien mémoire de l'académie national de Metz, 2011, [www.academietz.fr](http://www.academietz.fr). 15/12/2019.

<sup>3</sup> -André, Schontz, Op.Cit,p.190.

والميدانية، لذلك بعد 04 سنوات قام المهندس A. Duponchel بإعداد دراسة جيدة لمسار خط سكة الحديد وحدد تكلفة هذا الخط الذي يبلغ طوله 2574 كلم بكلفة مالية 400 مليون فرنك ينطلق من المناطق التلية عبر الصحراء نحو السودان.<sup>(1)</sup>

واستعرض هذا المهندس Duponchel الصعوبات التي لقيها خط سكة الحديد الأمريكي العابر للقارة، وقارنها بالصعوبات التي تعترض خط العابر للصحراء في الجزائر، واقترح الحلول مثل مشكل الحرارة في الصيف والمياه التي يحتاجها القطار والزوابع الرملية غير المستقرة<sup>(2)</sup>، في بعض المناطق، وشملت هذه الدراسة كذلك تكلفة الانجاز وتكلفة النقل للبضائع عند الانتهاء من عملية الانجاز، ثم خصصت فصل خاص بالمسار الذي يتم فيه انجاز هذا الخط نحو تمبوكتو في الغرب من نهر النيجر وبوروم في الشرق، وينقسم إلى قسمين الجزء الأول وهو الذي تمت دراسته جيولوجيا ومورفولوجيا ويمكن تحديده بسهولة وبدقة، أما الجزء الثاني فلم تتم دراسته بشكل مباشر، وإنما هي عبارة عن معلومات جيولوجية وجمعت من القوافل والرحالة وتنقصها الدقة.

وخصص جزء آخر من دراسته للموارد والثروات التي يمكن نقلها عبر هذا الخط إلى موانئ البحر المتوسط والمداخيل التي يمكن تحقيقها والتي تتجاوز 400 مليون فرنك<sup>(3)</sup>، بحيث تغطي تكاليف الاستغلال والانجاز كذلك.

أيدت الإدارة السياسية ممثلة في شخص وزير الأشغال العمومية Ch. De Freycinet هذا المشروع وتم تكليف ثلاثة بعثات علمية استطلاعية نحو الجنوب في اتجاهات مختلفة هدفها تحديد المسار المناسب لهذا الخط، فكانت المهمة الأولى بقيادة المهندس Choisy كلف بدراسة من الأغواط

<sup>1</sup> -Monique Lakroum, Les projets français de transsaharien XIX- XX un challenge pour l'industrie.1989. www.acadeniematz.fr.

<sup>2</sup> -A. Duponchel, Le chemin de fer Transsaharien jonction colonial entre L'Algérie et le soudan, Etude préliminaires du projet et rapport de mission, Typographie et Lithographie de Boehm et fils, Montpellier, 1878, pp.224-240.

<sup>3</sup> -Ibid., p.323.

إلى القوليعة ثم تتجه شمال شرق نحو ورقلة ثم شمالا عبر وادي ريغ وصولا إلى بسكرة،<sup>(1)</sup> وقدام معلومات هامة حول الجانب الطبوغرافي والانتاج الزراعي للمنطقة وخريطة جيولوجية.

أما البعثة الثانية كانت تحت قيادة العقيد Flatters الذي كلف بدراسة الطريق نحو تمبوكتو عبر جبال الهقار، وقام برحلته الأولى التي لم تكن ذات فائدة كبيرة حيث انطلق من ورقلة عبر الكثبان الرملية بين ورقلة والأبيوض.<sup>(2)</sup>

أما البعثة الثالثة كانت بقيادة M.Pouyanne الذي كلف باستكشاف مسار الخط في المنطقة الجنوبية الغربية، ولكن مقاومة القبائل للاحتلال مثل أولاد سيد الشيخ حالت دون إتمام المهمة وتوقفت البعثة في "تيوت"<sup>(3)</sup>، ثم كلف فلانيرز بمهمة ثانية وكانت تعليمات الخط العابر للصحراء، أن تكون البعثة ذات طابع سلمي ولا تحمل أي مظهر عسكري، على اعتبار أن من السهل نسج علاقات سلمية مع الطوارق وترتب عن ذلك نقص أو ضعف في فرقة الحماية لهذه البعثة المكلفة بالدفاع عنها.<sup>(4)</sup>

غادرت هذه البعثة ورقلة يوم 04 ديسمبر وآخر أخبارها وصلت يوم 21 جانفي 1881 وبعد مرور شهرين تمكن 20 شخص من هذه المهمة الوصول إلى ورقلة. بعد وقوع هذه البعثة في كمين في بئر الغرامة أو حاسي تاجمونت وقتل فيه أغلب أعضاء البعثة بما فيها قائدها فلانيرز<sup>(5)</sup>، كانت انعكاسات هذه الحادثة كارثية على مستقبل التوغل الاستعماري في الصحراء، حيث توقفت كل محاولات التوغل، وأوقفت لجنة مشروع خط العابر للصحراء عملها وأصدرت وزارة الأشغال

<sup>1</sup> -Auguste choisy, le Sahara souvenir d'une mission a goléah, Ed. Plan Imprimeur éditeurs, 1881, Paris, p.1.

<sup>2</sup> -Maurice Honoré, le Transsaharien et la Pénétration Française en Afrique, A. Pedone Editeur 1901, Paris, p.21-22.

- Ministre des travaux publics, documents relatifs à la mission dirigés au sud de l'Algérie par M.choisy, 1890.

- Ministre des Travaux publics, Documents relatifs à la mission dirigés au sud de l'Algérie par le lieutenant colonel Flatters, 1884.

<sup>3</sup> -Maurice Hanoré, Op.cit, p.22.

- ministère des Travaux public, document relatifs à la mission dirigés au sud de l'Algérie par M.Pouyanne, 1886.

<sup>4</sup> -Maurice Honoré, Op.cit, p.22.

<sup>5</sup> -Ibid, p.23.

العمومية بلاغا جاء فيه "بما أن الشروع في انجاز الخط العابر للصحراء، لا يكون إلا بعد احتلال الصحراء الجزائر بشكل دائم ونهائي، فإنه تقرر تأجيل وتعليق كل القرارات الخاصة باستكشاف مسار خط سكة الحديد"<sup>(1)</sup>، ودخل بذلك مشروع الخط العابر للصحراء في فترة فراغ دامت 10 سنوات.

ولكن Duponchel المهندس صاحب فكرة المشروع يذكر في مقاله حول هذا الخط، أن فلاتيرز كلف بمهمة استطلاعية مرتين بتكلفة مرتفعة، ولكنه اتبع مسارا غريبا لرحلته، حيث ابتعد عن الطرق التجارية في السهول المعروفة وجازف في طريق جبلي للطوراق الذين رفضوا مروره عبر أراضيهم وكان مصيره الفشل<sup>(2)</sup>. فكان هذا المهندس الذي أعد المشروع وهو صاحب فكرة أن مهمة فلاتيرز وعمل اللجنة من العوامل التي عرقلت تجسيد المشروع على الواقع.

ولكن تأخر الاستقرار على الاتجاه الذي ينجز فيه خط السكة العابر للصحراء، والتنافس ما بين عرّابين مشاريع خطوط السكة الحديدية، وكثرت الجدل بين الطروحات المختلفة، جعل الحكومة الفرنسية والولاية العامة في الجزائر وكذلك السلطة التشريعية في الميتروبول، لا تستقر على رأي، فقد انتهى المؤتمر 20 للجمعية الوطنية الفرنسية الجغرافية برئاسة « Savorgnan de Brazza » والذي نظّمته الجمعية الجغرافية للجزائر ما بين 26 مارس إلى 02 أبريل 1899 بعدة توصيات فيما يخص خط سكة الحديد العابرة للصحراء من بين التوصيات:

- (1) يجب الشروع في أقرب الآجال في احتلال المناطق الجنوبية خاصة منطقة التوات.
- (2) يجب تمديد خطوط السكة الحديدية إلى الجنوب عبر الصحراء إما على الحدود المغربية أو على الحدود الشرقية.
- (3) يجب تنظيم رحلات علمية استطلاعية للدراسة المنطقة شمال تمبوكتو وتحضير الأرضية التي يمر عبرها الخط خاصة بين الاطلس والنيجر.<sup>(3)</sup>

<sup>1</sup> -Ibid, p.24.

<sup>2</sup> -A. Duponchel, le transsaharien, Op.cit, p.22.

<sup>3</sup> - Auguste Terrier et Col, Algérie le Transsaharien et le congrès de géographie d'Alger, B.C.A.F, 9<sup>eme</sup> année, N°5, année 1899, Paris, pp.147-148.

وكان النقاش حادا بين عرّابين المشاريع المختلفة للمنطقة التي يمر عبرها الخط العابر للصحراء حيث دافع broussais رئيس المجلس العام لمدينة الجزائر عن الخط الجزائري في حين دافع السيد Poul Bonnard مستوطن فرنسي في تونس عن الخط التونسي، أما السيد bouty أمين الجمعية الجغرافية لوهران دافع عن الخط الذي يعبر إقليم وهران نحو الجنوب، أما السيد Simian فقد طرح فكرة شبكة من خطوط السكة على أن تكون محورها خط يربط بوغار- الأغواط- وخط يربط بسكرة و ورقلة وامتنع من الحضور كل من السيد Georges Rolland وصديقه المهندس Dock اللذين يمثلان المسار الوحيد الذي درس بشكل جيد والذي ينطلق من خط بسكرة - ورقلة<sup>(1)</sup>، واعتبر أن الصراع بين مختلف المشاريع وإحياء الخلافات السابقة، كانت السبب في تأخر وعرقلة هذا المشروع الوطني، وسبق أن أجهض وأفشل مشروع Duponchel الكبير فيما سبق<sup>(2)</sup>، ولم يتمكن المؤتمر من الاستقرار على مشروع معين وقرر ترك القرار الى العلماء الفرنسيين المختصين في قضايا الصحراء من أمثال Augustin Bernard الامين العام للجمعية الجغرافية للجزائر الذي أوصى بمواصلة الحملات العلمية لمعرفة الصحراء جيدا، ومد شبكة خطوط سكة الحديد التي تكون مقدمة للخط العابر للصحراء، ثم أوصى بأن المسار الاستراتيجي والهام على المستوى السياسي هو خط الجنوب الوهراني لما له من أهمية في حراسة الحدود مع المغرب الأقصى، على أن يتم ايصاله بمنطقة التوات الكبير، الذي يعد أكبر التجمعات السكانية في الصحراء.

فكانت الفترة بين حادثة قتل أعضاء بعثة فلاتيرز 1881 حتى نهاية القرن، فترة تردد وركود مشروع الخط العابر للصحراء، رغم قيام العديد من المغامرين برحلات تجسسية استطلاعية للصحراء ولقي أغلبهم حذفه فيها.

ولكن شهدت سنة 1899 أهم الحملات الاستطلاعية الاستكشافية التجسسية في الصحراء هي بعثة فورو- لامي (Foureau-Lamy) والجديد في هذه البعثة أنها مدعمة بقوة عسكرية صغيرة ومجهزة ومسلحة جيدا، وهو النهج الجديد الذي تبناه "فورو" والتخلي عن طريقة Duveyrier التي

<sup>1</sup> - Georges Rolland, La conquête du désert Biskra- Touggourt- L'oued Rir, Challamel et C° Editeurs, librairie coloniale 1889, pp.70-88.

<sup>2</sup> - Auguste Terrier, op.cit, p.148.

تعتمد على كسب حماية ورعاية أحد الزعامات المحلية، لذلك جهزت هذه البعثة ب 10 ضباط بقيادة Métois- Reibell- Lamy وغيرهم و 277 جندي ممن لهم خبرة في الصحراء، غادرت ورقلة 23 أكتوبر 1898 وكانت بدعم من الجمعية الجغرافية لباريس والحاكم العام في الجزائر، وعدة وزارات، وتمثل برنامج هذه البعثة في الوصول إلى بحيرة تشاد وربط السودان بالساحل المتوسط<sup>(1)</sup>.

ثم البعثة التي كان لها دور كبير في احتلال تيديكلت وتوات وقورارة وسبق H، تعرضنا إليها هي بعثة الأستاذ Pein و Flamand وتبنت فكرة "فورو" في تشكيلها أي أنها مدعمة بقوات عسكرية لدعمها في عملية استكشاف المنطقة من ورقلة التي خرجت منها 28 أكتوبر 1899 عبر هضبة تادميت نحو عين صالح وانتهت باحتلال المنطقة.<sup>(2)</sup>

### 3-5 التوغل السلمي والحملات التجسسية في المنطقة بين 1850-1862:-

تعد عملية التجسس والاستطلاع والاستكشاف العلمي للمناطق الجنوبية الصحراوية في منطقة التاسيلي والأهقار، مراحل ضرورية وهامة لإنجاح المشروع الاستعماري الذي يتضمن جوانب متعددة وسعى إلى تحقيق أهدافه وغاياته باستخدام وسائل مختلفة علمية وسلمية تجسسية ودبلوماسية سياسية وعسكرية مباشرة في النهاية.

لذلك تم تكليف العديد من المكتشفين أغلبهم من ضباط الجيش الفرنسي لدراسة هذه المناطق الصحراوية الجنوبية المجهولة لديهم، من الناحية الطبوغرافية والهيدروغرافية والبشرية تحضيرا لعملية الاحتلال وغالبا ما كانت هذه الرحلات تعتمد على الذريعة التجارية مع الصحراء للوصول على هذه المناطق واهم هذه الحملات التجسسية هي:

### للرحلة النقيب de Bonnemaï "دوبون مان" :- ( الملحق رقم 24)

<sup>1</sup> - Augustin, Bernard, La pénétration.. Op.cit, pp131-137.

- Demoulin F, l'exploration du Sahara : IN Annales de géo, T40, n° : 226.1931.pp 337-361

<sup>2</sup> - George Rolland, le Transsaharien un ans après, A.CHALLAMEL éditeur, 1891, Paris, pp 128-131.

-Camille Sabatier, Touat Sahara et Soudan, étude géographique politique, économique et militaire, Société d'édition Scientifique, Paris 1891, pp 139-148.

- A.Fock, Algérie, Sahara, Tchad réponse A.M.C Sabatier, A.Challamel editeur, Paris, 1891, pp 37-57.

-H. De Castries, Questions saharienne et Transsaharienne, Librairie africaine et coloniale Paris 1902, pp 11-17.

كان أحد ضباط فرقة الصبايحية ويتقن اللغة العربية الدارجة التي اكتسبها منذ صغره وسط الجزائريين لهذا السبب كلفه الحاكم العام Randon تهمته القيام برحلة من واد سوف إلى غدامس يقوم من خلالها بوصف الطريق وتحديد طوبوغرافي لأهم النقاط مع دراسة نوعية السطح ثم دراسة أهمية هذه المدينة من الناحية التجارية باعتبارها ملتقى القوافل الآتية من السودان.<sup>(1)</sup>

وجاءت هذه المهمة كرد فعل على المحاولة الإنجليزية المتمثلة في إرسال القنصل الإنجليزي Diskson في طرابلس على غدامس بين 1852-1854 لتحويل أنظار التجار في هذه المدينة عن الجنوب الجزائري ومحاولة استقطاب المبادلات التجارية نحو الشمال.

كانت التحضير وانطلاق النقيب "دوبون مان" 26 نوفمبر 1856 وسلكت طريق الكثبان الرملية ودامت الرحلة 22 يوم وصلت يوم 17 ديسمبر على مدينة غدامس أين استقبلت ببرودة من طرف حاكم المدينة (عثمان باي) وسط معارضة شديدة من طرف سكانها بسبب شكوكهم حول نوايا هذه الزيارة Vuillot لذلك فشل في اقناعهم ولكن تقريره عن الأهمية التجارية المدين والوصف الطوبوغرافية لطريق العودة عبر بئر غرداية<sup>(2)</sup> الذي كان مجهولا حتى هذه الفترة.

ويبدو واضحا أن هذه المهمة قد حققت أهدافها حيث يعترف قادة الجيش الفرنسي بالخدمة التي قدمها النقيب (دوبون مان) والمتمثلة في انجاز مخطط مدينة غدامس ووصف دقيق لطريق العودة الذي لم يكن معلوما من قبل، إضافة إلى معلومات<sup>(3)</sup> حول عادات وتقاليد المنطقة وغيرها.

### للرحلة بوضربة إسماعيل 1858:- ( الملحق رقم 25 )

هو ابن أحمد بوضربة أحد المتعاملين التجاريين مع المدن الجنوبية الفرنسية قبل الاحتلال، تزوج بفرنسية في مرسيليا وكان أول ابناه إسماعيل (1823) الذي تلقى تعليمه في باريس واختار أن

<sup>1</sup> - A. Charbonneau, Relation, Op.cit, P.258.

<sup>2</sup> - NUMA. BROC, les français face à l'inconnue saharienne : géographes explorateurs ingénieurs (1830-1881). In : annales de Géographie, t 96, N°535, 1987 p.306.

- Vuillot.Paul, Op.Cit, p.49-54.

- A. Cherbonneau, Relation de voyage de M. le capitaine de Bonnemain A R'dâmes 1856-1857 Nouvelles annales des voyages, de la géographie de l'histoire et de l'Archéologie, Année 1857 T. 2<sup>eme</sup>, Arthus Bertrand, Editeur, Paris,pp 257-291.

<sup>3</sup> - Vuillot,op.cit., pp.47- 55 .



ينظم إلى الجيش كمتبرمج وقضى اغلب خدمته في الأغواط، وشارك في أغلب الحملات العسكرية الفرنسية نحو الصحراء.<sup>(1)</sup> توفي على اثر جروح خطيرة تعرض لها في نوفمبر 1878 في إحدى المعارك التي خاضها ضد المقاومة الشعبية في الصحراء في 16 سنة 1858 كلفه الحاكم العام "راندون" لاستكشاف شمال الأزديجار في اتجاه مدينة "غات" ويشير المارشال راندون في مذكراته أن هذه البعثة كانت لها طابع رسمي ووقع اختياره على بوضربة لثقافته وذكاءه وتكوينه الثقافي الفرنسي مع بقاءه على دينه الإسلام وكونه قادر على استيعاب أهمية هذه البعثة مع ضمان نجاحها في تحقيق أهدافها.<sup>(2)</sup>

انطلقت هذه القافلة في طريقها عبر قرارة- نقوسة وتماسين وسط منغوغ وصولاً إلى غات، وكان يرافقه الشيخ عثمان (شيخ الإيفوغاس) الذي يتمتع بنفوذ كبير في صحراء ومعرفة جيدة بالطرق والسبل واستقبل كذلك من شخصية من الطوارق الأزديجار والذي يتمتع بسلطة ونفوذ كبيرة وهو الشيخ "أخنوخ"، وكان لهاتين الشخصيتين الفضل في تهدئة الوضع في المنطقة وضمان أمن القافلة وتوفير الظروف الملائمة لتحقيق أهدافها الاقتصادية والاستكشافية التجسسية.

انطلقت القافلة 01 أوت 1858 من الأغواط ودخلت مدينة غات 26 سبتمبر 1858<sup>(3)</sup>، وبدعم من قائد الطوارق الأمينوكال إخنوخ والشيخ عثمان تمكن من إقناع سكان المنطقة بنوايا القافلة التجارية وفتح طريق تجاري بين غات والأغواط، مثل ما عمل النقيب (دوبون مان) على فتح طريق بين بسكر وغدامس<sup>(4)</sup>، ثم تمكنت هذه البعثة من تحقيق أهدافها الجغرافية بحيث تم استكشاف الطريق بين ورقلة وغات مع تحديد جغرافي دقيق لنقاط المياه ووضع خرائط دقيقة لكل هذه المناطق، أما من الناحية التجارية فقد أكد بوضربة أن حجم التجارة مع وسط أفريقيا ضخمة ولكن الانجليز يحتكرون هذه التجارة عبر طرابلس، ولكن لاستقطاب هذه المبادلات يكفي فتح طريق تجاري بين الجزائر وغدامس وغات، إضافة إلى أن هذه الرحلة صححت الأفكار المسبقة عن كون

<sup>1</sup> - Nécrologie, R.A, Vol 22, 1878, A. Jourdon, Libraire, éditeur, Alger, 1872, p 475.

<sup>2</sup> - (Jacques-louis-César. ALEXANDRE), Mémoires du Marechal RANDON, T.1<sup>er</sup>, Ed, Typographie LAHURE, Paris, 1875, pp.456-459.

<sup>3</sup> - Ismail Boudierba, Voyage A R'AT 1<sup>er</sup> décembre 1858, Imprimerie de Ch LACHUR, Paris, 1859, R.A.C, décembre 1859.

<sup>4</sup> - A. Bernad, N. La croix, Op.cit, pp.43-44.

الصحراء مناطق قاحلة دون مياه، بل يوجد بها مياه على أعماق قليلة وبها قبائل في مناطق ذات أراضي خصبة ففتحت هذه الرحلة الطريق أمام العديد من المستكشفين الآخرين أمثال (دوفريي).<sup>(1)</sup>

### للـ هنري دوفريي Hanri Duveyrier (1861-1860):- ( الملحق رقم 26)

يعد من أشهر المستكشفين للجزء الشرقي من الصحراء وهو صاحب كتاب « Les Touaregs du nord » ويحتوي على أربعة أجزاء خصص الجزء الأول للجوانب الجغرافية والجيولوجيا والثروات المعدنية، عن طريق وصف المظهر العام للمنطقة بين الكثبان الرملية والمناطق الجبلية والتركيبية الجيولوجية ثم الجوانب المناخية من درجة الجفاف والحرارة<sup>(2)</sup>، أما الجزء الثاني تعرض فيه لإمكانيات المنطقة وثرواتها المعدنية والنباتية الزراعية والحيوانية، والجزء الثالث خصص للمراكز التجارية والدينية التي تتحرك حولها القبائل التارقية، أما الجزء الرابع تعرض فيه إلى الطوراق من ناحية أصولهم وأهم القبائل وتركيبتهم الاجتماعية وتطورهم التاريخي وحياتهم الاجتماعية الداخلية وعاداتهم وتقاليدهم والعلاقات التي تحكم مختلف هذه القبائل فيما بينها، ثم وضع خريطة حقيقية وكانت دقيقة لمسار الرحلة التي قام بها حتى مدينة "غات" وأخرى افتراضية والتي اعتمد فيها على المعلومات التي أخذها عن الشيخ عثمان بن الحاج البكري عن مواقع القبائل التارقية.<sup>(3)</sup>

فكانت مهمة الاستكشاف التي قام "دوفريي" ذات أهمية كبير بالنسبة لعملية التوسع الفرنسي في منطقة الهقار والتاسيلي. فقد تمكن من تقديم معلومات دقيقة في مجال التضاريس والتركيبية الجيولوجية والمناخ والنبات والحيوان ومناطق تواجد المياه إضافة إلى التنظيمات السياسية والاجتماعية للطوراق.

ولعل أهم إنجاز هو الخريطة التي أعدها للمناطق التي قام بزيارتها، حيث اعتمد عليها أغلب الرحالة والمستكشفين فيما بعد وكذلك الاستطلاعات العسكرية في بداية القرن 20، أما على

<sup>1</sup> - Vuillot, pp.54-57.

<sup>2</sup> - Schimer Henri, Henri Duveyrier, In : Annales de géographie, T1, N)4, 1892, pp.415-416.

<sup>3</sup> - A. Bernard, N .Iacroix, Op.Cit, pp.46-47.

مستوى العلاقات الإنسانية فقد تمكن هذا المغامر الشاب من نسج علاقات ممتازة مع الشخصيات الفاعلة والمؤثرة والمتنفذة في المنطقة أبرزهم الأمينوكال أخنوخن لكونفدرالية كال أزدجار ومقدم الطريقة التجانية وشيخ قبيلة الأيفوغاس المرابطية الشيخ عثمان الذي اعتمد عليه العديد من الرحالة المستكشفين الفرنسيين في المنطقة.

للبعثة MIRCHER وPOLIGNAC و اتفاق غدامس (أكتوبر 1862 / ديسمبر 1962):-

كان للرحلة التي قام بها "دوفريبي" في الجنوب الشرقي (اغدامس وغات) آثار إيجابية ساعدت على تحضير الأرضية لكل المستكشفين والبعثات التي اختارت هذه الوجهة، فبفضل العلاقات الإنسانية التي نسجها "دوفريبي" مع أكثر الشخصيات الدينية والسياسية تأثيرا في هذا الإقليم أصبح من الممكن ومن السهل القيام بزيارة هذه المناطق تحت حماية هذه الشخصيات أهمها الشيخ عثمان بن بكري مقدم الطريقة التجانية في تمانين وشيخ قبيلة الأيفوغاس المرابطية والتي كانت محل احترام وتقدير أغلب القبائل والفصائل التارقية وقائدا أو أمينوكال كونفدرالية الأزدجار "إخنوخن"، وكان صهر أمينوكال كونفدرالية "كال أوي" وكان يطمح إلى أن يتراأس الكونفدراليات الأربعة لطوارق الشمال (الأهقار- الأزدجار- أولبيدان- كال أوي "الأير").

ويظهر جليا استعداد هذه القيادات السياسية على قبول تواجد الأجانب المسيحيين تحت أي غطاء كان في مناطقهم من خلال الرسالة التي بعثها الأمينوكال أخنوخن إلى المارشال بيليسي الحاكم العام للجزائر قائلا "يمكنكم إرسال فرنسيين سوف يلقون كل الترحيب، وبإذن الله سوف نوفر الأمن لهم حتى أراضي السودان"<sup>(1)</sup>

بناء على هذه المعطيات الداخلية ظهرت فكرة اتفاق الصداقة والتجارة بين فرنسا ومنطقة غدامس ممثلة في السلطة المحلية والقوي المسيطرة على الطرق حولها، والأمر الذي ساعد على تذليل الصعوبات لتحقيق هدف عقد معاهدة تجارة بين الطرفين هو الشيخ عثمان الذي كان متواجدا في مدينة الجزائر، عندما عرضت عليه الفكرة، فرحب بها وكان له دور بارز في إنجاح عقد الاتفاق.

<sup>1</sup> - Viullot,op.cit p.77

كلفت سلطة الاحتلال ممثلة في الحاكم العام في هذه الفترة DUC de Malakoff المارشال "دوق مومالاكوف"، الرائد MIRCHER "ميرشير" والنقيب De polognac بمهمة التفاوض لعقد المعاهدة التجارية وكانت هذه البعثة مكونة كذلك من de Vatonne مهندس في البحث عن المعادن Hoffmann طبيب وإسماعيل بوضربة مترجم وانطلقت البعثة من الجزائر إلى طرابلس التي حلت بها 1862/09/28 وبعد تسوية كل الإجراءات مع السلطة التركية الحاكمة انطلقت البعثة باتجاه غدامس "04 أكتوبر ووصلت إليها في 21 أكتوبر.<sup>(1)</sup>

بدأت المفاوضات يوم 24 نوفمبر بين الوفد التارقي المكون من الحاج جبور شيخ قبيلة إيميغاساتن والشيخ عثمان من الإيفوغاس وعمر الحاج أخ أخنوخن الذي فوضه بحضور المفاوضات وتم الاتفاق وتوقيع بنود المعاهدة يوم 26 نوفمبر مضمون هذا الاتفاق الذي احتوى على أربعة فصول، وتضمن الفصل الأول عن ترسيخ العلاقات الودية والسلمية بين الطرفين أما الثاني نص على السماح بدخول تجار إلى أسواق التل دون قيد أو شرط ما عدا التزام دفع المكس المفروض على الجميع، أما الثالث تضمن التزام طوارق الازدجار بضمان أمن الطرق التجارية الصحراوية حتى السودان مع دفع مستحقات الحماية.

أما الفصل الرابع فقد اعتمدت فرنسا على تعاون الطوارق وحسن نيتهم في تحديد الطرق التجارية الصحراوية إلى أسواق السودان، على أن تتحمل تهيئة هذه الطرق مثل مراكز انتقالية وحفر الآبار، وتم توقيع الاتفاق من طرف عمر الحاج بن عثمان أخ أخنوخن وعثمان بن الحاج البكري من الإيفوغاس.<sup>(2)</sup>

ثم أضيف ملحق الاتفاق الذي تضمن بعض المواد التفصيلية حول المعاملات التجارية في إطار الفصول السابقة.<sup>(3)</sup>

<sup>1</sup> - Mircher, Mission de Ghadamès (septembre- décembre 1862) Rapports officiel et document A L'appui, Typographie duclaux, Alger, 1863, p.03.

<sup>2</sup> - Ibid,pp.16.20.

<sup>3</sup> - Marcel dubois, Aguste Terrie, les colonies françaises. Un Siècle d'expansion coloniale, Ed Augustin. Challamel, Paris, 1902, pp.322-324.

تمكنت هذه البعثة إضافة إلى عقد الاتفاق من تحقيق عدة أهداف أهمها جمع معلومات دقيقة حول الطريق الرابط بن غدامس وكانو (kano) وبين كانو و سوكتو Sokoto<sup>(1)</sup> والطريق بين غدامس وتمبوكتو عبر عين صالح، ثم وصف للحالة السياسية والاجتماعية للمناطق جنوب الصحراء في برنو (Bornou) والسودان ثم دراسة حول طبيعة الأرض والمياه في المنطقة التي مرت عبرها البعثة من طرف « Vatonne » ثم دراسة أخرى حول الحالة الصحية التي أعدها Hoffmanan ومعلومات حول غدامس مع مخطط تفصيلي للمدينة.

إذا حاولنا تقييم هذه المعاهدة التجارية. أغلب الآراء حول إهمال السلطة الفرنسية لهذا الاتفاق وعدم الاستفادة منه في التوسع جنوبا في الأيبر، حيث تم التشكيك في أهميته حيث أشار الملازم Viullot نائب قائد المكتب العربي في جيريفيل (البيض) في تقريره في 17 ديسمبر 1862 قائلا " لا يمكن لأي قائد من الطوارق أن يضمن المرور بأمان في الصحراء ... ولا يعترف الطوارق بأي قائد من قاداتهم ..."<sup>(2)</sup> والعامل الذي جعل أغلب الآراء تميل إلى هذا الاتجاه هو الشخصيات التي حضرت من جانب الطوارق مفوضة من طرف الأمينوكال أخنوخن الذي لم يحضر المفاوضات، إضافة إلى غياب محمد حَتيتا Mohamed Hatita جبور آغ شيخ و كالا وهم قادة قبائل الأزدجار، والحاج عبد القادر من أولاد باحمو شيخ عين صالح والشيخ عثمان مرابط التيجاني في تماسينين من قبيلة الإيفوغاس، مما أثر على مصداقية الاتفاق وشجع الكثير من المحليين على تبني عدم جدوى الاتفاقية، أما الفريق الذي كان يؤمن بأهمية الاتفاق واعتبروه فرصة هامة يجب استغلالها لربط سواحل البحر المتوسط بالسودان فقد عبر عن هذا الرأي « E. Masqueray » (أنثروبولوجيا إثنولوجيا ليسانيات) (1843-1894).

الذي كان يرى أن هذا الاتفاق يسمح بإقامة علاقات تجارية منتظمة ودائمة مع الأمينوكال أخنوخن والشيخ عثمان. وهذه العلاقات الودية تسمح بفتح ثلثي مساحة الصحراء دون استخدام السلاح، ويمكن باستخدامهم كوسيط من ربط علاقات مع طوارق الأيبر، وتستخدم نفس الطريقة

<sup>1</sup> - SOKOTO: تقع في شمال غرب النيجر على بعد 660 كلم شمال غرب أبوجا العاصمة.

<sup>2</sup> - Augustin Bernard, op.cit., p.51.

مع طوارق الأهقار و الأوليمدان، وكان هدف الوصول إلى التشاد والنيجر ممكنا ولكن لم يتم استغلال هذه الفرصة.<sup>(1)</sup>

أما الرأي الموضوعي في تقييم معاهد غدامس 1862 جاء في تقرير للرائد De Colomb قائد دائرة الأغواط<sup>(2)</sup>، استعرض فيه بشكل دقيق الصعوبات التي تعترض تحويل التجارة في غدامس وغات نحو ورقلة مثل المسافة البعيدة عن الساحل، فالمسافة التي تفصل غات و غدامس مع سواحل طرابلس هي نفسها المسافة بين المدينتين و ورقلة، ثم يضاف لها حوالي 700 كلم للوصول إلى سواحل الجزائر- إضافة إلى جهل التجار التام بطبيعة الأسواق في الجزائر والسلع الموجودة بها، وصعوبة تغيير المواد المصنعة التي تعود السودانين شراءها، ولا يمكن للمواد المصنعة الفرنسية، منافسة السلع الإنجليزية بسبب تكفله النقل المرتبطة بالمسافة التي تفصل مصدر السلعة بالسوق.

إضافة إلى أن اتجاه المبادلات هو من الشمال نحو الجنوب ثم العودة ويعتمد على تجارة العبيد التي كانت تدر أرباحا طائلة وكان يسيطر على هذه التجارة التونسيون والطرابلسيون في الناحية الشرقية، البديل الذي طرحه في هذا التقرير وهو تحويل التجارة نحو المناطق الغربية لجنوب الصحراء ولكن لا يمكن تحقيق هذا الهدف إلا بعد السيطرة على عين صالح في تيديكلت وتوات وعاصمته أدرار أين تتجمع القوافل الآتية من الجنوب، وبالتالي بقيت هذه المعاهدة حبرا على ورق وأهمتها السلطات الفرنسية مع أن الجانب التارقي بقي ملتزما بمضمونها وتكفل طوارق الأزديجار بحماية الرحالة الأوروبيون الذين قصدوا أراضيهم مثل "جيرارد غولف" وفلاتيرز في رحلته الأولى 1881 ولكنه في الرحلة الثانية غير وجهته نحو الأهقار فقتل 1881، وكان من بين الفرنسيين الأولي Gaston Mery الذي توجه إلى "بحيرة مانغوغ" والتقى بمولاي ابن أخت إخنوخن وخليفته في السلطة الذي صرح لهذا الرحالة 1892 بعد 30 سنة مع توقيع المعاهدة أن طوارق الأزديجار لا زالوا ملتزمين ببنود الاتفاقية وتوفير الأمن في أراضيهم للأجانب، ولكن بشرط دون جنود أو جيش، مع العلم أن في نص الاتفاق عبّر عن الطرف التارقي بـ "الأمة التارقية Nation Touareg" أي أن

<sup>1</sup> - Journal des Débats politique et littéraires. 14/05/1892, p.3

<sup>2</sup> - Rapport sur l'établissement d'agences française pour le commerce du sud à Ghadamès à Ghât. a Ouargla et in Salah, De Colomb commandant du cercle de laghouat 22 aout 1860- boite22h 33, Anom.

المعاهدة كانت بين دولتين ذات سيادة وهذا العامل أثار حفيظة الجناح المعارض للاتفاق وحاول التشكيك فيه وعدم العمل به وإهماله.

### المرحلة بين 1862-1881، بين معاهدة غدامس ومقتل فلانيرز:-

يتفق أغلب من كتب عن الاستكشافات الجغرافية في منطقة التاسلي ناجر والهقار، من العلماء المتخصصين في أغلب العلوم ومن العسكريين الفرنسيين، أن هذه الفترة تميزت بالجمود والركود من الجانب الفرنسي و تراجع ملموس في حركة القوافل التجارية نحو الجزائر يعود ذلك إلى ثورة أولاد سيدي الشيخ التي عمت كل الجنوب والوضع الداخلي في فرنسا عند انتقالها إلى الحكم المدني وقيام جمهورية الرابع سبتمبر 1870، بعد الحرب التي انهزمت فيها أمام بروسيا بقيادة بسمارك وتأسست على أثرها دولة ألمانيا الجرمانية كقوة لا يستهان بها في أوروبا والعالم.

لكن أهم الرحلات الاستكشافية التجسسية التي حققت معظم أهدافها العلمية والجغرافية قام بها رحالة ألمان مثل غولف جيرارد" 1862 في حين أن الرحلات الاستكشافية الفرنسية كانت فردية ومعزولة دون تخطيط مسبق للأهداف المراد تحقيقها وعامة أغلب هؤلاء الرحالة قليلي الخبرة وغير مثقفين، لذلك كانت نتائج هذه الرحلات متواضعة من الناحية الجغرافية وكذلك من ناحية التوغل التجاري الاقتصادي في الصحراء الشرقية، إضافة إلى تصميم القيادات السياسية لقبائل الطوارق في الصحراء بمقاومة كل محاولات التوغل داخل مناطقها مهما كان نوعها خاصة في منطقة طوارق الأهقار.<sup>(1)</sup>

فقد قام « Paul Soleillet » 1874 بتكليف من الغرفة التجارية للجزائر لاستكشاف الطريق بين مدينة الجزائر وعين صالح عبر الأغواط وميزاب، والقوليلة (منبوعة) وكلف بعرض بعض المنتجات المصنعة في هذه الأسواق واقتناع بعض التجار بعرض منتجاتهم الصحراوية في الأسواق الشمالية ولكن هذه المهمة كانت مستحيلة بحيث تم توقيفه في أول قصر في شمال تيدكلت (عين صالح) وهو قصر مليانة ومنع من التقدم ووصله تهديد بالقتل إن لم يغادر الواحة فوراً، ورجع

<sup>1</sup> -Augustin. B. Op.Cit, p.62.

أدراجه دون أن يتقدم نحو تيديكلت، ولكنه لم يكن خبيراً في استكشاف المناطق التي زارها وكل ملاحظاته كانت بعيدة عن الواقع ولا يمكن استغلالها من طرف الخبراء واعتبر من الرحالة الهواة.<sup>(1)</sup>

أما المغامرين الذين حالوا التوغل دون الأخذ بعين الاعتبار قرار قبائل الصحراء برفض قاطع لأي تدخل أجنبي مهما كان نوعه وذرائعه، فقد قام الرحالة الفرنسي Dournaux- Dupéré الذي كان موظف في البحرية ثم اشتغل كمدرس في فرندة، ولكنه كان يتوق إلى استكشاف الصحراء خاصة بعد لقاءه بإسماعيل بوضربة في قسنطينة 1873 الذي استعلم منه عن آخر الأخبار في الصحراء وكان هدفه الوصول إلى النيجر ولكن عبر غدامس وغات وتحت حماية أخنوخن، وفي توقرت إلتقى بأحد التجار الفرنسيين Joubert الذي أراد مرافقته إلى غدامس وغات لأهداف تجارية<sup>(2)</sup>، وتمكن هذا المستكشف من وضع خريطة لجزء هام من وادي إيغرغر الذي كان مجهولاً والمعلومات القليلة المتوفرة عنه افتراضية قام بجمعها دوفيري من خلال المعلومات التي جمعها من الأهالي وأثناء إقامته في غدامس تعرض إلى مضايقات من الطوارق إيمنغاساتن، وفي طريقها إلى غات تمت مهاجمتها وقتل دورو وجويير وكل أفراد القافلة ما عدا المرافقين لهما ويبدو أن الوضع السياسي كان غير مستقر خاصة بين الأزديجار بقيادة اخنوخن والإيمنغاساتن من الأهقار المعادي لفرنسا ومقاومة بوشوشة ضد الاحتلال.<sup>(3)</sup> لذلك أي تدخل يعتبر جوسسة وتحضير للغزو.

فقد تفتن الطوارق لأهداف الرحلات التجسسية خاصة في المنطقة الأهقار لذلك ركزت فرنسا كل محاولاتها نحو الجنوب الشرقي أي غدامس وغات، فبعد محاولة دورنو دوييري التي انتهت بمقتله، أرسل الحاكم العام Chenzy بالمستكشف فيكتور لارقو « Victor Largeau » إلى 1874 إلى غدامس قاصداً غات لإنجاز مهمة تنظيم التجارة بين غدامس والجزائر، ولكنه لم يتمكن من الوصول إلى غات بسبب الحرب التي كانت قائمة بين الطوارق الأزديجار والأهقار لذلك اكتف بعقد اتفاق مع تجار غدامس، ولكن موقف السلطة التركية كانت تحول دون تحقيق هذه الاتفاقيات

<sup>1</sup> -Jacque Valette, Pénétration française au Sahara et exploration : le cas de paul soleillet, R.F.H.O.M, tome 67, N67, N°248-249, 3<sup>eme</sup> et 4<sup>eme</sup> trimestre 1980, pp.253-267.

.- Paul Soleillet, L'Afrique occidentale Algérie, Mzab, Tidikelt, Ed L. seguin Aine Avigbou 1877.

<sup>2</sup> -Vuillot, Op.Cit, pp.120-125

<sup>3</sup> -Henri Duveyrier, Voyage au Sahara par Norbert Dournaux- Dupéré, Réd d'après sou journal et ses lettres, extrait du Bulletin de la société de Géographie, Aout 1874, Imprimerie E.Martine, Paris, 1874, pp.56-58.



حتى لا تفقد التجارة بين هذه المناطق وطرابلس ورغم محاولة "الارجو" سنة 1876 1877 إلا أنها كانت دون جدوى، وبقيت المنطقة تحت نفوذ السلطة التركية<sup>(1)</sup>، وأسفرت الحرب بين الطوارق (الأزدجار- الأهقار) بفقدان الأزدجار وقائدهم أخنوخن لكل نفوذه بعد هزيمته أمام الحاج أحمد قائد الأهقار في ربيع 1876 وبعد وفاة الحاج أحمد خلفه أهيتغال في ابريل 1876 ثم تدخلت السلطة التركية في غدامس لعقد الصلح بين التوارق، ونتج عن هذا الصراع:

- أصبح الهقار سادة الصحراء وغات وتوات.
- انتهك أمن طريق غات- غدامس بعد ذلك الصراع، وانحرف الطريق تجارة السودان طرابلس على طريق طرابلس- مرزوق- بيلما فتحترت التجارة من سيطرة غدامس.
- دخلت غات تحت الحكم التركي لضعف الأزربيين أمام الهقار.<sup>(2)</sup>

ورغم الصرامة التي تعامل بها التوارق مع المغامرين الأوروبيين، إلا أن الأمينوكال إخنوخن قائد كونفدرالية الأزدجار في منطقة التاسيلي والشيخ عثمان مقدم الطريقة التجانية في تماسينين من قبيلة الإيفوغاس، ساهموا في إفشال الغلق التام للصحراء أمام هؤلاء الجواسيس، حيث وفروا الحماية لعدد من الرحالة وبفضل هذه الحماية تمكن هؤلاء الجواسيس من وضع خرائط دقيقة للمناطق المجهولة لديهم.

فقد تمكن Erwin de Bary "أروين دو باري": الطبيب الألماني الذي كان مهتما بالصحراء، بتعلم اللغة العربية والأمازيغية لطوارق الشمال، وتنكر في زي طبيب تركي وتمكن من الوصول ودخول مدينة غات في 10 أكتوبر 1876، واستطاع هذا المستكشف من القيام برحلة إلى عمق التاسيلي لاستكشاف بحيرة « Imehrou » أين وجد آثار تماسيح، رغم المعارضة الشديدة من بعض التوارق الأزدجار ولكن الشيخ عثمان قائد قبيلة إنمنغساتن وفر له الحماية وقام بالمجازفة في مرافقته إلى التاسيلي عندما راجت بعض الأخبار أن قوات الأهقار موجودة في هذه المناطق وأثارت هذه الأخبار هلعاً كبيراً في المنطقة، ورغم ذلك تمكن "دوباري" من إقناع القائد عثمان للذهاب

1 - عبد الرحمان تشايحي، الصراع التركي - الفرنسي في الصحراء الكبرى، تر: علي عزازي، مراجعة محمد الأسطي، الجماهيرية الليبية، 1982، ص ص 83-85.

2 - المرجع نفسه، ص 86.

واستكشف بحيرة واد "مهيرو" أو "إيمهيرو" واستغرقت الرحلة من 12 أكتوبر إلى 10 نوفمبر من نفس السنة 1876 م.<sup>(1)</sup> ثم عزم بالتوجه في رحلته إلى الأيبر ولكي يضمن أمنه كان يريد أن ينظم إلى إحدى الطرق الدينية المسيطرة في المنطقة الجنوبية للصحراء مثل السنوسية أو الطيبية ولكنه لم يتحصل على ثقة شيوخ هذه الطرق في غات، واستغل ذهاب قافلة من "كل أوي" أو الأيبر وبتوصية من قائم مقام مدينة غات التركي "الصافي" إلى بعض الشخصيات وقيادات القبائل في منطقة "الأيبر"، فكان أول الأوربيين الذين تمكنوا من التوغل إلى هذه المناطق وقام بتصحيح العديد من الأفكار الخاطئة حول هذه المناطق إضافة إلى المعلومات القيمة التي جمعها على كافة الأصعدة من الجغرافية إلى التركيبة البشرية إلى النبات والحيوان والمناخ وبعض الأحداث السياسية في هذه المنطقة استغرقت هذه المرحلة من 17 فيفري 1877 إلى عودته إلى غات في 05 أكتوبر 1877<sup>(2)</sup> ولكن أنهكه السفر ومناخ الصحراء إلى درجة أنه مات بمجرد عودته من هذه الرحلة.

#### ﴿ المرحلة بعد مهمة فلاتيرز 1880 م:﴾

جاءت مهمة الكولونيل فلاتيرز في إطار مهمة مشروع خط سكة الحديد نحو السودان وسبق وأن استعرضنا جذور هذه الفكرة للمهندس « Duponchel »، فكلف الكولونيل فلاتيرز بدراسة واستكشاف الطريق على السودان، بحيث كان يعرف اللغة العربية ويفهم اللهجة المحلية، وبمأنه عاش في جنوب قسنطينة فقد كان يعرف التقاليد المحلية لذلك وقع عليه الاختيار ليتأخرس هذه البعثة مع مجموعة من المهندسين والعلماء في عدة ميادين وحوالي 42 جنديا مسلحا للحراسة.

وصلت البعثة إلى مدينة الجزائر يوم 12 جانفي 1880 ثم توجهت إلى قسنطينة ومنها إلى بسكرة أين يتم تجميع والتحصير لبداية الرحلة التي انطلقت منها يوم 07 فيفري متوجهة نحو توقرت وخيموا في تماسين مركز الطريقة التيجانية وشيخ سي معمر، حتى تستفيد هذه البعثة من نفوذ هذه الطريقة في الصحراء والسودان عن طريق رسائل توصية لكل أتباع هذه الطريقة في السودان، ثم أرسل أحد أعوانه لمرافقة هذه البعثة التي غادرت تماسين يوم 19 فيفري متجهة نحو

<sup>1</sup> -Henri Schimer, le dernier rapport d'un Europeen sur Ghat et les Touareg de L'air (journal de voyage d'erwin de Bary 1876-1877), Librairie FISCH Bacher, Paris, 1898, pp.37-67.

<sup>2</sup> -Ibid, pp.111-195.

ورقلة التي وصلها يوم 25 فيفري<sup>(1)</sup>، شرعت البعثة في الاستعداد الحقيقي للتوجه جنوبا إلى الصحراء واقتصرت الرحلة على ما هو ضروري فقط من مؤونة والأجهزة والسلاح والسلع فبلغ عدد الجمال في هذه البعثة حوالي 300 جمل، توجهت هذه القافلة الاستكشافية عبر واد إيغرغار نحو تماسينين إحدى مراكز الطريقة التجانية التي كانت في خدمة مصالح الاستعمار، ثم إلتقى بأحد قيادات الإيفوغاس المرابطين وتوجه نحو تبلبالت التي وصلها يوم 04 أفريل<sup>(2)</sup>، ثم عين الحجاج وصولا على بحيرة منخور في 17 أفريل أين نصبوا خيامهم في انتظار مجيء قيادات الطوارق الأزديجار، ولكنهم لم يأتوا وأدت طول مدة الانتظار إلى نفاذ المؤونة، لذلك حاول فلاتيرز التوجه نحو الشرق ولكن اعتراضهم قبيلة ايمنغاساتن منعتهم من التقدم لعدم حصولهم على الترخيص من زعمائهم، لذلك منعوا من المغادرة فقرر فلاتيرز الهرب ليلا نحو ورقلة وتحركت البعثة يوم 20 أفريل نحو ورقلة ودخلها يوم 15 ماي على أن يحاول إعادة تنظيم رحلته الثانية.<sup>(3)</sup>

من أهم نتائج هذه البعثة في الجانب الجغرافي هو وصف دقيق لحوالي 1200 كلم من مناطق كانت مجهولة حتى نهاية البعثة ثم معت معلومتا دقيقة للمناطق الواقعة جنوب ورقلة ثم تعرفت على الممر الوحيد الخالي من الكثبان الرملية في العرق الشرقي الكبير في وادي إيغرغر، ثم قام بوضع خريطة طوبوغرافية للمناطق الشمالية للتاسيلي إضافة على العديد من التقارير في جميع الجوانب تسعى كلها للتعرف على المنطقة بشكل دقيق وتفصيلي.<sup>(4)</sup>

في مهمته الثانية أكتوبر 1880 فيفري 1881 تلقى فلاتيرز عدة تهديدات غير مباشرة تمنعه من القيام بهذه الرحلة خاصة من أمينوكال الأهقار أهيتغال ومن عدة جهات مثل Fouraud القنصل الفرنسي في طرابلس الذي نصحه بعدم القيام بهذه الرحلة.

<sup>1</sup> -Henri Brosselard, les deux missions Flatters au pays des Touareg Azger et Hoggar, Librairie Furne jouvet, Paris, 1889, pp.7-59.

<sup>2</sup> -Henri Duyverier, Sahara Algérienne et Tunisien journal de route, Ed, Auguste Challamel, El, Paris, 1903.

<sup>3</sup> -Brosselard, Op.Cit, p48.

<sup>4</sup> -Augustin, Bernard, Op.Cit, p.83.

انطلقت الرحلة من ورقلة عبر واد مية ثم شرق تادميت وصولاً إلى واد إيغرغر في أمغيد ونتوغل في الأهقار متجاهلاً التهديدات في آخر رسالة له أعلن أنه سوف يصل إلى « ASSIOU »<sup>(1)</sup> الواقعة في طريق القوافل بين KANO<sup>(2)</sup> وطرابلس عبر الأيبر، ولكن يوم 16 فيفري 1881 وصل إلى "بئر الغرامة" الواقع شمال غرب « TADEUT » بـ 108 كلم وهناك تم تصفيته مع كل أعضاء هذه البعثة ولم ينج منهم إلا عدد قليل من الجزائريين، أما الفرنسيون فلم ينج منهم أحد، وبقيت هذه القضية غامضة وغير واضحة.

من أهم نتائج هذه الرحلة توقف التوغل والبعثات بجميع أشكالها في الصحراء مدة 20 سنة، فقد توقفت كل الاقتراحات التي كانت تقدم من طرف بعض الشخصيات الفرنسية حول الصحراء وتمكن الأهقار من المحافظة على استقلال منطقتهم التي لم يتمكن أي أوروبي من استكشافها.

أجمع الطوارق على منع تقدم هذه البعثة إلى عمق الصحراء للمرور على السودان، رغم الخلافات التي كانت قائمة بينها، حتى قبائل الأزديجار وبقيادة اخنوخن والإيفوغاس وشيخها عثمان التي وفر الحماية إلى العديد من الأوربيين مثل دوقريبي وغيره، كانت ضد تقدم هذه البعثة ويعود ذلك في الأساس إلى طابعها العسكري الذي أظهرته أمام وفد الإيفوغاس ووفد إيمنغساتن في منتصف شهر أفريل أين تم استعراض قوة السلاح الفرنسي النارية ودقته في الرمي للتأثير على معنويات الحضور من الوافدين الذين تأكدوا من نوايا هذه البعثة التوسعية، ويظهر ذلك من خلال محتوى الرسائل التي رد فيها أمينوكال الأهقار "أهيتغال"<sup>(3)</sup> على رسائل القائد فلاتيرز في رفضه القاطع لفتح الطريق أمام البعثة على السودان وإن كان يريد زيارة غات عليه أن يوضح سبب الزيارة قبل المجيء.<sup>(4)</sup>

<sup>1</sup> - بئر Assiou: بئر يقع بين غات والأيبر.

<sup>2</sup> - Kano (كانو): تقع في شمال نيجيريا على ملتقى طرق القوافل دخلها الإسلام بفضل التجار المسلمين في القرن 14م وفي بداية القرن 19م أصبح حاكمها مسلماً.

<sup>3</sup> - أهيتغال: امينوكال على كنوفدرالية الأهقار 1877-1900. يونس ابن محمد بيسكا والأم تيجني ملت.

<sup>4</sup> - M. Bernard, deuxième missions Flatters, historique et rapport adolphe jourdan, Alger, 1882, pp.3-8.

أما العمل الخطير الذي حقق إجماع الطوارق على رفض أي توغل واستخدام القوة ضده هو مشروع خط سكة الحديد العابرة للصحراء الذي يهدد نظامهم الاقتصادي بالزوال القائم على تجارة القوافل بين السودان والمناطق التلية في الشمال.

بعد هذه الحادثة حصل شلل تام في البعثات التجسسية نحو الصحراء ما عدا بعض المحاولات الفردية والتي انتهت بمقتلهم مثل محاولات القس Richard برفقة الأب Morat والأب Pouplard انطلقوا من غدامس في ديسمبر 1881 نحو "غات" وتم تصفيتهم بعد خروجهم بأيام من غدامس.<sup>(1)</sup>

أما الملازم Marcel Palat الذي حاول فتح الطريق نحو تمبوكتو ورغم الحماية التي وفرها له سي حمزة من أولاد سيدي الشيخ عن طريق قايد البيض "جيريفيل" سي قدور ومنها ذهب إلى القوليعة التي غادرها 03 ديسمبر 1885 متجه نحو قورارة عبر مغيدين وتم تصفيته عند حاسي الشيخ الواقع غرب عين صالح بمسيرة 04 أيام في 22 فيفري 1886.<sup>(2)</sup>

واستمر هذا الغلق التام للمناطق الصحراوية إلى أن قام فورو (Foureau) ولامي (Lamy) بالرحلة التي اعتمدت على قوة عسكرية مجهزة بأسلحة متطورة يقودها الضابط لامي (Lamy) وصل تعدادها على 375 جندي إضافة إلى فرقة مكونة من مختلف التخصصات العلمية وألف جمل ومنها بدأت عملية الغزو والجمع بين شمال إفريقيا والسودان والتشاد.

تمكنت هذه الحملات المتواصلة من التعرف على هذه المناطق من الناحية الجغرافية في شكل التضاريس وخصائص المناخ والمسالك السهلة والتي تتوفر فيها المياه، إضافة إلى التعرف على سكان المنطقة وعاداتهم والنزاعات التي كانت قائمة بينهم وكيفية الاستفادة منها.

بينما واجه التوارق هذه الهجمات والتوغل بعزيمة قوية تحت راية الإسلام وقصد الجهاد في سبيل الله وطلبوا المساعدة من الأتراك ليستمروا في جهاد الكفار ويظهر ذلك من الرسالة التي بعثها

<sup>1</sup> -Ibid, p.98.

<sup>2</sup> -Marcel Frescaly (L<sup>nt</sup> Palat), Journal de route et correspondance, Ed Charpentier, Paris, 1886, pp 26-28

إخنوخن قائد الأزديجار على قائمقام غدامس يطلب فيها الدعم والمساعدة<sup>(1)</sup>، وحاول التوارق حل كل نزاعاتهم الداخلية والاتحاد لمواجهة الغزو المسيحي الأجنبي من الرسالة التي بعثها أهيتغال امينوكال الأهقار إلى أخنوخن امينوكال الأزديجار الذي يذكر فيها ضحايا هذه النزاعات من الطرفين وضرورة إيقاف إراقة الدماء وأن المستفيد من هذا النزاع هم الفرنسيون والأتراك و"التيبو" لذلك من الضروري الاتفاق على السلام، وتمثل عرضه في أن يعقد لقاء بين قيادات الكونفدراليتين الأهقار الأزديجار في سهل آدمار بالقرب من جانت بحضور شيوخ من الأيبر وشريف تونين والاتفاق على إحلال السلام والاتحاد لمواجهة الغزو الأجنبي.<sup>(2)</sup>

وبعد عد محاولات تمكن من اقناع أخنوخن بإزالة سبب الحرب والخلاف مع قبيلة الإيمانان النبلاء سنة 1878<sup>(3)</sup>، أصبحت معظم المناطق الصحراوية في نهاية القرن 19 قد استكشفت وبعضها وصل إليه الاستعمار فقد سيطر على التيديلكت والتوات شمالا وهي أسواق تتوقف عليها مستقبل وحياة الطوارق وتقدم التوسع الاستعماري جنوبا في السودان فأصبحت كل الأسواق جنوب الصحراء وشمالها تحت سيطرة أو مراقبة الاستعمار. مما جعل الوضع ينتقل إلى المقاومة المسلحة ضد الاستعمار.

#### 4-5 المقاومة المسلحة للاستعمار في منطقة الأهقار والتاسيلي:

الفترة ما بين 1890-1902:- في 05 أوت 1890 انعقدت الاتفاقية الفرنسية البريطانية حول تحديد مناطق النفوذ أو المستعمرات في إفريقيا الوسطى ونصت على أن منطقة النفوذ الفرنسية هي كل المناطق الواقع جنوب ممتلكاتها المتوسطية وتمتد من Say على نهر النيجر إلى Barroua الواقعة في بحيرة تشاد<sup>(4)</sup>، فأصبحت المناطق الجنوبية الصحراوية عامة ومنطقة الجنوب الشرقي الجزائري خاصة منطقة فرنسية وتخلصت فرنسا من كل الضغوط الدبلوماسية الدولية التي قد تمارسها عليها القوى العظمى أثناء توسعها الاستعماري على حساب هذه المناطق.

1 - عبد الرحمان تشايحي، المرجع السابق، ص 95.

2 - Henri Schirmer, Dernier Rapport d'un Européen sur Ghat, Op.Cit, p.83.

3 - Benhazera, Op.Cit, p.121.

4 - Marcel Dubois. Auguste Terrier, Les colonies françaises, un Siècle d'expansion, coloniale, Ed challamet, Paris, 902, p.534.

وشهدت سنة 1890 تأسيس "لجنة إفريقيا الفرنسية" «Le Comité de L'Afrique Française» بمبادرة من شخصيات مؤثرة في الجانب السياسي في فرنسا ولعبت هذه اللجنة دورا محوريا في عملية التوسع والتوغل الاستعماري في الصحراء خاصة في إفريقيا عامة.<sup>(1)</sup>

أما الحدث البارز الذي ميز تاريخ التوسع الاستعماري الفرنسي في إفريقيا جنوب الصحراء كان في ديسمبر 1893 عندما تمكن الملازم Vaisseau Boiteux على متن زورق حربي من احتلال مدينة تمبوكتو مستغلا عنصر المفاجئة وكانت هذه المدينة مركزا سياسيا وتجاريا اقتصاديا هاما في المنطقة.<sup>(2)</sup>

في حين على المستوى الداخلي فقد تم احتلال القوليلة (المنيعة) بصفة دائمة 1891 والسنة الموالية قام الحاكم العام للجزائر Combon بزيارتها، الأمر الذي أهلها لأن تصبح مركزا أو قاعدة تنطلق منها الحملات التوسعية نحو الجنوب، وأظهر الحاكم العام اهتماما كبيرا بالتوسع جنوبا فقد حاول وضع سياسة توسعية تدريجية لظم والسيطرة على الواحات في توات كخطوة تحضيرية لتحقيق الوحدة بين مستعمرات فرنسا التلية الشمالية ومستعمراتها في إفريقيا الوسطى جنوب الصحراء.

وكان الزوارق الطرف الوحيد الذي لا زال متماسكا إلى حد ما، ويمكنه أن يقف في مواجهة ومقاومة التوسع الفرنسي خاصة بعد ظهور الطريقة السنوسية<sup>(3)</sup>، وانتقال شيخها إلى واحة كفرا (Koufra) في وسط الصحراء وأخطر مناطقها حتى يكون مستقلا بشكل تام.<sup>(4)</sup>

وكانت الطريقة السنوسية من أشد الطرق عداوة للتوغل الاستعماري الأوروبي في الصحراء، ومن واحة كفرا بدأت دعوته وتأثيره ينتشر بين قبائل التوارق والذي دعا إلى منع مرور أي أجنبي مهما كان هدفه<sup>(5)</sup>، بحيث الطرق التي تم فتحها أمام دوفريبي ومغامرين آخرين تم غلقها. وأصبحت

<sup>1</sup> -Lehuraux capitaine, les français Au Sahara, Ed les Territoire du sud, Alger, 1933, p.59.

<sup>2</sup> -Ibid, p 61.

<sup>3</sup> -E-L. Bonnefon L'Afrique Politique en 1900, Henri Charles- Lavaigelle, Paris, 1900, pp.88.89.

<sup>4</sup> -O. meynier, La guerre des senoussiya dans L'Afrique Françaises 1915-1918, R.A-, Vol 83, Année 1939, OPU, Alger, 1998, p.228.

<sup>5</sup> -O. Meynier, La guerre sainte et les sévices militaire Française, 102<sup>eme</sup> année, T.46, 1932, Libraire Militaire Berger levrault, 1932, Paris, p.416.

غير آمنة بفضل الدعوة السنوسية منذ 1897م، حاول الفرنسيون تبرير هذه المقاومة والرفض القاطع للتوغل الأوربي والاستعمار بالأسباب الاقتصادية فيمن يقف وراء هذه المقاومة التجار الوسطاء في غدامس بإيعاز من الانجليز والإيطاليين وكذلك من سكان عين صالح بتحريض من المغرب الأقصى<sup>(1)</sup>، بحيث فتح طريق جديد للقوافل سوف يحرم هذه المراحل أو المراكز التجارية (غدامس- غات- عين صالح) من مرور القوافل التجارية الآتية من السودان عبرها، وهذه محاولة منها (فرنسا) لأن يصبح طابع الصراع والمقاومة لمصالح اقتصادية تقف وراءها القوى الأوروبية المنافسة، وليست رغبة وإصرار سكان لصحراء الأحرار على رفض الاستعمار الأوربي المسيحي والبقاء أحرارا في وطنهم.

وتؤكد الوثائق الأرشيفية هذه الفكرة فقد عبرت إحدى هذه الوثائق عن موقف التوارق من الوجود الأجنبي عامة والفرنسي بصفة خاصة، وهي عبارة عن رسالة<sup>(2)</sup> بعثها أحد الجواسيس وهو من الأهالي من قبيلة "الدويرات" جنوب تونس عندما كان في مدينة غدامس لغرض تجاري، ونزل عند أحد أعيان المدينة من التجار وهو سي الحاج عبد الرحمان بن جوهر وعندما خرج هذا الجاسوس إلى السوق وجد الطوارق في المدينة في حالة غضب وغليان، حيث اتهموا قبيلة الدويرات بالخيانة عندما ساعدت أحد الفرنسيين بالدخول إلى بلادهم بالتواطؤ مع "الحاج محمد بلهيبية" وتمكن هذا الجاسوس من الفرار من التجارة بعد أن دخل تحت حماية القائم مقام أو والي المدينة، ثم استغل ظروف داخلية ملائمة وهرب من المدينة وتمت ملاحقته ولكنه لم يدركوه. فعبرت هذه الرسالة أن هذه الفترة التي ظهرت فيها نية الدول الأوروبية في احتلال الصحراء اتخذ التوارق موقفا صارما وهو منع تقدم أي أوروبي في الصحراء مهما كان سبب زيارته.

اعتمدت القبائل المقاومة على استراتيجية واضحة في مواجهتها للاحتلال الفرنسي، هو اعتبار المناطق الجنوبية الصحراوية قواعد خلفية آمنة يمكن اللجوء إليها في الظروف السيئة التي تمر بها، فقد اختار زعيم مقاومة أولاد سيد الشيخ بوعمامة منطقة دلدول (حاليا بلدية في ولاية أدرار) في إقليم توات كقاعدة خلفية آمنة بعيدة عن قوات الاحتلال ليستطيع فيها أن يعيد بناء

<sup>1</sup> -E-L. Bonnefon, Op.Cit, p.87.

<sup>2</sup> -Le Président Général de France à Tunis au ministère des Affaires étrangères, Affaires Tripolitaines 12 Mai 1892, boîte 22H 27, Anom.



قواته وينشر دعوته إلى الجهاد ضد الاحتلال بين قبائل المنطقة فكانت عبارة عن هدنة عبر عنها في الرسالة التي بعثها إلى قائد ملحقة عين الصفراء، يطلب فيها السلام والالتزام بعدم الاعتداء بين الطرفين وكان تاريخ هذه الرسالة 18 نوفمبر 1889.<sup>(1)</sup>

وتشير تقارير أخرى أن قبائل الشعابنة "القبالة" والمواضي "وكذلك" برازقة" في حالة غليان وحماس شديد وتكفي أي حادثة لتؤدي إلى الانفجار واندلاع المقاومة<sup>(2)</sup>، والتحق عدد كبير من أفراد هذه القبائل بالشيخ بوعمامة في منطقة لدول، وكان هذا التجمع يقلق السلطة الاستعمارية.

فقد انضمت إليه حوالي 80 خيمة من شعابنة ورقلة والقوليلة ومثليبي، وحاول الشيخ بوعمامة توحيد القبائل الصحراوية الراضية للاحتلال لذلك في ديسمبر 1890 قام الشيخ بإرسال رسائل إلى زعماء القبائل في الصحراء وتكفل المسمى بوحفص وهو من "الزوى الغرابة" بمهمة توزيع هذه الرسائل الموجهة إلى:

- (1) الأولى وجهت إلى الحاج المهدي بن باجودا
- (2) وجهت إلى أهيتغال "أمينوكال كونفرالية الأهقار.
- (3) كانت لابن فراج قائد التوارق التايتوك.
- (4) إلى الطوراق الأزديجار.
- (5) إلى كل عرب أولف الأشراف المستقرين في غرب عين صالح.

كان فحوى هذه الرسالة أن تحدد موقفها من الاحتلال بكل وضوح و أن تستعد أن تعلن الجهاد عندما تحين الفرصة وتتهيئ الظروف لذلك، وعندما طلب الشعابنة بإعلان الجهاد والقيام بمعاينة القبائل المؤيدة للاحتلال، عارض الشيخ بوعمامة ذلك بسبب الظروف غير المناسبة.<sup>(3)</sup>

واستقر النزوح نحو لدول مقر إقامة الشيخ بوعمامة حيث التحق به كذلك 20 خيمة من "أولاد زيد" آتية من القوليلة عبر بريان في ميزاب<sup>(4)</sup>، ثم أرسل الشيخ بوعمامة مجموعة من الفرسان

<sup>1</sup> -Le Général POIZAT, A.S. de L'Etat des Esprits aux chaâmbas, 14 Novembre 1890, boîte 22H 34, Anom

<sup>2</sup> -Ibid.

<sup>3</sup> -Nouvelle du sud. 6<sup>em</sup>e Bureau, 23 janvier 1891,boîte 22H 32.

<sup>4</sup> -Lettre de si Kaddour Ben Hamza à son frère si Eddin,boîte 22H 32, Anom.

الشعانية إلى تيبلبالت" على مسيرة 07 أيام جنوبا تحضيراً للانسحاب إليه في حالة ما اضطر على ذلك<sup>(1)</sup>، ثم شارك في مؤتمر عام في شهر جويلية 1891 في تيمي (أدرار) ضم شيوخ وأعيان منطقة قورارة وتوات وتيديكلت تجاوز عددهم المئة، وكان الشيخ بوعمامة أحد الممثلين لعين صالح، ويبدو أن تأثير الشيخ في دعوته على الجهاد والمقاومة أثمرت حيث تمكن من الجمع بين الفريقين "ياحمد" والسفيان" في هذه المنطقة، رغم العداوة التاريخية بينهما، وانتهى هذا المؤتمر بالإجماع على المقاومة المسلحة للاحتلال حتى النصر أو الشهادة وأن يحمل كل من يمكنه حمل السلاح في المواجهة، ثم محاولة كسب الدعم والمساعدة من السلطان مولاي الحسن<sup>(2)</sup>، واستمرت مدة تواجد الشيخ بوعمامة في هذه المنطقة من أواخر 1883 حتى سنة 1894 عندما تمكن من إعادة بناء قواته وانضمام عدد كبير من القبائل على جيشه ونشر روح المقاومة في المنطقة ورفض الاستسلام والسيطرة عن طريق الزاوية التي أسسها في دلدول، ثم انتقل نحو الشمال لمواصلة مقاومته فكان قوام قواته سنة 1896 تضاهي قوته عندما أعلن الثورة 1881 فيإلى جانب زاويته الخاصة التي كانت تضم 50 فارسا و60 رجلا هناك القبائل التالية:

- أولاد جريز 250 فارسا و700 رجلا
- أولاد قطيب 20 فارسا و40 رجلا
- زواغراية 65 فارسا و100 رجلا
- ذوي منيع 15 فارسا و60 رجلا
- الشعانية 20 فارسا و170 رجلا

أي مجموعة 420 فارسا و1130 مشاة، وهي تشكل قوة حربية لا يستهان بها بالنظر على تحليها بروح الجهاد ومعرفتها بأسلوب القتال في الصحراء، وتعرفها على السلاح الحديث السريع الطلقات.<sup>(3)</sup>

فكان الجنوب الجزائري أو الصحراء يمثل العمق الاستراتيجي العسكري الذي يسمح بإعادة بناء القوات وتجهيزها لمواصلة المقاومة وكذلك توفر الأمان للقبائل الملاحقة من طرف الجيش

<sup>1</sup> -Le Général Detrie, A.S de projets d'occupation de Touat du Tidikelt et de gourara au maroc, 26 juin 1891, boîte 22H 32 Anom.

<sup>2</sup> -Général Poizat , Nouvelle du sud, 03 octobre 1891,boîte 22H 32, Anom

<sup>3</sup> - عبد الحميد زوزو، ثورة بوعمامة 1881-1908، ج2، جانبها السياسي 1883-1903، ش.و.ن.ت، الجزائر 1983، ص 22.

الفرنسي واتباعه فتكون النساء والأطفال والشيوخ وأرزاق هذه القبائل كذلك في مأمن من هجمات الأعداء.

واعتمدت قبائل الشعانبة من أولاد بوسعيد على نفس الاستراتيجية المتمثل في الانسحاب إلى عمق الصحراء بدافع تأمين أرزاقها وأغراضها حتى لا تكون عرضة للانتقام ثم لإعادة بناء قواتها والتحصير والتخطيط الجيد للهجمات حتى تتمكن من تحقيق أهدافها حيث يشير تقرير للنقيب Massoutier في 04 ماي 1896<sup>(1)</sup>، بخروج 05 خيام من الشعانبة أولاد بوسعيد يوم 03 أفريل 1896 متجهين نحو الشرق وإعلانهم<sup>(2)</sup> العصيان (الثورة)، فقام القايد قدور بن محمد على رأس 16 فارسا على المهاري بملاحقتهم ورغم سرعة الحركة ومعرفتهم الجيدة بالصحراء إلا أنهم لم يتمكنوا من اللحاق بهم قبل وصولهم إلى غدامس.

حاول القايد قدور بن محمد إجبارهم على العودة من غدامس ولكن اعترضت طريقه مجموعة من المجاهدين من 50 فارسا من الإيفوغاس الذين أظهروا تصميمهم على الدفاع عن المجاهدين اللاجئين إليهم إلى آخر جندي، وفشلت كل وسائل القايد لإقناعهم بالعودة، وفي الأخير لجأ للقائم مقام التركي إلى المدينة وحاول إقناعه بإجبارهم على العودة، ولكن الوالي التركي ترك لهم الحرية في البقاء أو الذهاب، ثم استشار أحد شيوخ هذه الخيام المهاجرة وهو الشيخ عبد القادر وكان صريحا في سبب خروجه الذي لا يقبل المساومة وهو الجهاد في سبيل الله ورفض الاحتلال الأوروبي المسيحي، وذهب إلى حد تهديد القايد ومن كان معه باستخدام السلاح ضدهم.

ثم جاء رد القائم مقام التركي للقائد قائلا: "... إذا أردت استخدام صلاحياتي كممثل للسلطة التركية تجاه دخولكم أراضينا كفرقة عسكرية مسلحة، هو القيام بتجريدكم من السلاح وسجنكم أو تقييدكم وإرسالكم إلى طرابلس، ولكن لاعتبارات انتمائكم وأصولكم. أطلبوا منكم مغادرة أراضينا والمدينة قبل هذا المساء.."

<sup>1</sup> -Cap. Massoutier, A-S du départ en dissidence des ouled Bou saïd 04 Mai 1896,boite 22H 43, Anom.

<sup>2</sup> -Le Général Collet Meygret, Tidikelt objet dissidents, renseignement politique, boite 22H 43, 15 Avril 1897.

فدلنا هذا التقرير على استخدام المقاومة الشعبية لكل الوسائل المتاحة منها خلق المجاهدين لقواعد خلفية آمنة على أرزاقهم وأهاليهم ويمكن اللجوء عند الضرورة ثم التحضير الجيد للهجمات. والتحق بهذه الخيام 09 من الشعابنة أولاد زيد ومن أولاد بوسعيد، وكان مكان إقامتهم "حاسي بلختوتة" (يقع 85 كلم جنوب شرق ورقلة) فأرسل الضابط Fournier مجموعة من فرسان المخزن على أثرهم ولكنهم فشلوا في اللحاق بهم، واختارت هذه القبائل مكان إقامتها الجديد جنوب شرق غدامس على مسيرة 05 أيام<sup>(1)</sup>، بحيث يمكنها القيام بعمليات عسكرية ضد القبائل الموالية للاحتلال دون أن تكون القبيلة مهددة بالانتقام في أرزاقها وأهلها.

ومن بين العمليات الثورية التي قامت بها هذه القبائل ضد مركز « Berrécof » « برصوف » عند أولاد زكريا على الحدود الجزائرية التونسية في بداية شهر ماي 1897 وكان عدد الثوار 30 فارسا من الجرامنة وشعابنة ورقلة<sup>(2)</sup>، ويبدو أن الشعابنة الذين هاجموا واستقروا جنوب غدامس بعثوا رسالة إلى أبناء عمومتهم للحاق بهم وقام الشيخ البكري من الزاوية البكرية المقيم في غدامس وانتقل إلى عين صالح هو الذي حمل هذه الرسالة وقام بهذه المهمة وكان ذلك في أواخر شهر رمضان الموافق بداية شهر مارس 1897م.

واقترح بعض الأطراف التدخل العسكري ضد الشعابنة شمال زاوية المعبد شمال غدامس بمسافة قليلة، فكان موقف الحكومة الفرنسية أن هذا النوع من العمليات يؤدي إلى مشاكل وتعقيدات دبلوماسية، ولكن يمكن الضغط الدبلوماسي على والي طرابلس عن طريق وزير الخارجية الفرنسي، وعدم السماح بتجمع الشعابنة الثوار (الخارجين عن القانون) في نواحي غدامس.<sup>(3)</sup>

وبالتالي كانت فكرة العمق الاستراتيجي للمقاومة الآمن في الصحراء فعالة وجنبت المقاومة عدم التعرض إلى الحملات الانتقامية على الأهالي العزل والأرزاق بهذه الطريقة، أما الجانب الثاني في الاستراتيجية التي شرع طوارق الأهقار في تجسيدها على أرض الواقع هي إزالة وحل النزاعات العالقة

<sup>1</sup> -Départ en dissidence de 9 tentes des châamba d'ouregla, 03 juin 1897, boîte 22H 43, Anom.

<sup>2</sup> -Extrême sud coup de main 21 Mai 1897, Boîte 22H 43, Anom.

<sup>3</sup> -Le Général Combon, A.S. des châamba dissidents, 21 aout 1897, Boîte : 22 H29, Anom

بين القوى المحلية المجاورة لها، لتوحيد الصفوف ووضع حد لكل النزعات التي يمكن للاستعمار أن يستغلها ويمرر عبرها حيله ودسائسه الجهنمية، حيث في أبريل 1896 قامت قبيلة الأهقار بإرسال رسالة إلى قائد الشعانبة أولاد بوسعيد وهو قدور بن أحمد (ينظر ملحق رقم 12) لتحقيق السلام بينهما وإزالة كل أسباب الخلاف بينهما.

ولكن الذي لفت انتباه الجنرال الذي علق على الرسالة هو الجزء الأخير منها الخاص بعزيمة الهقار على مهاجمة قبيلة أولاد السايح والطرود مع بقاء الشعانبة في الحياد وهذه القبائل موالية للاستعمار، وهي إشارة واضحة على نية الأهقار من هذه المساعي الدبلوماسية السلمية.<sup>(1)</sup>

وفي وثيقة أخرى تصف تحركات الأهقار الدبلوماسية، عندما كونوا وفداً أو "ميعاد" من الطوارق يضم ثمانية شخصيات من أعيان الأهقار توجهوا إلى مخيم الإيفوغاس في جوان 1896 للتفاوض مع قائدهم "اوكا بشاوي" بهدف إزالة النزاع وحل المشكل القائم بين الإيفوغاس والايمنغاساتن، وتمكن هذا الوفد من إصلاح العلاقات وتسوية الخلافات بينهما<sup>(2)</sup>، وتواصلت هذه المساعي السياسية بحيث تشكل وفد آخر مكون من أعيان قبائل الطوارق من بينهم قادة كونفدرالية الأزديجار ممثلة في إخنوخ وغيره، وتتمثل مهمة هذا الوفد في إصلاح العلاقات وتسوية الخلافات بين أهل عين صالح من جهة والأهقار من جهة أخرى ونجح هذا الوفد في تحقيق الصلح بينهما، ولكن يبدو أن الدوافع الحقيقية وراء هذه المساعي الدبلوماسية للأهقار هو إحساسهم بأن أراضيهم وحريةهم أمام خطر الغزو الفرنسي في السنوات القليلة القادمة لذلك تحقيق الوحدة بين كل القوى المحلية في الصحراء وإزالة كل النزاعات لتحقيق التماسك والاتحاد لمواجهة الغزو الفرنسي للصحراء (ينظر الملحق رقم 13)

انتقلت المقاومة إلى مواجهة الاستعمار بطريقة غير مباشرة في الصحراء، بحيث شرعت في تصفية الصفوف الداخلية عن طريق تشديد الخناق على كل القبائل التي ثبتت تعاونها مع الاستعمار بأي شكل من الأشكال فقد أشارت الوثائق الأرشيفية إلى قضية أحد فروع قبيلة الإيفوغاس وهم

<sup>1</sup> -Envoi d'une lettre par 2 notables des hoggar au caïd de châanba ouled Bou-saïd, Général Collet Moygret, Avril 1896, Boite 22H29, Anom.

<sup>2</sup> -Général Collet Meygret, Touareg Hoggar relation avec les Azdjer et le Tidikelt, 18 Aout 1896, Boite 22H29, Anom

رجال دين من المرابطين تابعون إلى الزاوية التيجانية في تماسينين التي كانت بقيادة سي عبد النبي بن علي وهو شيخ زاويتها، فقد قام هذا الأخير بتوفير الحماية ومرافقة عدة مستكشفين فرنسيين كان آخرهم 1894 A.B. Attanoux، ثم الزيارة التي قام بها "سي بن يامة" والمعروف عن هذه الشخصية أنها من أعوان فرنسا وأطال المقام عند الإيفوغاس مما أكد شكوك الطوارق.<sup>(1)</sup>

وتؤكد رسالة سي محمد العروسي (نائب الطريقة التيجانية في قمار) التي وجهها إلى ضابط ملحقة الواد في 06 جانفي 1895. شكوك الطوارق في خيانة هذا الفرع من الإيفوغاس (ينظر الملحق رقم 14)، لذلك تعرضت هذه القبيلة - التي كانت تحت قيادة سي بن يامنة بن الحاج سالم وسي البشير ولد سي آمة وسي علي ولد سي آمة والشخصين الآخرين أمهما ابنة الشيخ عثمان الذي لعب دور كبير في الاتفاق التجاري لسنة 1862 بين الأزديجار وفرنسا- إلى الهجوم عندما كانت متجهة من منطقة تخيمها في منطقة "ناهية" نحو غدامس وقبل وصولها إلى هذه المدينة على مسيرة يومين تعرضت إلى الهجوم من طرف فرقة من المقاومة بقيادة "محمد دادة" من قبيلة الإمنغساتن الذي كون هذه الفرقة من مجموعة المقاتلين التوارق ومن عرب فزان كذلك في منطقة (إينغارن) على بعد مسيرة يومين جنوب غدامس) وجردت من ثروتها الحيوانية التي بلغت حوالي 800 ناقة وقتل شخص 2 من الجرحى وصرح المقاومون صراحة بالسبب المتمثل في موالاة الفرنسيين وصدرت فتوى بتكفيرهم (ينظر الملحق رقم 15)<sup>(2)</sup>، والأمر الذي أكد هذا الطرح هو قرار هذه القبيلة بالهجرة إلى المناطق الواقعة تحت السيطرة الفرنسية جنوب وادي سوف والدخول تحت حماية فرنسا.

لم تكن هذه القبيلة الوحيدة التي قررت الهجرة إلى جنوب الواد فقد كان لسي عبد النبي بن علي شيخ زاوية تماسينين (برج عمر إدريس أو حصن فلاتيرز) على الطريقة التيجانية دور كبير في استمالة هذه القبيلة وقيادة الجناح المؤيد للفرنسيين لذلك قام أحد قادة المقاومة في الأهقار وهو "عمور بن بوخشبة" وينتمي إلى قبيلة "تيجني ملت" أو "أولاد مسعود" ونائبه الشعاني مبارك بن لعابب الذي فاجئ مخيم الشيخ عبد النبي بن علي بين تماسينين وتبلبالت وعلى بعد مسيرة يومين جنوب تماسينين، فجرد هذا الشيخ من كل ممتلكاته والسبب الذي تنكره التقارير والرسائل المتبادلة

<sup>1</sup> -Rapport du lieutenant Chardenet adjoint au Bureau arabe d'el oued souf. Sur la razzia exécutée contre les Ifoghas, Boite 22H29, Anom.

<sup>2</sup> - رسالة من سي بن يامنة إلى قائد ملحقة الواد 1895- .علبة 29 H22. Anom.

حول سبب هذه الهجمات هو موقفه المنحاز إلى فرنسا وحمايته ومرافقته للعديد من الجواسيس المستكشفين الفرنسيين في الصحراء.<sup>(1)</sup>

واجهت المقاومة الشعبية كل القبائل التي أظهرت موالمتها للاستعمار الأمر الذي جعل سلطة الاحتلال بتجميع هؤلاء اللاجئين من الإيفوغاس بقيادة سي يامة بن الحاج سالم والشيخ سي عبد النبي بن علي، في قمار شمال واد سوف أين توجد الزاوية التيجانية بقيادة شيخها سي محمد العروسي بن سي محمد الصغير. وكانت قد فقدت كل ممتلكاتها وتمت مناقشة كيفية التعامل مع هذه القضية وانتهت إلى أن حددت منطقة استقرارهم في نواحي (برصوف) في إقليم قبيلة "الربايح".<sup>(2)</sup>

وكان الهدف الذي كانت فرنسا تسعى إلى تحقيقه من وراء تشجيع بعض قبائل التوارق على الهجرة نحو مناطق نفوذها وتحت حمايتها هو إحداث تصدع وانشقاق داخل كونفدرليات الطوارق التي كانت متماسكة. فاعتبرت أحداث هذا النزاع عبارة عن نصر كبير وخطوة هامة في إطار محاولات فرنسا التغلغل في بلاد التوارق.<sup>(3)</sup>

ويمكن كذلك استغلال هذه القبائل لمصلحة الاستعمار في عملية التوغل والاستفادة من معرفتهم للصحراء وكذلك للقبائل التي تقطنها ومبدياً أوكلت لهم مهمة البريد والحراسة في بعض المناطق الاستراتيجية وكذلك (كدليل) كأدلاء لبعثاتهم في الصحراء.<sup>(4)</sup>

اعتمدت المقاومة في الصحراء على أسلوب الكر والفر أي هجمات مركزة سريعة والانسحاب واستغلال معرفتهم بالأرض واختيار كذلك الوقت المناسب حتى يحقق الهجوم كل أهدافه.

كان حصن مكماهون (حاسي الحمر في هضبة تادميت) من بين الأهداف التي وضعها المقاومون نصب أعينهم بحيث في شهر سبتمبر 1894 قامت مجموعة من مجاهدي المقاومة البالغ

<sup>1</sup> -Renseignement sur le Rezzou dérigé par Boukhachebat et le miad des Touaregs Azedjar venu de l'oued 12 janvier 1895, Affaires indigènes, boîte 22H 29, Anom.

<sup>2</sup> -Extrême sud Ghadamès, et Ghât Pénétration commerciale, 17 décembre 1895,boîte 22H 29, Anom.

<sup>3</sup> -Au sujet des Ifoghas qui doivent s'installer dans l'annexe d'el oued, Boîte 22H 29, Anom.

<sup>4</sup> -Ibid.

عددهم 50 مجاهدا بعملية تميزت بالجرأة والتحدي رغم قلة العدد وضعف العتاد أو التسليح وكان أغلبهم من الشعانبة التابعين لشيخ بوعمامة و06 فرسان من قورارة.

كانت الانطلاقة يوم 06 سبتمبر من (تبركانين) وكانت خطوتها الأولى في الاستراتيجية التي اعتمدها في التحضير والتخطيط للعملية، هي جمع المعلومات عن العدو فاستغلت قافلة للخنافس كانت في القوليعة وحصن مكماهون لجمع معلومات حول قوات الاستعمار، فحددت الوضع العام لقوات الاستعمار ومكان تواجد قطعان الماشية والمهاري التابعة للحصن، ثم جمعت معلومات هامة عن قافلة الإمداد والتموين المتجهة من القوليعة إلى حصن مكماهون وعدد قوات الحراسة وغيرها من المعلومات<sup>(1)</sup>، كانت الخطوة الأولى في عملية الهجوم هي تجريد الحصن من ثروته الحيوانية المتمثلة في قطعان الماشية و93 جمل وخاصة الجمال والمهاري وهي وسيلة ضرورية لحركة الجيش في الصحراء والهدف هو إعاقة تدخل الفرقة العسكرية عند الهجوم على قافلة الإمداد، أما الخطوة الثانية هي ردم الآبار الموجودة في الطريق القافلة حتى تضعف عزيمة العدو، وكان ذلك قبل يوم من الهجوم على قافلة الامداد.

ثم كانت الخطوة الأخيرة الهجوم على قافلة الامداد لتموين الحصن التي انطلقت يوم 1894/09/04 من القوليعة (المنيعة) تحت قيادة الملازم « De la selve » وتشكلت الحراسة من ضابطين وطبيب و100 جندي من المشاة و10 من صبايحية و03 فرسان من المخزن و03 من القومية ودليل أغلبهم من الجزائريين ما عدا حوالي 05 فرنسيين قتل منهم إثنان في المعركة.

اختارت مجموعة المجاهدين أرض المعركة، وكانت عند حاسي بوخنفوس يوم 1894/09/09 والتوقيت وكانت على الساعة 22:30 ليلا، حيث وقعت هذه القافلة في كمين المقاومة وكان الهجوم مفاجئا أدى إلى وقوع فوضى واضطراب داخل فرقة الحراسة، وتوغل عدد من المجاهدين داخل قوات العدو وأعلنوا بأعلى أصواتهم بأنهم طليعة جيش الشيخ بوعمامة وأن حصن مكماهون قد

<sup>1</sup> -Rapport sur l'enlèvement du Troupeaux de fort Mac Mahon 08/09/1894, boîte 22H 42, Anom.



سقط لتأثير على معنويات العدو، وتعويض النقص في العدد، بحيث كانت قوات العدو تعادل ثلاث أضعاف قوات المقاومة.<sup>(1)</sup>

دامت هذه العملية حسب اعتراف قيادة العدو بين 15-20 دقيقة وكانت الخسائر المادية فادحة والبشيرية 05 قتلى من بينهم فرنسيين وعدد كبير من الجرحى وفقدت القافلة صندوق الخزينة وعدد من البنادق والجمال بحمولاتها وعدد من المهاري واستشهد من المقاومة اثنان، فبرهنت المقاومة أنه رغم قلة العدد وضعف الأسلحة والتجهيز ولكنها يمكن أن تحقق انتصارات باهرة على جيوش العدو.

واعترف الضابط في تقريره قائلاً "بينت هذه العملية مدى خطورة هذه العصاة على قوافل الإمداد... أعتقد أنه من الأهمية بمكان البحث في كيف يمكن لعدد قليل من الرجال وفي وقت قصير جدا من تكبيدنا خسائر فادحة...".<sup>(2)</sup>

فكانت عملية التخطيط واستغلال كل عوامل القوة التي تمتلكها المقاومة المسلحة من اختيار التوقيت حيث كان الهجوم ليلاً، ومكان المعركة بحيث تموقع جنود المقاومة في مكان مرتفع يمكنهم إصابة أهدافهم بكل سهولة، ثم تسلل مجموعة من المغاوير داخل قافلة العدو واستخدام الحرب النفسية للتأثير على معنويات جيش العدو، فحققت هذه الأساليب النصر وجعلت العدو يصاب بالذعر رغم التفوق العددي والفرق الكبير في نوعية أسلحة العدو وإذا ما قورنت بأسلحة المقاومة.

#### 5-5 المقاومة المسلحة للتوغل العسكري في منطقة الهقار:

بدأت بعض الأصوات داخل السياسيين والعسكريين الفرنسيين تطالب بضرورة تغيير استراتيجية فرنسا في تغيير طريقة التوغل السلمي في الصحراء عن طريق البعثات الاستكشافية الجغرافية والتجارية والتي كانت في الواقع تجسسية منذ منتصف ثمانينات القرن 19، ففي تصريح للجنرال مارغريت Margueritte جاء فيه "للتوغل في الصحراء وبسط سيطرتنا عليها يجب الاعتماد

<sup>1</sup> -Rapport de sous-lieutenant de la Selve, Commandant du Convoi en route de Goléa à Fort Mac-Mahon Attaqué au Puits Boukhanfous 13/09/1894, Boite 22H 42, Anom.

<sup>2</sup> -Rapport sur L'attaque à Boukhenfous le 09/09/1894 et le détachement du fort Mac-Mahon, boite 22H 42, Anom.

على القوة، فلم نتقدم خطوة واحدة على حساب المسلمين دون استخدام القوة"<sup>(1)</sup>، لذلك اقترح الجنرال Philebert منذ 1886 مشروع المهمة لتحقيق ثلاث أهداف:

- (1) الانتقام من قتلة فلا تيرز للمحافظة على هيبتنا في الصحراء وأن لا جريمة تمر دون عقاب.
  - (2) إفشال مساعي السنوسية التي أقامت زوايا في غات وعين صالح.
  - (3) فرض السلم على الهقار والتمركز في مناطق تسمح لنا بتوفير الأمن للقوافل المسافرين.<sup>(2)</sup>
- بدأت محاولات تجسيد هذه الفكرة أي التخلي عن التوغل السلمي منذ أن فشلت كل محاولات المستكشفين في الصحراء. رغم موقف النبلاء من الأزديجار الذي وفر الحماية لأغلب البعثات والمستكشفين الأوروبيين خاصة إخنوخن وابنه محمد بن إخنوخن الذي وفر الحماية لعدة مستكشفين خاصة فورو (Foureau) الذي قام بعدة رحلات منذ 1890 حتى سنة 1897، حاول خلالها استكشاف الطاسيلي للأزديجار، وكانت كلها فاشلة ومنع من المرور واستكشاف هذه المناطق لذلك بدأ التفكير في التخلي الفعلي عن التوغل السلمي الذي أسس له دوفريبي، والذي يعتمد على ضمان حماية أمينوكال كونفدرالية الأزديجار والقادة النبلاء والذهاب دون مرافقة عسكرية أو حراسة لاستكشاف الصحراء، واعتماد البعثات الاستكشافية ترافقها فرق عسكرية مكونة من 150 بندقية التي تضمن أمن وحماية البعثة وهي الفكرة التي جسدها مهمة Foureau- lamy سنة 1898 وتمكنت من قطع الصحراء إلى زيندر Zinder<sup>(3)</sup> جنوب النيجر عبر التاسيلي والأيبير ولكنها تعرضت إلى عدة هجمات من المقاومة انتهى آخرها بمقتل Lamy القائد العسكري لهذه البعثة.

#### 5-5-1) معركة تبت 7 ماي 1902:

استمرت الهجمات والعمليات الثورية على القبائل الموالية لاحتلال، والتي أعلنت استسلامها للاستعمار مثل قافلة الأهالي "إينغر" العائدة من مويدير تعرضت لهجوم الطوارق في نواحي عين ملوك 5 جويلية 1901 ثم تلتها هجمة أخرى من طرف قبيلة تاتيوك ضد أهالي أكابلي في 15 أكتوبر 1901 ردا على الهجوم الذي تعرضوا له في شهر أوت والذي قاده بابا قايد أولاد دهان

<sup>1</sup> -le Général Charles Philibert, Algérie et Sahara. Le Général Margueritte, Direction du Spectateur Militaire, Paris, 1882, pp.376-377.

<sup>2</sup> -E.F. Bonnefon, Op.Cit, pp.88-89.

<sup>3</sup> - Zinder: تقع جنوب النيجر تبعد عن "كانو" بـ 230 كلم شمالا وجنوب Agadez بـ 450 كلم في النيجر Agadez تقع في وسط دولة النيجر.

تعرض كذلك " الزوى " في 12 أكتوبر بالقرب من إنسوكي إلى هجوم من طرف الأهقار (1) وأظهر الطوارق عامة المقاومين للاحتلال جرأة وحماسة في هجماتهم التي وصلت إلى مشارف الواحات التي كانت تحت سلطة فرنسا لتأكيد وجودهم والتمسك باستقلالهم، وتهديد القبائل التي استسلمت و أن فرنسا لا تستطيع حمايتها من هجماتهم.

وفي 15 مارس كانت قيادة المقاومة ضد الاحتلال تترجمها عدة شخصيات اشتهرت بعداؤها للكفار عامة والفرنسيين بصفة خاصة، فبعد وفاة أمينوكال الأهقار أهيتغال آغ محمد بيسكا في أكتوبر 1900 وقع خلاف فيمن يأتي مكانه بين أتاسي آغ شيخات المدعو "أملال وهو الإبن الأكبر للأخت الصغرى للأمينوكال الهالك والذي اشتهر بشدة عداؤه لاحتلال وإصراره على مقاومته بقوة السلاح ومعاينة ومعاداة كل من يتعامل مع الاستعمار، وكانت كل فروع كونفيدريالية الأهقار تؤيده لما اشتهر به من قوة الشخصية وشجاعته و نشاطه العسكري في الصحراء.

أما الشخصية الثانية محمد آغ أورزيغ هو الأبن الأكبر للأخت الكبرى للهالك الذي طالب بحقه في خلافة خاله في السلطة داخل الأهقار (2) لكن وجود شخصية مقاومة ومن أشد المجاهدين إصرارا على مقاومة الاحتلال الفرنسي هو سي العابدين بن الشيخ محمد الكونتي (3) أبعدته عن السلطة.

<sup>1</sup> -L'annexe d' in-salah et la compagnie saharienne du Tidikelt depuis leur création Bull.Soc.Geo. d'alger et de l'Afrique du nord 1914 ,p299.

<sup>2</sup> - Capitaine LEHURAUX , les français au sahara , op.cit., pp121-122.

<sup>3</sup> - (هو سي العابدين الشيخ محمد بن الشيخ أحمد بن محمد بن مختار البكاي من قبيلة كونتة، المتمركزة في تمبوكتو وكان نفوذها وتأثيرها الروحي على اعتبار أنها من المرابطين يمتد حتى منطقة الأهقار . غادر العابدين تمبوكتو بعد الصراع على رئاسة القبيلة مع عمه بابا احمد ولد البكاي الذي أيدته قبائل المنطقة ويطلق عليه ،أهل الشيخ " 1888 م فغادرها إلى توات واستقر بزواوية كونتة مهد عائلته الأول ،وبعد صراعات عائلية انتقل إلى منطقة قبائل التايتوك، وأصبح محل احترام وتقدير قيادة هذه القبيلة لنسبه الشريف و كونه من المرابطين شارك في أغلب الهجومات ضد قوات ومراكز الاحتلال والقبائل المؤيدة لهم منذ 1889 Notice sur si El –Abdine ben cheikh Mohamed, Boite 22 H 29 -

و قام بعدة محاولات لتوحيد الطوارق بهدف تقوية الصفوف لمقاومة الاحتلال لذلك تدخل في هذا الصراع بين أتاسي وأوزيغ لحله بطريقة سلمية وتفادي تطوره فأقرَّ بتعيين الشخصيتين على رأس كونفيديرالية الأهقار.

وعندما حاول الضابط الفرنسي الذي عين على رأس ملحقة عين صالح بمحاولة التقرب والتواصل مع أتاسي آغ أملال فكان رد هذا الأخير مباشرا وقويا قائلا: (إذا أتيت إلى الهقار سأدمرك بالقوة والحنكة وإذ منعت قوا فلنا من أسواق تيدكليت سوف أقطع نخيل واحاته)، وكان في هذه الفترة لابرين Laperrine القائد الأعلى للوحدات والنقيب كوفي Cauvet قائد ملحقة عين صالح<sup>(1)</sup>.

شرع لابرين القائد الأعلى للوحدات وكوفي قائد ملحقة عين صالح التحضير الجيد لعملية الغزو عن طريق جمع المعلومات حول استعدادات الطوارق العسكرية من ناحية العدد ونوعية التسليح، وقد تحصلوا على معلومات دقيقة وموثوقة من طرف بعض العملاء شجعتهم على مواصلة التحضير لغزو ومحاولة استغلال الفرصة للشروع في عملية الاحتلال .

في 15 مارس 1902 تعرض أحمد بن مسيس من إنغر لاعتداء من طرف بابا ولد تاما كلاست وأحمد بن شريف وجرد من قافلته و لكنه تمكن من الهروب منهم<sup>(2)</sup> ويبدو أن الصراع على قيادة كونفيديرالية الأهقار بين أتاسي ومحمد أوزيغ جعلت هذا الأخير يثير المشاكل والأزمات لمنافسه الذي تفوق عليه في تأييد أغلب الأطراف له فحرض بابا ولد تاما كلاست بالهجوم على قافلة أحمد بن مسيس بالقرب من عين صالح واعتبرت من طرف أهالي عين صالح وسلطات الاحتلال تحدي صارخ ومتهور يستوجب ردا قويا<sup>(3)</sup> .

وفي 23 مارس 1902 وقع الهجوم على فاطمة بنت مسيس التي كانت على رأس قافلة تجارية في مويدير وجردت من كل ممتلكاتها وتنتمي هذه العائلة إلى الأوراغن من الأشراف النبلاء في كونفيديرالية الأهقار، ثم قام بابا بمعاملة خادم هذه المرأة النبيلة معاملة سيئة قائلا: "هذا ما

<sup>1</sup> - Lehuraux ,Op.Cit. pp.122-123

<sup>2</sup> -L<sup>nt</sup> = Cottenest ,d'in-salah au Hoggar B.S.G.A et de l'Afrique du nord 8<sup>ème</sup> Année 1903. 3<sup>ème</sup> Tr, p321.

<sup>3</sup> - M .Bourgeot .M .Gast ,<<Attici Ag Amellal >> in Gabriel Camp (dir) ,7/Asarakae-Aures,Aix-en-Provence , Edisud(<<volume>>,N<sup>o</sup>=7)1989,p.3

سأفعله بالتوارق النبلاء الذين قبلوا عبودية الفرنسيين هؤلاء الكفار الملعونين"<sup>(1)</sup> ثم أمر أحد عبيده بجلدها<sup>(2)</sup> وانتشر خبر هذه الإهانة في تيدكلت ، وكان رد فعل قبائل تيدكلت الرد على هذه الإهانة فتركت سلطات الاحتلال الحرية لهذه القبائل في تشكيل فرقة عسكرية لكن تحت تأطير فرنسي المتمثلة في الملازم كوتنيست "Cottenest" وتكونت من 130 فارس من بينهم 40 مخازني ثعالبية التابع إلى قوات ملحقة عين صالح , 30 فارس من المهاري من أولاد دهان على رأسهم بابا ولد محمد و 20 من أولاد يحيى وكبيرهم دورو عبد القادر بن الحاج أحمد , 10 من أولاد باحمو و 10 من أهل عزى وكبيرهم عبد القادر بن عبد الكريم وهم من مرابطين عين صالح و 10 من أولاد المختار و 10 من الزوى إضافة إلى الخوجة عبد المجيد بن سي اسماعيل كئائب و 4 فرسان على الخيول والجميع كان مسلحا بشكل جيد ويحمل 120 خرطوش إضافة إلى 5000 طلقة كإحتياط، وكانت القافلة مكونة من 25 جملا فقط لحمل الذخيرة والأدوية والشعير للخيول وبعض المؤونة كإحتياط وكل فارس كان يحمل مؤونته لمدة 30 يوم مع وضع خطة سير دقيقة واتخذت فيها كل احتياطات الحراسة والاستكشاف لتفادي أي هجوم مفاجئ.<sup>(3)</sup>

انطلقت هذه الحملة العسكرية يوم 23 مارس من عين صالح وكلف قائدها كوتنيست بمهمة إنقاذ القبائل الخاضعة وتوفير الحماية لها ومحاولة استرجاع الممتلكات التي تم الاستيلاء عليها، ثم القيام باستكشاف المناطق المجهولة ووضع خريطة دقيقة لهذه المناطق عبر "مويدير" و"تيفيدست" والهقار وصولا إلى تمرناست ( ينظر الملحق رقم 16).

في يوم 25 أفريل وقبل معركة تيت الشهيرة بثلاثة أسابيع وصلت حملة كوتنيست على مشارف مدينة "إيدلس" "Idelès" وحاول حوالي 20 مجاهدا الصمود أمام هذه الحملة المكونة من 130 جنديا دون جدوى واستشهد حوالي 11 شهيدا وأعدم أغلبهم بأمر من محمد بن مسيس انتقاما من الحادثة التي كانت السبب المباشر في هذه الحملة.<sup>(4)</sup>

<sup>1</sup> - مرموري المرجع السابق، ص 240

<sup>2</sup> -Commandant G.Cauvet , le Raid du lieutenant Cottenest au Hoggar combat de tit 7 mai 1902 collection RAOUL et Jean BRUNON . Marseille , 1945, p 32.

<sup>3</sup> -Cottenest,op.cit,p.322

<sup>4</sup> -G . Barrere,<< Idelès >> ,Encyclopédie berbère, 24/2001,3620-3623

أغفلت كل تقارير الضباط الفرنسيين الذين شاركوا في هذه الحملة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة وعلى رأسهم قائدها كونتيسة هذه الأحداث التي يبدو أنها تكررت في المناطق التي مرت بها الحملة , لذلك كانت هذه التقارير تشير في بعض المواقع إلى أن سكان بعض الواحات غادرها سكانها العزل قبل وصول الحملة للهمجية التي عرفتها في تعاملها مع سكان الصحراء.

و في اليوم 46 من رحلة هذه الحملة الذي توافق مع 7 ماي كانت في حرم تيت على بعد 41 كلم شمال تمنراست في الجهة الغربية لكدية جبال الهقار وعند اقترابها من هذا المكان قامت فرقتي دورو ولأولاد يحيى و أولاد دهان بقيادة بابا بعملية استكشافية في الاتجاهين المحيطين بمركز الحملة التي تقدمت في اتجاه تيت ولاحظ أثناء تقدمه حركة غير عادية في منحدر على اليمين، فأرسل دورية من ست فرسان للاستكشاف وبمجرد اقترابها من المكان حتى رجعت مسرعة إلى قائد الحملة تعلمه بوجود عدد كبير من الفرسان الطوارق في واد تيت، وسرعان ما وقعت المواجهة بينهما فتقدم جيش المقاومة في صفوف مترابطة، ونادوا وبأعلى أصواتهم (السلام لداغ غالي والرحمة للمرابطين) وكان الهدف هو محاولة إحداث انقسام داخل صفوف العدو بانسحاب المرابطين من أهل عزي<sup>(1)</sup>.

قام قائد الحملة بانسحاب إلى مكان مرتفع وتحصن به ولكن شجاعة المجاهدين من التوارق أذهلت عناصر هذه الحملة العسكرية، وكانت استراتيجية العدو تفادي القتال عن قرب وتحصن بالصخور الضخمة في أعلى المرتفع واستغلال التفوق في السلاح الناري، أما المقاومة فكانت الأسلحة التقليدية تعتمد على البنادق ذات طلقة واحدة والرمح والسيف ورغم ذلك تمكنوا من اختراق الجدار الدفاعي الأول، وكان عدد القتلى في صفوف المقاومة كبير بسبب قوة الاندفاع في الهجوم، ولكن التحاق الدورية التي ذهبت للاستكشاف من أولاد دهان و أولاد يحيى ومحاصرة جيش المجاهدين من اليمين واليسار أدى إلى حسم المعركة وانتقلت قوات العدو من وضعية الدفاع إلى الهجوم ، فكانت خسائر المجاهدين من "داغ غالي" واولاد عثمان و"داغ وان تهلي" **Dag Ouan Tehli** وإكلان وان توسيت **Iklan Ouan Toussit** وعدد كبير من الاشراف النبلاء وكذلك البعض من "إسوكامارين" **Issokamaren** فكان عدد الشهداء 93 شهيد وعدد من الجرحى، أما خسائر

<sup>1</sup> -Cauvet, Op. Cit pp 91-97.

العدو كانت قليلة وعدد من الجرحى<sup>1</sup> (ينظر الملحق رقم 18) واعتبر الفرنسيون هذا الانتصار هو انتقام لما حل لفلاتيرز ورفاقه 1881 ثم كان لهذه الهزيمة انعكاسات سلبية على بعض القبائل المترددة التي انحازت إلى جناح الداعي إلى الهدنة والسلام مع الفرنسيين مثل أعيان "كال آحت" أو "تايتوك" ، وتمكنت الحملة من تحقيق عدة أهداف كان أهمها:

- استكشاف كتلة جبال الهقار وجمع معلومات جغرافية وطوبوغرافية هامة تمكن قوات الاحتلال تحديد الأماكن المناسبة والاستراتيجية يمكن التمرکز فيها مستقبلا
- التعرف على الطريق إلى السودان وفتحت مرة ثانية أمام القوافل.<sup>(2)</sup>
- فكرة تكوين المخزن من السكان المحليين مع تأطير فرنسي جاء بنتائج جيدة من حيث الفعالية وسرعة الحركة وقوة التحمل وانخفاض تكاليف التجهيز، واعتقد قادة الجيش الفرنسي أن هذه الهزيمة قد فرقت قوات المقاومة في الهقار والتاسيلي ولكن الواقع بعد ذلك أكد العكس بحيث توالى العمليات الجهادية والمقاومة التي كبدت العدو خسائر فادحة في الكثير من المعارك.

في شهر سبتمبر 1902 قامت مجموعة من المجاهدين من الأزديجار المكونة من 37 فارس على المهاري بقيادة "سكو آغ يحي" المدعو "راسكو" - استشهد بداية 1907م في معركة ضد الاحتلال - بمحاولة الهجوم على فرقة عسكرية فرنسية، ولكن قوات الاحتلال كانت متفوقة عليها في العدد حيث كانت متكونة من 50 جنديا نظاميا من الكتيبة الصحراوية لتيديكلت و20 من الثوم من "الزوى" التي انطلقت نحو فارس أم الليل ثم مسقم في 14 سبتمبر، لذلك فضل المجاهدون الإنسحاب التكتيكي بعد أن اكتشفت قوات الاحتلال تحركاتهم، وفقد المجاهدون عنصر المفاجئة في الهجوم<sup>(3)</sup> وفي شهر أكتوبر قام جنود المقاومة بالهجوم على قبيلة "أولاد دهان" التي شاركت إلى جانب قوات الاحتلال في معركة تبت في منطقة "عين رجم" في المويدير، ثم وصلت أخبار عن تجمع الأهقار في "إينمغل" و الاستعداد للهجوم على عين صالح، لذلك سارع النقيب كوفي **Cauvet** قائد الملحقة بتكوين فرقة عسكرية تحت قيادة غيلولوهان **Guillot – Lohan** مكونة من 170 جندي

<sup>1</sup> - Cottenest, Op.Cit,p 239.

<sup>2</sup> -Cottenest,Op. Cit , p 340.

<sup>3</sup> -Voinot . L, Op. Cit , pp. 99- 100

من بينهم 40 جندي من المخزن وشاركت قبيلة اولاد يحيى ب20 جندي وتوجهت نحو "إدلس" - "تين تاراين" - "تامراست" وارتكب عدة جرائم ضد التوارق سكان بعض القرى العزل واستولى على أرزاقهم , في نفس الوقت قام قائد "الزوى" بدورية في المويدير ب 30 فارسا وتقدم حتى حدود التاسيلي واستمرت هذه الدورية للقائد "لوهان" حتى 16 ديسمبر<sup>(1)</sup>.

كان لهذه الدوريات العسكرية دور في استكشاف بعض المناطق الداخلية خاصة المرتفعات الداخلية مثل: اسكرام - ألمان - تاهات - أتكور وغيرها والوديان الضيقة والطرق الداخلية كما كانت هذه الدوريات استعراض للقوة أمام الهقار , أما المقاومة فقد كانت تواصل المناوشات وحرب العصابات بالهجوم باستغلال عنصر المفاجئة والانسحاب السريع بالكر والفر وإنهاء العدو خاصة من الناحية الاقتصادية واستغلال معرفتهم الجيدة بالصحراء لتنظيم الهجمات التي لا يتوقعها العدو وتفادي المواجهة المباشرة .

#### 2-5-5) المقاومة في منطقة الازدجار (التاسيلي ناجر):

لا يمكن فصل المقاومة بين المنطقتين فقد قام الازدجار بعدة عمليات عسكرية في مناطق واقعة تحت الاحتلال الفرنسي وكذلك في الهقار وكانت كذلك التاسيلي ناجر القاعدة الخلفية للأمينوكال الأهقار "أتاسي أغ أملال", ففي أوقات الشدائد والمحن كان التضامن والتكاتف طبعاً متأصلاً فيهم .

كانت أغلب الرحلات الاستكشافية في أواخر القرن 19 حول منطقة الازدجار أي شرقاً ومع ذلك قامت قيادة الجيش الفرنسي بتكليف النقيب "بان" «Pein» بالقيام بدورية استطلاعية عسكرية في المناطق الداخلية في جانفي 1903م على رأس (قوم ورقلة)، وكان قد سبق له أن قام بمرافقة بعثة فورو-لامبي ثم في بعثات استكشافية أخرى سنة 1898م 1899م عندما كانت بعض الشخصيات المؤثرة توفر له الحماية مثل محمد آخنوخن والشيخ عبد النبي وغيرهم.<sup>(2)</sup>

<sup>1</sup> -Lehuraux , op. cit, pp 302 – 303 et Vionot ,op. cit, p 100

<sup>2</sup> - مرموري، المرجع السابق، ص 244.



كانت هذه الدورية الاستطلاعية بهدف ملاحقة جناح المقاومة من الأهقار المتمثل في (كال تايوتوك) وآتاسي آغ أمالال زعيم جناح المقاومة، ولكن لم يتعرض لهذه الدورية أحد من المقاومين.

في حين قامت مجموعة من المجاهدين الأزدرجار بالهجوم على مجموعة من البدو من أكابلي في أحت في شهر فيفري، استمرت عملية استنزاف وإنهاك قوات الاحتلال بهذه العمليات التي تعتمد على عدد قليل من المجاهدين السريعي الحركة في الصحراء حيث في 24 مارس 1903م قامت فرقة من المجاهدين المكونة من ست فرسان بالاستيلاء على جمال في وادي إينسوكي، ثم قامت بملاحقة قافلة من عين صالح وتم الهجوم عليها في حاسي مولاي الذي يبعد بمسيرة يوم ونصف عن غدامس والاستيلاء عليها، ولكي يتم فرض الحصار على القبائل المتعاونة مع الاستعمار وحرمانها من المبادلات التجارية الخارجية الضرورية لها، قامت المقاومة بوضع مركز للمراقبة في تماسينين يحتوي على 20 مجاهدا وثلاثة كشافة في "تيغامار" و بالتالي تم قطع طريق غدامس بشكل تام<sup>(1)</sup>

فكانت استراتيجية المقاومة لا تقتصر على الاهداف العسكرية بل تعدته إلى فرض الحصار على مركز عين صالح الذي سبق وأن أغلق سوقه في وجه التوارق الأهقار من طرف سلطة الاحتلال للضغط على المقاومة، فكان حرمان تجار عين صالح من القبائل التي استسلمت للاستعمار من مبادلاتها التجارية من غدامس وغات وغيرها من المراكز التجارية، حصارا يكبدهم خسائر كبيرة للضغط على الاستعمار في منطقة التيديكلت.

لذلك قامت سلطة الاحتلال بتجهيز دورية أخرى بقيادة الملازم **Beset** "بيسيت" متكونة من 57 فارس مهاري و97 من القوم وتمثلت مهمتها في تحرير طريق غدامس ومهاجمة مركز المقاومة في تماسينين ومعاقبة القبائل الداعمة للمقاومة وبدأت في سيرها يوم 19 جوان من عين صالح، وفي 13 جويلية كانت المعركة غير متكافئة، بحيث التقت بحوالي 40 من المجاهدين الذين تمكنوا من تفادي المواجهة المباشرة وكانت خسائرهم شهيد واحد وآخر أسير<sup>(2)</sup>.

<sup>1</sup> - Voinot, op.cit., p101.

<sup>2</sup> - Rapport sommaire du capitaine Métois chef d'annexe d'in-salah sur la tournée de police chez les Azdjer 02/08/1903, boîte 22H 30, anom

كانت هذه المجموعة من التايتوك بقيادة سيدي آغ غراجي الذي أيد آتاسي آغ أملال. ولكن تمكنت هذه الدورية من الوصول إلى المخيم التايتوك ولكنها وجدته فارغا من أهله لذلك واصلت المطاردة ورجعت في 20 جويلية إلى خنقة الحديد مركز عمليات<sup>(1)</sup> كان خروج هذه الدورية في فصل الصيف لتحدي كل الصعوبات التي كانت تعيق و تحدد من حركة القوات الفرنسية، والواقع أن هذه الدورية يوجد بها فرنسي واحد فقط وهو بيسيت و أغلب جنودها هم من أهل الصحراء , ولكن بهذه القوات يمكنهم التدخل في أي وقت وفي أي مكان في الصحراء وكعادة هذه القوات تقوم بالاعتداءات والمصادرات في المناطق التي تمر بها مما يجعل المقاومة أكثر تصميما على مقاومة الاستعمار ما عدا طبعا بعض ضعاف النفوس الذين كانوا يقدمون بطلبات الأمان من سلطة الاحتلال .

كان أمينوكال في هذه الفترة في كونفدرالية الازدجار هو أغداس أباكادا وكان في سن 50 وأشتهر برزانة العقل والصدق والهدوء و كان من مريدي الطريقة السنوسية ومن أشد المتعصبين لمبادئها التي تركز على قاعدة أساسية هي العداة للمسيحيين وعدم المهادنة أو التعامل معهم وبقي على هذا المبدأ حتى وفاته.

لذلك لم يكن على لائحة الشخصيات التي يمكن الاتفاق معها من طرف السلطة الفرنسية مثل ما حدث في كونفدرالية الأهقار مع الأمينوكال الجديد المدعو من فرنسا موسى آغا أمستان ضد الامينوكال الشرعي والحقيقي آتاسي آغ أملال<sup>(2)</sup>، كانت محاولات التوغل في المناطق الشرقية في التاسيلي ناجر متواصلة بحيث أشرف قائد منطقة الواحات على عملية التوغل في المناطق الشرقية في التاسيلي ناجر، و أشرف قائد منطقة الواحات "لابرين" والقائد الأعلى لدائرة توقرت على عملية حفر الآبار في العرق الشرقي الكبير لتسهيل حركة البدو الرحل وتنقل كذلك الفرق العسكرية بقيادة **pujat** , ثم تم بناء برج في زاوية تماسينين أفريل 1904 الذي أطلق عليه اسم "برج فلاتيرز" وكان الحاكم العام يرى في الرائد كوفي الشخص المناسب لهذه المهمة كذلك عينه كقائد أعلى لدائرة

<sup>1</sup> -Lehuraux. français au sahara ,op. cit, pp. 207- 208

<sup>2</sup> -Lehuraux , L'annex d'in salah et la compagnie saharienne de tidikelt depuis leur création 19<sup>ème</sup> année, Bull. Soc .Geo.Al. AFR . ,1914, p319

توقرت في مكان الرائد pujat وكان لهذا الرائد cauvet خبرة في التعامل مع توارق الصحراء وكان قد أشرف على الاتفاق بين الأهقار وفرنسا وجمع بين استراتيجية العسكري والدبلوماسية .

اعتمدت هذه الاستراتيجية على القيام بحملات عسكرية ضد توارق الازدجار في أماكن إقامتهم مستغلا قوة قوم الشعانية في الصحراء وتكثيف من عمليات السطو والتشريد لهذه المجموعات السكانية , فكانت نتيجة هذه العملية في بدايتها هي طلب الأمان الذي قدمه الإيفوغاس الذين فضلوا البقاء في الصحراء والحفاظ على حريتهم وانشقوا على الشيخ عبد النبي عندما دخل تحت حماية الفرنسيين 1896 , انظموا هم كذلك عن طريق وفد الإيفوغاس الذي طلب الأمان والإذن بإقامة في تماسينين مع أبناء عمومته من السلطة العسكرية في الواد<sup>(1)</sup> ثم تمت العملية بشكل رسمي عندما تقدم قائدهم "محمد إيليلي" في 1903 نوفمبر<sup>(2)</sup> وأعلن الاستسلام فأصبح في نفس الخط الذي رسمه زعيم الإيفوغاس سي عبد النبي في التقرب والتحالف مع الفرنسيين .

استمرت عمليات الغزو من طرف القوم الشعانية خلال خريف 1904 ضد الازدجار وتقدمت هذه القوات حتى شرق غدامس وسيناون وحتى فزان وتمكنت من نهب حوالي ألف من الإبل التي أتت بها إلى توقرت , ثم قرر القائد كوفي القيام بحملة عسكرية تتقدم إلى عمق الأراضي في التاسيلي وعين النقيب Touchart توشارد قائد ملحقة الواد لقيادتها وحدد له مهمة استكمال حفر الآبار في قاسي الطويل وهو عبارة عن ممر يصل عرضه إلى 20 كلم وطوله إلى 300 كلم خالي من أي مصدر للمياه من حاسي " مخانزة" إلى تانزروفت لذلك من الصعوبة بمكان قطع هذه المسافة فكان من الضروري و المهمة الأولى هي استكمال حفر الآبار وإصلاح الآبار المتضررة واستكمال بناء البرج في حاسي تارتار وحفر آبار أخرى في نفس المنطقة<sup>(3)</sup>، وحفر بئر إرتوازي في تماسينين والأهم في هذه المهام البحث عن طريقة للتواصل مع توارق الازدجار وبصفة خاصة السلطان أمود من الإيمانان , ثم التعرف على بلاد الازدجار ووضع خرائط دقيقة لها وعدم التقدم إلى ما وراء منطقة واد تاغات وجانت (ينظر الملحق رقم 20).

<sup>1</sup> -Lehuraux ,les français au sahara ,Op.Cit ,p .212

<sup>2</sup> -Vionot ,op .cit , p .102

<sup>3</sup> -Capitaine Touchard , travaux et reconnaissance de pénétration saharienne Exécuté dans le sud constantinois par le cercle de touggourt , renseignement coloniaux et documents publié par Com.Afr.Fr.et Com. Maroc , octobre 1906, p.301

غادرت هذه الفرقة توقرت يوم 19 نوفمبر 1904 في قوة قوامها 200 من الفرسان المهاري ووصلت إلى تماسينين ثم غادرها في 10 ديسمبر وسلك الطريق المعتاد إغرغارن وبحيرة منغور وإليزي وإمنهور وصولاً إلى ديدر<sup>(1)</sup> التي غادرتها هذه الفرقة في 15 جانفي لتصل إلى جانت يوم 19 جانفي 1905، ولكن خاب أمل قائد هذه الفرقة "توشارد" عندما لم يجد أعيان ونبلاء وقادة الأزدجار في جانت، السلطان أمود بن المختار عن الإيمانان (غداسن آغ أباكادا) و(أناكروفت آغ كابالا) عن الأوراغن و(فيينايت آغ موسى) عن الإيمنغاساتن هؤلاء الذين سبق وأن رفضوا العرض الذي قدمه موسى آغ أمستان سنة 1903 في الإتفاق مع قادة الاحتلال الفرنسي في عين صالح، ولكن سي عبد النبي كان قد سبق البعثة إلى جانت واجتمع بأعيان قصر زلواز أحد قصور جانت الستة، لإعلام هذه الفرقة بنية السكان السلمية، وكانت تعليمات القيادة إليهم هي عدم الالتزام بأي شيء لعدم وجود من له صلاحية التفاوض معهم<sup>(2)</sup> ثم قام قائد هذه الفرقة بزيارة لقصور جانت يوم 20 جانفي عبر زلواز ولاحظ وجود علم الدولة العثمانية على منارة المسجد الذي أمر قائد الحملة بإنزاله، ثم لاحظ كذلك أن سكان جانت كانوا على أتم الاستعداد للدفاع عن أنفسهم ومدججين بالسلح، ثم توجه إلى الزاوية السنوسية ومنها إلى ميهان ثم جاهيل، ويوم 21 بدأت رحلة العودة ليغادر التاسيلي يوم 4 فيفري ويصل إلى إليزي يوم 9 فيفري ثم تماسينين يوم 21 فيفري وتوقرت في أفريل.

وسارت هذه البعثة دون حوادث خطيرة رغم تسليحها المفرط، ولكن النتائج كانت سلبية لعدم إتمام اللقاء مع قادة ونبلاء الأزدجار من الناحية السياسية في حين تمكنت من جمع المعلومات في غاية الأهمية من الناحية الجغرافية والإثنوغرافية لمنطقة التاسيلي والأزدجار، وتمكنت من تلقي طلب الأمان والاستسلام من باخا آغ أزوارو وأخوه موساوي وهم من الأمغاد الأزدجار ولكن قائد الحملة اشترط أن طلب الأمان يجب أن يكون جماعي من كل أعيان القبيلة، وتم ذلك في 1 جانفي أين انظم إلى جناح المسالم (جيرجراون) و(كال تيبيران) و(كال أهراس)<sup>(3)</sup> (ينظر الملحق رقم 19)

وكان قائد هذه الدورية العسكرية قد تعمد إظهار قوتها بالسلح وسلميتها بحيث لم يتعرض للبدو والمخيمات التي مرَّ بها في طريقه محاولة منه لإقناع قادة الأزدجار بالتفاوض حول السلام،

<sup>1</sup> -Ibid , p. 309

<sup>2</sup> -Ibid , p. 312

<sup>3</sup> -Ibid , p 308

وفعلا تأثر بذلك أحد قادة الأوراجن وهي أقوى قبائل الازدجار وهو (غداسن آغ أباكادا) الذي بعث برسالة إلى النقيب توشارد في الواد قائلًا: "لا يمكنني إلا تأكيد الاتفاق المنعقد بيننا فيما مضى ولا يزال ساريا حتى الآن , لقد ذهبت إلى تاغات التي كان بها كل أرزاق القبائل ولم تأخذ منه شيئا وهذا دليل على صداقتنا وهو دليل كذلك لهدفكم السلمي جزاك الله خيرا"<sup>(1)</sup>

و لكن هذا الانطباع لم يشاركه فيه أنصار أتاسي أمينوكال الأهقار الذين التحقوا بجانت التي أصبحت مركزا للمناضلين ضد الفرنسيين , وتضاعفت التحركات الفرنسية في الصحراء بعد أن نجحت في تسوية الخلافات حول المستعمرات مع إنجلترا سنة 1904 بدليل تحركها نحو جانت وبيلما أيضا , وكان الهدف استكشاف المنطقة ومعرفة أيضا ميول سكانها ودخلت وحدة عسكرية فرنسية إلى بيلما في 8 جانفي 1905 وغادرتها يوم 13 جانفي وتبين أن هدف فرنسا هو السيطرة على طرق القوافل , ولكم تجارة السودان هي شريان الحياة لليبيا والأتراك يدركون ذلك , خاصة الشباب المنفي فيها وكانوا مدعمين من طرف الوالي رجب باشا المخلص لوطنه وكانت ردود فعل الوطنيين الأتراك فتح طريق صراع جديد مع فرنسا<sup>(2)</sup> كان للدعاية السنوسية في تحريضها على جهاد الكفار والاحتلال المسيحي دور كبير في استمرار المقاومة المسلحة , وبالرغم من كل هذه الأساليب التي استخدمها خبراء الجيش الفرنسي في دورياتهم في الصحراء مثل " النقيب توشار" إلا أنها لم تتمكن من وضع حد للمقاومة بل اشتدت حدة الهجمات بعد أن تأكد خبر الاتفاق الذي تم بين موسى آغ أمستان مع سلطة الاحتلال الفرنسي .

تضاعفت الهجمات العسكرية على قوافل التموين لمراكز العدو في الصحراء والقبائل التي أعلنت استسلامها لفرنسا , وكان زعيم هذه الهجمات هو (راسكو آغ يحيى) الذي كثف من عملياته العسكرية ضد أهداف العدو المختلفة , لذلك جهزت فرقة عسكرية بقيادة محمد آغ عثمان وكان خليفة لموسى آغ أمستان , ووقعت المعركة بين (راسكو آغ يحيى) زعيم المقاومة في تادرات بالقرب من الحدود الطرابلسية , وكان عنصر المفاجئة لصالح العدو من الهقار الذي استخدم كل العوامل

<sup>1</sup> -Lehuraux , les français au sahara , op . cit , p.217

<sup>2</sup> - عبدالرحمن تشايحي , الصراع التركي - الفرنسي في الصحراء الكبرى , مراد محمد الأسطي تر . علي اعزازي 'تت محمد الطاهر جادادي , ليبيا , 1982 , ص ص 210-211

لصالحه وتمكن من مباغتته وألقى عليه القبض ونفذ فيه حكم الإعدام مباشرة من طرف محمد آغ عثمان.<sup>(1)</sup>

### 3-5-5) موقف الأتراك في ليبيا من التوغل الفرنسي في الشرق :

أعلنت الدولة العثمانية عن موقفها المعارض لتقدم القوات الفرنسية بقيادة النقيب توشارد واحتجت على إنزال العلم التركي في جانت التي تعد من أراضيها وتطورت الأزمة إلى اتصالات دبلوماسية بين الباب العالي وباريس , وكان هدف فرنسا تحويل طريق تجارة السودان إلى تونس والجزائر عبر جانت التي كانت مركز تجمع كاوار - غات - غدامس وطريق الآيبر - غات - غدامس وكان بإمكانها أن تحول تجارة السودان على طريق بيلما - كادو - جانت - تماسينين - ورقلة، بعد الاستيلاء على بيلما ومن ثم ستفقد غات و غدامس قيمتهما وحياتهما , لذلك تقرر إرسال سرية عسكرية إلى كل من جانت بيلما لتوطيد أمن القوافل وتأسيس معسكر تركي ورفع الراية , وأرسل أحد الشباب التركي عبد القادر جامي بك كقائم مقام على غات لإحياء جانت , وكانت الظروف الدولية وتوازن القوى الدولي في أوروبا قد اختل لصالح الحلف الثلاثي عندما انهزمت روسيا القيصرية في حرب 1904 ضد اليابان والضغط الألماني الممارس على فرنسا في قضية المغرب الأقصى , فكانت فرنسا منشغلة بهذه القضايا والتوازنات في أوروبا التي سبقت الحرب العالمية الأولى , فكان من الممكن للأتراك التحرك السريع والسري وتجهيز هذه المراكز ولكن القنصل الفرنسي علم بالأمر ومارست الدبلوماسية الفرنسية ضغطها على الدولة العثمانية لمنع ذلك<sup>(2)</sup> وعبرت عن ذلك في مذكرة السفير الفرنسي 30 ماي 1906 >> إن فرنسا أعلمت في مذكرتها اللتين وردتا في 5 ماي 1899 و30 نوفمبر 1901، إن المناطق التي خصص لها بمعاهدة 31 مارس 1899 ليست للدولة العثمانية , وتصرح بأنها تحتج على إرسال القوات العثمانية نحو بيلما وكاوار وجانت وتعلن بأنها ستتخذ التدابير اللازمة عند الإخلال بممتلكاتها << ثم سارعت السلطة الفرنسية بإرسال دورية تحت قيادة الملازم "cannac" "كاناك" في المناطق الواقعة بين تماسينسن وإيجيري من جهة وإيغارغار ووادي

<sup>1</sup> -Lehuraux , les français au sahara , op , cit . p.217

<sup>2</sup> - عبد الرحمن تشايحي , المرجع السابق ص ص 213-215

"سامن" من جهة أخرى، وتمكن هذا الملازم من خلال تواجده في هذه المناطق خاصة "إينديكالك" من جمع معلومات جغرافية وخاصة مناطق توفر المياه وحول طرق القوافل كذلك.<sup>(1)</sup>

بعد مراسلات عديدة بين وزارة الخارجية للدولة العثمانية ونظيرتها الفرنسية حول تحديد مناطق النفوذ بين الدولتين في الصحراء الشرقية، كانت فرنسا تحاول التملص من الاتفاق واستمرت في التماطل والمحافظة على الوضع الراهن والسبب في ذلك هو، تعيين الحدود مع الدولة العثمانية في الصحراء سيوجب فرنسا على التنازل عن بعض المناطق التي خصصتها لها اتفاقية 1899م، وكانت الظروف الدولية غير مناسبة إضافة إلى انشغالها بأزمة المغرب الأقصى، في حين في حالة عدم الاتفاق ستسمح للوحدات الفرنسية من التقدم عندما تصبح الظروف أكثر ملائمة وبالتالي كانت تحافظ على الوضع الراهن.<sup>(2)</sup>

لم تتوقف السلطات الفرنسية عند هذا الحد، بل تعدته إلى التدخل بشكل غير مباشر داخل الأراضي الليبية عن طريق إرسال مجموعة من 14 شخصا من شعانة الواد وسعيد أولاد عمور، وكانت هذه المجموعة بقيادة مسعود بن الطيب و داود بن عبد الله في اوت 1906م إلى جانت وكلفتهم بمهمة الدعاية للجناح الفرنسي، كنوع من التحضير البسيكولوجي لأهالي هذه الواحة، ثم مراقبة تحركات الأتراك في جانت وكذلك تحركات التوارق الأزديجار والأهقار بقيادة آتاسي<sup>(3)</sup> والمعارضين للوجود الفرنسي عامة الرافضين للاستعمار.

أما الجانب التركي فقد أرسل في جانفي 1907 "جامي باي" مع ملازم الجندرمة الحاج السنوسي وضابط آخر ومجموعة من الجنود وقائم مقام مدينة غات<sup>(4)</sup>، وكان لهذه السلطة المحلية الجديدة دور في الدعاية للأتراك خلال سنة 1906/1907م في واحة جانت دون أن يأخذ معه قوة نظامية سوى العلم التركي، وأسس له نفوذا واسعا خلال هذه المدة في وسط التوارق ورؤسائهم من الشيخ أمود و إيغداسن، فقد كان يقول (إن مركز التوارق الأزديجار هو غات، وغات تركية فالمراعي

<sup>1</sup> -Lehuraux, les français au sahara.op, cit,p.219

<sup>2</sup> - عبد الرحمن تشايحي، المرجع السابق، ص 220

<sup>3</sup> -A.S de Djanet, 27/03/1907, boite 22H 30, anom

<sup>4</sup> -A.S de Djanet, du ministre des affaires étrangères a M<sup>er</sup> Jonnart, G.G.A, 13/03/1907, boite 22H 30, anom

والمناطق الزراعية أزقرية تركية أيضا ، لأن السلطان خليفة على المسلمين والمسلمون جميعهم رعيته).

لم يتوقف نشاط جامي باي على كسب الأزدجار فقط، بل حاول كسب الأهقار وتأسيس نفوذ له بمساعدة أمنوكال الأهقار آتاسي آغ أملال، وقد أبلغ جامي باي حكومته أن حالة الوضع الراهن قد انتهكت عندما تجمع الفرنسيون في ديدر **Dider** على مسافة ثلاثة أيام من جانت، وبعد أخذ و رذ ديبلوماسي بين الدولتين تم الاتفاق على أن يكون خط طول 9° درجات شرقا منطقة منزوعة السلاح، للمحافظة على السلام، ثم صدر أمر للوحدات الفرنسية بأن لا تقترب بأكثر من 60 كلم من غات وغدامس، إلا في حالة ملاحقة العصابات.<sup>(1)</sup>

و استغل جامي باي هذه الوضعية وبذل جهدا كبيرا في جذب التوارق الأهقار ، عن طريق الدعوة إلى جهاد الكفار المسيحين وعدم الوقوف معهم، والمجهود الذي بذله وكيل قائم مقام غات الحاج السنوسي، فاحتجت فرنسا على ذلك وكان رد الوالي على هذه الاتهامات أن التوارق مواطنين مدينة غات منذ القديم وهي تابعة لفرزان، وعندما شاهدوا أن جانت خرجت من تحت حمايتنا (الترك) بدأت هجرتهم إلى الأراضي التركية دون أي دعاية أو ترتيب، والسبب يعود الى نهب الفرنسيين ومعاونهم لأرزاق التوارق، أما عن قلق الفرنسيين فهو النجاح الذي حققه قائم مقام غات في توجيه التجارة إلى طرابلس بفضل المعاملة الحسنة للتجار.<sup>(2)</sup>

استمرت هذه المناورات بين الطرفين في المناطق الحدودية بين غات وجانت، وتوالت الاتهامات المتبادلة بين الطرفين، فقد كانت فرنسا ممثلة في قيادتها في المنطقة في الضابط لابرين تشجع العداوة الفرقة بين الأزدجار والأهقار بصفة عامة، وبين توارق الأهقار أنفسهم، المنقسم إلى الجناح الذي تحالف مع فرنسا بقيادة موسى آغ أمستان، والجناح الذي اختار المقاومة وعدم الاستسلام بقيادة الامنوكال آتاسي آغ أملال الذي انسحب إلى الاراضي الليبية ومن هناك كان يشجع العمليات الجهادية ضد الاحتلال ومعاوينه.

<sup>1</sup> - عبد الرحمن تشايحي، المرجع السابق، ص ص 221-222

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 223



#### 4-5-5) استمرار التوغل العسكري ورد فعل المقاومة:

أشارت العديد من التقارير خلال سنة 1906/1907م إلى ازدواجية القيادة الفرنسية في تسيير قضية الأزديجار، بين قيادة دائرة توغرت والقيادة العسكرية للوحدات، وعدم التنسيق بينهما في الأساليب و في الأوامر مما أدى إلى الكثير من التناقضات و الاختلالات في التسيير، وكانت أغلب هذه التقارير من المقدم لابرين القائد العسكري لمنطقة الوحدات، وكذلك النقيب دينو (Dinaux) قائد ملحقة تيديكلت وكوفي قائد دائرة توغرت، وجاء في أحد هذه التقارير للمقدم لابرين يعبر فيه عن مشكلة ازدواجية التسيير قائلا: (لقد قلت دائما، امنحوا إدارة مسألة الأزديجار إلى توغرت أو الوحدات ولكن لجهة واحدة).<sup>(1)</sup>

واستمرت حالة الوضع الراهن في منطقة جانت و اعتبار خط طول 9° شرقا منطقة محايدة و منزوعة السلاح، مع تفادي الدوريات الفرنسية من التسبب في أي صدام عسكري حتى لا يتسبب في أزمة دبلوماسية بين الدولة العثمانية وفرنسا في ظل الظروف السياسية الدولية غير المناسبة التي تميزت بإعادة تشكل خريطة جيوسياسية جديدة للعالم بعد اختلال في توازن القوى العالمي.

ولكن السلطة الفرنسية كثفت من الدوريات الاستكشافية ذات طابع عسكري، خاصة بعد المرسوم الذي صدر 01 أوت 1905م الذي رفع عدد الجنود في كتيبة تيديكلت التي كانت مسؤولة عن الأمن في منطقة واسعة التي تشمل المويدير وأحنت والهقار، وتوسعت الحدود نحو الشرق إلى خط طول 5° درجات شرقا، لذلك حاولت أن تحقق تواجدها الدائم في المناطق التي احتلتها حديثا، لذلك خرجت في ديسمبر 1905م دورية بقيادة الملازم فوانو Voinot الذي كلف بمهمة زيارة مخيم التوارق وجمع معلومات عن البدو الرحل، ووضع خرائط لهذه المناطق وخاصة الطرق داخل منطقة التاسيلي، ثم توجه نحو (تاغامر) 07/02/1906م وبعدها التف حول الهقار وأباليسا شمال غرب تمنراست، واتجه شمالا عبر أحنت إلى مركز عين صالح.<sup>(2)</sup>

<sup>1</sup> -Laperrine , politique a suivre vis-à-vis les Azdjar, 18/01/1907, boite 22H 30, anom

<sup>2</sup> -Lehuraux.C, L'annexe d'in-salah et la compagnie saharienne du tidikelt, op.cit., p321.

تواصلت هذه الدوريات الشرطية في الصحراء مثل دورية الملازم (Clor) في منطقة الهقار والأيير، واستمرت 52 يوم، وقطعت حوالي 2000 كلم، ولكن عبر عنها لابرين في تقريره أنها كانت سلبية بحيث أكدت في كامل الصحراء خوفنا من الانتراك.<sup>(1)</sup>

في نفس الوقت كانت دورية الملازم كوناك (Connac) تجوب منطقة تماسينين وإيغرغار، وعندما علم بوجود فرقة من قوم توقرت في تماسينين التي رافقت الشيخ سي عثمان أخ القايد عبد النبي في تماسينين، الذي كلف بمهمة إقناع الأزديجار بالانضمام إلى منطقة الحماية الفرنسية، توجه إليها مباشرة، وكان لهذه الدوريات التي كانت تجوب الصحراء باستمرار، دور في إقناع العديد من القبائل والتجمعات الفقيرة في اعلان ولاءها لفرنسا.

ثم اعتمدت على تشييد بناء الحصون القلاع في مناطق استراتيجية في الصحراء، تكون كمركز تموين للدوريات ومراكز حراسة دائمة لتحركات المقاومة، يمكنها التدخل عندما تقتضي الحاجة لذلك، وملجأ يمكن تخزين المؤونة فيه، وأشرف على عملية اختيار أماكن هذه المراكز الضابط لابرين الذي حدد مكان حصن بولنيك في وادي إيغرغار على أحد فروع وادي إليزي على بعد أمتار من حاسي تيسنجل ومنحه اسم بولنيك وكان ذلك في افريل 1908 م.<sup>(2)</sup>

وكانت أبعاد بناء هذا الحصن في بلاد الأزديجار ترمي إلى عزيمة البقاء في المنطقة والاستيلاء عليها، ردا على الدعاية التي تزعمها جامي باي في المحافظة على تبعية جانت إلى الدولة العثمانية.

أما منطقة الأهقار فقد قامت دورية بقيادة الملازم Sigonney التي غادرت عين صالح 22 أفريل 1908 م، وكانت ترافق القائد لابرين، جال في الصحراء عبر عين الحجاج وتزروق وفي 30 جوان وصل إلى تين هاوهاو فوجد المكان مناسباً لبناء حصن الذي أطلق عليه اسم موتلينسكي<sup>(3)</sup> motylinski بنفس أهداف التشييد التي ذكرناها في حصن بولنيك (ينظر الملحق رقم 21)

<sup>1</sup> -politique a suivre , op.cit., boite 22H 30 anom.

<sup>2</sup> -Jose Germain. Stephane Feye, un grand africain. La vie et la mort du général Laperrine, revue des deux mondes, T.8, 7<sup>eme</sup> annee, Paris , 1922, p530.

<sup>3</sup> -Ibid, p530

أما جناح المقاومة الذي كان يمثله ثلاث شخصيات من الأشراف النبلاء من توارق الأزديجار، وكان لهم نفوذ كبير لدى كل قبائل هذه الكونفدرالية أولهم السلطان أمود آغ المختار وينتمي الى قبيلة الإيمانان التي ينتمي اليها سلاطين التوارق، وإغداسن وهو أمينوكال الأزديجار من الأوراغن و آتاسي آغ أملال أمينوكال الأهقار الشرعي، كان موقف هذه الشخصيات رفض الخضوع والاستسلام للفرنسيين، وتلقوا الدعم المادي والسياسي من الدولة العثمانية في غدامس وغات، والدعم الروحي المعنوي من الطريقة السنوسية العدو للودود للاستعمار الأوروبي في الصحراء .

لذلك رغم الاجراءات العسكرية والدوريات الشرطة الفرنسية، إلا أن العمليات العسكرية والهجمات على مراكز الاحتلال وعلى القبائل المتعاونة مع الاستعمار كانت مستمرة، فقد قام المجاهد (راسكو آغ يحي) بعدة عمليات تميزت بالجرأة والتحدي و سرعة الحركة في الصحراء، وركز في هجماته على قوافل الامداد الفرنسية والقوافل التجارية للقبائل المتعاونة مع الاستعمار خاصة القبائل الأهقار التي تعاونت مع الاحتلال بقيادة موسى آغ أمستان .

عجزت الدوريات الفرنسية عن إلحاق الهزيمة به، كان آخرها في 24 جوان قام أحد رجاله (أتوكاما) من امنغاساتن بإغتيال أحد حراس المترجم العسكري موتيلنسكي عندما كان في تمرناست وأخذ بندقيته ولاذ بالفرار<sup>(1)</sup>، وعندما علم موسى آغ أمستان بالحادثة كلف خليفته محمد آغ عثمان على رأس قوة مكونة من 80 فارسا على المهاري من مختلف القبائل التارقية ورافقه بوخليل آغ دوكا وتوجهوا نحو تازروق - تماسينت، وفي طريقه تمكن من معرفة مكان تواجد (راسكو آغ يحي) في منطقة تاشوينت وحينها عين 20 جنديا يتسللون - مشيا على الأقدام إلى مكان تواجده وتمكنوا منه، حيث كان في رفقة خمسة أفراد من اسكماغين فقتل أحدهم وفرَّ آخر وهو أتوكاما الذي قام بعملية الاغتيال، وألقي القبض على (راسكو آغ يحي)، أما الآخرين فكانوا شيوخا وأطلق سراحهم، وبعد مشادات حادة إتهم فيها المجاهد الخليفة بالخيانة والعمالة، قام الخليفة محمد آغ عثمان بإعدامه في نفس المكان، واختلفت ردود الافعال حول هذه القضية بين مؤيد ومعارض.<sup>(2)</sup>

<sup>1</sup> -Lehuraux, l'annexe d'in-salah, Op.Cit., p325.

<sup>2</sup> -Ibid, p326.

أخذت الاطماع الفرنسية في مناطق الأزديجار ( جانت - غات - بركات - تاغات ) بُغْدًا دوليا، حيث احتدم الصراع بين تركيا الجديدة، بعد الانقلاب ضد السلطان عبد الحميد الثاني ووصول المعارضة إلى السلطة من ناحية والاستعمار الفرنسي الذي كانت تحركه أطماعه في تحويله التجارة مع السودان نحو الجزائر أو تونس، لذلك وضعت منطقة جانت التابعة للأزديجار في الحياد ومنزوعة السلاح، ولكن الأتراك كانوا يتحركون بكل حرية في هذه المنطقة، فقررت السلطة العسكرية الفرنسية بوقف هذه التحركات بالتدابير العسكرية ومنع استلاء الأتراك على جانت بالقوة ووجهت الأمر إلى النقيب "نياجير Niéger"<sup>(1)</sup>، بتجميع قواته في واد "إيسنديلن" في 14 جويلية 1909 وكانت هذه القوات مكونة من 170 جندي مسلحين بسلاح متطور ومدفعية 80 ملم ووصلت على مشارف جانت في 18 جويلية 1909 وكان قائد الحملة قد أرسل مبعوثين إلى سكان جانت لإعلامهم أن هذه القوات جاءت مسالمة وليست للحرب ولكن سكان المدينة كانوا على أهبة الاستعداد للدفاع عنها، وكان أشرف ونبلاء الأزديجار غير موجودين لذلك اكتفى بإنزال العلم التركي وعاد على أدراجه وبمجرد مغادرته المدينة أرجع العلم التركي إلى مكانه.<sup>(2)</sup>

كانت هذه الحملة الثانية الفرنسية التي دخلت إلى جانت بعد حملة (توشار جانفي 1905)، ورفض كل من السلطان أمود وغيداسن التفاوض مع الفرنسيين وأظهروا ثقتهم في الأتراك، وأدى هذا التدخل إلى أزمة دبلوماسية بين الدولتين واحتجت فرنسا أن هذه الفرقة العسكرية كانت تلاحق قطاع الطرق.<sup>(3)</sup>

لم تكن جانت المكان الهام والوحيد المتنازع عليه بل هناك وادي تاغات الواقع في شمال غرب مدينة غات بـ 175 كلم أو مسيرة أربعة أيام، وكان أمينوكل الأهقار آتاسي أغ أملال والتوارق الأهقار الذين رفضوا الاستسلام لفرنسا، يقيمون فيه بعد معركة تيت.<sup>(4)</sup>

<sup>1</sup> - عبد الرحمان تشايبي، المرجع السابق، ص 229.

<sup>2</sup> - Lehurax, les français au Sahara, Op.Cit, p.232.

<sup>3</sup> - عبد الرحمان تشايبي، المرجع السابق، ص 230.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 240.

حاولت القوات الفرنسية الهجوم على الأهقار والقبض على الأمينوكال أتاسي في وادي تاغات في مارس 1910 ولكنهم فشلوا في القبض عليه و أخذوا حوالي أربعين أسيرا من الأهقار وأسلحة و أرزاق هذه القبائل، وكان الهدف البعيد الذي يرمي إليه هذا التدخل العسكري هو قطع الطريق التجاري (غات- غدامس) ومنع عبور تجارة السودان، فقام الأتراك بإرسال قوة بقيادة الملازم فاضل بهاء الدين في 13 أفريل 1910 لاستكشاف المكان، ثم لحقتها قوات بقيادة الملازم راسم وانضم إليهم المقاتلون الأهقار بقيادة أتاسي، وتم استرجاع المنطقة بعد انسحاب القوات الفرنسية دون اندلاع الاشتباكات إضافة إلى الضغط الديبلوماسي الذي مورس عليها.

خلال جانفي 1911 قام القائد العسكري « Payn » الذي خلف الرائد لابرين بدورية في إقليم الأزديجار و لحق به النقيب شارلي « Charlet » الذي حاول أن يعقد لقاء مع القائممقام عطيف باي في غات في نواحي "آساكاو" ولكنه اعتذر عن الحضور فاستغل النقيب شارلي فرصة تواجده في هذه النواحي المحايدة والاتصال بالسكان وجمع معلومات في غاية الأهمية وعند عودته ووصله إلى تماسينين علم بخبر إعلان إيطاليا الحرب على تركيا، فتلقى النقيب من قيادته الأمر باحتلال جانت ووادي تاغات وتم احتلال جانت في 27 نوفمبر 1911 دون مقاومة واختار مقر الزاوية السنوسية تكون مركز دائم لسلطة الاحتلال، ثم احتلال وادي تاغات في 03 ديسمبر 1911.

#### 5-5-5) معركة إيسيان ن أفاهلا: « ESSEYEN » (ينظر الملحق رقم 23)

كانت الأخبار المتداولة في الصحراء الشرقية ان الأزديجار بصدد تحضير لحملة عسكرية من الأراضي الطرابلسية، وفي نفس الفترة كلف الملازم قاردال « Gardel » بمهمة استكشافية التي انطلقت من جانت يوم 03 أفريل 1913، وفي طريقه جنوب جانت وصله خبر زحف جيش المقاومة المسلحة بقيادة السلطان أمود و إيغداسن في نواحي مدينة غات ويتجهون نحو جانت، لذلك عليه الالتحاق بجانت لتنظيم الدفاعات، فتوجهت هذه الفرقة إلى الشمال نحو "إيسيان ن أفاهلا" التي تبعد عن مدينة غات بحوالي 35 كلم، وهي تجمع سكاني صغير يضم حوالي 20 عائلة يمارس الزراعة بفضل توفر المياه ، ولكن النقيب قاردل وجد القرية فارغة، الأمر الذي أكد أخبار قدوم جيش المقاومة، ولكن الملاحظات التي جاءت في التقارير والأخبار تفيد أن هناك مبالغة في عددهم، حيث أشارت إلى حوالي 300 جندي، و من ناحية أخرى نلاحظ أن قيادة جيش المقاومة لم تكن منسجمة

وموحدة وكانت متعددة القادة فقد كانت هذه القيادة مكونة من "السلطان أمود و إيغداسن و يوجد كذلك بوبكر آغ الغوي و ماتكو آغ ويغ" وتركيبه الجيش غير متجانسة وغير منسجمة بحيث تتكون من الأزديجار الثوار و التبو و أولاد سليمان وكال تينالكوم من فزان<sup>(1)</sup>، وكان الخلاف حول الموقف الذي يجب اعتماده فبينما كان فريق يفضل التفاوض السلمي كان الفريق الآخر يؤيد الحل العسكري ولا يفكر إلا في الحرب، فكانت هذه الخلافات من عوامل الضعف على مستوى المعنويات وضعف الإرادة في القتال.

أما عن الملازم قاردل فقد استغل الفرصة وقام باختيار ميدان المعركة وقام بالتحضير الجيد لها بتحصين المخيم والتموقع الجيد لجنوده وإصدار تعليماته بالمحافظة على الهدوء والتزام بأدوارهم الموكلة إليهم في ميدان المعركة، وكان الانتصار للفرقة الفرنسية الأحسن تسليحا والأكثر تنظيما والأفضل انسجاما مع القيادة مع روح قتالية عالية، عكس جيش المقاومة الذي حمل معه أسباب الفشل منذ بداية تشكله، فبلغ عدد الشهداء بين 60 و70 شهيد إضافة إلى عدد الجرحى، أما في الجانب الفرنسي فقد كانت الخسائر قتلين و11 جريح، وكان عدد جنود الفرقة الفرنسية حوالي 50 جندي من بينهم ثلاثة فرنسيين والبقية كلهم جزائريين.

أما جيش المقاومة فقد كان يتراوح ما بين 200 و250 مجاهد استمرت هذه المعركة حوالي 14 ساعة بداية من الساعة الثالثة مساء واستمرت طيلة الليل حتى الصباح.<sup>(2)</sup>

ويشوب هذه الرواية الكثير من المبالغات مثلا أن عدد الجيش المنهزم وصل إلى 500 جندي، ولكن في الواقع من خلال تقرير الوصفي الذي استعرضه في ميدان المعركة وعملية التطويق التي قام بها جيش المقاومة فهو لا يتجاوز 180 مجاهد.

والملاحظة الثانية دائما من خلال التقرير أن جيش المقاومة لم يكن موحدا بحيث كان مقسما إلى عدة وحدات على أساس الانتماء، فقد أشار على المجموعة التي كانت تحاصرهم من

<sup>1</sup> -Rapport du lieutenant Gardel sur les dernières événements du combat d'esseyen- N- Afella, boîte 22H 79, Anom

<sup>2</sup> -Ibid.

الناحية الشمالية والتي كانت لها روح قتالية عالية وميزهم صاحب التقرير عن الآخرين بإقامتهم صلاة الصبح في صباح ليلة المعركة

والنقطة الهامة أن القيادة كانت غائبة فقد تلقى إيغداسن طلقة أصابته في البطن من أحد القناصة في بداية المعركة فحمل في حالة خطيرة إلى غات، أما ماتكو آغ ويغ فقد قتل فرسه ويمكن أن يكون قد جرح في بداية المعركة، أما السلطان أمود فقد كان غائبا لأن أحد المجاهدين صرح أنه في ليلة المعركة استأنف القتال على شرف زيارة السلطان أمود في حدود التاسعة ليلا، بالتالي كان هذا الجيش المكون من أقل من 200 جندي بدون قيادة في المعركة وغير منظم فكانت الهزيمة نتيجة منطقية.

#### -الوسائل الدبلوماسية ودورها في التوغل الاستعماري-

من بين الاستنتاجات التي توصل إليها كل من A.Bernard - N.lacroix، في كتابهما

أنه رغم الانتصارات والتوغل الذي حققه الاحتلال على حساب المقاومة، إلا أن السبب في ضعف فعالية الوسائل التي اعتمدها السلطة الفرنسية، تعود إلى ارتكاب عدة أخطاء في الطريقة والمنهج المعتمد حيث عبر عنه قائلا: "قبل كل شيء يجب الاعتراف والتسليم أن التوغل في الصحراء يطرح مشاكل عويصة، ولكن الفعالية الضعيفة لكل جهودنا المبذولة راجعة إلى أخطاء في الطريقة"، وتعود هذه الأخطاء في اختلاف في وجهات النظر ووجود تناقضات عميقة بين الفاعلين الأساسيين في الجانب الفرنسي<sup>(1)</sup>، رغم اتفاقهم في الهدف العام المتمثل في احتلال الصحراء كاملة حتى يتسنى لها توحيد ممتلكاتها الاستعمارية في شمال افريقيا مع افريقيا السوداء، ولكن هذا الاتفاق الاستراتيجي لم يضع حدا للتناقضات التكتيكية في طريقة وكيفية تحقيق الهدف.<sup>(2)</sup>

<sup>1</sup> -Pandolfi Paul, In- Salah 1904, Tamenraset 1905 : les deux soumissions des Touaregs Kel- Ahaggar, Cahiers d'études Africaine, Vol 38, N°149, p.4.

<sup>2</sup> -Ibid, p.41.

لم تتوقف هذه الاختلالات والانقسامات والتصدمات على الجانب الفرنسي، فقد أدت هزيمة الأهقار في معركة تيت 1902 إلى نهاية التحالف وبداية الانشقاق بين الأهقار اللذين تراجعوا وانسحبوا إلى داخل مرتفعات الكدية، أما التايوتك الذين تراجعوا إلى مناطقهم في آحت، وقد أحدثت هذه الهزيمة صدمة نفسية لدى الطوارق<sup>(1)</sup>، وكذلك مادية خاصة بعد غلق للسلطات الفرنسية أسواق تيديكلت في عين صالح أمام التوارق مما زاد من تدهور الوضع الاقتصادي في المنطقة عامة.

لم يقتصر هذا الانقسام على مستوى التحالفات بين مختلف قبائل الأهقار، بل كان داخل كونفيدرالية الأهقار بتحديد ومنذ وفاة أهيتغال آغ محمد بيسكا سنة 1900 وظهر النزاع حول خلافته بين آتاسي آغ أملال ابن أخته الصغرى و محمد آغ أورزيق ابن أخته الكبرى، وكان حسب أعراف التوارق هو أحق بالمنصب (اورزيغ)، ولكنهم أيدوا آتاسي لعدة اعتبارات متعلقة بقوة الشخصية وخبرته في الحروب ونشاطه المتواصل داخل الكونفيدرالية، ولكن هذا الصراع إنتهى بتدخل المرابط عابدين الكونتي الذي شق عمامته إلى نصفين ووضع كل جزء على رأسي كل من آتاسي و أورزيق فكان لهذه القيادة المزدوجة للكونفيدرالية أثار سلبية على جميع الأصعدة خاصة على مستوى الوحدة والتضامن بين مختلف القوى الداخلية وجعلهم يتجهون إلى الجناح الجديد الذي يمثله موسى آغ أمستان.<sup>(2)</sup>

كان هذا الانقسام في قمة السلطة في كونفيدرالية الأهقار ويخدم مصالح الاستعمار الذي استغله بشكل فعّال، حيث استغل تواجد بعض التوارق من داغ غالي في الواحات وكلفهم برسالة إلى أعيان الأهقار وتتضمن:

<sup>1</sup> -Lehuraux , les français au sahara, Op.Cit, p.136.

<sup>2</sup> - هو ابن أمستان آغ هيغيار نشأ عند خاله "أخو آغ خميدو" ولد حوالي سنة 1867 ونشا يتيما بعد وفاة والديه وفي سن المراهقة شارك في حملات الغزو في الجنوب والجنوب الغربي وخلال هذه المرحلة أظهر شجاعته وذكائه في التخطيط والقتال وحسن التدبير في الأوقات العصيبة حتى أصبح من زعماء الغزو ومن أعيان وكبار قبيلة كال غلة من ناحية أبيه وعند بلوغه سن الثلاثين حدثت القطيعة في حياته فأصبح متدينا متصوفا ومتأثرا بسيدي محمد بن عمر بن المختار باي الكونتي (1865-1929) الذي أصبح الأب الروحي لموسى وكان باي الكونتي من المؤيدين للتصالح مع الفرنسيين فكان له دور في استسلام العديد من القبائل عكس ابن عمه عابدين الكونتي الذي كان من أشد أعداء الفرنسيين. ينظر: Pandolfi. P, Op.Cit, pp.47-48.



أولا غلق أسواق توات أمام الأهقار و ثانيا عبر عنها الضابط كوفي Cauvet قائلا "... قررنا أننا لا نريد أن تكون لدينا أدنى علاقة في المستقبل مع الأمينوكال الحالي والأعيان الذين كان لهم علاقة بحادثة رحلة فلاتيرز، والوحيدون الذين يسمح لهم بالدخول في علاقات معنا هو خيار آغ أديجي الذي كان طاعنا في السن وابن اخته موسى آغ أمستان" وبالتالي خلقت صراع بين اتجاهين جناح المقاومة الذي يتزعمه أتاسي والذي تم إقصاءه من أي اتصال مع الاحتلال بحجة مشاركته في حادثة فلاتيرز، والجناح الداعي إلى السلام (الاستسلام والعمالة للعدو) ويمثله موسى، وزادت هزيمة معركة تيت من هذا الانقسام الذي عم كل الكونفيدرالية وازداد الوضع الاقتصادي سواء بسبب الحصار وغلق أسواق توات، الأمر الذي زاد من نفوذ موسى داخل الكونفيدرالية وأكدت الوثائق الأرشيفية هذه الاستراتيجية التي اعتمدها سلطة الاحتلال.<sup>(1)</sup>

استمرت سلطة الاحتلال في استغلال التناقضات والصراعات الداخلية لصالحها، فقد تفتنت إلى الدور الذي تلعبه الطرق الدينية في المجتمع الصحراوي عموما، والصراع القائم بين سي مولاي عمر شيخ الأشراف والحاج بيلو شيخ أهل عزي وهي من قبائل المرابطين، وكليهما لهما تأثير على قبائل الهقار، فاستغلت سلطة الاحتلال صراع القائم بينهما على خدمته لنيل حظوة لديهما، لذلك جاء في رسالة للجنرال لابرين في 1903/12/02 إلى النقيب كوفي قائلا "في تيديكلت هناك صراع حاد بين بيلو ومولاي عمر، إذا عرف ميتوا « Metois » كيف يستغله لتحقيق الأهداف دون جهد أو تدخل منا، فبيلو يريد موسى ومولاي عمر يستهدف الإيفوغاس إنه السباق".<sup>(2)</sup>

في سنة 1903 الحاج بيلو شيخ أهل عزي بطلب من موسى وبموافقة النقيب ميتوا<sup>(3)</sup>، أرسل إلى الأهقار بهدف استخدام نفوذه وتأثيره على كمال أهقار للاقناعهم بالانضمام إلى موسى وخاصة إعلامهم بنيته في الذهاب إلى عين صالح لعقد اتفاق سلام مع السلطة الفرنسية.<sup>(4)</sup>

<sup>1</sup> -Correspondance du gouvernement général 28/02/1903, boîte 22H 30, Anom.

<sup>2</sup> -Pandolfi, Op.Cit, p.50.

<sup>3</sup> -Capitaine Métois, Rapport sur voyage d'Hadj Bilou dans Ahaggar et Ghat, Boite 22H 30, Anom.

<sup>4</sup> -A. Bourgeot, les Mouvements de Résistance et de Collaboration en Ahaggar (Algérie) de 1880 à 1920, Annuaire de l'Afrique du nord, C.N.R.S, (C.R.E.S.M), Paris Ed, CNRS, 1986, pp.479-499, p.488.

إضافة إلى الدور الذي لعبه محمد بن عمر بن المختار باي الكونتي في التأثير على شخصية موسى أمستان واعتبره الأب الروحي له وكان باي الكونتي من المؤيدين لعقد السلام مع فرنسا.

كانت هذه العوامل مجتمعة التي استغلتها فرنسا في التوغل في عمق الهقار دون استخدام القوة ولكنها دعمت هذه المساعي الديبلوماسية بتنظيم عدة دوريات وحملات عسكرية خلال سنة 1902-1903 كنوع من استعراض للقوة والتوغل في عمق الهقار وفي المناطق التي لم يتمكن أحد من الوصول إليها من قبل، وبالتالي تحطمت أسطورة مناعة الهقار والتاسيلي<sup>(1)</sup>، وكانت تعليمات القائد لابرين تعتمد سياسة القوة والصرامة مع المعارضين وسياسة اللين والترويض للقبائل التي اختارت السلام والمتردة التي لم تحدد موقفها بعد، وكانت النتائج إيجابية بحيث تراجعت بعض فروع قبيلة إسكاماغن (كال تفيديست- كال أمغيد- كال إينغر) عن موقفها المساند لآتاسي، ورجعت إلى مناطقها الأصلية وانضمت تحت راية موسى أمستان فكانت فعالية هذه الوسائل واستغلال التناقضات الداخلية قد حققت في وقت قياسي ما تعجز على تحقيقه القوة العسكرية.

انضم موسى أمستان إلى الجانب الفرنسي 1903، عن طريق وفد من أعيان الأهقار الذي ذهب إلى عين صالح، فقام الجنرال لابرين بتعيينه أمينوكال الأهقار مكان أتاسي العدو اللدود للاحتلال الفرنسي.<sup>(2)</sup>

### لل اتفاقية عين صالح:

في جانفي 1904 اتجه موسى آغ أمستان على رأس وفد هام من الأهقار لطلب السلام من النقيب ميتوا قائد ملحقة عين صالح الذي قبل الطلب واعترف به رسميا قائدا للأهقار وقلده البرنوس الأحمر، ولكن هذا الاستسلام كان يشوبه نوع من الغموض فقد علق الجنرال لابرين عن هذا الغموض في إحدى رسائله قائلا (قام النقيب ميتوا بتقديم مجموعة من "التعليمات Instruction"<sup>(3)</sup> إلى أمستان التي قبلها دون تردد مع إضافة بند خاص بإقامة قرية في "تاجموت"<sup>(1)</sup>)

<sup>1</sup> - دورية Guillo- Lahan أكتوبر ديسمبر 1902- الملازم بيست Besset جوان 1903- لابرين أبريل 1903

<sup>2</sup> -A. Bourgeot, Op.Cit, p.491.

<sup>3</sup> -Instruction délivre par le capitaine Métois chef de l'Annexe d'in salah au nom du gouvernement français à Moussa ag Amestan Aminokal du Ahaggar, représentant de Toutes les Tribus noble et imrad

وتضمن هذا الاتفاق 10 تعليمات تنظم العلاقة مع القيادة في الأهقار والسلطة الفرنسية في عين صالح، وجاء في تقرير هذا الضابط إلى قيادته أن اللقاءات كانت تتم يوميا في مكتبه مدة 15 يوما، واعترف في هذه التقرير أن هذا الاستسلام ليس تاما حيث لا تعبر هذه التعليمات عن استسلام كامل لأن في هذه الحالة يجب وضع عقوبات عن كل الأعمال العدائية، ولم يكن هذا في التوصيات التي أقرتها الحكومة، لذلك حاولت لوضع مؤقت يمكن أن يدوم إلى أن تتضح نية الحكومة في مصير الصحراء وليس من العجيب أن يكون هذا الحل المؤقت حلا دائما مع موسى آغ أمستان.<sup>(2)</sup>

وركزت هذه التعليمات 10 على الأمن والسلام في الصحراء وخاصة الطرق التجارية وحرية التجارة خاصة مع المحافظة على تسيير الشؤون الداخلية التقليدية خاصة بالتوارق، ثم طلب تقديم قائمة كاملة للقبائل وفروعها وأماكن تخييم كل منها، وقام موسى أمستان بتلبية هذا الطلب برسالة يوم 01 فيفري 1904 تتضمن القبائل وفروعها وأسماء الأعيان والخلفاء، وأضاف بعض الإضافات على التعليمات التي تم الاتفاق عليها من قبل.

وكان تقييم الضابط لابرين لاتفاقية عين صالح لم تكن تعبر عن الاستسلام بل العكس هناك من اعتبرها نصر لموسى في المرحلة ما بعد معركة تيت، وأنها لم تفرض فيها الضرائب كرمز للخضوع والتبعية وأن اتفاق عين صالح كان بين قوتين متساويتين، لذلك قام لابرين بدورية عسكرية بين مارس - جويلية 1904 في منطقة الهقار ليعاين بنفسه مدى خضوع هذه القبائل، لكنه لم يلتقي بموسى آغ أمستان خلال هذه الرحلة.<sup>(3)</sup>

جاءت دورية Dinaux دينو سنة 1905 لتأكد وبدون أي غموض استسلام الأهقار وفي حفل تنصيب الأول في "إن أوزول" أكد النقيب دينو منصب الأمينوكال لموسى وبرنوس التولية وخاتم جديد يحمل "أمينوكال الأهقار" بالعربية والتيفيناغ والفرنسية، في حين الخاتم الذي منح لموسى في

du Ahaggar et lui Faisant connaître les conditions dans lesquelles le gouvernement Français accepte la collaboration, Boite 22H 30 , Anom.

<sup>1</sup> -Pandolfi, Op.Cit, p.52.

<sup>2</sup> -A.S. des Instruction remise à Moussa Ag Amestane par le capitaine Métois, 10 février 1904, Boite 22H 30, Anom.

<sup>3</sup> -J. Gemair, S. Faye, Op.Cit, p.528.

عين صالح من ميتوا كان يحمل عبارة "أمينوكال التوارق" وكان رد دينو على احتجاج موسى هو إرادة القائد لابرين في منحه قيادة الأهقار فقط.

ثم في 25 اوت 1905 كان حفل التنصيب الرسمي في تمناست بحضور أغلب أعيان وقيادات الأهقار ونبلاء كال غلا وممثلين وشيوخ القبائل الأمغار (داك غالي- أيت لوهان وغيرها) أكد خلال هذا الحفل تنصيب موسى وفرض ضريبة تدفع لفرنسا إضافة إلى "تيوسي" تدفع إلى موسى، وعرض النقيب دينو العديد من القضايا التي تؤكد كلها على استسلام وخضوع الأهقار ثم صرح بحرية التجارة في الأسواق، ضمان الأمن والسلم في المنطقة وخاصة الطرقات التجارية<sup>(1)</sup>، لقد برهنت هذه الفترة أن الوسيلة الدبلوماسية المدعومة بقيادة عسكرية تستطيع استغلال التناقضات، تكون أكثر فعالية في التوغل والسيطرة واستمرت وضعية الخضوع مدة حوالي 10 سنوات ما عدا بعض الحركات والعمليات المحدودة التي سرعان ما يتم القضاء عليها بتدخل القوات المحلية، حتى الثورة العامة التي اندلعت سنوات 1916-1917 وشملت كل أقاليم الصحراء.

---

<sup>1</sup> -Rapport de Tournée du capitaine Dinaux 03 Mai – 29 octobre, renseignements coloniaux et document janvier 1907, publiés par C.A.F. C. M, p.16.

الختامة

من خلال هذا العرض المتواضع خلص البحث الى جملة من الاستنتاجات نحاول تلخيصها فيما يلي:

- رسمت مقاومة الزعاطشة صورة واضحة عن إصرار الشعب الجزائري على مقاومة الاحتلال الفرنسي تحت شعار إما النصر أو الشهادة، ووسمت الجهة المقابلة الذين ينادون بحقوق الانسان ويدعون التحضر ويتهمون الآخرين بالتخلف والبدائية، وسمتها بالهمجية والجهل والوحشية في أسوء صورها، عندما محيت واحة الزعاطشة من على وجه الارض، رغبة منهم في اخفاء معالم جرائمهم وطمس رمز البطولة والتضحية في سبيل الحرية والاستقلال، ولكنها بقيت حية في قلوب كل الجزائريين ووصمة عار في تاريخ فرنسا " حقوق الانسان " .
- كانت معركة الزعاطشة رمز لتضامن كل الشعب الجزائري فقد شارك فيها المتطوعون من كل انحاء المنطقة، وكانت قوافل الدعم تصل اليها من كل الجهات، واندلعت العديد من الثورات في نفس فترة الحصار لتخفيف الضغط على الواحة، فكانت حقا رمز الوحدة والتضامن، وتجاوزت فيها قبائل المنطقة كل صراعاتها ونزاعاتها وانخرطت في المعركة، ولم تكن عامة الشعب من الجزائريين منخرطين أو مهتمين في صراع العائلات المتنفذة في المنطقة .
- كانت سلطة بني جلاب في توقرت في مرحلة الانهيار والانحطاط، وتشهد صراعات داخلية على السلطة، وكانت هذه الصراعات تتعدى تأثيراتها أسوار المدينة، لذلك استغل الاحتلال هذا الوضع لصالحه، وقام بتسيير الازمة في الواجهة التي تتحقق بها أهدافها، ولكن دخول الشريف محمد بن عبد الله الى المنطقة واعلانه الجهاد ضد الكفار، جعل أغلب سكان المنطقة يلتفون حوله ويتناسون كل الخلافات الصراعات من أجل وحدة الهدف.
- كانت استراتيجية الاستعمار واضحة منذ البداية في السيطرة العسكرية بالاستخدام القوى المحلية ومنحها بعض الامتيازات حتى تكون مصلحة هؤلاء مشتركة مع الاستعمار، كمرحلة أولى ثم تأتي مرحلة تقويض نفوذ هذه القوى المحلية وإلغاء بعض إمتيازاتها التي كانت تتمتع بها، عندما تتأكد سيطرتها العسكرية على المنطقة، أما الهدف الثاني فكان استغلال المناطق المسيطر عليها مباشرة أي الاستفادة المادية عن طريق المصادرة للممتلكات وفرض الغرامات والضرائب، فكانت تولي هذه العملية كبيرة من خلال عملية الاحصاء لكل الثروات مهما كان نوعها.

- استخدمت فرنسا أسلوب الاغراء بالمال والجاه نحو بعض القيادات الجهادية الجزائرية، لضمها اليها بهدف استغلال قدراتها القتالية وشجاعتها ضد المقاومة، ولكن هذا الاسلوب فشل مع كل هذه الزعامات مثل الناصر بن شهرة، وفضلوا الشهادة على العمالة والولاء للكفار.
- استغلال طموحات بعض القوى المحلية مثل سلطنة بني جلاب في التوسع على حساب المناطق الجنوبية، دون ان تشارك فرنسا في هذا التوسع، مثل المحاولة التي قام بها سلمان بن جلاب لسيطرة ورقلة بالتواطؤ مع عناصر محلية تدين له بالولاء دخل المدينة ولكن المحاولة كانت فاشلة وكذلك الدور الذي لعبه حمزة من أولاد سيد الشيخ وابنه ابوبكر بن حمزة في التوغل جنوبا، حتى جعل أحد الضباط يصيح أنهم أصبحوا يمتلكون أراضي لم تطأها أرجلهم.
- ارتكاب جرائم وحشية لامثيل لها في التاريخ بالاعتراف وشهادة الفرنسيين أنفسهم، ولم تكن هذه الجرائم، أعمال هامشية ومعزولة لبعض الجنود كما كانت تدعي، وانما كانت ممنهجة ومقصودة، وكانت القيادة العليا في باريس على علم بما يجري في الجزائر من خلال التقارير التي كنت تصلها.
- إعادة تشكيل سكان المدن التي قاومت الاحتلال، بعد ارتكاب تلك المجازر المروعة، فكان يتم تعميرها من جديد بالحد من عدد السكان الأصليين حتى يصبحوا أقلية، وتعميرها بسكان آخرين ومن قبائل متنافسة فيما بينها، حتى تكون التركيبة غير متجانسة وغير منسجمة ولا تستطيع بناء وحدة مستقبلا، ويتم تفادي أي محاولة للثورة أو المقاومة.
- أشارت العديد من التقارير الارشيفية الى أهمية الدراسات الإثنوغرافية للمجتمعات الجزائرية في الصحراء في التخطيط للسيطرة وكيفية استغلال التناقضات الموجودة داخل هذه المجتمعات.
- انتهت هذه الدراسات الى أن المجتمع الجزائري في منطقة توات غير منسجمة وغير متماسكة ويمكن اثاره الفتن وتطبيق سياسة فرق تسد، وحدد بعض الطبقات الاجتماعية التي لها القابلية في التعاون مع الاستعمار مثل العبيد على اعتبار أنهم أجانب عن المنطقة، ويمكنها تجنيدهم في الجيش واستخدامهم كيد عاملة في الواحات.
- بدأت المقاومة في منطقة توات ضد التوغل الاستعماري منذ محاولاته الأولى في التوغل السلمي، فقد رفضت قبائل المنطقة أي تواجد فرنسي مهما كان نوعه، حيث منعت الرحلات من المرور حتى الهواة منهم، بهدف المحافظة على أسرارها ومسالكها، فقد تفتن سكان هذه المناطق لنوايا هذه الرحلات السسلمية في ظاهرها فقط.

- التفوق العسكري الفرنسي في الاسلحة التي تميزت بقدراتها النارية العالية، والفرق الكبير في التسليح بين جيش المقاومة والفرنسيين، صنع الفارق في المعارك التي يتواجه فيها الجيشين، اضافة الى التخطيط للمعركة واختيار ميدانها والتموقع الجيد في أرض المعركة، عكس جيش المقاومة غير المنظم مع العشوائية في القتال التي تعتمد على الحماس والشجاعة التي أبهرت العدو في الكثير من المواجهات، وكانت قيادة المقاومة متعددة وغير موحدة على أرض المعركة لأنه يتكون من عدة قبائل بشيوخها وقادتها، فكانوا يقتسمون أرض المعركة، دون التنسيق في القتال بين مختلف جبهات المعركة، وبالتالي كل تلك الجهود أصبحت دون فعالية أما عدو مسلح بشكل جيد ومنظم.
- حاول الرحالة من العسكريين والأكاديميين في دراساتهم للتوارق في الأهقار والتاسيلي، القيام بعملية اسقاط للمصطلحات المتداولة في اوروبا، والتي تعبر عن واقع وتاريخ اوروبا في العصور الوسطى، على المجتمع الجزائري التارقي، مثل مصطلح الكونفدرالية للتعبير عن السلطنة والنبلاء يقصد بها الأشراف والمرابطين، بمعنى عام أن هذا المجتمع متخلف، وهذا يبرر رسالة فرنسا الحضارية.
- ساهمت الصراعات الداخلية والحروب الطاحنة بين كونفدراليات التوارق في تغلغل الاستعمار الفرنسي، مثل الحرب التي اندلعت بين التوارق الأهقار والأزدجار والتي انتهت سنة 1878م، واستمرت لعدة سنوات في سبعينيات القرن التاسع عشر، وكانت انعكاسها كارثية على الجبهة الداخلية، والتي كان من المفروض أن تكون أكثر تماسكا لمواجهة الاحتلال.
- استراتيجية بناء الحصون التي اعتمدها سلطة الاحتلال كانت هامة وساعدت بشكل كبير في عملية التوغل، رغم وجود بعض الآراء التي كانت تنفي ذلك.
- اعتمدت القبائل المقاومة للاحتلال الفرنسي على استراتيجية تأمين أرزاقها وأهاليها من الأطفال والنساء والشيوخ ضد الحملات الانتقامية التي كانت سلطة الاحتلال تضغط بها عليها لإجبارها على الاستسلام، فقامت هذه القبائل بنقل مخيماتها في عمق الصحراء، وفي جنوب غدامس، ثم تتجهز الفرق المقاومة في مجموعات قليلة العدد لمقاومة الاستعمار في ما يشبه حرب العصابات وحققت عدة انتصارات جعلت العدو عاجزا عن مواجهتها.
- العمليات الثورية التي قامت بها المقاومة في الصحراء ضد جيش لاحتلال أذهلت العدو، رغم قلة عدد فرسانها وضعف التسليح، إلا أنها كانت تكبد العدو خسائر فادحة، عكس المعارك التي



تعتمد على المواجهة المباشرة بين جيشين مثل المعارك الكلاسيكية، فكانت التفوق يكون في أغلب الأحيان لصالح الجيش الفرنسي.

■ تركيبة جيش المقاومة في منطقة التوارق كان مكونا من عد قبائل وفصائل بقياداتها في المعركة الأمر الذي يجعل هذا الجيش غير منسجم وهجماتها تكون عشوائية وغير منسقة، ولكن المجاهدون التوارق أمهروا ضباط الجيش الفرنسي في الشجاعة والاقدام والتضحية.

■ كانت الوسائل الدبلوماسية التي استخدمها قادة الجيش الفرنسي في الصحراء، أكثر فعالية من أي وسيلة أخرى، حيث استغلت كل ما يمكن استغلاله للسيطرة والتوغل، من التناقضات الداخلية والطموحات الشخصية لبعض شيوخ الزوايا والطرق الدينية، ونشر الفتنة بين القبائل وعزل بعض الشخصيات الهامة وتشجيع لأخرى في التعامل والتفاوض، فكان العلم بفروعه وتخصصاته ( اجتماع - تاريخ - جغرافيا - أنثروبولوجيا - إثنولوجيا ) حقا في خدمة الاستعمار.

■ استخدمت الضغط الدبلوماسي الخارجي عن طريق قنصلياتها في تونس وليبيا وسفاراتها في الباب العالي، لوقف الدعم العسكري واللوجستي للقبائل المقاومة، والتي اعتمدت هي كذلك استراتيجية جديدة بتأمين أهالي القبيلة الذين لا يستطيعون القتال، لتفادي عملية الانتقام ضد الأطفال والشيوخ والنساء، التي يضغط بها الجيش الفرنسي على الجزائريين لإجبارهم على الاستسلام.

الملاحق

L'armée des Chrétiens grossira et rien ne leur résistera.  
Les mosquées seront abandonnées.  
La paix règne dans le pays des Chrétiens ;  
Ils ne sont plus inquiétés ; ils n'ont plus à craindre les corsaires  
Qui répandaient la terreur chez eux,  
Qui fondaient sur leur pays et revenaient en ramenant leurs filles  
en esclavage ;  
Car les capitaines de ces corsaires étaient braves.  
Tout ce qui arrive à Alger arrive par la volonté de Dieu.

## 4. Extrait

Alger tombe au pouvoir des Chrétiens !  
Dieu n'a pas permis que son empire durât.  
La religion des fidèles est morte à Alger,  
A Alger qui jusque-là était l'obstacle où s'arrêtaient les efforts de  
l'ennemi.  
Mes yeux ont vu ;  
J'atteste ce qu'ont vu mes yeux.  
La France vient faire la récolte dans nos champs.  
L'armée des Chrétiens s'avance avec de grandes forces  
Pour chasser les habitants d'Alger.  
Ils entrent par force. Les riches sont dépouillés.  
Les Turcs ont perdu leur puissance.  
A Alger on adore les idoles,  
Après avoir adoré le Livre et la vraie religion.  
Telle est la volonté de Dieu ! Louanges à lui ! Ce qu'il fait est au-  
dessus de notre portée !

## APPENDICE II

1<sup>o</sup> LETTRE DU CHÉRIFF D'OUARGLA A SIDI-CHEIKH-BEN-EL-TAÏEB

« Louanges à Dieu unique !  
» De la part de Mohammed-ben-Abdallah-ben-el-Ma-  
dani, à celui qui fait la guerre pour la cause de Dieu, à  
notre frère et ami, celui qui suit dignement la voix de  
Dieu, celui qui abandonne les dignités du monde sans y  
regarder, celui qui adore la religion de son Dieu et de

son prophète, à Sidi-Cheikh-Bel-Taïeb, à tous ses  
frères !

» Salut sur vous, avec les grâces de Dieu très-haut  
et ses bénédictions !

» Je vous annonce une bonne nouvelle qui vous  
réjouira. Répandez-la, afin que tous se réjouissent avec  
vous. La vraie religion est victorieuse. Dieu et son pro-  
phète nous ont accordé leurs bienfaits et ont protégé  
ceux qui font la guerre sainte. Que Dieu soit exalté dans  
cette heure et la fasse toujours durer pour nous ! (S'il  
plait à Dieu !).

» Je vous informe, ô mon frère, que j'ai été à la Mecque  
dans le but d'y étudier. J'y suis resté quatre ans. A la  
fin de la dernière année, j'ai reçu l'ordre de notre cheïkh,  
qui est le chérif Si-Mohammed-ben-Senoussi (que Dieu  
soit satisfait de lui et qu'il nous soit propice par lui !),  
d'aller dans le pays d'Alger pour y prêcher la guerre  
sainte. Je suis parti et arrivé à Ouargla. A mon arrivée,  
j'ai trouvé cette ville en la possession des Français (que  
Dieu les anéantisse !) J'y restai néanmoins environ deux  
mois ; je me tenais caché. Je prêchais à une partie des  
gens de cet endroit pour les faire rentrer dans la voie  
de Dieu et de son prophète. Dieu a fait le bien et leur  
bonheur.

» Le khalifa pour les Français, ayant su ce que nous  
faisions, a été arrêté par mon ordre et mis en prison.  
J'ai fait détruire son ksar. J'ai fait tous les siens prison-  
niers. J'ai ramené à moi toute la population de la ville.  
Elle était séparée par des inimitiés qui avaient fait deux  
partis qui combattaient journellement l'un contre l'autre.  
J'ai fait cesser cette inimitié. Dieu a mis la paix entre  
eux et a complètement lavé leurs cœurs de la haine et  
de la discorde. Ils ont marché comme des frères, que  
Dieu en soit loué !

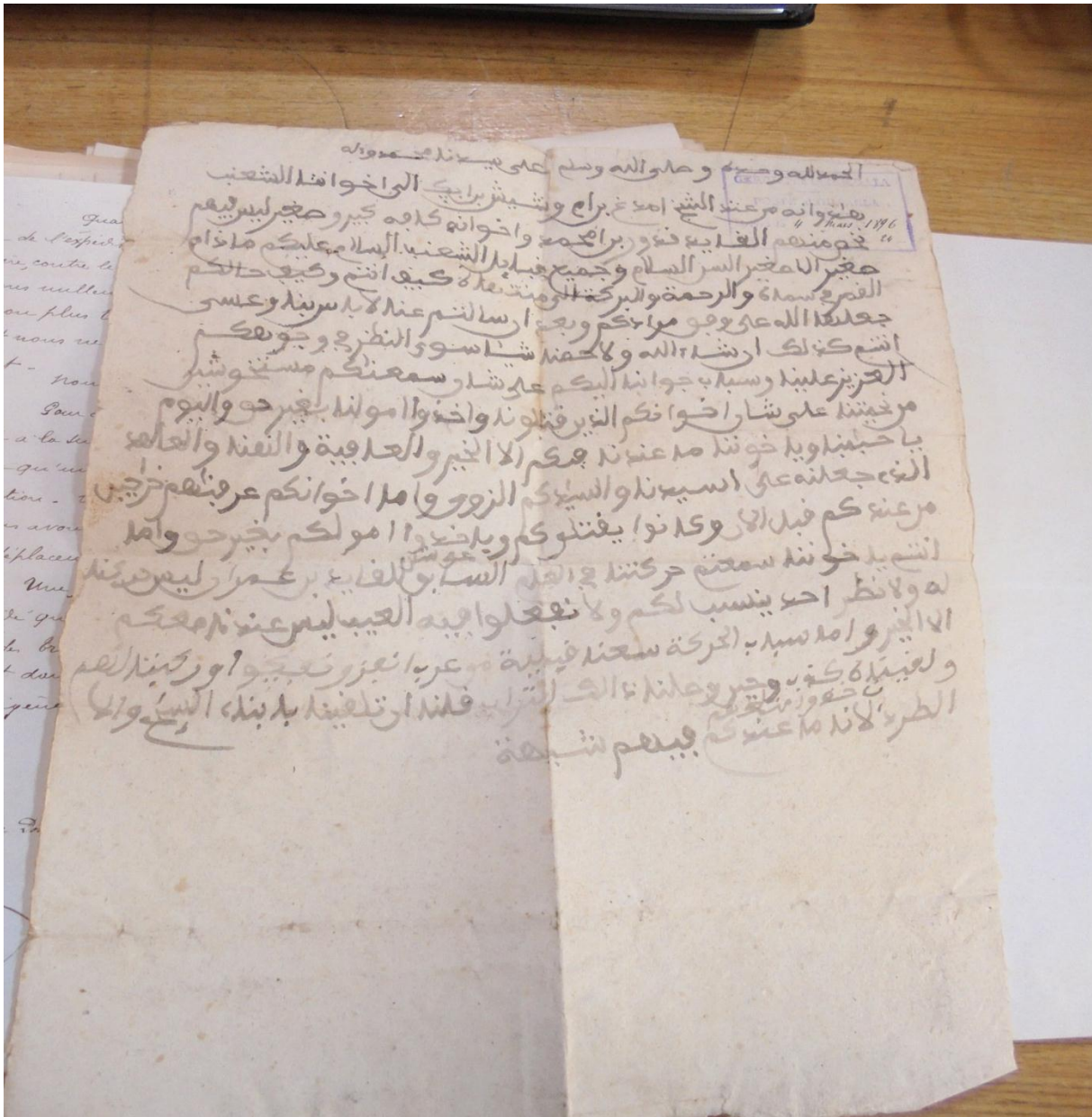
» Tout cela n'a été fait que par la bonté du cheïkh, que  
Dieu soit satisfait de lui et qu'il nous soit propice par lui !  
Nous avons une grande armée, composée des Touaregs,

Etat de L'Impot  
des Oued Riv' et de Souf pour l'année 1855.

Unité Imposable	Kéma	Khedma	Total	Observations
Bougeuit et les villages de la banlieue	89082.40	8908.24	97990.64	
Megarian Kéma	446.20	44.62	490.82	
Megarian Djida	4395.90	439.59	4835.49	
Kosrou	2258.70	225.87	2484.57	
haribia	2258.70	225.87	2484.57	
Ghamra	2298.30	229.83	2528.13	
Bram	830.00	83.00	913.00	
Moghar	2225.20	222.52	2447.72	
Sidi Sliman	"	"	"	exempt d'impôt pour cette année
Sidi rached	1288.90	128.89	1417.79	
Camoua Djida	2339.60	233.96	2573.56	
Camoua Kéma	3344.60	334.46	3679.06	
Sidi yfahia	706.50	70.65	777.15	
Sidi Amran	324.20	32.42	356.62	
Enegdidini	515.20	51.52	566.72	
Djama	862.50	86.25	948.75	
Ourlana	3344.60	334.46	3679.06	
Marev	828.50	82.85	911.35	
Zavni et Riba	785.10	78.51	863.61	
Emedla	770.90	77.09	847.99	
Al berd	197.20	19.72	216.92	
Sidi Khelil	1488.00	148.80	1636.80	
Dendouga	388.80	38.88	427.68	
Ensira	459.20	45.92	505.12	
Ouvir'	282.00	28.20	310.20	
Mor'ciéd	"	"	"	exempt d'impôt pour cette année
Orreporter	121775.00	12177.50	133952.50	

الملحق رقم 13: جدول ضرائب المفروضة على واحات وقرى وادي ريغ.





الملحق رقم 12 الرسالة التي بعثها أعيان الأهقار الى القايد قدور بن محمد قايد الشعانبة اولاد

بوسعيد

والاربعون الى و...  
 الحمد لله وحده

العود من مولاي بنى خداج لاوراغين واما وتوات ومحمد ابي جبر وجماعة  
 اهل ازور الكندي باج حاجي وحن تكرت وادسلنا عنا بخن فخذ لك  
 وتشكر اذ اتع ان نشاله متلد لك وسبا به جوبينا اليك جيري ان نشاله  
 انا جوبية بغير غير نبيح ووهنا ما بيع على العود الذي بيني نحن  
 وابه ان فضاة اننا امس ان لفينة مع جوبية الهمة كورينا ونحن اليوم  
 ما ان منهنين والمرض كوله متحرك من وغير وايمي ومن عنده ما من فحسات  
 وجموعنا تب ونحن رطينا اروا كالت فطرح بينهم رنا يعون وادسلنا  
 علم قللة العون ونكر ونا توجده ليس يا تشي ينجيب القبول وانكلا زرع  
 من ان ولسيد حمة وبوبكر وبعثتم ارض جزان انفسى وحين انون  
 نحن فورة في محضه في يوتس ما كحيين ففعلت مع العون على ظهر  
 ولكي بنا حبيب وجزون من يوصيت روحنا ان كان ففعلنا في العود  
 لورا اشع لباتت يكوننا جور ما يوقد في العالج وقد نبيع بذلك يوقد  
 لينه ادني كوله متحرك اما ان لوين به لوين نعالج في الوطن  
 وادفع ارضه ما ان ضعفين جدير لوين بروذن رسالتنا يرخ تسعة ايل  
 في تشهري الهه ماد  
 لول

الملحق رقم 14 : رسالة من المولاي بن خداج من الاوراغن و اما من توات ومحمد آغ جبر وجماعة

الازدجار



وحي  
أثره

الجناب المعلم الأرفع الأنفع السيد الفيلسوف الحكيم الكبير محمد بن عبد الواد (السلاج  
عليك ورحة الله وبركاته وبعد ورد علينا اعلان بغداس وهما السيد / امه  
والسيد / الحاج محمد داهز وبالنسبة التي اخطروا بها في رمضان الماضي في بلادهم  
المختور وعطوا في التفتي فريد من فداد مسر مني خمسة ايام عليها ووفت مرامشي لهم  
الحاج محمد داهز من الواد ورعاهم الى الفدوخ الى الواد تو جهوا الى فريد فداد مسر موضع  
حليتي يسمى انقناع في شهر جماد الثاني وصلوه وكيف سمعوا بهم الناس محبوهمش الجوا  
مشامس اتن ويظنوا في الباشا مناع افدامس عرش اناس جزاة لانهم سمعوا من الفدوامسي  
يقولوا الى الحبيب مصطفى الزاوي لو كان تمضي تد في النوارق الباشا يلحق لك وبعا فيك  
وان اناس جزان ادوا لهم ثلثي ما يته بعينهم مارتين واحد في عشي الامه امته سيد  
يامه كبير بغداس والباقي الى اخوانه عرشه اوان سيد موسى وكيف كفوا الابل والاد  
سيد امه واخوانه فالوا لهم كلاس اديت الابل فالوا لهم على خالفي سمعنا بكم مارتين  
الى الواد واه السيد امه يفوا جميع الناس يشوعوا النيا ويتبعون ادا هي الدولة كنه في ذراعها  
ورجعت الابل في نفسها وعافيت الحباب الفساده فراهل جميع الناس مثل بغداس ومفسلاتي  
وناس هغار مثل الحاج عبد واتباعه من يريد العافية واداهوا الدولة تركت بلاد تلوم  
عليها الدولة في عذع فخذ صفتنا معهم لانهم تصير لنا خمسة على اعيون اعران  
التوارق والدي ينقصنا ينقص الدولة لانهم مسبون البهم ويقين يامه نه سي  
سلم الذي قدم علينا من عندكم يلحق العرش ونحن سبقتنا باشا مانتع كلش  
الناس كيف يشوعونا جينا يتبعون هادا مانتعيني منهم هادا الحيني والسلاج  
من المعلم فدر ك الرفع المكتوب عن اذنه العالم الشهير السيد محمد العروسي التبولني  
حرر ذلك 4 جماد الثاني 1274

الملحق رقم 14: رسالة سي محمد العروسي علبة 22 H 29 الأرشيف الوطني لما وراء البحار - أكس

بروفانس - .

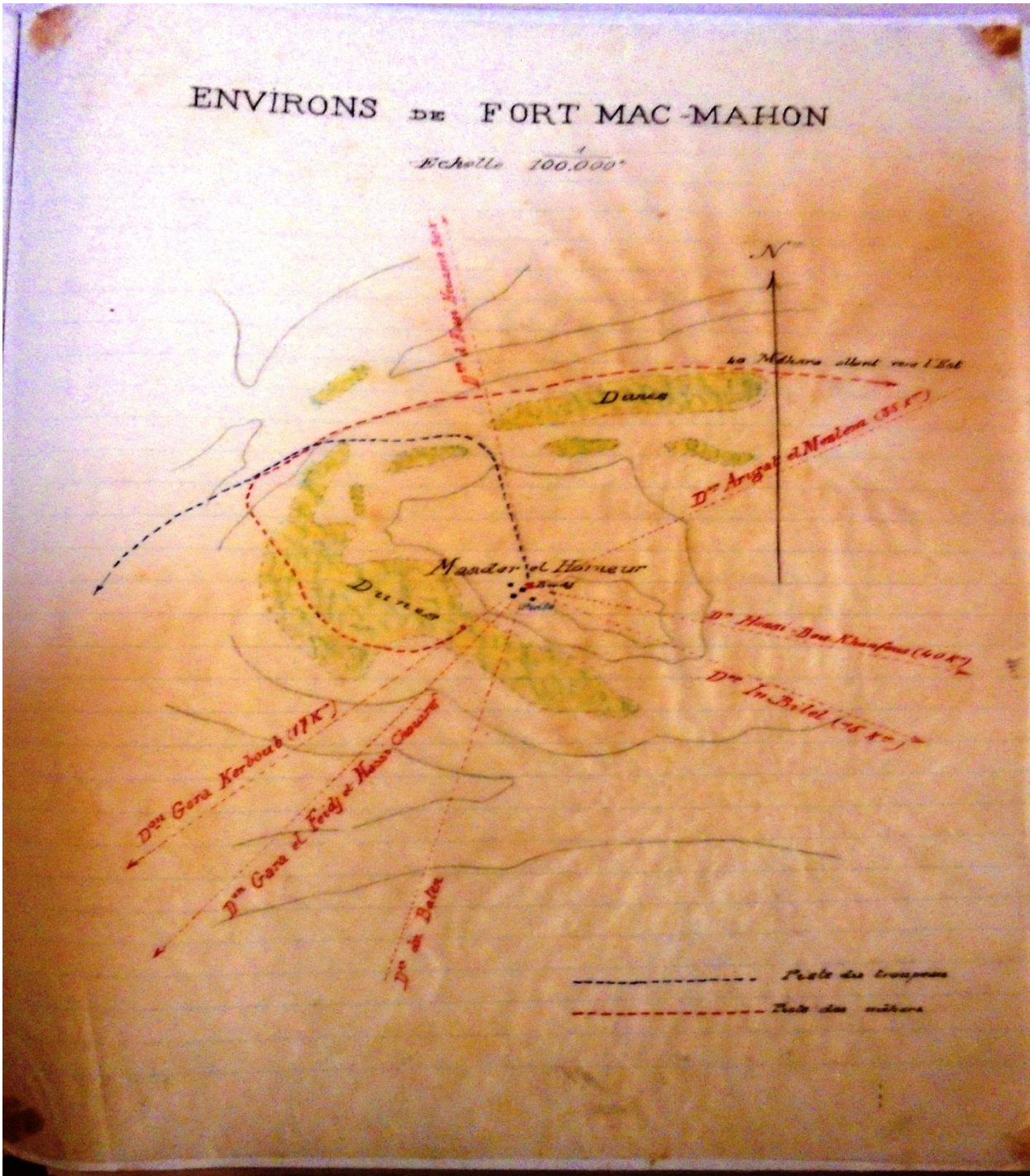
الجملة واحدة  
وهو الله جل جلاله  
من اذن اليه كل من السجد من باع به سيده من سلاله التي في شعبة فغلبه ودفنا واعز الناس عنده  
ايدي الله ورعاك واعزك على كل من مولاك فهو سيدنا الشيخ سيده من العز وهو نجل سيده  
الشيخ سيده من العز القائل المسلول عليه ورحمة الله مع النبي ته تشتمك به السكون والحر  
والسلافة من علي سيده المسلول واخوه له وعلى اسيادنا ظهر جبينه وولده من اولاد فقيه  
وايد من فقيه انده سبيع عبيد ولا زاد من جده تعلمت بها سوا جده او عارفيه وبعد السبع  
انتهى سبقت من عنده في كل من السبع الذي اخبر الرجول التي وكنتم تحت في غدا من خراسان  
موجودين بها وجاه وعارهم لانهم كانهم فيهم من اعز من ان يكون السلافة ويصعب  
ايضا من فلو اله انتم سوتهم ان رطب لبلاد الفزان والنفوس وقتلوا من  
رجل وجرحوا ثلثا ثلثا منها اثني عشر عليا وواحد في جبه والعاظم الذي في جبه  
لحم واحد منهم محمد بن افوز واحد املح جيب الشيخ خالف واخذوا منهم ثمانية  
ملاية ناقة والبيوم ان وعد الله صفا انتم اعلم العمل بها وارامام عصفت  
والحاج محمد بن ادهو فادميها العجول والنجم نفع بدار انشاء الله بلحومهم  
التي سلمنا انا والنرا وبن صيف الله الربيع العطار واما ابنه المصطفى بن النرا  
وعبد الفارز بن مسعود فصما صياد وجر منهم من العماد وعلفناهم بسيد عام  
ومحمد بن ادهو وقرانهم ثلاثة عاشرة وورسيتك لانما لهم فيها اوجاه  
املاح وقت الذي كلبنا عليه فالوالان باسم الله صماما الذي تشوا فبين جهوظي  
والسلافة من العاقبة التي انما محمد بن الحاج العلي والسلافة

في الايام الثلاثة عشر من شهر ربيع الثاني

الملحق رقم 15. نص الرسالة من سي بن يامة الى قائد ملحقة الواد 1895م

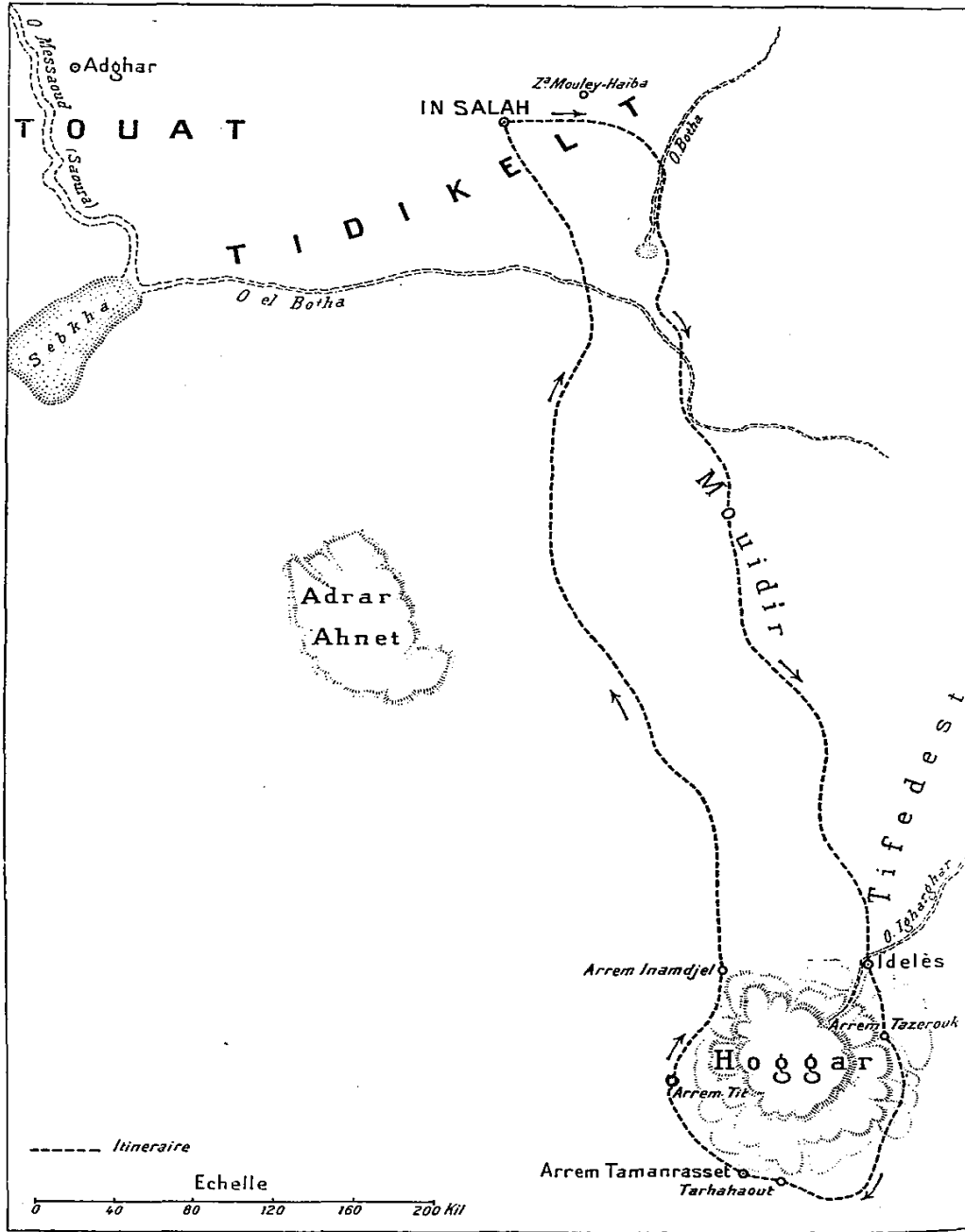
المصدر : boite 22H 29 Anom Aix-en -provence





الملحق رقم 21: مخطط العملية الثورية ضد حصن مكماهون 22H 42 Anom

Carte des Questions diplomatiques et coloniales



Itinéraire du lieutenant Cottenest

الملحق رقم 16 خريطة مسار حملة الملازم كوتنست

المصدر: - Robert de Caix, la reconnaissance du lieutenant cottenest chez les

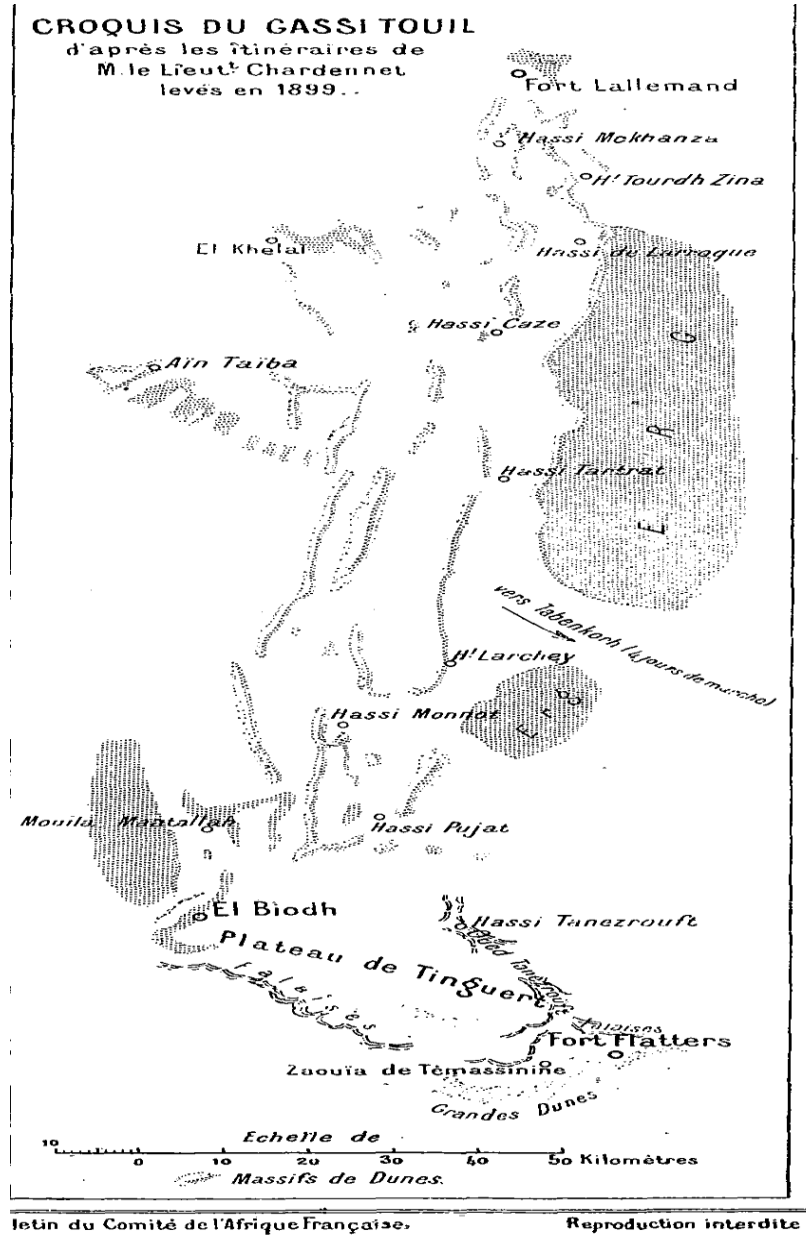
Hogar, B.C.A.Francaise ,annee1902,p308.





ملحق رقم 18: مخطط ميدان معركة تيت

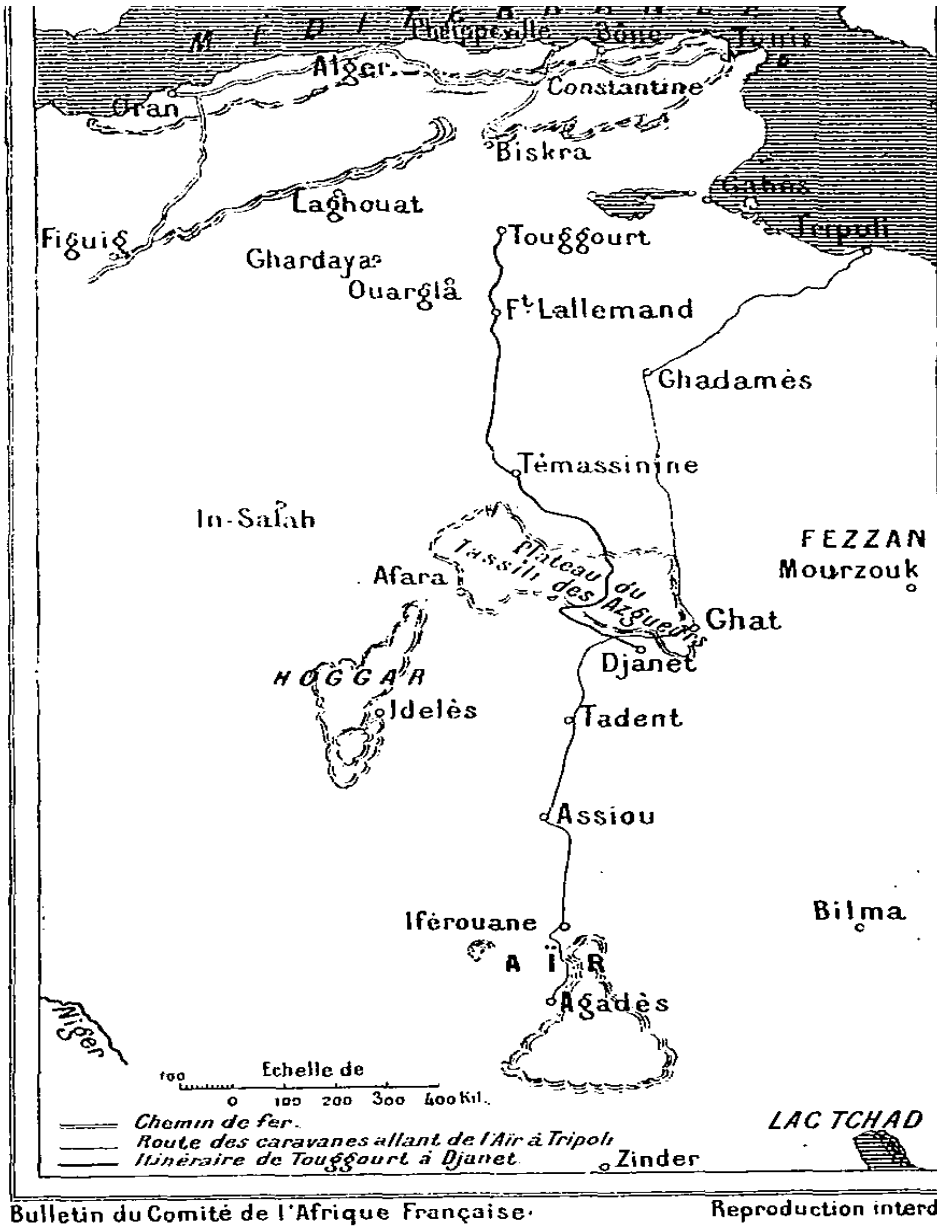
-Commandant G.Cauvet, Le raid du lieutenant cottenest au hoggar combat de TIT 7mai 1902 , collection Raoul et Jaen Brunon, Marseille 1945, p101.



الملحق رقم 17. خريطة قاسي طويل بين الواد و تماسينين الى بلاد طوارق الازدجار.

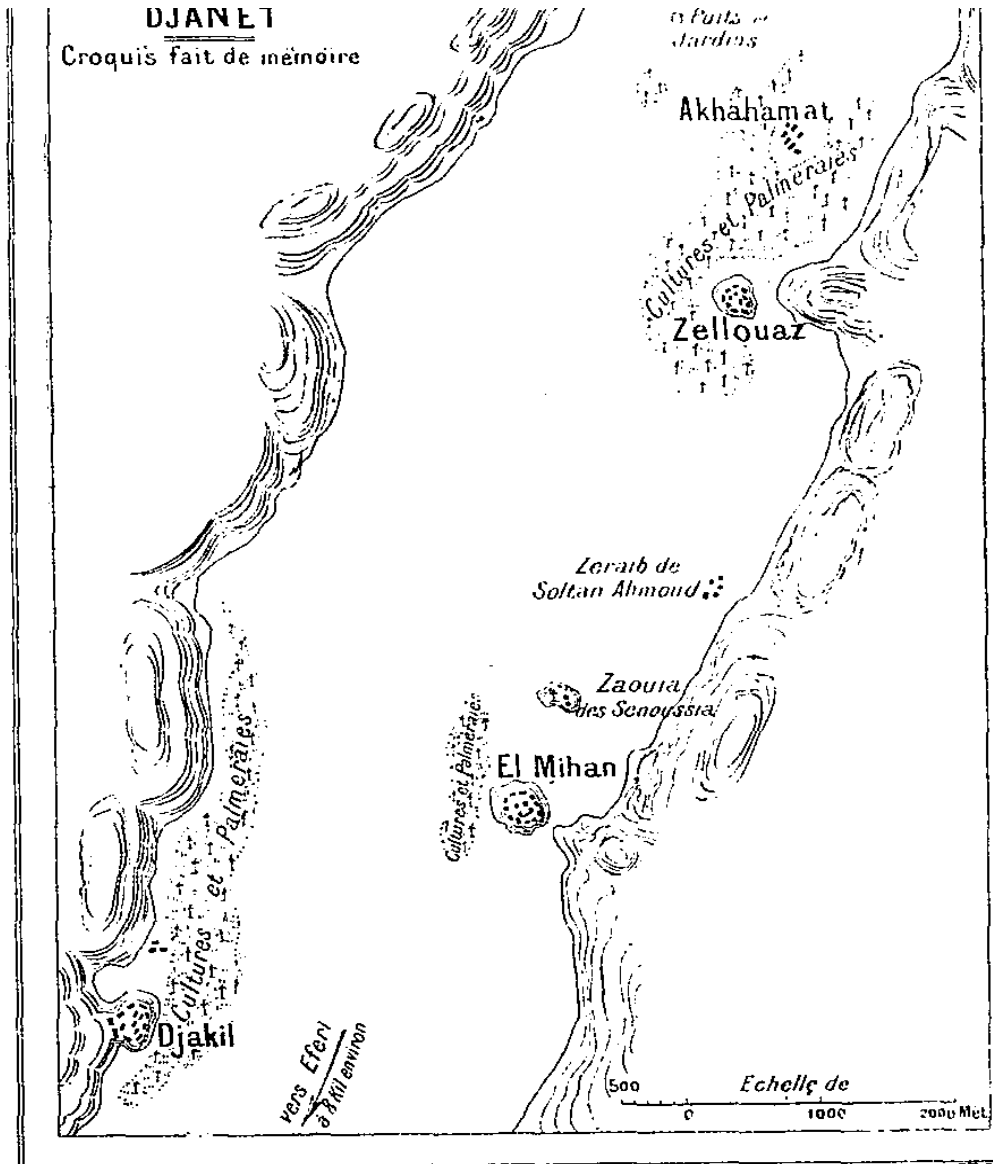
- Capitaine Touchard, Travaux et reconnaissances de pénétrations sahariennes exécutés dans le sud constantinois par le cercle de touggourt, Renseignements coloniaux et documents, publié

par Com. Afri. Franc et. Com. Maroc, octobre 1906, p301.



الملحق رقم 19 : خط سير رحلة النقيب توشار في الأزديجار

- Capitaine Touchard, Travaux et reconnaissances de pénétrations sahariennes exécutés dans le sud constantinois par le cercle de touggourt, Renseignements coloniaux et documents, publié par Com. Afri. Franc et Com. Maroc, octobre 1906, p305.



Bulletin du Comité de l'Afrique française

Reproduction interdite

الملحق رقم 20. قصور جانت سنة 1905 .

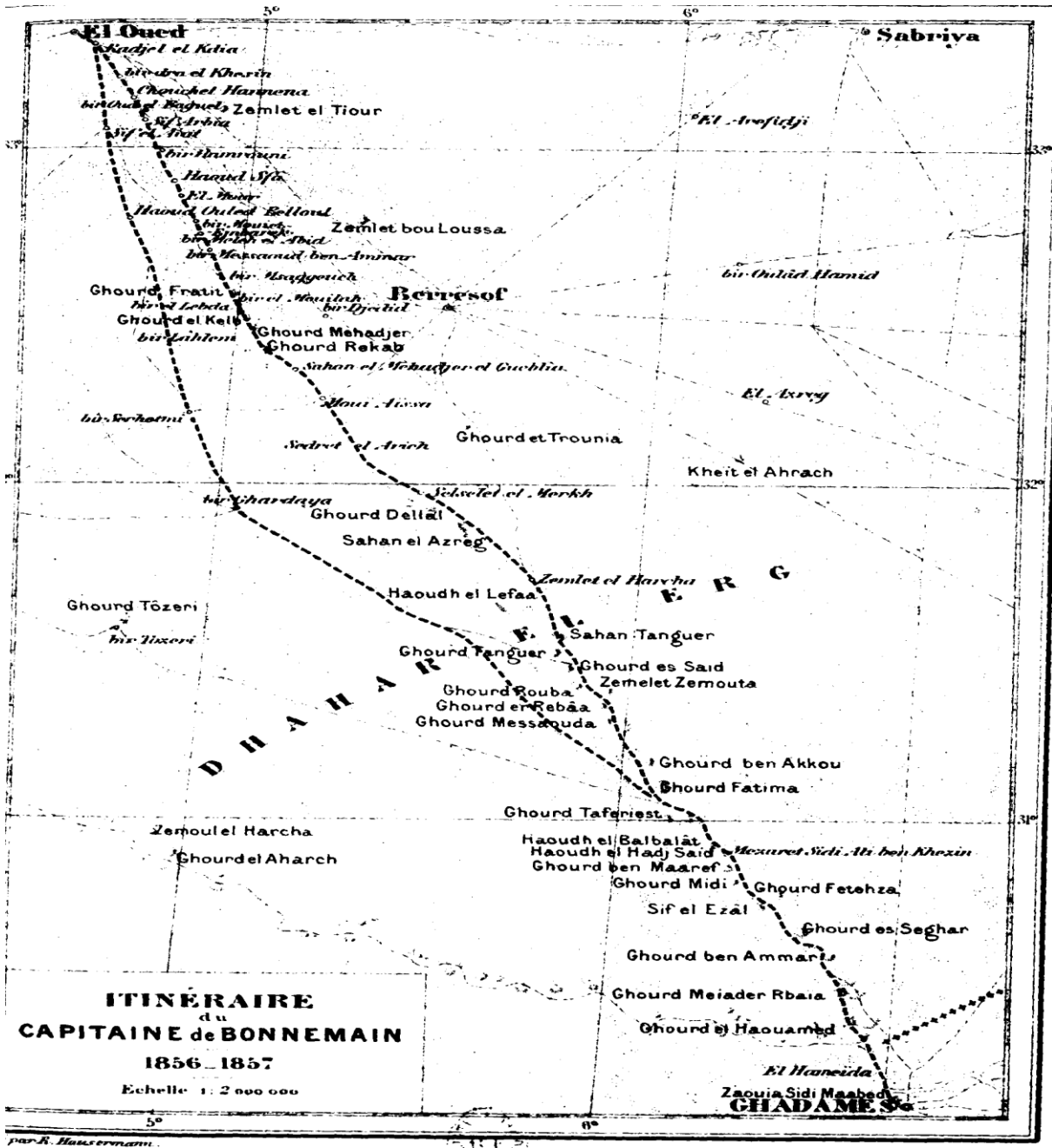
-- Capitaine Touchard, Travaux et reconnaissances de pénétrations saharienne exécutés dans le sud constantinois par le cercle de touggourt, Renseignements coloniaux et documents, publié par Com.Afri.Franc et. Com. Maroc, octobre 1906, p311.





ملحق رقم 23: خطط معركة ايسين

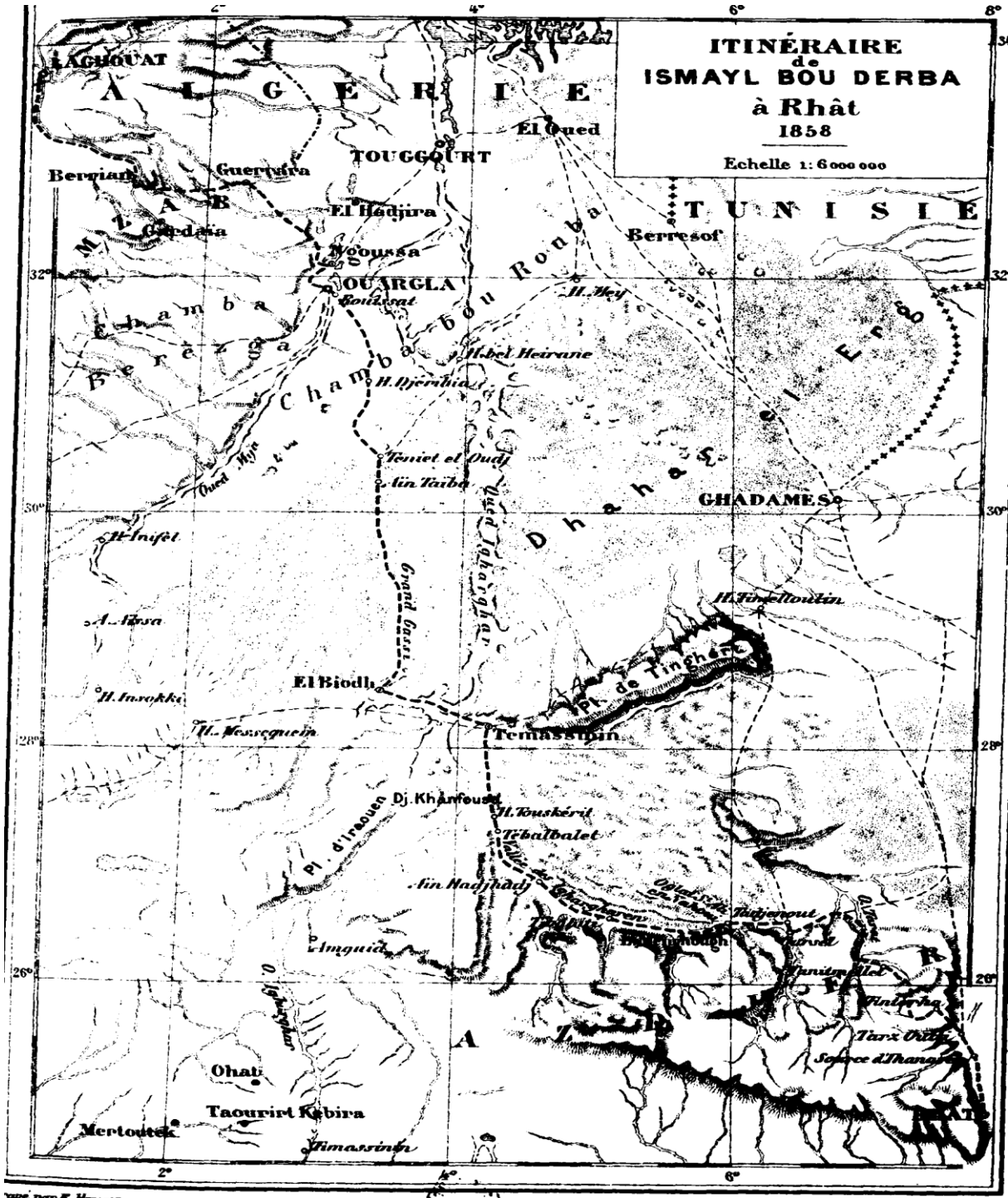
- Rapport du lieutenant Gardel sur les dernier évènements du combat d'Esseyen-n-Afella 10 et 11 avril 1913, boîte 22h 79, anom



الملحق رقم 24: خط سير رحلة النقيب دوبونمان (de Bonnemain)

- P. Vuillot, l'exploration du sahara étude historique et géographique, augustin challamel editeur, Paris, 1895, p55.





الملاحق رقم 25: خط سير رحلة الضابط اسماعيل بوضرية.

-- P. Vuillot, Op.cit., p57.



الملحق رقم 27: خط سير رحلة النقيب دوفريي (Duveyrier)

- Vuillot.P, op.cit,p67.

قائمة المصادر

والمراجع

1- الوثائق الأرشيفية باللغتين:

أ- أرشيف الحكومة التونسية

- أرشيف الحكومة التونسية، صندوق 212، ملف 239، وثيقة رقم 05.

- أرشيف الحكومة التونسية، صندوق 219، ملف 237، وثيقة رقم 04.

ب- مركز الأرشيف الوطني ما وراء البحار بأكس بروفانس:

1. A. S de Djanet, du ministre des affaires étrangères a M<sup>er</sup> Jonnart, Gouvernement Général d'Algérie, 13/03/1907, boite 22H 30.
2. A.S de Djanet, 27/03/1907, boite 22H 30.
3. A.S, des efforts à tenter pour implanter l'influence française au Gourara et au Touat, 23 Juin 1891, boite 22H 32.
4. A.S. des Instruction remises à Moussa Ag Amestane, capitaine Métois, 10 février 1904, Boite 22H 30.
5. A.S. du borjs à construire à temassinie et à Hassi bel-heirane 01/12/1892, 22H 47.
6. A.S. du borjs à construire à temassinine et à Hassi bel-heirane 01 Décembre 1892, le général O'neil au gouverneur général 22H 47.
7. A.S. du détachement de Fort Mac-Mahon, Instruction donnée pour les travaux de constructions de Fort Mac- Mahon par l'état-major du 19<sup>eme</sup> C.A. 10 Décembre 1893, 22h 56.
8. Affaire de oued Righ et de touggourt, boite 2H 25.
9. Au sujet de la disparition de deux méhariste entre El-Goléa- Hassi Inifel. Mai 1893 22H 47.
10. Au sujet des Ifoghas qui doivent s'installer dans l'annexe d'el-ouad, Boite 22H 29.
11. Cap. Massoutier, A-S du départ en dissidence des ouled Bou saïd 04 Mai 1896, 22H 43.

12. Capitaine Pujat, Rapport de l'installation définitive du poste de Fort lallemand les améliorations à y apporter, 22h 47.
13. Capitaine Métois, Rapport sur voyage d'Hadj Bilou dans Ahaggar et Ghât, Boite 22H 30.
14. Charles Bocher au gouverneur général, Zâatcha 26/11/1849, , une lettre du général Herbillon, Boite 2H 25.
15. Colonne du sud, Prise de Touggourt 1854, Boite 2H 22.
16. Conduite a tenir a l'égard de touggourt dans le cas du retour offensive de Selman et de cherif, boite 2H 25.
17. Construction des postes Fortifiés dans l'extrêmes sud 06 Aout 1893, le gouverneur général Jules Cambon de l'Algérie au, Général commandant la division. 22H 47.
18. Correspondances du gouvernement général 28/02/1903, 22H30.
19. Création des puits entre Fort L'Allemand et Temassinine dans le Gassi Touil 1898-1899, 22H 47.
20. Départ en dissidence de 9 tentes des châanba d'ouregla, 03 juin 1897, 22H43.
21. E. Grésillon, Assassinés ou Morts de souf Entre El-Goléa- et Hassi Inifel, Journal l'Algérie, 1er Année, N° 21, Jeudi 06 juillet 1893, 22H 47.
22. Engagement de négres libres pour l'Algérie, 28/10/1879, 22H 26.
23. Envoi d'une lettre par 2 notables des Hoggar au caïd de châanba ould Bou-saïd, Général Collet Moygret, Avril 1896, Boite 22H 29.
24. Etat de l'impôt d'el-oued righ et du souf l'année 1955, 2H 25.
25. Etat de l'impôt de l'oued Righ et du souf pour l'année 1855, boite 2H 25.
26. Etat de l'impôt de l'oued Righ et du souf pour l'année 1855, boite 2H 25.
27. Extrême sud coup de main 21 Mai 1897, Boite 22H 43.
28. Extrême sud Ghadamès, et Ghât Pénétration commerciale, 17 décembre 1895, 22H 29.

29. Général Collet Meygret, Touareg Hoggar relation avec les Azdjer et le Tidikelt, 18 Aout 1896, Boite 22H 29.
30. Général Poizat, Nouvelle du sud, 03 Octobre 1891, 22H 32.
31. Général Swiney commandant la division d'Alger à M gouverneur général d'Alger, organisation à Fort Miribel de service de renseignements et de la correspondances 19 Février 1894, 22H 47.
32. Instructions délivre par le capitaine Metois chef de l'Annexe d'in salah au nom du gouvernement français à Moussa ag Amestan Aminokal du Ahaggar, représentant de Toutes les Tribus noble et imrad du Ahaggar et lui Faisant connaître les conditions dans lesquelles le gouvernement Français accepte la collaboration, Boite 22H 30.
33. Instructions laissées Ali Bey Ben Farhat Caid d'oued righ et souf, boite 2H 25.
34. Laperrine, politique a suivre vis-à-vis les Azedjar, 18/01/1907, boite 22H 30.
35. Le Général Combon, A.S. des châanba dissidents, 21 aout 1897, Boite : 22H 29.
36. Le Général Détrie, A.S de projets d'occupation de Touat du Tidikelt et de Gourara au Maroc, 26 juin 1891, 22H 32.
37. Le Général Hervé commandant le 19eme corps d'armée, construction de postes dans l'extrême sud, 24 Octobre 1893. 22H 47.
38. Le Général Marmet, au, le général commandant la Division, A.S de la création de postes au dessous d'El-Goléa, Médéa 05 Mai 1893, 22H 47.
39. Le Général POIZAT, A.S. de L'Etat des Esprits aux chaâmbas, 14 Novembre 1890, 22H 34.
40. Le Général Swiney, Renseignements relatifs aux dissidents auteurs du coups de mains de Bou-Khanfous 08 Novembre 1894, 22H 42 .
41. Le Président Général de France à Tunis au ministère des Affaires étrangères, Affaires Tripolitaines 12 Mai 1892, 22H 27.
42. Lettre de si Kaddour Ben Hamza à son frère si Eddin, 22H 32.

43. Lettre du G. Hervé. CDT le 19eme C.A au Gouv en date du 24 Octobre 1893, A.S. de la construction de Fort Mac-Mahon et les trouble possible, 22H 47.
44. Lettre du Général Swiney commandant 19eme corps d'année en date du 14/09/1893 au gouverneur général AS de la construction du Fort Hassi-Chababa (Miribel) 22H 47.
45. Lettre du Général O'Neil 20 Décombre 1892 A.S. de la construction d'un bordj à Beressof, boite 22H 56.
46. Lettre du Général O'Neil au gouverneur général en date du 1er Décombre 1892 au sujet du voyage de Foureau chez les Touareg Ajjer et la participation de Méry a la construction du bordj de Hassi El- Mey, boite 22H 56.
47. Licenciement des cavaliers de Hassi- Inifel, Ministre de la guerre, 17 juillet 1903, 22H 47.
48. Notes du capitaine du génie DIGUE commandant le détachements du Fort Miribel au sujet des mesures prises pour assurer le service de renseignement et de correspondances 15 Janvier 1896, 22H 47.
49. Notes sur l'historique des Imanan et des Oraghen, boite 22h 37.
50. Notice sur si El –Abdine ben cheikh Mohamed 22 H 29.
51. Nouvelle du sud. 6emeBureau, 23 janvier 1891, 22H 32.
52. Nouvelles du sud et sud-ouest 08 juin 1899, ANOM, 22H 44.
53. occupation de bousaâda 1849-1850, 8H 7.
54. Organisation de oued Righ et de du souf, 26 octobre 1854, boite 2H 25.
55. Otage ramenée de Touggourt, 13 janvier 1855, boite 2H 25.
56. Plan de Fort Miribel, 22H 47.
57. Prise de Touggourt 1854, Boite 2H 22.
58. Rapport circonstancié sur l'Attaque à Bou Khanfous le 09 Septembre 1894 du détachement de relève de la garnison de fort Mac-Mahon (1croquis) 22H 42.
59. Rapport confidentielle, Constantine le 15 décembre 1854, 2H 25.

60. Rapport de Mère le capitaine Touchard sur les Travaux et reconnaissances de pénétration saharienne exécuté dans le sud constantinois, 22H 37.
61. Rapport de sous lieutenant de la Selve, Commandant du Convoi en route de Goléa à Fort Mac-Mahon Attaqué au Puit Boukhanfous 13/09/1894, Boite 22H 42.
62. Rapport du lieutenant Chardenet adjoint au Bureau arabe d'el oued souf, Sur la razzia exécutée contre les Ifoghas, Boite 22H 29.
63. Rapport sommaire du capitaine Metois chef d'annexe d'in-salah sur la tournée de police chez les Azdjer 02/08/1903, boite 22H 30.
64. De Colomb commandant du cercle de Laghouat, Rapport sur établissement d'agences française pour le commerce du sud à Ghadamès à Ghât. A Ouargla et in Salah 22 aout 1860- 22H 33.
65. Rapport sur L'attaque à Boukhanfous le 09/09/1894 et le détachement du fort Mac Mahon, boite 22H 42.
66. Rapport sur l'enlèvement du Troupeaux de fort Mac Mahon 08/09/1894, 22H 42.
67. Rapport sur l'organisation de oued souf et de souf, boite 2H 25 .
68. Rapports sur l'organisation de l'oued righ et souf, 2H 2.
69. Rapports sur l'organisation de l'oued righ et souf, 2H 25.
70. Récit de si abdennebi sur l'une des dernières luttes entre les Hoggar et les azguez. 22H 37.
71. Récit de si abdennebi, boite 22H 37.
72. Renseignement sur le Rezzou dirigé par Boukhachbat et le miad des Touaregs Azedjar venu de l'oued 12 janvier 1895, Affaires indigènes 22H 29.
73. Résultats obtenus jusqu'à ce jour par les explorations Entreprises sur les auspices du gouvernement de l'Algérie pour pénétrer dans le soudan, Avril 1862, Bureau politique des affaires arabe 22H 26.
74. Résumé sommaire de l'opération de la colonne de Bel- Heirane le 27 Mars 1894, 22 H 47.



75. Meygret (Le Général Collet), Tidikelt, objet: dissidents, Renseignements politique, 15 Avril 1897, boite 22H 43.
76. Meygret (Le Général collet), service des renseignements dans les postes de Fort Mac-Mahou et Fort Miribel, 30 Juin 1896, boite 22H 43.
77. Construction des postes Fortifiés dans l'extrême sud 06 Aout 1893, le gouverneur général de l'Algérie au, Général commandant la division, boite 22H 43.
78. Déclassement des ouvrages de Fort Miribel et de Hassi Inifel, Arrêté du gouvernement général 23/09/1903, boite 22H 43.
79. DIGUE (Capitaine), Rapport du 20 Février sur le service des renseignements 1894, boite 22H 43.
80. Rapport du lieutenant Gardel sur le dernier événement combat d'esseyen-N- Afella. Boite 22H 79.

ج- الأرشيف العسكري SHD Vincennes:

1- Journal de marche et des opérations militaires de la colonne du sud dans la province de Constantine pendant l'automne 1855, Constantine le 12 janvier 1856, service historique de la guerre, H 227.

## 2- قائمة المصادر والمراجع باللغة العربية

### أ- المصادر

1. ابن خلدون (عبد الرحمان) ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر-اعتنى بإخراجها أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الرياض، السعودية، دن
2. ابن خلدون (عبد الرحمن)، كتاب العمر وديوان المبتدأ والخبر، المجلة السادسة، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1958

3. الادريسي (أبي عبد الله محمد الحمودي الشريف) ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002، ص 279- حالة أخرى نفسه.
4. الأشرف (مصطفى) ، الجزائر الامة والمجتمع، تر. حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.
5. الدليل الاحصائي، مديرية التخطيط والتهيئة العمرانية، 2008
6. شهادات ووثائق جمعية قصبة اينغر عين صالح عن محمد صالح حوثية، توات والأزواج، ج 2
7. الشيخ (المولاي التهامي غيثاوي)، لفت الانظار إلى ما وقع من النهب والتخريب والدمار لولاية أدرار أبان احتلال الاستعمار، دار الكتب العلمية بيروت، 2013
8. العدواني (محمد بن عمر) ، تاريخ العدواني، تقد وتحق وتعل ابو القاسم سعد الله، دار الغرب الاسلامي، ط 1، 1996
9. العروي (عبد الله) ، المبادرات والمقاومة الافريقية في شمال افريقيا في الصحراء الكبرى، اللجنة العلمية الدولية لتحرير تاريخ افريقيا العام (اليونسكو)، المجلد 7، افريقيا في ظل السيطرة الاستعمارية 1880-1935، المشرق العام، أ. أدر بواهن، بيروت- لبنان، 1990
10. العنتري (محمد الصالح) ، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على اوطانها (تاريخ قسنطينة)، مراجعة وتقديم يحي بوعزيز، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر
11. العوامر (ابراهيم بن محمد الساسي) ، إلى في تاريخ الصحراء وسوف، تعل: جيلالي العوامر الجزائر، الدار التونسية للنشر والشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1977
12. العياشي (أبو سالم عبد الله بن محمد) ، الرحلة العياشية 1661-1663، ج 1، حققها وقدم لها سعيد الناضلي. سليمان القرش، ط 1، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي 2006
13. القشاط (محمد سعيد) ، التوارق عرب الصحراء، مركز دراسات وابحاث شؤون الصحراء، ط 2، 1989، مطابع اديتار. إيطاليا
14. الناصري (أبو العباس أحمد بن خالد) ، كتاب الاستقصاء أخبار حول المغرب الأقصى- الدولة السعدية، ج 5، تق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1955

15. الناصري (محمد ابن أحمد أبي راس) ، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، نقد- تحقق: محمد غانم، ج6، منشورات م.و.ب.أ.إ.ث CRASC، 2008.
16. الوزان (الحسن الفاسي) (ليون الافريقي)، وصف افريقيا: تر: محمد حجي، محمد الأخضر، ج2، ط2، دار المغرب الاسلامي، بيروت، 1983.

ب- المراجع:

1. الأشرف (مصطفى) ، الجزائر الامة والمجتمع، تر. حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983
2. بوية (عبد القادر) ، تديكلت وثائق ومخطوطات، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر- قسنطينة عاصمة الثقافة العربية، ط1، 2015
3. بيلي (دينيس) ، دراسة حول تسلسل الأحداث التاريخية بورقلة، تر: علي إيدار، مطبعة الولاية، ورقلة، 1995
4. التجاني (بشير محمد) ، تهيئة التراب الوطني في أبعادها القطرية، دار الغرب، 2004
5. تشايحي (عبد الرحمان) ، الصراع التركي- الفرنسي في الصحراء الكبرى، تر: علي عزازي، مراجعة محمد الأسطي، الجماهيرية الليبية، 1982
6. حاجي (عبد الرحمان) ، ورقلة تاريخ وحضارة، ج1، الجزائر، 2010، دار هومة.
7. حوثية (محمد الصالح) ، توات والإزواد، ج1، دار الكتاب العربي، 2007
8. زوزو (عبد الحميد) ، ثورة الأوراس سنة 1879م، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م
9. زوزو (عبد الحميد) ، ثورة بوعمامة 1881-1908، ج2، جانبها السياسي 1883-1903، ش.و.ن.ت، الجزائر 1983
10. سعد الله (أبو القاسم)، الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900، ج1، دار الغرب الاسلامي، ط1، بيروت- لبنان، 1992
11. السعدي (عبد الرحمان) ، تاريخ السودان، ط هوداس، باريس، 1981.
12. شافو (رضوان) ، المقاومة الشعبية بصحراء قسنطينة تقرت وضواحيها انموذجا، 1844-1875، دار الشروق، الجزائر، 2016م

13. غانم (محمد الصغير) ، المظاهر الحضيرة والتراثية لتاريخ الجزائر القديم الدولة النوميديّة وعاصمتها كرطن بين النشأة والهوية الحضارية، ج3، دار الهدى للطباعة والنشر، 2011
14. فرج (محمود فرج) ، إقليم توات خلال القرنين 18-19 م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977.
15. فركوس (صالح) ، إدارة المكاتب العربية والاحتلال الفرنسي للجزائر، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، ط1، 2013.
16. فيرون (ريمون) ، الصحراء الكبرى، تر: جمال الدين الديناصوري، مرا: نصري شكوى، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1963
17. المرزوقي (محمد) ، صراع مع الحماية، تونس، دار الكتب الشرقية، 1973
18. مرموري (حسن)، التوارق بين السلطة التقليدية والإدارة الفرنسية في بداية القرن 20، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2010.
19. مياسي (ابراهيم) ، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934، دار هومة، الجزائر، 2005
20. نجاح (عبد الحميد) ، منطقة ورقلة وتقرت وضواحيها من مقاومة الاحتلال حتى الاستقلال، منشورات جمعية الوفاء للشهداء توقرت، الأمل للطباعة، ورقلة، 2003

#### ج - الدراسات والأبحاث

1. بلحميس (مولاي) ، مدينة ورقلة في رحلة العياشي، مجلة الأصالة، العدد 41، السنة السادسة، 1977 تصدر عن وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية
2. بوسعدي (الطيب) ، الصحراء الجنوبية الشرقية الجزائرية من خلال المصادر الجغرافية الإسلامية وكتب الرحلات المغربية خلال العهد العثماني (وادي ريغ نموذجاً)، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 15 جامعة غراداية.
3. بوعزيز (يحي) ، وثيقتان جديدتان عن كفاح الشريف محمد بن عبد الله، مجلة الثقافة، السنة السادسة، العدد 33، جمادى الثاني، رجب 1396هـ/ يونيو- يوليو 1976 وزارة الاعلام والثقافة- الجزائر- 1976
4. الجيلالي (عبد الرحمان) ، هؤلاء التوارك المثلثين، مجلة الأصالة، محرم 1391- مارس 1971، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 1971.

5. رشدي جراية (ضيف محمد) ، الصحراء الجزائرية، دراسة في الجغرافيا، مجلة البحوث والدراسات، عدد 24، السنة 14، 2017
6. رشدي جراية (ضيف محمد) ، الصحراء الجزائرية، دراسة في الجغرافيا، مجلة البحوث والدراسات، العدد، السنة 14، 2017
7. زوزو (عبد الحميد) ، الوضع في منطقة ورقلة قبل الاحتلال الفرنسي، مجلة الصالة، العدد 41، السنة السادسة، 1977 تصدر عن وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية
8. زوزو (عبد الحميد) ، الوضع في ورقلة قبل الاحتلال، الأصالة، العدد 41، السنة السادسة، جانفي 1977م الموافق لـ محرم 1397هـ.
9. سعيدوني (ناصر الدين) ، ورقلة ومنطقتها في العهد العثماني، مجلة الأصالة، العدد 41، السنة السادسة، 1977، تصدر عن وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية
10. قصيبة (أحمد بن أبي زيد)، ابن الناصر بن شهرة أحد أبطال ثورة 1871، مجلة الأصالة السنة 01، العدد 06، جانفي 1972.

#### د - الأطروحات والرسائل الجامعية:

1. بعثمان (عبد الرحمان)، القضاء في منطقة توات خلال القرنين 17-18م، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران 1، 2015-2016.
2. بلعالم (عبد السلام الأسمر) ، الحياة الفقهية في توات خلال القرنين 12-13هـ، أطروحة دكتوراه في العلوم الاسلامية، جامعة باتنة، 2015-2016.
3. بن دومة (الشيخ محمد الطاهر) ، أخبار وأيام وادي ريغ، 1918-1982م/ 1336-1403هـ، تح: محمد الحاكم بن عون، مذكرة ماجستير جامعة منتوري، قسنطينة-الجزائر، 2010-2011
4. بن سويس، (محمد) العمارة الدينية الاسلامية في منطقة توات، تمنطيط نموذج بين سنة 6-13هـ/ 12-19م، مذكرة ماجستير في العلوم الاسلامية، 2007-2008، جامعة الجزائر.
5. هاشمي (آمال) ، الوضع الاجتماعي والفكري لطوارق من خلال الكتابات الفرنسية في بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر، مذكرة ماجستير، جامعة وهران، 2007-2008

6. هواري (مختار)، نماذج من القمع الإداري الاستعماري اتجاه بعض القبائل في الجنوب القسنطيني 1871-1916، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الحاج لخضر- باتنة، 2016-2017.

### 3- قائمة المصادر والمراجع باللغة الأجنبية:

#### أ- المصادر

1. Alexandre (Jacques-louis-César).Mémoires du Maréchal Randon, T.1er, Ed, Typographie Lahure, Paris, 1875 , (pp.456-459).
2. AMAT (Charles), le Mzab et les Mozabites, Ed. Challamel, Paris, 1888.
3. Aucapitaine (Le Baron Henri), notice sur Boussaâda, RA, Tome 16, année1862, Ed bastide, Alger, 1863.
4. Auguste( choisy), le Sahara souvenir d'une mission a goléah, Ed. Plan Imprimeur éditeurs, 1881, Paris.
5. Augustin (Bernard) , occupation d'in-Salah, Questions diplomatiques et coloniales, Revue de politique extérieur directeur Henri pensa T. IX, Janvier 190.
6. Baquey( Lieutenant), La pénétration Saharienne Résumé historique 1899-1905, Ed CHARIX Lavauzelle, Paris, 1906.
7. Basset (R), Les manuscrits arabas des bibliothèques des Zaouïas de Ain-Madhi et Temacin de Ouregla et de Adjadja, Bulletin de correspondance Africaine, 4eme année 1885. T.III, Ed. Fontana, Alger, 1885.
8. Benhazera (maurice), Six mois chez les Touaregs, Ahaggar, Bull. Soc. Géo. D'Alger. Afr. Nord, 11<sup>eme</sup> Année, 1906, IXI, impe. Typographique et Lithographique S. Léon, Alger, 1906.
9. Berbard (M), deuxième missions Flatters, historique et rapport, Ed. adolphe jourdan, Alger, 1882.
10. Bernard (Augustin). Joly (Alexander), Note Biographique, Annales de Géographie, Année 1913.

11. Bernard( F), Quatre mois dans le Sahara, journal d'un voyage chez les Touareg suivi d'un aperçu sur la deuxième mission Flatters, librairie Delagrave, Paris, 1881.
12. Bernard( FA), Lacroix (N), la pénétration saharienne 1830-1906, El Gandini, 1993 France.
13. Bernard(A) , Quatre mois dans le Sahara, journal d'un voyage chez les Touareg suivi d'un aperçu sur la deuxième mission Flatters, librairie delagrave, Paris, 1881.
14. Bissuel (Le Capitaine, H), les touareg de L'ouest, Adolphe Jourdin, Algu, 1888.
15. Blanguernon (Claude) , le Hoggar, Ed. Arthaus, Paris, 1958.
16. Bocher( Charles), Le siège de zâatcha, Souvenirs de l'expédition dans les ziban en 1849, Revue des deux monde, T2, Paris, 1952.
17. Bonnefon (E-L) L'Afrique Politique en 1900, Henri Charles- Lavaigelle, Paris, 1900.
18. Boudierba (Ismail), Voyage A R'AT 1er décembre 1858, Imprimerie de Ch LACHUR, Paris, 1859, Revue Algérienne et coloniale, décembre 1859.
19. Boudierba ( I), Voyage a Ghat du 1er décembre 1858 ,Bu. Sco. Géo, Paris, 1860.
20. Brosselard (Henri), les deux missions Flatters au pays des touareg Azdjer et Hoggar, 2<sup>eme</sup> Ed, Jouvot et Cnt Editeur, Paris, 1889.
21. Camille (Sabatier), Touat Sahara et Soudan, étude géographique politique, économique et militaire, Société d'édition Scientifique, Paris 1891.
22. Carette (E), du commerce de l'Algérie avec l'Afrique centrale et les états barbaresques, Paris, Guyot, 1844.
23. CAT (E), à travers le désert, Ed libraire Gedalge, Paris.
24. Cauvet( Commandant G), le Raid du lieutenant Cottenest au Hoggar combat de tit 7 mai 1902 collection RAOUL et Jean BRUNON . Marseille , 1945.

25. Cherbonneau (A), Relation de voyage de M. le capitaine de Bonnemain A R'dâmes 1856-1857, Nouvelles annales des voyages de la géographie de histoire et de l'Archéologie, Année 1857 T. 2<sup>eme</sup>, Arthus Bertrand, Editeur, Paris.
26. Colomb (L. De) , Notice sur les oasis du Sahara et les routes qui y conduisent, extrait de la revue Algérienne et coloniale, Aout. Octobre 1860, imprimerie de challamel. Lahure, 1860, Paris,
27. Colonieu( Commandant), Voyage au Gourara et A Aouguerout, 1860, Bulletin de la société de géographie, 1892.
28. Cottenest (Lieutenant), d'in-salah au Hoggar, Bull.Soc.Geo.Alg. et de l'afrique du nord, 8<sup>eme</sup> Année, 1903. 3<sup>eme</sup> Tr.(324-341)
29. Daumas ( L.C), Le Sahara algérien Etude de géographie statistique et historique Ed. Langlois et Leclercq, Paris, 1845.
30. De castries (Comte H), le Sahara Français, journal des Débats politique et littéraires, 17 Février 1899, N°47, Année 111, France.
31. De Castries( H), Questions saharienne et Transsaharienne, Librairie africaine et coloniale, Paris, 1902.
32. De Champeaux( Guillaume), à travers les oasis sahariennes, les spahis sahariens, Ed. R. chapelot, Paris, 1903.
33. Deleuze (G), Monument élevé a L'Explorateur Camille Douls, Bult.Soc.Géo, d'Alger. et de l'Afri du nord, 1902.
34. Demoulin( F), L'exploration du Sahara, Annales de géographie, T40, N°226, 1931.
35. Demoulin(F), La vie des touareg du Hoggar. In ; Annales de Géographie, T37, N°206, 1928, PP.137-162 .
36. Deporter (Commandant), Sahara Algérien Gourara, Touat, Tidiklit, imprimerie Fontana, Alger, 1891.
37. Dubarail (Général) , Mes souvenirs, T2 1851-1864, Librairie, Plon, Paris, 1898.



38. Dubarail (Général), *Mes Souvenirs*, T.1, 1820-1851, Librairies Plon, Paris, 1897.
39. Dubois (Marcel), Terrier (Augustin), *les colonies francaises Un siècle d'expansion coloniale*, Ed. Augustin Challamel, Paris, 1902.
40. Duponchel (A), *le transsaharien*, Typo. Charles Boehy 1878. Montpellier.
41. Duponchel. (A), *Le chemin de fer Transsaharien jonction colonial entre L'Algérie et le soudan, Etude préliminaires du projet et rapport de mission*, Typographie et Lithographie de Boehm et fils, Montpellier, 1878.
42. Duveyrier (Henri), *Notes sur les Touarag et leurs pays*, 1863,
43. Duveyrier (Henri), *Voyage au sahara par Norbert Dournaux- Dupéré, Réd d'après sou journal et ses lettres, extrait du Bulletin de la societé de Geographie*, Aout 1874, Imprimerie E. Martine, Paris, 1874.
44. Duveyrier (Henri), *Voyage de camille Douls au Sahara*, *Revue Française de l'étranger et des colonies*, 1er semestre, 1890, imprimerie CHAIX, Paris 1890.
45. Duveyrier (Henri),,, *Exploration du sahara les Touareg du nord*, Paris, 1864.
46. Duveyrier (Henri),,, *les touareg du nord*, challamel ainé- libraire-éditeur, Paris 1864.
47. Duveyrier (Henri),,, *Sahara Algérienne et Tunisien journal de route*, Ed, Auguste Challamel, Paris, 1903.
48. Eu (Colonel D'), *In-Salah et le Tidikelt, journal d'opération*, Imprimeur Militaire, R. Chapelot, Paris, 1903.
49. *Expédition du général Serviére dans le Gourara*, Bull. SCO, Géo de lille, 01/05/1901.
50. Feraud (L.Ch), *notes historique sur la province de constantine*, RA, T23, annee1879, A. jourdan, Librairie-Editeur, Alger, 1879.
51. Feraud, *Les ben djellab sultan..*, Vol 31, R. A, 1887.
52. Fillias ( Achilles ) , *Géographie de l'Algérie*, Ed Hache II, Paris.
53. Fillias ( Achilles ) , *Nouveau guide Général du voyageur en Algérie*, ed Garnier Frères, Paris, 1865.

54. Fock ( A), Algérie, Sahara, Tchad réponse A.M.C Sabatier, A. Challamel éditeur, Paris, 1891.
55. Forestiers (M), Notice sur les chemins de fer Algériens, Alger Mustapha Giralt, 1900.
56. Foureau (Fernand), Mission chez les Touareg mes deux Itinéraires sahariens D'octobre 1894 A Mai 1895, A.challamel, Paris 1895.
57. Foureau (Fernand), Mon neuvième voyage au Sahara et au pays Touareg, (Bull. Sco. Géo. Paris. 1898.
58. Frescaly (marcel) (Lieutenant Palat), Journal de route et correspondance, Ed Charpentier, Paris, 1886.
59. Fromentin (Eugène), Un été dans le Sahara, Alphonse lemére, Paris, 1878.
60. Gast (M), Témoignages nouveaux sur Tin Hinane, ancêtres légendaires des Touaregs Ahaggar, R.O.M.M, 13-14, 1973.
61. Gast (Marceau). Les kel Rela : historique et essai d'analyse du groupe de commandement des kel Ahaggar, In : Revue de O.M.M N°21, 1976.
62. Germain( J ose). Feye( Stephane), un grand africain. La vie et la mort du général Laperrine, revue des deux mondes, T.8,7<sup>eme</sup> année, Paris, 1922.
63. Gouvernement général de l'Algérie. Commissariat général du centenaire, les Territoires du sud de l'Algérie. 1<sup>er</sup> partie, Imprimerie Algérienne Alger, 1926.
64. Gouvernement Généra.d'Algerie, notice sur les chemins de fer Algériennes, Imprimeur du gouvernement général, Alger, 1900.
65. Gustave (Cler. Jean- josph), souvenirs d'un officier du 2<sup>eme</sup> de zouaves, michel Lévy frères, Editeurs, 1869, Paris,
66. Haëdo( Diego de), histoire des rois d'Alger, Traduit Henri Delmas de Grammont, ED. Grand-Alger- livers, Alger, 2004.
67. Herbillon (Emile Emmanuel), Quelque pages d'un vieux cahiers, souvenirs du général Herbillon (1794-1866), Ed Berger levrault, 1928.
68. Herbillon( Le général), Insurrection survenue à Constantine en 1849, Relation du siège de zâatcha, Librairie Militaire, Paris, 1863.

69. Hess ( Jean), L'extrême sud Algérien et le Tout, annales de géographie, T6, N°26 1897.
70. Journal des Debats politique et littéraires. 14/05/1892.
71. Julien (Charles- André), Histoire de l'Algérie contemporaine, la conquête et les débuts de la colonisation 1827-1871, CASBAH édition, Algérie, 2005.
72. Laquiére( E), La Deuxième reconnaissance du Général Serviére Au Gourara et au Touat, Bul.com.afr.fr, 1902.
73. Laquiére.( E)., La colonne serviérre au Tidikelt, au Touat, et au Gourara, Revue Renseignements coloniaux et documents, comité. de l'afri. fran, janvier 1902.
74. Largeau( Victor), Le Sahara Algérien les déserts de l'erg, 2<sup>eme</sup> édition, Libraire Hachette, Paris 1881.
75. Le lubre, les grands traits géologique de l' Ahaggar (Sahara central), travaux de l'institut de recherches sahariennes, T II, 1943, Ed IMBERT imprimium, Alger.
76. Leclerc (Gérard), anthropologie et colonialisme, Artheme fayard, Paris, 1972.
77. Lehuraux (Adjudant), L'Annexe d' In-Salah et la compagnie saharienne du Tidikelt depuis leur création, Bull, Sco Géo. D'Alger et de l'Afrique du Nord 1914, 19<sup>eme</sup> année 1914 ; 1<sup>er</sup> Trimestre, Première F. Montegue, Alger.
78. Les Touareg de L'est (Bul. Sco. Géo. Com. Paris 1874-1895) T. XVI.
79. Margon (L C<sup>re</sup>) , insurrection dans la province de Constantine de 1870-1880, Paris, 1883.
80. Marmier, Rapport sur le combat de Meggarin, Livré le 29 Novembre 1854, Aux contingents réunis du Cheikh de Touggourt et du Cherif Mohamed ben Abdallâh, RA 1895, N°39.
81. Maurice( honoré), le Transsaharien et la Pénétration Française en Afrique, A. Pedone Editeur, Paris, 1901.
82. Ministère des Travaux public, document relatifs à la mission derigés au sud de l'Algérie par M. Pouyanne, 1886.

83. Ministre des travaux publics, documents relatifs à la mission dirigés au sud de l'Algérie par M. Choisy, 1890.
84. Ministre des Travaux publics, Documents relatifs à la mission dirigés au sud de l'Algérie par le lieutenant colonel Flatters, 1884.
85. Mircher, Mission de Ghadames (septembre- décembre 1862) Rapports officiels et documents à l'appui, Typographie Duclaux, Alger, 1863.
86. Mobacher, Journal Officiel N°3536, 16 Décembre 1893, Gouverneur Général après la date du 15/12/1893, une décision en vertu de laquelle le nom de fort Miribel a été donné à Fort Hassi Chebaba.
87. Nécrologie, R.A, Vol 22 Année 1878, A. Jourdon, Libraire, éditeur, Alger, 1872.
88. Notes pour servir à l'histoire de Ouargla 1885, Notes rédigées par le service des affaires arabes, RA, Vol 64, année 1923, O.P.U, Alger,
89. O. Meynier, La guerre sainte des Senoussya dans l'Afrique Française 1915-1918, R.A-Vol 83, Année 1939, OPU, Alger, 1998. (227-275) (323-357)
90. O. Meynier, La guerre sainte des Senoussiya dans l'Afrique française 1915-1918, la formation du domaine musulman de la France africaine, revue militaire Française, 102ème année, T.46, 1932, Librairie Militaire Berger Levrault, 1932, Paris. (413-432)
91. P.N, La conquête du Touat, Revue du cercle Militaire, Bull des Réunion d'officiers des Armées de terre et de mer N° 20, 18 Mai 1901.
92. Parisot, La région entre Ouargla, et El-Goléa, Bull soc, Géogr., 1880.
93. Pélissier( E. de Reynaud), Annales Algériennes, Tome 3, Librairie militaire, Paris, 1854, Librairie Bastide, Alger, octobre 1854.
94. Philebert (le Général Charles), Algérie et Sahara. Le Général Margueritte, Direction du Spectateur Militaire, Paris, 1882.
95. Prax, Algérie méridionale ou Sahara algérien, TOUGOURT.
96. Prax, Algérie méridionale ou Sahara algérien. LE SOUF, revue de l'orient de l'Algérie et des colonies, T4, Ed Just rouvier libraire, Paris, 1848.

97. Quesnoy( Le D<sup>r</sup> F) , l'Algérie, librairie Furue, Paris, 1885.
98. Randon, Mémoires du Maréchal Randon, T.1, Typographie lahure, Paris, 1875.
99. Rapport de tournée du capitaine Dinaux 03 Mai – 29 octobre, renseignements coloniaux et documents janvier 1907, publiés par C.A.F et de C. Maroc.
100. Rinn (Louis), Marabouts et khouans Etude sur l'islam en Algérie, Adolphe Jourdan, Libraire-Editeur, Alger, 1884.
101. Rolland (Georges), Hydrologie du Sahara Algérien, , imprimerie national, Paris, 1894.
102. Rolland (Georges), La conquête du désert Biskra- Touggourt- L'oued Rir, Challamel et C<sup>o</sup> Editeurs, librairie coloniale 1889.
103. Rolland (Georges), le Transsaharien un an après, A.Challamel éditeur, 1891, Paris.
104. Rolland (Georges), Géologie du Sahara Algérien et aperçu géologique sur le Sahara de l'océan atlantique a la mer rouge, imprimerie national, Paris, 1890.
105. Rousset (Camille), La conquête de l'Algérie 1841-1857, T2, librairie PLON, Paris, 1889.
106. S. Cid Kaoui, Dictionnaire français- Tamasheq (langue Touareg) Adolphe Jourdan, libraire- Editeur, Alger, 1894.
107. Schimer (Henri), le dernier rapport d'un Européen sur Ghât et les Touareg de L'Aïr (journal de voyage d'Erwin de Barry 1876-1877), Librairie FISCH Bâcher, Paris, 1898.
108. Schirme (Henri), le touât Etude de Géographie physique et économique, annale de Géo. T1 Octobre 1891 juillet 1892, Ed. ACMEND colin 1892, Paris.
109. Schirmer (Henri), Le Sahara, Ed. Libraire Hachette, Paris, 1893.

- 110.SEROKA (Commandant), Le sud constantinois de 1830-1855, R.A, Vol. 56, Année 1912, A. Jourdan, Alger, 1912.
- 111.Service des Affaires Arabes, Notes pour servir à l'histoire de Ouargla 1885, R.A, Vol 64, Année 1923,
- 112.Soleillet ( Paul), L'Afrique occidentale, Algérie. Mzab, Tidikelt, Ed. L. seguin Aine, Avignon 1877 .
- 113.Soleillet (P) Exploration du Sahara central- voyage de soleillet d'Alger a l'oasis d'In salah, Rapport présenté à la chambre de commerce d'Alger 20/7/ 1874.
- 114.Touchard (Capitaine), travaux et reconnaissance de la pénétration saharienne Exécuté dans le sud constantinois par le cercle de touggourt, renseignement coloniaux de document publié par C.A.F.et C. Maroc, octobre 1906.
- 115.Trumelet, Les Français dans le Désert, 2° Ed, Challamel et Aine, Paris 1885.
- 116.Vaissière (Commandant), Le Touat, Revue de Géographie; 26 année, T50, Janvier- juin 1902, Paris.
- 117.Voinot (Louis), Le Tidikelt études sur la géographie l'histoire les mœurs du pays, Ed. Jacques Gandini, 1995.
- 118.Vuillot (P), L'exploration du Sahara Etude historique et Géographique, Ed. Augustin Challamel, Paris, 1895.
- 119.Zaccone( J), De Batna à Touggurt et souf, Libraire Militaire, Paris, 1865.

ب – المراجع :-

1. Appendice 1-2-3, la R.A, Vol 39, Année 1895, A. Jourdan libraire-éditeur, Alger, 1895, (pp.146-155)
2. Barrere (G), « Idelès » , T24, Ida-Issamadanen, Encyclopedie berbère, 24/2001,(pp3620-3623)

3. Basset (René), Les manuscrits arabes des Bibliothèques des Zaouïas de Ain Madhi et Temacin de Ouargla et de Adjadja, Bulletin de Correspondance africaine, 4<sup>ème</sup> année 1885. T. III, Ed Fontana, Algérie 1885.
4. Bernard (A), Iacroux (N), la pénétration Saharienne 1830-1906, Jacques Gandini, Nice, France, 1993.
5. Bordier (A), la colonisation scientifique et les colonies française, typographie pour Schmidt. Paris, 1884.
6. Bourgeot( André). Idéologie et appellations ethniques : l'exemple twereg analyse des catégories sociales, in : cahiers d'études africaines, vol. 12, N°48, 1972.
7. Bourgeot( M). Gast( M)., « Attici Ag Amellal » in Gabriel Camp (dir) ,7/Asarakae-Aures, Aix-en-Provence, Edisud (« volume », N° 7)1989.
8. Bourgeot. (A), les Mouvements de Résistance et de Collaboration en Ahaggar (Algérie) de 1880 à 1920, Annuaire de l'Afrique du nord, C.N.R.S, Centre de recherches et d'études sur la Société méditerranéennes (C.R.E.S.M), Paris Ed, CNRS, 1986, (pp.479-499).
9. Capitaine( Lehuraux), les français Au Sahara, Ed les Territoires du sud, Alger, 1933.
10. claudot-awad( Héléne), Iwellemeden, kel Atram (Touareg) in Ecylopedie Bérber XXV (2003), document 176.
11. Esquer( G), un rival d'Abdelkader, R.A, Vol 68, année, 1927, A. Jourdan, librairie-Edition, Alger, 1927.
12. Gast (M) et chaker( S). « Aminukal, AME Noukal », in Gabriel Camps (dir) 4, Alger-Amazwar, Aix en- Provence, Edisud, Vol n°4, 1986.
13. Gast (M), « Ajjer », in Gobriel comp (dir), 8/Aurés-Azrou. Aix-en- Provence. Edisud (« Vol N°8 ») 1990.
14. Gast (M), « imenan », in Gabriel camps (dir), 24 /ida-issamadanen, Aix-en-Provence, edisud (« volume », N°24), 2001.

15. Gast (M), « Imenàn », In Gabriel camps (dir), 24/ Ida- Issamadanen, Aix-en-Provence, Edisud, « Volume », N°24, 2001.
16. Gast (M), les Kel Rela: historique et essai d'analyse du groupe de commandement des Kel Ahaggar, In ; Revue de l'occident musulman et de la méditerranée, N°21, 1976 (pp.47-68).
17. Gaudio (Attilio), Le Sahara des africains, Collections Histoire et voyage Ed, Julliard Réne, Paris, 1960.
18. Koull (Naima), Etude phytoécologique spatiotemporel des zones humides du nord-est du Sahara septentrional algérien (région de Ouargla et d'oued Righ), Thèse de doctorat, Université Ouargla, 2015.
19. Lakroum (Monique), Les projets français de transsaharien XIX- XX un challenge pour l'industrie.1989. www.acadeniematz.fr.
20. Lhote (Henri), les toureg du Hoggar, Ed Payot. Paris, 1955.
21. Malte- Brun( V.A), Résumé historique et Géographique de l'exploration de G.Rohlf's AU Touat et In- çalah, Ed. chalamel, Paris, 1866.
22. Mangin. (E), Notes Sur l'histoire de Laghouat, R.A, 38 année, 3<sup>eme</sup> & 4<sup>eme</sup> trimestres, 1894. A.Jourdan libraire- editeur, Alger,(79-108),(273-345)
23. Mangin.( E), Notes sur l' histoire de l'Aghouat, R.A, vol 39, année 1895, A.Jourdan libraire- editeur, Alger, 1895, (5-53)(108-145).
24. Mouglin.( L), les premiers sultans saàdides et le Sahara, Revue de l'occident musulman et de la Méditerrané N°19, 1975.
25. Nicolaisen ( Johannes), Structures Politique et sociales de L'Aïr et de l'ahaggar, traduit de par S. bernus, Etudes nigériennes N°7, Institut de recherches en sciences humaines, niamey, 1981.
26. Numa (Broc), les français face à l'inconnue saharienne : géographes explorateurs ingénieurs (180-1881). In : annales de Géographie, t 96, N°535, 1987.
27. O. NEIL, Géographie de l'Algérie, Ed, R.Gauvy libraire, Bône, 1876.



28. Pandolfi (Paul), In- Salah 1904, Tamanrasset 1905 : les deux soumissions des Tourags Kel- Ahaggar, Cahiers d'études Africaine, Vol 38, N°149.
29. Rachid( bellil), mutation touarègues (Kel ahaggar et Kel adagh, CNRPAH, Alger, 2008.
30. Remous (Yves Guille), Survie et ordre social au Sahara, les oasis du Touat-Gourara Tidikelt en Algérie, col, SCI. HUM 29 (1) 1993, Ed, de L'ORSTOM, Paris, pp.121-138.
31. Robert (capot-Rey), Etudes récentes sur le climat de l'Afrique du nord et du Sahara, in : Annales de Géographie, T55, n°297, 1946.
32. Rognon (Pierre), la confédération des nomades kel Ahaggar (Sahara central). In ; annales de Géographie t.71, n°388, 1962, pp.604-619.
33. Chaker (S) et. Gast( M), « Amÿar», in Gabriel Camps (dir), 4/Alger-Amzwar, Aix-en-Provence, Edisud, volume n4, 1986.
34. Schimer (Henri), Henri Duveyrier, In : Annales de géographie, T1, N) 4, 1892.
35. Schontz (André), le transsaharien mémoire de l'académie national de Metz, 2011, www.academiemetz.fr. 15/12/2019.
36. SELKA (Abderrahmane), Notice sur le Touat population çofs Ksour, légendes, commerce, industrie agriculture, Elevage, Mœurs, et coutumes. B.S.G.A, Imprimerie Algérienne, 27<sup>eme</sup> Année, 1922,( pp 522-555).
37. Sesiano( Jean), le Hoggar et son volcanisme, in : le globe. Revue genevoise de géographie, tome 120, année 1980, N°120.
38. Tachrifet, recueil de notices historique sur l'administration de l'ancienne Régence d'Alger, Devoulx, Alger 1852.
39. Valette. ( Jacques), Pénétration françaises au Sahara et exploration : le cas de paul soleillet, Revue française d'histoire d'outre-mer, tome 67, N67, N°248-249, 3eme et 4eme trimestre 1980.
40. Vuillot (Paul), l'exploration du Sahara, Etude historique et géographiques, Augustin Challamel Editeur, Paris, 1895.



# فهرس المحتويات

## الفهرس

إهداء	.....
شكر وعرفان	.....
مقدمة	أ.....

### الفصل الأول

#### المقاومة الشعبية للتوسع الاستعماري الفرنسي في وادي ريغ ووادي سوف وورقلة

I. الوضع السياسي والعسكري في المنطقة الجنوبية الشرقية في منتصف القرن 19 م.....	- 14 -
1) انعكاسات معركة الزعاطشة على روح المقاومة في المنطقة الجنوبية الشرقية:.....	- 18 -
1-1) نتائج معركة الزعاطشة المباشرة.....	- 18 -
2-1) توسع المقاومة إلى "نارا" NARAH:.....	- 21 -
3-1) حركة المقاومة في بوسعادة سنة 1849 الشريف محمد بن شبيرة:.....	- 22 -
II. المقاومة المسلحة للتوسع الاستعماري في منطقة وادي ريغ.....	- 24 -
1) الإطار الجغرافي:.....	- 24 -
2) التركيبة البشرية للمنطقة.....	- 24 -
3) الوضع السياسي في منطقة وادي ريغ قبل الاحتلال الفرنسي.....	- 26 -
4) الحملات الاستكشافية التجسسية في وادي ريغ:.....	- 29 -
5) مراحل المقاومة المسلحة في منطقة وادي ريغ.....	- 31 -
1-5) البوادر الأولى للمقاومة في وادي ريغ:.....	- 32 -
2-5) المرحلة الأولى مرحلة التحضير والاستعداد 1853:.....	- 33 -
3-5) المرحلة الثانية (الانطلاق) والمواجهة 1854:.....	- 35 -
4-5) معركة المثارين واحتلال تقرت:.....	- 39 -
5-5) احتلال وادي سوف:.....	- 48 -

- 6] النظام الاداري الجديد لوادي ريغ و واد السوف: ..... - 51 -
- III] المقاومة المسلحة للتوسع الاستعماري في منطقة ورقلة:- ..... - 58 -
- 1] الوضع السياسي للمنطقة ورقلة بين 1830-1854: ..... - 62 -
- 2] مقاومة الشريف للتوسع الفرنسي في منطقة ورقلة: ..... - 64 -
- 1-2] الوصف الجغرافي لمنطقة ورقلة: ..... - 64 -
- 2-2] الموارد المائية: ..... - 65 -
- 3-2] التركيبة البشرية والتنظيم الاجتماعي: ..... - 66 -
- 3] الأوضاع السياسية في المنطقة قبل الاحتلال: ..... - 69 -
- 1-3] فترة حكم آل علاهم في ورقلة ..... - 71 -
- 2-3] التوازنات بين القوى المحلية في المنطقة: ..... - 72 -
- 3-3] فترة حكم أسرة بني بابية: ..... - 74 -
- 4] إنعكاسات الظروف الداخلية السياسية: ..... - 75 -
- 5] بوادر الأولى للاحتلال غير المباشر لمنطقة ورقلة: ..... - 77 -
- 6] مقاومة الشريف محمد بن عبد الله: ..... - 78 -
- 1-6] شخصيته: ..... - 78 -
- 2-6] نفيه إلى خارج الجزائر: ..... - 80 -
- 3-6] التحضير السري للمقاومة المسلحة: ..... - 81 -
- 4-6] بداية المقاومة أو المرحلة الأولى لمقاومة الشريف: ..... - 82 -
- 5-6] معركة الأغواط ..... - 85 -
- 6-6] الحملة العسكرية ضد الشريف ..... - 94 -
- 7-6] عودة الشريف محمد بن عبد الله ..... - 97 -
- 8-6] اضطهاد السلطات التونسية لشريف محمد بن عبد الله: ..... - 98 -

7 تأسيس دائرة الأغواط والاحتلال الدائم..... - 101 -

## الفصل الثاني

### مقاومة التوسع الاستعماري في منطقة توات - قورارة - تيديكلت

I. التعريف بإقليم توات الكبير (توات - قورارة - تيديكلت) ..... - 103 -

1 التسمية والموقع: ..... - 103 -

2 المناخ:..... - 104 -

3 المصادر الهيدروغرافية:..... - 105 -

4 إقليم القولة (المنيعه) - El- Goléa:-..... - 106 -

II. أقاليم منطقة التوات الكبير(تيقورارين- توات - تيديكلت) الاطار الجغرافي والتركيبه البشرية: ..... - 107 -

1 الاطار الجغرافي والتسمية:..... - 107 -

1-1 منطقة تينجورارين (قورارة):..... - 109 -

2-1 منطقة توات: ..... - 110 -

3-1 إقليم تيديكلت: ..... - 111 -

2 التركيبه البشرية:..... - 113 -

3 الوضع السياسي في توات الكبرى(قورارة - توات - تيديكلت): ..... - 116 -

4 مرحلة الحملات التجسسية الاستكشافية ورد فعل المقاومة: ..... - 121 -

1-4 رحلة جيرار رولف (1864):..... - 126 -

2-4 رحلة بول سولايلات (Paul Soleillet)(1886-1842)..... - 128 -

3-4 رحلة "مارسيل بالات" 1885 "MARCEL PALAT"..... - 129 -

4-4 رحلة كاميل دوول Camille Douls..... - 130 -

III. مراحل التحضير للغزو العسكري على المنطقة: ..... - 131 -

1 ضمان التأييد الدولي:..... - 131 -

- (2) تشييد الحصون والقواعد المتقدمة: ..... - 132 -
- (3) أوضاع الجبهة الداخلية خلال عملية الغزو: ..... - 134 -
- IV** المقاومة المسلحة للتوسع الاستعماري في منطقة تيديكلت: ..... - 135 -
- (1) بعثة فلامون ومعركة إيغوسطن 28 ديسمبر 1899: Géorges. B. M- Flamand (1861-1919): ..... - 135 -
- (2) معركة الدغامشة 05 جانفي 1900: ..... - 140 -
- (3) معركة إينغر الأولى 23-25 جانفي 1900: ..... - 143 -
- (4) معركة إينغر الثانية 18 مارس 1900: ..... - 145 -
- (5) التنظيم الإداري للملحقة عين صالح: ..... - 153 -
- V** المقاومة المسلحة للإحتلال الفرنسي في توات وقورارة: ..... - 154 -
- (1) معركة ساهلة مطارفة 27-30 أوت، 05 سبتمبر 1900: (تقع جنوب تيميمون بحوالي 80 كلم).... - 155 -
- (2) حملة الجنرال سرفيار الثانية « Général Serviére » وموقعة تيميمون 19/02/1901: .... - 156 -
- (3) معركة شروين 28 فيفري والحميرة 01 مارس 1901: ..... - 159 -
- (4) معركة ظلمين 09 مارس 1901 م: ..... - 160 -

### الفصل الثالث

#### المقاومة المسلحة للتوسع الاستعماري في الأهقار والتاسيلي

- I** الاطار الجغرافي لإقليم الطوارق: الهقار والطاسيلي: ..... - 164 -
- (1) كتلة جبال الأتاكور: ..... - 165 -
- (2) هضاب أناحف: ..... - 165 -
- (3) صحراء تنزروقت: ..... - 165 -
- (4) الأمادوروز: ..... - 165 -
- (5) هضبة طاسيلي ناجر: ..... - 165 -
- (6) مرتفعات آحنات: ..... - 166 -

- 7) كتلة الطاسلي الجنوبي: ..... - 166 -
- 8) المناخ منطقة التاسيلي والهقار: ..... - 166 -
- 9) الثروة المائية ومصادرها: ..... - 167 -
- II. السلطة السياسية التقليدية وعلاقتها بالتوغل الاستعماري (الانثروبولوجيا في خدمة الاستعمار):... - 170 -
- 1) السلطة السياسية التقليدية لطوارق الشمال: ..... - 175 -
- 1-1) منصب الأمينوكال « Aminokal » أو السلطان: ..... - 181 -
- 2-1) منصب "الأمغار" « Amghar »: ..... - 184 -
- 2-2) مجلس الشيوخ أو الأعيان أو المجلس العام: ..... - 185 -
- 2) التنظيم الاجتماعي عند الأهقار والأزدجار: ..... - 186 -
- 2-1) طبقة النبلاء أو السادة: ..... - 186 -
- 2-2) طبقة الأمغاد أو الأتباع أو الخدم: ..... - 188 -
- 3-2) فئة الأشراف المرابطين ينسلمن « inislmin »: ..... - 188 -
- 4-2) الحرفيون أو الحدادون (الصناع التقليديون): إينضن (Enaden): ..... - 189 -
- 5-2) فئة العبيد "إكلان" klan: ..... - 190 -
- 3) التنظيم القبلي عند طوارق الشمال: ..... - 191 -
- 1-3) التنظيم القبلي لكونفدرالية الأهقار: ..... - 191 -
- 2-3) التنظيم القبلي لكونفدرالية الأزدجار: ..... - 197 -
- 4) التطور السياسي لطوارق الشمال قبل فترة الاحتلال المباشر: ..... - 201 -
- 1-4) لمحة تاريخية عن طوارق الشمال (الأهقار، الأزدجار): ..... - 201 -
- 2-4) طوارق الشمال من الوحدة إلى الانفصال: ..... - 202 -
- 3-4) الصراع السياسي الداخلي على السلطة: ..... - 203 -
- 4-4) الصراع العسكري الخارجي بين الأهقار والأزدجار: ..... - 208 -



- 5) الغزو الإستعماري بين القوة والديبلوماسية وردود فعل المقاومة الشعبية: ..... - 212 -
- 1-5) إستراتيجية الحصون والقلاع الفرنسية في الصحراء: ..... - 212 -
- 2-5) مشاريع خطوط سكة الحديدية في الصحراء: ..... - 222 -
- 3-5) التوغل السلمي والحملة التجسسية في المنطقة بين 1850-1862-: ..... - 228 -
- 4-5) المقاومة المسلحة للاستعمار في منطقة الأهقار و الطاسيلي: ..... - 243 -
- 5-5) المقاومة المسلحة للتوغل العسكري في منطقة الهقار : ..... - 254 -
- الخاتمة ..... - 282 -
- الملاحق ..... - 287 -
- قائمة المصادر والمراجع ..... - 304 -
- فهرس المحتويات ..... - 328 -